مجلـــة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير :أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. بـاسمـــــة جليل عبـــد كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. أنعـــــام مهـــدي علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. سهيلـــــــة مـزبـــان كليـــــة التربية / ابن رشـــد

أ.د. سالـــم الحـاج محمـــود كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

أ.د.علي ياسيـــــن الجبـــوري كليـــــة الآثـار / جامعة الموصل

أ.م.د. فـــــاروق محمـــد علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

ا.د. طـــــــارق منصـــــــور كليـة الآداب / جامعة عين شمس

أ.د. خـــديجـــــة نشـــــار معهـــــــــد الآثار / الجزائر

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٧٧) لشهر نيسان لسنة ٢٠٢١

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٧٧) لشهر نيسان لسنة ٢٠٢١
عدد الصفحات : ٥٩٣ صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الجراح

دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس الهيئة الاستشارية

أ.د. طالب منعم حبيب / جامعة واسط – كلية الآداب

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ.د. زكيـــــــة حسن إبراهيم	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي	جامعـة بغداد / كلية التربية / ابن رشد
أ.د. عادل تقـــــي البلداوي	الجامعـــــة المستنصرية/ كلية التربية
أ.د. سعد عبـــــــود سمار	جامعـــــــــــة بغداد/ كلية التربية
أ.د.علاء طـــــــــه ياسين	جامعـــــــــــة تكريت/ كلية التربية
أ.د. عبد الكريـــــم الياسري	جامعـــة بغداد / كلية التربية/ ابن رشد
أ.د. نوالـــــــه أحمد المتولي	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.م.د. كاظم عبد الله الشمري	جامعـــــة بغداد / كلية التربية للبنات

التصحيح اللغوي : م.د. عبد الحسين موسى

مسؤول الموقع الالكتروني والبريد الالكتروني : م.م. هدى هادي علوش

سكرتير تحرير المجلة : م. هدى هادي علوش

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .

٢. إعتماد الاسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.

٣. سلامة البحث من الاخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .

٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .

٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .

٦. أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو اطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .

٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر- مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.

٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .

٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .

١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الاقراص المدمجة .

فهرس العدد (٧٧)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	تطورات القضية الكردية في وثائق الحزب الشيوعي العراقي السرية (١٩٣٥-١٩٤٨)	أ.م.د.سيف عدنان ارحيم	٣-٣٢
٢.	سياسة الانفتاح الاقتصادي وآثاره الاجتماعية والثقافية على مصر (١٩٧٤-١٩٨١)	أ.م.د. احمد ماجد عبد الرزاق	٣٣-٦٤
٣.	دور علماء مدينة زنجان خلال العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦هـ)	أ.م.د. علي نايف مجيد	٦٥-٨٨
٤.	منهج المقريزي في كتابه " الإلمام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام "	أ.م.د.وسن إبراهيم حسين	٨٩-١٠٦
٥.	الاعمال الجماعية في العمارة الدينية	ميسون عايد ابراهيم أ.م.د. فائز هادي علي الحسناوي	١٠٧-١٣٢
٦.	تدجين الكلب في الشرق الأدنى القديم – بلاد الرافدين انموذجا	نسرين جبر عبيد النداوي أ.م.د. ماجدة حسو منصور عيسو	١٣٣-١٥٦
٧.	أثر إنجيل يوحنا في رموز للتصوف الإسلامي (دراسة تاريخية)	أ.د.قصي أسعد عبد الحميد	١٥٧-١٨٠
٨.	بنية التفكير القصصي في تاريخ العرب ماقبل الاسلام	د. شفيقة جاسم نصيف العبيدي	١٨١-٢٠٠
٩.	توظيف آيات القرآن في التصوير الاسلامي دراسة تحليلية	م . د. باسم عليعل خلف	٢٠١-٢٤٢
١٠.	دراسة فنية تحليلية لأختام أسطوانية غير مدروسة محفوظة في المتحف العراقي	أ.د قصي صبحي عباس الجميلي	٢٤٣-٢٦٢
١١.	الآراميون في جنوب بلاد وادي الرافدين	أ. د. عدنان حميد طه الويس	٢٦٣-٢٧٦
١٢.	دور موريتانيا في نزاع الصحراء الغربية(١٩٧٥-١٩٧٨)	م.د. لمياء صفاء حسن	٢٧٧-٢٩٨
١٣.	كوكب حفني ناصف (١٩٠٥- ١٩٩٩) أول طبيبة جراحة مصرية- دراسة تاريخية-	أ.م . وفاء خالد خلف	٢٩٩-٣١٦

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١٤.	مجالس المناظرات وأثرها خلال العصر الأموي (٤١هـ - ١٣٢هـ | ٦٦١م - ٧٥٠ م)	أ.د. قصي أسعد عبد الحميد	٣١٧-٣٤٢
١٥.	الأوسمة والأنواط العراقية في العهد الجمهوري الاول (١٩٥٨- ١٩٦٣)	علي صالح عبد الحسن عيسى ا.د. إنعام مهدي علي السلمان	٣٤٣-٣٦٦
١٦.	المؤسسات التعليمية المتخصصة في خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩- ٥٥٨هـ/١٠٣٧-١١٦٢م)	م.د.علاء حبيب عبد	٣٦٧-٤٠٠
١٧.	نصوص بابلية قديمة غير منشورة من مدينة لاكابا في المتحف العراقي	د.ئارام جلال حسن الهموندي	٤٠١-٤٢٢
١٨.	اسهامات المعلمين والمؤدبين في الاعمال الخيرية في الاندلس من (٤٨٤ - ٨٩٧ هـ / ١٠٩٢ - ١٤٩٢)	عدنان هادي صايل أ.م.د. نبراس فوزي جاسم	٤٢٣-٤٤٤
١٩.	إدارة مصر خلال الحكم الآشوري(٧٠١-٦٥٤) ق.م	م.هيفي صبري جميل	٤٤٥-٤٥٦
٢٠.	جزيرة سرنديب دراسة تاريخية	م. علاء عريبي سبع	٤٥٧-٤٧٧
٢١.	علم الكلام	م. د. محمد سعدون عبيد	٤٧٨-٤٩٣
٢٢.	ادارة الولايات في الدولة الفاطمية (٣٥٨/ ٩٦٧م - ٥٦٧هـ/ ١١٧١م)	م.جواد كاظم حسن	٤٩٤-٥٢٣
٢٣.	الارهاب الاحمر دراسة تاريخية للجنة الاستثنائية لعموم روسيا(الـ تشيكا)١٩١٧-١٩٢٢	أ.م.د. ايناس سعدي عبدالله	٥٢٤-٥٧١
٢٤.	العلوم العقلية عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام	م.د. سولاف فيض الله حسن	٥٧٣-٥٩٣

تطورات القضية الكردية

في وثائق الحزب الشيوعي العراقي السرية (١٩٣٥-١٩٤٨)

أ.م.د.سيف عدنان ارحيم

الجامعة العراقية-كلية الاداب

Alsaaif1984@gmail.com

تطورات القضية الكردية
في وثائق الحزب الشيوعي العراقي السرية (١٩٣٥-١٩٤٨)

أ.م.د.سيف عدنان ارحيم

الملخص

برزت القضية الكردية على مسرح السياسية الدولية بالعموم والشرق الاوسط بالخصوص بعد نهاية الحرب العالمية الاولى وانهيار الدولة العثمانية التي هيمنت على اجزاء مترامية من الوطن العربي لأربعة قرون ونيف،فبدأت الدول التي انسلخت عن الدولة العثمانية ان تجد ضالتها بإيجاد صيغة لنظام حكم تمكنها من ادارة شؤونها،لكن على ما يبدو ان الجهود التي بذلت بهذا الصدد لم تحقق ما كان يطمح له العرب لتصطدم باتفاقية سايكس-بيكو ١٩١٦ التي جزأت المنطقة ذات الغالبية الكردية بين كل من تركيا والعراق وسوريا وايران لتبدأ صفحة جديدة من صراع الكرد من اجل تحقيق شعارهم "حق تقرير المصير".

تكمن اهمية الدراسة الموضوعة البحث"القضية الكردية في وثائق الحزب الشيوعي العراقي" والتي توثق تطور الحركة الكردية منذ نشأة الحزب الشيوعي العراقي وكذلك لكون القضية الكردية اصبحت جزءاً لا يتجزأ من حلقة المطالب والحقوق بين الكرد من جهة والأنظمة السياسية العراقية المتعاقبة على العراق منذ تشكيل الدولة العراقية ١٩٢١ ولغاية الوقت الحالي فكانت تعد القضية الاكثر الحاحاً بالنسبة للأنظمة الحاكمة التي كانت تبحث لها عن حلول،وعلى الرغم من أن الحكومات المتعاقبة على الحكم ولاسيما في العهد الجمهوري كانت ترفع أيديولوجيات فكرية لحل القضية الكردية وإيمانها بحقوق الكرد،الا أنها وفي نفس الوقت كانت تستخدم كل أنواع الأسلحة ضد الكرد.

Abstract

Kurdish case in the secret Iraqi communist party documents

1934-1948

Kurdish case surfaced on the international political stage generally and in the middle east specifically after the end of the first world war and the collapse of the Ottoman empire that overcome massive parts of the Arab Homeland for more than four centuries, Countries that slipped from the Ottoman Empire

started finding its way by creating a formula of reigning which enables it from running its own business, But seemingly the efforts spent in this regard couldn't achieve the high hopes to confront the Sykes-Picot agreement of 1916 that portioned the area of Kurds Majority between Turkey, Iraq, Syria and Iran only to initiate a new page of struggle for the Kurds in order to achieve the slogan of (The right to decide fate).

The importance of subject (Kurdish Case within Iraqi Communist Party documents) is based in documenting the evolve of the Kurdish movement since the establishing of the communist party as well as Kurdish case became an inseparable part of the demands rings of rights for the Kurds and successive Iraqi supreme since the establishing of the Iraqi Government in 1921 until the time being, it is considered one of the most insisting case for the ruling authorities that looked for solution, despite the successive governments specially under the republican governing raised the ideologies to solve Kurdish case and its faith to Kurds rights and in the same time uses all types of weapons against the Kurds.

(ملخص البحث)

تعد القضية الكردية من بين القضايا المحورية في تاريخ العراق المعاصر فبرزت تأثيراتها بشكل واضح منذ تشكيل الدولة العراقية في ٢٣ آب ١٩٢١ فواكب الحزب الشيوعي العراقي تلك القضية منذ تأسيسه هو الآخر من خلال بياناته ومواقفه لإيجاد حل لتلك القضية التي القت بظلالها على الساحة السياسية العراقية وكحزب عراقي بالرغم من نشاطه السري فقد تابع من جانبه التطورات التي رافقت تلك القضية وقدم الحلول التي تؤمن بالحكم الذاتي للكرد وهو شعار لم ترفعه القوى السياسية والحزبية في العراقي في تلك المدة.

الكلمات المفتاحية:الحزب الشيوعي العراقي،القضية الكردية،ميركه سور

المقدمة

برزت القضية الكردية على مسرح السياسية الدولية بالعموم والشرق الاوسط بالخصوص بعد نهاية الحرب العالمية الاولى وانهيار الدولة العثمانية التي هيمنت على اجزاء مترامية من الاراضي العربية لأربعة قرون ونيف،فبدأت الدول التي انسلخت عن الدولة العثمانية تحاول

ان تجد ضالتها بإيجاد صيغة لنظام حكم تمكنها من ادارة شؤونها،لكن على ما يبدو ان الجهود التي بذلت بهذا الصدد لم تحقق ما كان يطمح له العرب لتصطدم باتفاقية سايكس-بيكو ١٩١٦ التي جزأت بدورها الوطن العربي بين دولتي الوفاق(بريطانيا-فرنسا)،ولتتجزأ المنطقة ذات الغالبية الكردية بين كل من تركيا والعراق وسوريا وايران لتبدأ صفحة جديدة من صراع الكرد من اجل تحقيق شعارهم "حق تقرير المصير".

تكمن اهمية الدراسة الموضوعة البحث"القضية الكردية في وثائق الحزب الشيوعي العراقي" والتي توثق تطور الحركة الكردية منذ نشأة الحزب الشيوعي العراقي وكذلك لكون القضية الكردية اصبحت جزءاً لا يتجزأ من حلقة المطالب والحقوق بين الكرد من جهة والأنظمة السياسية العراقية المتعاقبة على العراق منذ تشكيل الدولة العراقية ١٩٢١ ولغاية الوقت الحالي فكانت واحدة من اكثر القضايا الاكثر الحاحاً بالنسبة للأنظمة الحاكمة التي كانت تبحث لها عن حلول،وعلى الرغم من أن الحكومات المتعاقبة على الحكم ولاسيما في العهد الجمهوري كانت ترفع أيديولوجيات فكرية لحل القضية الكردية وإيمانها بحقوق الكرد،الا أنها وفي نفس الوقت كانت تستخدم كل أنواع الأسلحة ضد الكرد.ويمكن السبب الحقيقي بعدم وجود قناعات معمقة بإعطاء الكرد حقوقهم.

في خضم بروز هذه القضية على ارض الواقع تبنت الاحزاب السياسية العراقية على اختلاف مشاربها الفكرية ومنطلقاتها لإيجاد حل لقضية الكرد التي ظلت تستنزف الأموال والأرواح لكنها بقت تطرح حلولاً آنية بعيدة عن الواقع و لا تلامس سقف المطالب التي ينادي بها الكرد،وان طرحت بعض الاحزاب حلولاً عدت في حينها مفتاح الحل لتلك القضية كالحزب الشيوعي العراقي.

ومنذ بواكير نشأته السياسية بدأ يطرح السبل لإيجاد حل لتلك القضية ومن بين الحلول التي وجدها هو شعار"الحق الذاتي"و"حق تقرير المصير"،لتبقى تلك الشعارات منطلقات فكرية للشيوعيين بل وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من منهاجه الحزبي ليطرحه بين آونة وأخرى.

قسمت الدراسة الموضوعة البحث الى مواضيع سياسية حسب التطورات السياسية التي شهدها العراق وموقف الحزب الشيوعي العراقي ومنذ نشأته لحل تلك القضية الكردية التي ظهرت منذ تشكيل الدولة العراقية لاسيما في العهد الملكي

اعتمدت الدراسة بالدرجة الاساس على وثائق الحزب الشيوعي للفترة من ١٩٣٤ وحتى ١٩٤٨ والاعتماد على العديد من المصادر العربية والمعربة التي بدورها أعطت أهمية كبيرة للدراسة الموضوعة البحث.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨)وقع العراق تحت الاحتلال البريطاني،ظهرت في الأفق حركة كردية يتزعمها شريف باشا أحد القادة الكرد البارزين وكانت هذه الحركة تستهدف جمع شمل الكرد في العراق وإيران وتركيا وسوريا تحت لواء واحد والمطالبة باستقلالهم فبدأ بالتقرب من البريطانيين على أمل تحقيق طموحه بتشكيل دولة كردية الا ان جهوده لم تكلل بالنجاح(اسكندر،٢٠٠٧،ص٧٥)(Iskandar,2007,p75)،وفي سنة ١٩١٩ قام الشيخ محمود الحفيد*،بحركة مسلحة في السليمانية ضد القوات البريطانية مما اضطرها الى تجريد حملة عسكرية للقضاء عليها،كما ساهم الكرد بثورة العشرين ضد السياسية البريطانية المتبعة بعد فرض الانتداب البريطاني على العراق،وتوالت المواجهات بين الحكومة العراقية المشكلة في ٢٣ آب ١٩٢١ والحركة الكردية المسلحة فجردت الحكومة العراقية قوة من الجيش بمؤازرة قوة بريطانية تمكنت من تشكيل الادارة المدنية التابعة للحكومة وهرب الحفيد الى ايران لكون الملك فيصل الأول حذر من عواقب قيام دولة كردية مستقلة ودعا الى ضرورة ضمها الى العراق في الوقت ذاته تم اجراء استفتاء يؤيد فكرة انضمام المناطق الكردية للمملكة العراقية(البياتي،٢٠٠٥،ص٢٠٣) (Al-Bayati,2005,p203).

أن مطامح الكرد نحو الاستقلال تكمن في حقيقتها الى ادراج استقلال المناطق الكردية بموجب معاهدة سيفر ١٠ آب ١٩٢٠ الموقعة بين تركيا ودول الحلفاء والتي نصت بأن"يوضع مشروع الاستقلال المركزي للمناطق الكردية في شرقي الفرات وجنوب غربي ارمينيا وشمالي الحدود التركية المتاخمة لسوريا والعراق" ووقعت تلك المعاهدة وأعطيت الوعود للكرد بالاستقلال قبل تشكيل الحكومة العراقية وانما تمت في ظل وعود الحلفاء بالاستقلال عن تركيا ليتغير الامر بعد تشكيل المملكة العراقية لتاخذ بعداً آخر وهو المحافظة على المناطق المنسلخة من الدولة العثمانية(الحسني،٢٠١٣،ص٢٩٦)(Al-Hasani,2013,p296).

ولتبقى المشكلة عالقة بين الاستقلال والحفاظ على ابقاء الكرد ضمن المملكة العراقية،في وقت كانت هناك مشكلة لم تحل بعد وهي مشكلة الموصل وقضية الخلاف حولها بين مطالبة تركيا لضمها وبين احقية العراق في ضمها للمملكة العراقية والتي يقطنها خليط من العرب والكرد وبعد ادراج قضية الموصل على عصبة الأمم التي ارسلت عام ١٩٢٥ لجنة دولية وعهد اليها الاستفتاء حول قضية الموصل وتثبيت الحدود العراقية-التركية فظهرت نتيجة التصويت ان اكثرية سكان المنطقة الشمالية يفضلون الانضمام الى العراق شرط ان يبقى العراق تحت الانتداب البريطاني لمدة عشرين سنة وان تحفظ للكرد حقوقهم على اساس ما جاء في ميثاق عصبة الأمم بخصوص الاقليات (الحسني،١٩٨٨،ج٦،ص١٩٥-١٩٦)(Al-Hasani ,1988,p195-196)،يبدو أن موقف الكرد لم يأت من فراغ،فقد كانت لهم مخاوف من أن انضمام مناطق تواجدهم في ولاية الموصل الى تركيا سيؤدي الى ضياعهم في بلاد تتبع سياسة التتريك ضد الكرد بل وتسميهم اتراك الجبل بينما تواجدهم ضمن الدولة العراقية الحديثة النشوء والخاضعة للانتداب البريطاني يمكنهم المطالبة بحقوقهم شرط استمرار الانتداب لعشرين سنة.

ناهيك عن ادراك القيادات الكردية تجاهل الكماليين لمصالح القوميات غير التركية بل وما هو ماثل للأذهان أمامهم من قمع للانتفاضات الكردية(البياتي،٢٠٠٥،ص٣٧٨)(Al-Bayatim,2005,378)

ولكن الوقائع على الارض العراقية لم تجرِ كما تكهن القادة الكرد،لاسيما خلال السنوات الاولى بعد قرار انضمام ولاية الموصل للعراق،فقد استطاعت الحكومة من اخماد حركة محمود الحفيد بدعم القوات البريطانية ،ثم اتجهت لاستخدام القوة ضد حركة الشيخ احمد البارزاني الذي لم يذعن لسيطرة الدولة،ولاقت سياسة استخدام القوة دعماً ليس من البريطانيين وحدهم بل من الحكومة التركية،لقناعتها ان أي نجاح للحركة الكردية ستنعكس سلبياً على مناطق تواجد الكرد في تركيا،وبالفعل نجحت الحكومة العراقية في وأد حركة الشيخ أحمد بعد إعتقاله(امين،٢٠١١،ص٧٩-٨٢)(Amin,2011,p79-82).

من جانب أخر بدأت السفارة البريطانية تتخوف من تطورات القضية الكردية وجدية الحكومة العراقية للتعامل مع تلك القضية التي أخذت منحنى أخر بعيداً عن الحلول السلمية

ويشير تقرير السفارة ان بعض من اعضاء الحكومة العراقية يريدون تعريب المناطق الكردية وتفجير الاوضاع الراهنة مجدداً(علي،٢٠٠٨،ص١٩١)(Ali,2008,p191).

يبدو أن التأثير الماركسي وجد له أرضية خصبة بين بعض الأوساط في مناطق مختلفة من العراق منذ عشرينيات القرن العشرين،فقد تأثر عدد من المثقفين الكرد بذلك الفكر لما وجدوا فيه من مبادئ تتناغم مع تطلعاتهم(حبيب،٢٠٠٥،ص٢٥٣)(Habib,2005,p253)،وهذا ما مهد لنشاط الحزب الشيوعي العراقي في المناطق الكردية منذ تأسيسه عام ١٩٣٤،وأخذ على عاتقه التصدي لقضايا العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالدرجة الأساس ومن ضمن القضايا التي بدأ الحزب الشيوعي العراقي يدرجها وفق أدبياته بل وأصبحت من القضايا المركزية المهمة بالنسبة له هي القضية الكردية،فلم يخلو بيان او منشور او صحيفة سرية دون ذكر لتلك القضية،فهو يسترشد بالنظرية الماركسية اللينينية بحق الشعوب بتقرير مصيرها.

لقد رفعت اقدم جريدة شيوعية "كفاح الشعب" لسان حال الحزب الشيوعي التي صدر العدد الأول منها في تموز ١٩٣٥ شعارات لصالح حقوق الكرد(كفاح الشعب،١٩٣٥،العدد الاول)((The People's Struggle,1953, number-1)،فأشار العدد الأول الى مسألة عدها في غاية الخطورة يستند اليها الاستعمار وهي سياسة "فرق تسد" التي سار عليها الانكليز ليثيروا بها الكراهية بين الأقليات العديدة في العراق سواء كانت دينية او قوميه ولم تكتفِ صحيفة كفاح الشعب بذلك بل أشارت الى دور الحكومة العراقية،لكونها حسب وصف الصحيفة،تثير كراهية الاكثرية المسلمة على الاقليات الغير مسلمة ثم تثير حقد الاكثرية العربية على الاقليات الغير عربية كالكرد وغيرهم،ولم تكتفِ الصحيفة بذلك بل طالبت بضرورة أن يكون للكرد الحكم الذاتي مشيرة الى وضع الكرد في الاتحاد السوفيتي بأنها"أصبحت تتمتع بالحرية والمساواة التامة فهناك عدد من الكرد وعددهم الخمسين الفاً لهم الان منطقة أصبحت وطناً خاصاً بهم يديرونها بأنفسهم"(المصدر نفسه،العدد الاول)(Ibid,number-1).

وفي خضم تطورات الأحداث العامة في العراق تطرق الحزب الشيوعي العراقي الى قضية الجيش العراقي بعد تشريع قانون الخدمة الالزامية وكان احد المعترضين على القانون هم الكرد لتخوفهم من استخدام الجيش ضدهم في المستقبل

فبّين الحزب الشيوعي العراقي الى ذلك بان الاستعمار قادر على ان يستعمل الجيش"في المستقبل لإغراضه ومصالحه و الأكثر من هذا نقول ان الاستعمار أستطاع ان يستعمل الجيش ضد الشعب كما بينت الاحداث الاخيرة ما يبرهن على ذلك*،اما حروب اخواننا الكرد التي دامت سنوات عديدة وتخربت القرى الكردية والتقتيل ما يؤيد كلامنا على ذلك وما الكرد إلا شعبا يريد ان يعيش حراً مستقلاً كما هي امنيتنا وأمنية جميع الشعوب المظلومة"(كفاح الشعب،١٩٣٥،العدد ٢)(The People's Struggle,1935,number-2) ،بهذا يحاول الحزب الشيوعي العراقي ربما ايجاد قاعدة يستند عليها لتقوية تنظيماته في تلك المناطق لكونه الحزب الذي بدأ بدوره يتصدى لقضايا الاقليات بشكل اساسي.

ولم يكتفِ الحزب الشيوعي العراقي بمطالبته باحترام حقوق الاقليات ومن بينها حقوق الكرد بل أصبحت كما يشير في بياناته بأنها "قسم من غاياتنا في المرحلة الأولى طرد الاستعمار والحرية للشعب،وإعطاء الشعب الكردي استقلاله وحريته التامة"(كفاح الشعب،١٩٣٥،العدد الثالث)(The People's Struggle,1935,number-3)،وبهذا طرح الحزب الشيوعي مبدأ الاستقلال التام وهو ربما يكون بعيداً عن أرض الواقع في تلك المرحلة لاسيما وان ذلك يتقاطع مع موقف الحكومات العراقية المتعاقبة من تلك المطالب.

القضية الكردية في بواكير نشاط الحزب الشيوعي

لم يكن الحزب الشيوعي العراقي ونشاطه بعيداً عن أعين الأمن فقد تمكنت قوى الأمن في ١٩٣٧ من الكشف عن تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي فتفرق الشيوعيون بعد كشف تنظيماتهم فترك بعضهم العمل السياسي فيما التجأ البعض الآخر الى جمعية الاصلاح الشعبي التي تأسست في ١٢ تشرين الثاني١٩٣٦،حتى تمكن يوسف سلمان يوسف*المعروف بـ(فهد)العائد من الاتحاد السوفيتي في ٣٠ تشرين الاول ١٩٣٨ بعد اكمال دراسته الحزبية هناك ليصبح سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي وأخذ الحزب الشيوعي

العراقي يتخذ مساراً واضحاً بعد الضبابية التي رافقت عمله في السابق وأصدر صحيفة لتكون لسان حال الحزب الشيوعي باسم "القاعدة"(الخرسان،١٩٩٣،ص٢٦-٢٧)(Al- Khursan,1993,p26-27).

لم يكن نشاط الحزب الشيوعي في الاربعينيات بعيداً عن مد تنظيماته داخل المنطقة الكردية،فتم تشكيل منظمات شيوعية في اربيل وكركوك ومدن كردية أخرى منحته جاذبية للكثير من الطبقات المتعلمة(مكدول،٢٠٠٤،ص٤٣٧)(Makdul,2004,p437)،في ١٩٤١-١٩٤٢،بالإضافة إلى ذلك فإن أول صحيفة سياسية كردية وهي "آزادي"(الحرية)،كانت تحرر من قبل أعضاء في الحزب الشيوعي العراقي،وكان الحزب الشيوعي اول حزب عراقي يطور سياسة ثابتة حول القضية الكردية والتي عرفت بحق تقرير المصير(سلوغلت،٢٠٠٣،ص٥٦) (Slogelt ,2003,p56).

ان هناك مجموعة من العوامل اسهمت في تعزيز مكانة الحزب الشيوعي العراقي في المناطق الكردية كون المنطقة كانت عبارة عن ظاهرة اجتماعية معقدة ومتناقضة جداً،وتتسم بخيبة امل الوعود التي مني بها الكرد من قبل بريطانيا لتقرير المصير،وهيمنة القيادة الاقطاعية العشائرية المهيمنة على المجتمع الكردي في كافة المجالات،أضف الى ذلك التخلف الاجتماعي بالذات(لازاريف،٢٠١٣،ص٢٩)(Lazarev,2013,p29)،وهو ما شكل ارضية مناسبة للحزب الشيوعي العراقي كي يؤسس له قاعدة جماهيرية تتلقف افكاره بسرعة متناهية.

ومما تجدر الإشارة اليه أن الحزب الشيوعي العراقي تصدى لمختلف القضايا الداخلية والخارجية،وتميز بدفاعه عن حقوق الفقراء، وما اكثرهم في العراق،مثلما تصدى للدفاع عن القضية الكردية،تلك القضية التي يعتقد البعض بأنها ساهمت في إحداث انشقاقات وتشتيت المواقف،فقد انضوى الشيوعيون الكرد في منظمة الاماميون "وحدة النضال"،بعد اشتراطهم ان يكون هناك فرع كردي للمنظمة،وإصدار جريدة خاصة باللغة الكردية ،وأن يكون لهم عضوان من الكرد في اللجنة المركزية،وفي الذي وافقت وحدة النضال على تلك الشروط رفض فهد تشكيل فرع كردي بعيداً عن الحزب المركزي عندما علق على طلب الكرد"إنكم أي الرفع جزء من الأصل"(الحيدري،٢٠٠٤،ص٢٩)(Al-Haidari,2004,p29)،يبدو ان رفض فهد

لتشكيل لجنة الفرع الكردي لم تجد لها آذناً صاغية ،فقد شكل الاعضاء الكرد الفرع الكردي من،صالح الحيدري ونافع يونس ورشيد قادر،ورشح الثلاثة كلاً من صالح الحيدري ونافع يونس للانضمام للجنة"النضال"،ومن جهته استقطب فهد أحد الشخصيات الكردية الشيوعية وهو شريف ملا عثمان سراً ،وأباح له قراره بأن "يه كيه تيكوشن"أي "وحدة النضال"،هي منظمة انشقاقية ،واتهمها بأنها تريد شق صف الحزب الشيوعي العراقي،وإزاء ذلك انضم الى صفوف القاعدة عدد آخر من الشيوعيين الكرد وهم يحيى سليم وجوهر دزه ئي وانور عبدالله(الطائي،٢٠٠٧،ص١٧٦-١٧٧) (Al-Taie,2007,p176-177)،إن تشكيل الفرع الكردي وحددت اول انشقاق بين الاعضاء الكرد البارزين في الحزب الشيوعي يؤشر ان جماعة صالح الحيدري كانوا يرجحون بعدهم القومي متناسين ان الحزب الشيوعي حزب اممي لا يؤمن بالقومية حتى ذلك الحين،وربما لهم الحق في ذلك لأنهم ارادوا من خلال جريدتهم "وحدة النضال"استقطاب الكثير من الشباب الكردي.

ولم يقتصر موقف الحزب على ضرورة حق تقرير المصير بل المطالبة بتحسين اوضاع الكرد الاقتصادية،لكون الحزب اعطى اهمية كبيرة لمشكلة الغلاء باعتبارها تمس قطاعاً شعبياً كبيرا(حميدي،١٩٧٦،ص١٣٠)(Hamidi ,1976,p130)،فقد تعمقت معاناة الكرد في المناطق الشمالية كمدن العراق الأخرى بارتفاع اسعار المواد الغذائية اضعاف ما كانت عليه حيث كانت قدرات الانتاج الزراعي محدودة للغاية بسبب طبيعتها الجبلية والذي بدوره اثقل كاهل المواطن العراقي(امين،٢٠١١،ص١٦١)(Amin,2011,p161).

لم يقف أهالي السليمانية مكتوفي الأيدي إزاء ارتفاع اسعار المواد الغذائية الأساسية التي شهدها اللواء في سنوات الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥) فلقد ارتفعت اسعار الحنطة،المادة الرئيسية بشكل ارعب السكان،ولهذا فلا عجب اذا ما خرجوا للتظاهر تعبيراً عن سخطهم وذلك خلال شهر تشرين الاول ١٩٤٤ فقد هاجموا وقوف الحكومة متفرجة على معاناتهم المعيشية وهاجموا في شعاراتهم التجار الذين ينقلون المواد الغذائية من السليمانية الى الموصل ومدن آخرى،ولهذا فأنهم وقفوا في مظاهرتهم الاولى موقف المستهجن إزاء متصرف اللواء الذي جمعهم في الساحة المقابلة لدار الشرطة ليبشرهم بفتح الاذاعة الكردية!! في الوقت الذي كان الأهالي ينتظرون تخفيف معاناتهم من الجوع وتوزيع التموين لهم،ولهذا

تعالت اصواتهم بأنهم يريدون حلاً للمجاعة،ولم تمض عشرة أيام حتى قامت مظاهرة ثانية ولكن هذه المرة بوجه التجار الذين نقلوا المواشي والرز والعسل والفواكة وغيرها من المواد الغذائية الاساسية الى خارج اللواء مما ادى الى ارتفاع اسعارها،فمثلاً قفز سعر كيلو اللحم من(١٩٠) فلساً الى(٢٥٠)فلساً،والأمر نفسه ينطبق على المواد الغذائية الاساسية الأخرى،ولهذا فلا عجب اذا ما رمى المتظاهرون التجار بالقشور والأقذار ونعتوهم بأشد اللعنات،أن تلك الاحوال المتردية حملتها صحيفة"الشرارة"لسان حال الحزب الشيوعي العراقي ونشرتها في مضبطة باسم اهالي السليمانية الى محمد حسن كبه وزير العمل والشؤون الاجتماعية،لبيان حجم معاناة الناس الاقتصادية،حتى أن صحيفة"الشرارة" هاجمت الحكومة لأهمالها احوال سكان السليمانية وانهم اصبحوا في خانة النسيان(الشرارة،١٩٤٢،العدد٢٠) .(Spark,1942,number 20)

الحركة المسلحة في ميركه سور

يبدو أن نشاط الحزب الشيوعي العراقي لم يقف عند حد رفع معاناة الشعب الكردي الى الرأي العام العراقي ونقد سياسة الحكومة بل وقفت مع قادة الحركة الكردية.

فمع بروز نجم الملا مصطفى البارزاني،شقيق الشيخ احمد البارزاني،والذي نفته الحكومة العراقية الى لواء السليمانية وحاول جهده اتباع اسلوب التفاهم والحل السلمي لأوضاع المنطقة الكردية(قاسملو،٢٠٠٨،ص٨٩) (Qasemlu,2008,p89)،واتخذ الرجل من مسقط رأسه بارزان التي وصلها يوم ٢٨ تموز ١٩٤٣ مقراً له،ولم يكن قراره اعتباطاً بل ايماناً منه ليكون بين ابناء عشيرته والمتعاونين وفضلاً عن قراراه هذا اجرى اتصالاته مع حزب هيوا "الأمل" لتوحيد نشاطاتهم(البارزاني،١٩٨٦،ص٢٤)(Barzani,1986,p24).

وبالمقابل لم تعط الحكومة العراقية اذناً صاغية لالتماس الملا مصطفى بأن يعيش هو واخوه بسلام،ويبدد ان الحكومة كانت تخشى من تطورات غير سارة في المنطقة،ولهذا حصنت مركز الشرطة الحكومي،وبدلاً من التجاوب مع التماس الملا مصطفى حولته من شخص تحت المراقبة الى ثائر(مكدول،٢٠٠٤،ص٤٤٠)
(Makdul,2004,p440)،لقناعتها ان تحركاته ستؤدي الى صدام مسلح لا محالة،ولهذا

ارسلت الحكومة تعزيزات عسكرية الى مراكز الشرطة لمواجهة آية هجمات مرتقبة ،وأمرت اعادة البارزاني الى السليمانية،إلا أن الاخير انضم الى الجماعات الكردية المسلحة التي اثارت القلاقل في تلك المناطق(الحسني،١٩٨٨ب،٢٨٩- ٢٩٠)(Al-Hasani,1988,p289-290)،وبالفعل جرى اول صدام مسلح مع القوات الحكومية يوم ٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ في منطقة(مير كه سور)تكبدت القوات الحكومية خسائر كبيرة بالأرواح(امين،٢٠١١،ص١٦٢-١٦٣)(Amin,2011,p162-163).

ومن جانبه حذر فهد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي بياناً أيد فيه البارزاني خاطبه حرفياً"الى الجنرال سيمو مصطفى البارزاني قائد الثورة الكردية المحترم"(النعمان،٢٠١٢،ص٢٧٠)(Numan,2012,p270)،وبالمقابل ناشد الحزب الشيوعي العراقي الحكومة العراقية بتنوير الرأي العام العراقي حقيقة الحركة القائمة في قضاء ميركه سور(القاعدة،١٩٤٣،العدد ١٠)(Al-Qaeda,1943,number 10).

وانبرت صحيفة "القاعدة" في احدى اعدادها لتوضح ما يجري في ميركه سور ،مبينة ان الملا مصطفى البارزاني ونائب العريف السابق في الشرطة والمدعو محمد فقد اعلنا العصيان متخذين من الجبال القريبة من ميركه سور مكاناً لهم،وعندما حركت الحكومة تعزيزات من الشرطة والجيش لتعقب الملا مصطفى البارزاني وقعت مصادمات ادت الى مقتل(٨٠)وجرح(١٢٠)شخصاً من قوات الشرطة والجيش "وذلك لإشراف مدافع المتمردين على الشرطة واعتصامهم بأماكن محصنه طبيعياً بين الجبال وعلى رؤوس الممرات الضيقة".

ومما تجدر الاشارة اليه،وعلى الرغم مما نشرته صحيفة "القاعدة" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي،عن عصيان ميركه سور والمواجهات المسلحة،الا ان الحزب الشيوعي لم يكن مؤيداً لحركة الملا مصطفى البارزاني المسلحة في ميركه سور وذلك لأن البلاد كانت تمر في سنوات الحرب العالمية الثانية،كما أنه كان يؤمن بالحل السلمي،ويبدو أن ذلك الموقف نابع من ان مرجعية الحزب الشيوعي واقصد الاتحاد السوفيتي كان لا يزال في حلف مع الحلفاء ضد المانيا النازية،والعراق في تحالف مع بريطانيا،احد دول الحلفاء،ومن هنا يمكن فهم موقفه المعارض للعصيان ودعواته في تلك المرحلة للحل السلمي، وبالفعل ذهبت

الحكومة العراقية الى اسلوب التفاوض مع الملا مصطفى بعد ان تعرض ميركه سور لقصف من القوات العراقية*.[١]

ونشرت جريدة"القاعدة"شروط الملا مصطفى التي تلخصت بإطلاق سراح أخيه وإعادته الى موطنه بارزان،كما طالب بإعادة نفوذه الاقطاعي بأن يكون حاكماً لميركه سور والقرى المجاورة اليها،وأما نائب العريف محمد فقد اصبح حسب وصف الجريدة،بأنه قام بسرقة اسلحة المخفر الذي كان يعمل فيه واتخذ من اعالي الجبال مكاناً له،وأخذ يهاجم القرى الامنة وسلب اهلها طعامهم ومواشيهم وأموالهم،ولم يكتفِ بذلك بل هاجم سيارة شرطة قتل من فيها وسرق مبلغ(٧٠٠) دينار وهي رواتب مركز شركة ميركه سور(القاعدة،١٩٤٣،العدد ١١) (Al-Qaeda,1943,number 11).

من المؤكد أن مبادئ الحزب الشيوعي تتقاطع كلياً او جزئيا مع شروط الملا مصطفى البارزاني وإعمال نائب العريف محمد، إلا انه من الواضح ان الحزب الشيوعي اراد من مواقفه المعلنة لمد جسور العمل السياسي في المناطق الكردية حيث كانت للحزب قواعد مهمة،ومن يطلع على اسم الصحيفة الكردية التي اسسها الحزب يومئذ يمكن معرفة توجهاته ونواياه في المنطقة الكردية فقد أسس صحيفة"شورش" أي بمعنى "الثورة" ولعبت دوراً رئيسياً في تأسيس حزب عرف بأسم"رزكاري كورد" أي"تحرير الكرد" وذلك عام ١٩٤٥ والذي وصل عدد المنضوين تحت لوائه حوالي ستة الاف وهذا الرقم ليس بالقليل قياساً الى عدد المنتمين للأحزاب الكردية السابقة،كما انه ضم عدداً من طلاب المدارس الثانوية والمعاهد،وطرح آراءاً وأفكاراً لحل المشاكل بين الحكومة والكرد مثلما اجرى اتصالات مع الملا مصطفى لتوحيد جهود عملهم(ديفيد مكدول،٢٠٠٤،ص٤٤٥) (Makdul,2004,p445).

لم يقف نشاط الحزب الشيوعي عند هذا الحد بل اراد قادته ان يكونوا ملكيين اكثر من الملك،فقد ارادوا من خلال هجومهم الاعلامي على حزب "هيوا" حيث اراد اعضاء الحزب الاخير الاساءة للحزب الشيوعي ،ولهذا استغل الحزب الشيوعي تقارب قادة حزب هيوا مع

*بعد تشكيل وزارة نوري السعيد الثامنة في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٣ اخل السعيد ثلاثة وزراء كمن الكرد هم عمر نظمي واحمد مختار بابان وماجد مصطفى وقد عهد الأخير الاتصال بالملا وتقديم اقتراحاته التي من شأنها تخفيف حدة التوتر بين الجانبين للمزيد ينظر:الحسني، ١٩٨٨،ص٢٩٢.

الحكومة ،فعمل على فضح ذلك التقارب في مقال كتبه"الرفيق فهد"شخصياً وهو السكرتير العام للحزب الشيوعي العرقي،وعنوانه "الشعب الكردي بين الحانة والمانة"،حاول فيه ان يشكك بنوايا حزب هيوا وان الحقوق القومية الكردية تتعرض للضياع جراء سياسة وممارسات رئيس حزب هيوا ووزير الدولة[1] *ماجد مصطفى(القاعدة،١٩٤٥،العدد٢)-(Al-Qaeda,1945,number-2).

وعلى ما يبدو فأن طبيعة علاقة الشد والجذب بين الحكومة والحركة الكردية كانت في غير صالح نشاط الحزب الشيوعي في المنطقة الكردية فعلى الرغم من كل محاولات الحزب لتمتين علاقته بالحركة الكردية ومحاولات العمل المشترك إلا أنه وبعد احداث ميركه سور جرت مفاوضات كما أشرنا بين الملا مصطفى والحكومة العراقية انتهت بوصول الملا مصطفى الى بغداد في ٢٢ شباط ١٩٤٤ قابل خلالها كبار رجال الدولة وأولهم الوصي على العرش معلناً اخلاصه للعرش،وبالمقابل أقر مجلس النواب العراقي في ١٠ نيسان ١٩٤٥ قانون العفو العام عن البارزانيين(الحسني،١٩٨٨،ج٦،ص٢٩٢)(-Al-Hasani,6,p292،وعلى لارغم من ذلك وكما يبدو من حديث الملا مصطفى مع السفير البريطاني في بغداد كنهان كورنواليس ان قرار العفو ليس اكثر من "كلمات فارغة ليس لها أية مصداقية"،لقناعته ان الحكومة تقوم بتسليح العشائر ضدهم(النعمان،٢٠١٢،ص٢٦٩-٢٧٠) (Numan,2012,269-270)،كل هذا يؤشر عدم وجود ثقة متبادلة بين الطرفين،وهذا الأمر استثمره الحزب لترسيخ مكانته في المنطقة الكردية ليس هذا وحسب فمن يطلع على رسالة "الرفيق فهد"الى الشعب الكردي يشعر بدون أدنى لبس التحريض الذي تضمنته من عبارات الدعوة الى الخلاص من الاوضاع السيئة فقد ورد في تلك الرسالة"ايها المواطنون الواعون من طبقات الشعب الكردي كافة إن قضية شعبكم أمانة في عنقكم فأدوا

*ماجد مصطفى(١٨٩٦-١٩٧٤):ولد في السليمانية من عائلة تنتمي الى الشيوخ في قرية(ده ركا شيخان)،درس ي الاستانة وتخرج ضابط في الجيش العثماني،تقلد مناصب حكومية عديدة منها متصرف لواء المنتفق في عام ١٩٣٥ والعمارة في عام ١٩٣٨،ثم وزيراً بلا وزارة في عام ١٩٤٣،ثم وزيراً للشؤون الاجتماعية ١٩٥٠-١٩٥٢.للمزيد ينظر: بابان،٢٠٠٦،ص٦٥٣.

واجبكم تجاه شعبكم الذي انجبكم قودوه الى السبيل الذي يؤدي الى خلاصه من الوضع السيء الذي هو فيه"(المصدر نفسه،٢٧٠)(l.bid ,p270).

لم يقف نشاط الحزب الشيوعي على اجراء اتصالات مع القيادات الكردية وتحريضه الجماهير الكردية بل وجه "الرفيق فهد" مذكرة الى الحكومة العراقية عن القضية الكردية متضمنة مطالبته باسم الحزب الشيوعي العراقي برفع الحيف الذي يعاني منه الشعب الكردي وضرورة الاصلاح وضمان حقوقهم الدستورية ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي،وحذر من الآثار التي يتركها الجوع الذي يجتاحهم،ومن جهة ثانية نبهت المذكرة الى انتشار الدعايات بين اوساط المجتمع الكردي والتي ستؤدي الى بداية انقسام المجتمع العراقي،ملوحاً الى وجود اطراف خارجية تستغل تلك الاوضاع لصالحها،ولهذا فأن تلك المذكرة دعت الى ضرورة حل القضية الكردية حلاً سلمياً"وان محاولة الحكومة العراقية حكم الشعب الكردي بالعنف والإكراه ومنعه من المطالبة بحقوقه أمر لا يتفق ومصلحة الوحدة الوطنية التي ينشدها الشعب العراقي عرباً وكرداً"(مذكرة الرفيق فهد الى رئيس الدولة العراقية ومجلس الأمة ،١٩٤٥)(Memorandum of Comrade Fahd to the President of the Iraqi State and the National Assembly, 1945).

القضية الكردية في المؤتمر الاول للحزب الشيوعي العراقي ١٩٤٤

في شباط ١٩٤٤،أي في المرحلة الصعبة من الحرب العالمية الثانية وتطوراتها الميدانية والانتصارات التي حققها الحلفاء،عقد الحزب الشيوعي العراقي مؤتمره الاول"الكونفرنس الاول" في بغداد ومثل الفرع الكردي شريف ملا عثمان(الخرسان،ص٣٩)،وبذل فهد محاولاته لأجراء مفاوضات مع جماعة صالح الحيدري الا انهما لم يصلا الى نتائج مقبولة للطرفين،فشكل صالح الحيدري فرع للحزب الشيوعي في كردستان العراق اسمه"يه كيه تي تيكوشين" عام ١٩٤٥،وأصدر جريدة ناطقة بأسم الحزب (شورش)أي "الثورة"(حبيب،٢٠٠٥،ص٢٥٤)((Habib,2005,p254).

ومما تجدر الاشارة اليه،وفي ظل مقررات مؤتمر الحزب الشيوعي الاول والتي اقر فيه الميثاق الوطني،كانت القضية الكردية حاضرة وبقوة ففي المادة العاشرة من الميثاق ورد ما

نصه"نناضل في سبيل ايجاد مساواة حقيقة في الحقوق للأقلية القومية الكردية مع مراعاة حقوق الجماعات القومية والجنسية الصغيرة كالتركمان والأرمن والايزيدية"(الميثاق الوطني،١٩٤٥)(National Pact, 1945).

مثلما تضمن الباب الثالث من النظام الداخلي للحزب الشيوعي تأسيس فرع للحزب الشيوعي العراقي خاص بالكرد،مبرراً ذلك ضمن المواد (٢٧ و ٢٨ و٢٩) من النظام الداخلي والتي تضمنت ما نصه:

المادة ٢٧:بالنظر لما يلابس ظروف الكرد والأرمن على اختلاف لغاتهم مع لغة الأكثرية العراقية ولاختلاف البيئة والوضع الجغرافي عند الكرد،يؤلف كل من الكرد والأرمن فرعاً للحزب الشيوعي العراقي ولكل من هذه الفروع خططه السياسية والتعبوية التي لا تتعارض وخطط الحزب العامة ونظامه الداخلي .

المادة ٢٨:يضع الفرع نظامه الداخلي ومنهاجه المتضمن الأهداف القريبة ويقدمها للجنة المركزية للموافقة عليها مبدئياً،ولا تتعدى صلاحيات لجنة الفرع وسكرتير الفرع صلاحيات اللجنة المحلية ومنظمها إلا في الامور التي تفوضها بها اللجنة المركزية.

المادة ٢٩:لجان الفروع وسكرتاريتها مسؤولة مباشرة تجاه اللجنة المركزية وتجاه مكتبها السياسي وتجاه السكرتير العام(النظام الداخلي،١٩٤٥)(Rules of Procedure, 1945).

وجد الحزب الشيوعي العراقي في تأسيس فرع للحزب في المناطق الكردية فرصة لكسب قاعدة شعبية فضلاً عن تنمية روح المطالبة بحقوق الكرد المسلوبة،ولكنه هاجم عناصر حزب هيوا ونعتهم بـ"الرجعي" لأنه لم يترك اثراً طيباً عن الحركة الكردية(القاعدة،١٩٤٦،العدد ٢٣) (Al-Qaeda,1946,numberm23).

وفي معرض موقفه من تأسيس حزب رزكاري كورد*[١١]،اعتبرهم من دعاة التفرقة اذا ما ارادوا تأسيس حزب شيوعي كردي لانه لا يمكن ان يكون لكل قومية في الدولة الواحدة حزب

*رزكاري كورد:تكون هذا الحزب من كثير من الجمعيات الكردية الصغيرة ومن بقايا حزب هيوا،وكان مركز الحزب في بغداد،وساهمت فيه بعض الشخصيات الكردية،ونال الحزب المساندة من الحزب

شيوعي مستقل،أي ان يكون في العراق حزب شيوعي عربي وآخر شيوعي كردي،وأكد على أهمية عدم تجزاة وانقسام الحركة الوطنية في العراق(القاعدة،١٩٤٦،العدد٢٤)(Al-Qaeda,1946,numberm24)ويبدو ان موقف الحزب الشيوعي العراقي المعارض ينبع من أن هناك قوى كردية ذات توجه ماركسي تريد توحيد نشاطها لإقامة فرع للحزب الشيوعي يضم اكراد العراق وتركيا وايران.

وحاول الباحث محمد كاظم علي اين يعطي تحليلاً هو اقرب الى مبادئ الحزب الشيوعي العراقي عن معارضته من وجود احزاب اخرى فقد "وقف الشيوعيون ضد هذه الفكرة باعتبار ان الحزب الشيوعي العراقي هو قائد نضال الشعب العراقي عرباً وكرداً اولاً،وموقف الشيوعيون بشكل عام من القومية واعتبار كل الاحزاب التي تقوم على اساس قومي هي احزاب برجوازية لا يمكن ان تخدم قضية الجماهير ثانياً"(علي،١٩٨٢،ص٢١٤)(Ali,1982,p214).

يشير أحد الكتاب المهتمين بالقضية الكردية بأن هناك تعارض غير مريح في الحدود الجغرافية للحزب الشيوعي العراقي والحركة القومية الكردية فالكرد شعروا بأنهم جزء من الأمة الكردية وهم في الوقت الذي أبدوا رغبتهم في العمل ضمن العراق في الوقت الحاضر،في حين نظر الحزب الشيوعي العراقي الى الكرد بصفتهم أقلية عراقية،وبالتالي أراد أن يربط القومية الكردية مع أهدافه داخل العراق،ولذلك أنتقد أولئك الذين أصروا على الحاجة إلى حزب شيوعي كردي مستقل(القاعدة،١٩٤٦،العدد٢٥)(Al-Qaeda,1946,number 25)،ليتحول ذلك النقاش فيما بعد الى محاولة للانفصال وتوحيد العمل مع القوى الكردية.

ومهما يكن من أمر، فان انعقاد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي العراقي يشكل اهمية كبرى لا لقوة الحزب الشيوعي العراقي التنظيمي فحسب بل كان تأثيره واضحاً على الحركة التحررية الكردية حيث بدأ فرع الحزب ينمو بسرعة عندما انضم الشيوعيون الكرد الى الحزب الشيوعي وتحت سكرتارية هذا الفرع انضوى مسؤولو اللجان المحلية للوائي السليمانية واربيل وحتى لواء كركوك(الطائي،٢٠٠٧،ص١٥٣(Al-Taie,2007,p153).

الشيوعي فدعى في بيان له الى تقوة ومساندة حزب رزكاري كورد.للمزيد ينظر:حميدي، ،١٩٧٦، ص٢٢٢-٢٢٣.

تناغم موقف الحزب الشيوعي والكرد تجاه مشروع جامعة الدول العربية

لم يكن للحزب الشيوعي العراقي موقف واضح من قضية الوحدة العربية حيث اشار الحزب الى ان"الوحدة العربية بعد ان كانت هدفاً قريباً يسعى العرب الى تحقيقه اصبحت نظرية يتنافس عليها مثقفو العرب في اواطانهم"(مؤلفات الرفيق فهد،١٩٧٣،ص٣٢٦)(Works by comrade Fahd,1973,p326).

وأطر الحزب موقفه من الوحدة العربية في اجتماع لمندوبي الاحزاب الشيوعية العربية عام ١٩٣٥ بينوا ان "شعار الوحدة العربية غير عملي لما بين الاقطار العربية من فروق في التطور وشكل الحكم والظروف الداخلية الخاصة"(علي،٢٠٠٨ص٦٢)(Ali,2008mp62)..

وبهذا فان الحزب الشيوعي العراقي تبنى رأي يخالف مشروع الوحدة العربية،ليطرح مشروعاً اخر هو مشروع"اتحاد عربي بين الشعوب العربية يضم الاقطار العربية ذات السيادة والكيان الدولي المعترف به والذي تمارس الديمقراطية على ان لا يكون هذا الاتحاد موجهاً ضد أي دولة(مؤلفات الرفيق فهد،١٩٧٣،ص٣٧٣) Works by comrade (Fahd,1973,p373) ،ان هذا المشروع كان رد على الاتحادات العربية التي ظهرت في الساحة في نهاية الاربعينيات.

وفي ظل موقف الحزب الشيوعي من الوحدة العربية،طرحت بريطانيا ومنذ سنوات الحرب العالمية الثانية فكرة اقامة تجمع عربي وذلك لحاجتها الماسة الى دعم البلاد العربية،فتحدث وزير الخارجية البريطاني في ٢٩ آذار ١٩٤١ عن رغبة عدد لا يستهان به من العرب بالتعاون العربي وأعلن استعداده بلاده لتعضيد أي مشروع يصب فيه،وتبلورت الفكرة لدى مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر فوجه الدعوة لواحد من ابرز الشخصيات العربية التي تؤمن بتمتين العلاقات مع الغرب،والمقصود هو نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي فالتقيا في تموز ١٩٤٣ لتدارس المشروع من جوانبه المختلفة وأبدت عدد من البلدان العربية آرائها حول المشروع(الحسني،١٩٨٨،ص١٥١-١٥٢)(Al-Hasani,1988,p151-152).

وإثناء هذه التحركات وفي السياق التاريخي نفسه انعقد مؤتمر الحزب الشيوعي العراقي الاول (الكونفرنس الاول)عام ١٩٤٤ وكانت له وقفه محددة تنسجم مع المبادئ الشيوعية

فيما يخص علاقة البلدان العربية مع بعضها وتعاضدها فقد نصت المادة(١٣)من ميثاق الحزب الشيوعي ما نصه"تناضل في سبيل التقارب والتعاون السياسي بين الشعوب العربية من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية لفلسطين والأقطار العربية المستعمرة والمحمية،ومن أجل استكمال سيادة العراق وسوريا ولبنان ومصر ضد الصهيونية وضد الدول الاستعمارية مباشرة أو عن طريق المعاهدات والانتداب والحماية للبلاد العربية،وضد محاولات واعتداءات استعمارية جديدة،وضد تثبيت النفوذ الأجنبي بأي شكل كان في البلاد العربية"(الميثاق الوطني،١٩٤٥،ص٦)(National Pact 1945,p6).

ومما تجدر الاشارة اليه أن مبادئ الجامعة العربية ومضامين ميثاقها لم ترق لكلاً من الحزب الشيوعي العراقي والكرد،فالحزب الشيوعي العراقي طالب في بيان له بإقامة "اتحاد حر شريف بيننا وبين الشعب العربي"،ولكن يكتفي بمطالبته بالاتحاد بل طالب بإدارة وطننا كردستان نطالب بجنب ذلك بل فوق ذلك بهدم معقل الرجعية المأجورة في العراق وطرد الاستعماريين قبل كل شيء"(البامرني،٢٠٠٨ ،ص٩٦)(Bamrani,2008,p96)،وفي الوقت عينه ارتفعت مخاوف الاوساط الكردية العراقية من قضية الوحدة العربية لخشيتهم من دمج الكرد في ظل التجمع العربي وربما يقضي على آمال الكرد في تأسيس دولتهم القومية التي يطمحون لتحقيقها في ظل الوعود التي وعدوهم يها الحلفاء بعد الحرب العالمية الاولى.

البعد الكردي في العلاقات العراقية-التركية

ومن وجهة آخرى،وجراء توسع الحركة المسلحة في كردستان العراق،نهجت الحكومة العراقية الى السير باتجاهين اولهما استخدام القوة العسكرية لكبح جماح تلك الحركة وفي الوقت عينه ادركت ما تعانيه الجارة تركيا من نشاط تلك الفصائل المسلحة،أي بمعنى ان هدفهم مشترك للحد من القلاقل وعدم استقرار الاوضاع الذي تشهده المناطق ذات الاغلبية الكردية.

ولبلورة ذلك الموقف وصل رئيس الوزراء نوري السعيد الى انقره في ٢٨ شباط ١٩٤٦ وقدم خطة عمل مشتركة من اجل ضرب الحركة الكردية،وتباحث الجانبان كيفية الحد من نشاط الحركة الكردية فبدأت المفاوضات بين الجانبين في ٥ آذار ١٩٤٦ وقد افتتح

الجلسة الأولى شكري سراج اوغلو رئيس وزراء تركيا وانتهت المفاوضات بين الجانبين الى توقيع معاهدة الصداقة وحسن الجوار وملحقاتها وأهمها بروتوكول بشأن الحدود واتفاقية التعاون المدني والقضائي والجزائي والتجاري واتفاقية تسليم المجرمين في ٢١ آذار ١٩٤٦(امين،٢٠١٥ص١٨٤-١٨٥)(Amin,2015,p184-185)،كان الهدف منها الحد من نشاط الحركة الكردية المسلحة ونشاط الحركات المسلحة الأخرى،وهذا يعود بحكم تداخل الحدود الجغرافية،وهو ما يؤكده أندريه كلوت مراسل الفرانس بريس في انقرة ان المباحثات بين الجانبين العراقي والتركي تركزت على القضية الكردية لكون الجانبين يتخوفان من الاضطرابات التي قد تحدث وسهولة عبورهم بين العراق وتركيا(الحسني،١٩٨٨،ج٧،ص١٧٢-١٧٣)(Al-Hasani,1988,p172-173).

ومن جانبه لم يقف الحزب الشيوعي العراقي متفرجاً إزاء تلك التطورات في العلاقات العراقية-التركية والتي فهمها الحزب الشيوعي انها تقف بالضد من حركة التحرر الكردية واتجه الى تنوير الرأي العام العراقي،والرأي العام الكردي بشكل خاص بالتزامن مع عقد المعاهدة العراقية-التركية فرفع شعاراً في صحيفة"رزكاري"،دعى فيها الى"حل المسألة الكردية"واعتبر ذلك "ضرورة لاستتباب العالم في الشرق الاوسط"،وهاجم المباحثات العراقية-التركية بهذا الشأن معتبراً اياها" محاولة اخرى لتوحيد الجهود الاستعمارية بين الحكومات الفاشية التركية والحكومة الرجعية العراقية للقضاء على الحركات الديمقراطية بصورة عامة وحركات التحرر الكردية بصورة خاصة"(رزكاري،١٩٤٦،العدد٢)(Rizgary,1946,numberm2)،وهكذا عبر الحزب الشيوعي عن قناعته المبدأية في الدفاع عن حقوق الشعب الكردي التي عدّها "مسلوبة" بل اصبح هو لسان حال الشعب الكردي في تلك المرحلة.

ومن يدقق النظر في البروتوكول الملحق رقم(٦) بشأن الحدود الملحق بالمعاهدة يعرف المغزى الرئيسي من تلك المفاوضات،فمثلاً،أعطى بروتوكول الحدود حق تسوية كل حادث او نزاع" في منطقة عمقها (٧٥) كم من كل جانب من الحدود الفاصلة بين البلدين،والذي يكون بطبيعته مخلاً بحسن سير العلاقات في تلك المنطقة"(الحسني،١٩٨٨،ج٧،ص٦٨)(Al-Hasani,1988,p68).

وتضمن البروتوكول تفاصيل دقيقة ببنوده الـ(٢٥) مادة،فقد اتفقا على التعاون ألاستخباري بكل ما له علاقة بإعمال منفردة او مجتمعة تمس منطقة الحدود في بلده موجهة ضد نظام او سلامة الطرف الاخر او تمس سيادته(الحسني،١٩٨٨،ج٧،-ص٧٤)(Al-Hasani,p74).

وانتقد الحزب الشيوعي بل وندد بالبروتوكول الخاص بالحدود العراقية-التركية لنه مكرس"لضرب وقمع كل حركة وطنية كردية تحت شعار تأمين سلامة الحدود"(المعاهدة العراقية-التركية،١٩٤٦،ص٣٦)(The Iraqi-Turkish Treaty, 1946, p. 36) .

موقف الحزب الشيوعي من تنامي الحركة الكردية في ايران والعراق ١٩٤٦-١٩٤٧

وجد البارزانيون من ايران مكاناً آمناً لهم بعد نهاية حركات بارزان على الرغم مما كانت تعانيه البلاد من وضع سياسي غير مستقر وذلك لأن الاراضي الايرانية كانت مستباحة من جيوش الروس والبريطانيين والامريكان،فأسكن البارزانيون في قرى(نغده وصوفيان وجلديان)ووجدوا مساندة م بعض القبائل الكردية الايرانية والقوات الروسية،كما آزرهم حزب البعث الكردي في ايران الذي تمكن من تأسيس جمهورية مهاباد الكردية برئاسة القاضي محمد وتحديداً في منطقة النفوذ الروسي وذلك في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٦ ,واللافت للانتباه ان البارزانيين انضموا لتلك الجمهورية الفتية(البامرني،٢٠٠٨،ص٩٤)(Bamrani,2008,p94).

ومن الملاحظ ان الاوضاع في العراق بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت سوءاً جراء تزايد النقمة الشعبية وذلك لارتفاع الاسعار وإنكار الحريات السياسية،فوجد الحزب الشيوعي العراقي الفرصة مؤاتية لإطلاق شعارات اكثر راديكالية،بأن الطريق للوصول الى الديمقراطية هو طريق النضال الثوري(بطاطو، ١٩٩٢،ص١٨٧)(Batatu,1992,p187)،ويبدو أنه تأثر بما توجهه نضال الحركة الكردية في ايران في إعلان جمهورية مها آباد بمساندة ومساعدة الجيش الروسي في ايران.

وتزامن مع دعوات الحزب الشيوعي ولادة الحزب الديمقراطي الكردستاني(البارتي)عام ١٩٤٦،واعتبر نفسه الممثل الشرعي للحركة الكردية،وهنا وكما يبدو من الوثائق

والمعلومات،وقف الحزب الشيوعي العراقي موقفاً سلبياً من ولادة هذا الحزب ،واعتبره حزباً زائداً ولا مبرر لوجوده،طالما ان الحزب الشيوعي العراقي موجود في المنطقة الكردية(البارزاني،١٩٨٦،ص٩٣)(Barzani,1986,p93)،ويبدو أن عدم موافقة وزارة الداخلية على منح الحزب الشيوعي العراقي فرصة للعمل السياسي في الوقت الذي اعطت يوم ٢ نيسان ١٩٤٦ موافقتها لأحزاب اخرى دفعته للتطرف.

ان التطورات السياسية على أرض الواقع العلني في ايران شكلت صدمة للحزب الشيوعي العراقي،حيث ادى انسحاب قوات الحلفاء من الاراضي الايرانية قامت القوات الايرانية بإنهاء وجود جمهورية مها آباد في ١٥ كانون الاول ١٩٤٦،وإعدام القاضي محمد،ولم يجد البارزانيون ملاذاً لهم الا بالعودة الى العراق وتسليم انفسهم للسلطات العراقية(البامرني،٢٠٠٨،ص٩٤)(Bamrani,2008,p94).

اما الملا مصطفى البارزاني فقد ظلت تراوده احلام تشكيل حكومة كردية في شمالي العراق تخطى بتأييد ودعم الاتحاد السوفيتي ،الا أنه هو الآخر اصيب بخيبة آمل جراء تراجع الدعم السوفيتي فلم يجد هو الاخر من سبيل الا مفاوضة الحكومة العراقية.

وعلى الرغم من حراجة موقفه جراء الاوضاع المحلية والإقليمية الا أنه وم ذلك اشترط على الحكومة العراقية ان تصدر عفواً عاماً عن البارزانيين المذنبين،والسماح لهم بالعودة الى العراق،ليس هذا وحسب بل ومعهم أسلحتهم،يبدو أن الحكومة العراقية لم تستجب لطلبات الملا مصطفى البارزاني بل على العكس من ذلك اصدرت الاحكام العرفية في المناطق التي هيمنت عليها الملا مصطفى،وشكلوا المجلس العرفي العسكري في تلك المناطق(الحسني،١٩٨٨،ج٧،ص١٧٢-١٧٣)(Al-Hasani,1988,vol 7,p172-173)،وأصدرت حكماً غيابياً بالموت بحق مصطفى البارزاني ،وفي غضون شهر واحد من عودة البارزانيين نفذ المجلس العرفي العسكري بحق اربعة ضباط سبق أن التحقوا مع البارزاني وهم الرئيس الاول الركن عزت عبدالعزيز والرئيس الاول مصطفى خوشناو والرئيس خيرالله عبدالكريم والملازم محمد محمود قدسي ونفذ فيهم حكم الاعدام في ١٩ حزيران(امين،٢٠١٥،ص١٩١)(Amin,2015,p191)،اضافة لمن اعدم منهم في سجن البصرة.

لم يقف الحزب الشيوعي العراقي موقف المتفرج من موجة الاعدامات تلك،بل هاجمت صحيفة الحزب السرية الحكومة واعتبرت ان تلك الاجراءات القاسية بحق الكرد جاءت "بوحي من الاستعمار البريطاني" وان ذلك يعد "اضطهاداً للقوميات في العراق"(القاعدة،١٩٤٧،العدد٥)((Al-Qaeda,1947,number5)).

اللافت للانتباه ان موقف الحزب الشيوعي العراقي من القضية الكردية ومطالبته بإعطاء حق تقرير المصير للشعب الكردي وتأييده لإنشاء دولة كردية لا يخلو من مصالح تعب في خانة الحزب الشيوعي نفسه،فمن مصلحتهم يومئذ أن تأسيس الدولة الكردية ستكون موالية للسوفيت،مثلما تكون موطئ قدم لهم،بل وسيستمر الطريق لنشر الفكر الشيوعي لدول المنطقة،ولا أدري كيف فسر ما اقام به احد الضباط الفاريّن والذي اعدم فيما بعد وهو مصطفى خوشناو بالاتصال بالسوفيت طالباً المساعدة للحركة الكردية(البامرني،٢٠٠٨،ص٩٤-٩٨)(Bamrani,2008,p94-98)،ضارباً عرض الحائط القوانين العسكرية التي تفرض عليه عدم الاتصال بجهات اجنبية والتي اعتبرتها الحكومة خيانة عظمى.

وإزاء اصرار الحكومة العراقية وإجراءاتها الشديدة،وعلى الرغم من استسلام العديد من البارزانيين الى الجيش العراقي،قامت الحكومة بنشر القوات العراقية على طول الحدود فمثلاً،تم التنسيق مع تركيا لمواجهة اي حركة كردية مسلحة ،ولهذا لم يجد الملا مصطفى البارزاني بعد اخفاقه بالحصول على العفو من الحكومة العراقية(المصدر نفسه،ص١٠٤)،و بعد مواجهات مع الجيش العراقي الى ترك الاراضي العراقية متجهاً الى الاتحاد السوفيتي في ١٨ حزيران ١٩٤٧(امين،٢٠١٥،ص١٩٢-١٩٣)(Amin2015,p192-193).

وهكذا خلت الساحة الكردية مجدداً للحزب الشيوعي في المنطقة الكردية،وتمتعوا بمركز قوي ووسعوا نفوذهم اكثر فأكثر لاسيما وان لهم موقف مبدئي ثابت في سبيل الحقوق القومية للشعب الكردي ومناداتهم بالحكم الذاتي وبناء عراق ديمقراطي،صحيح ان مركز القوميين الكرد كان قوياً الا ان مكانة الشيوعيين في كردستان ظلت قوية لارتباطهم بنضال البروليتاريا (حميدي،١٩٧٦،ص٣٧٠)(Hamidi,1976.p370).

تنامي نشاط الحزب الشيوعي العراقي عقب وثبة كانون الثاني

شهد العراق تطورات متسارعة،لم تكن في الحسبان،فقد ادى موقف الشعب العراقي من معاهدة بوتسموث ١٩٤٨ واستنكاره لها والذي توج بوثبة كانون الثاني ١٩٤٨ وبالتالي استقالة وزارة صالح جبر يوم السابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٨(الحسني،١٩٨٨،ج٧،ص٢٨٢-٢٨٣)(Al-Hasani,1988,vol7,p282-283).

وحاول الحزب الشيوعي العراقي ان يكون جبهة يسارية لمواجهة التطورات التي حدثت ابان وزارة صالح جبر فشكل لجنة عرفت بـ"لجنة التضامن الوطني" ضمت بالإضافة الى الحزب الشيوعي ،حزب الشعب والجناح التقدمي للحزب الوطني الديمقراطي،ولم يكن الكرد بعيدين عن تلك اللجنة من اخلال اشراك البارتي فيها(بيان حزب الشيوعي،١٩٤٨) (Manifesto of the Iraqi Communist Party, 1948).

ولقد رافق تلك التطورات تنامي انتماء الشباب الكرد بين ١٩٤٧-١٩٤٨ للحزب الشيوعي العراقي بعد ان اصيب بمشاعر الاحباط في الحصول على الحقوق القومية(بطاطو،١٩٩٢،ج٢،ص٣١٠)(Batatu,1992,vol 2,p310)،وخلو الساحة الكردية من الاحزاب والجمعيات التي تطالب بحقوق الكرد.

ومن جهته استغل الحزب الشيوعي ما يواجه الحكومة العراقية من ظروف وتعقيدات بعد وثبة كانون الثاني ليطالب بإطلاق سراح جميع السجناء والموقوفين السياسيين ومن بينهم فهد سكرتير الحزب الشيوعي والمعتقل منذ عام ١٩٤٧.

املاً في"اشاعة الحريات الديمقراطية المحبوسة" وأكد أيضاً في بيانه"ان الشعب العراقي بعربه وكرده لن يتأخر في القتال في سبيل تحرره وسيسير في هذا السبيل حتى النهاية"(بيان الحزب الشيوعي،١٩٤٨) (Manifesto of the Iraqi Communist Party, 1948).

وعندما تشكلت وزارة السيد محمد الصدر يوم التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٨ وأعلنت برنامج عملها المتضمن ابطال معاهدة بورتسموث واحترام الحريات الدستورية وإفساح المجال للنشاط الحزبي وحل مشكلة الغذاء(الحسني،١٩٨٨،ج٧،ص٢٨٢-٢٨٣)(Al-Hasani,1988,vol 7,p282-283)،كل ذلك من أجل امتصاص غضب الشارع

العراقي،وعبر صراحة ان"وثبتنا التحررية حنقت مشاريع استعمارية كثيرة وهي لا تزال في مهدها مهما حاول الاستعمار وعملائه من وراء ستار لِحّيةْ الصدر إمحاء آثار وثبتنا المجيدة"،كما دعا الكرد الى النزول الى ميدان النضال ببطولة الى جانب اخوانهم العرب"وجميع الشعوب المتطلعة الى التحرر"،وأضاف في بيانه ان قضية الشعب الكردي هي "جزء من التضحية التحررية لجميع الشعوب"وأكد أيضاً "ان باكورة الخطوات في جهادنا الوطني هي القضاء على الحكم المتعفن في العراق وتشكيل حكومة ديمقراطية "(بيان الحزب الشيوعي العراقي،١٩٤٨)(Manifesto of the Iraqi Communist Party, 1948).

واللافت للانتباه ان الحزب الشيوعي العراقي بدأ ينادي بإسقاط النظام الملكي في العراق،الامر الذي لم يكن مطروحاً،وربما يفسر ذلك الى وصول لجان حزبية شيوعية على رأس قيادة الحزب بعد الاعتقالات المتواصلة في صفوف الشيوعيين ووصول عناصر معروفة بيساريتها المتطرفة.

ولم يتوقف الحزب الشيوعي من نقد حكومة محمد الصدر واصفاً اياها بأنها حكومة"التخدير والتسكين والوعود الخلابة"وهاجم اهمال الحكومة للكرد،وما وصلت اليه اوضاعهم ولاسيما حياة البارزانيين السيئة في السجون وأنهم"يموتون جوعاً في السجون ولا يمر اسبوع دون إخراج هيكل بارزاني ميت من مستشفى العزل قضى عليه السل الرئوي"(الحزب الشيوعي في سبيل تحرير كردستان،١٩٤٨)(The Communist Party for the Liberation of Kurdistan, 1948)،وهو بهذا اراد ان ينبه الحكومة الى ضرورة تسليط الضوء على القضايا الداخلية التي لا يمكن ان تعد اموراً ثانوية.

انتقاد الحزب الشيوعي للاحزب السياسية العراقية إزاء موقفها من القضية الكردية

لقد اراد النظام الملكي ان يتظاهر بمسايرة الاوضاع المستجدة في العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية،فدعا الى اجراء بعض الاصلاحات العامة ومنها بعث الحياة الحزبية،عندما اوكل مهمة تأليف الوزارة لتوفيق السويدي الذي شكلها في الثاني من نيسان ١٩٤٦ وإجازة الوزارة بدورها خمسة احزاب(الحزب الوطني الديمقراطي،حزب الاستقلال العراقي،حزب الاحرار،حزب الشعب،حزب الاتحاد الوطني)

يذكر صالح الحيدري احد كوادر الحزب الشيوعي العراقي عن اجازة الاحزاب السياسية العرقية بانه"لقد تحقق بعض الانفراج النسبي في الوضع الداخلي وكان من مظاهرة قيام الحياة الحزبية بصورة قانونية،الا ان الحركة الكردية لم تستفد بصورة مباشرة من الوضع الجديد،ومنها الحزب الديمقراطي الكردستاني وهذا يعود الى ان السلطة لم تسمح بقيام حزب سياسي على اساس قومي مبررة ذلك تهديده للوحدة الوطنية"(الحيدري،٢٠٠٤،ص٦٩-٧٠)(Al-Haidari,2004,p69-70).

لم يتوقف نقد الحزب الشيوعي العراقي على الحكومة العراقية فيما يخص الكرد بل شن هجوماً على الاحزاب السياسية العراقية إزاء موقفها من القضية الكردية،واعتبر موقفها لا يتناسب مع موقفها من القضايا الداخلية والخارجية،مشيراً الى إنها من القضايا المركزية في العراق،وهذا ما تضمنه تقرير مفصل اعده الحزب الشيوعي العراقي حول موقف الاحزاب العراقية تجاه القضية الكردية،مشيراً في الوقت ذاته ان عوامل"التستر والسكوت المطبق عند الاحزاب العراقية الحديثة نجد انها لم تكن لدوافع الخوف من غضب الحكومة او اتهامها بالخروج على الدستور او بث الكراهية والانشقاق بين الطوائف العراقية"،بل لكونها ادرجت قضايا عدها ثانوية دون ان يكون لها موقف واضح من القضية الكردية من خلال الاشارة الى قضية فلسطين"ادرجت بنود في مناهج هذه الاحزاب لحل قضية فلسطين وهي لم تكن يوماً من المسائل الخاصة بالعراق بينما القضية الكردية داخله في صميم السياسة العراقية"،وهكذا وجه اللوم والاتهام في نفس الوقت للأحزاب العراقية لأنها تحاشت التصريح بموقفها تجاه"قضيتنا العادلة"،بل اتهم تلك الاحزاب بعد الاعتراف بالثورة التحررية الكردية،وانها ايدت من حيث المبدأ سياسة الاضطهاد والجور التي تتبعها الحكومات العراقية المتعاقبة"(رزكاري،١٩٤٨،العدد٢)(Rizgary,1948,number 2).

وهكذا يتضح بدون أدنى لبس موقف الحزب الشيوعي العراقي من القضية الكردية حتى عام ١٩٤٨ بعد أن خلت له الساحة السياسية في شمالي العراق وتبنيه سياسة الدفاع عن حقوق الشعب الكردي.

الخاتمة

عامل الحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه القضية الكردية كقضية مركزية،كما لعب دوراً تحريضياً في الوسط الكردي لاستثارتها،ومنذ عام ١٩٣٥ رفع الحزب الشيوعي شعار"استقلال كردستان".

لعبت صحافة الحزب الشيوعي دوراً كبيراً في تعبئة الكرد لينادي الحزب في وثائق مؤتمره الاول ويطرح شعار لم تألفه الاحزاب السياسية العراقية منذ نشأتها بل وحتى الاحزاب الكردية وهو شعار"حق تقرير المصير" بما في ذلك حقه في الانفصال.

وجدت الطبقة الكردية الكادحة ضالتها في الحزب الشيوعي العراقي للتعريف بقضيتهم والمناداة بحقوقهم التي يعدونها مسلوبة وفي عدم اخذ مطالبهم بشكل جدي من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة.

وبعد ان كون الحزب بذرات تنظيماته الاولى في المنطقة الكردية في ظل غياب الاحزاب السياسية الاخرى عن المنطقة التي اقتصر نشاطها على بغداد بالدرجة الاساس وفي ظل ممانعة السلطات الحكومية من اجازة احزاب على اساس قومي او ديني او طائفي كونه يسهم في شرخ بنية المجتمع العراقي.

بالرغم من نشاط الحزب في المنطقة الكردية الا ان هذا لم يمنع من قيام احزاب ذات توجه قومي كردي كالحزب الديمقراطي الكردستاني(البارتي) وأيد نشاطاته المسلحة المعارضة للنظام الملكي.

المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة

-مديرية الامن العامة،الحزب الشيوعي العراقي،القضية الكردية-ارشيف عام ١٩٣٤-(محدود التداول)،١٩٨٣، ١٨ جزء،مديرية الأمن العامة،ج١.

-الميثاق الوطني النظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي(١٩٤٥)،مطبعة الأديب،بغداد.

-من وثائق الحزب الشيوعي العراقي(١٩٧٣)،مؤلفات الرفيق فهد،منشورات الثقافة الجديدة،مطبعة الشعب،بغداد.

الكتب العربية والمعربة

-اسكندر،سعد بشير(٢٠٠٧)،من التخطيط الى التجزئة(سياسة بريطانيا العظمى تجاه مستقبل كردستان ١٩١٥-١٩٢٣،مطبعة شقان،السليمانية.
-امين،تلار علي(٢٠١٥)،موقف تركيا من القضية الكردية في العراق ١٩٣٧-١٩٧٥،بينايي،السليمانية.
- بابان،جمال(٢٠٠٦)،اعلام كرد العراق،مطبعة شفان،السليمانية.
-البارزاني،مسعود البارزاني(١٩٨٦)،البارزاني والحركة التحررية الكردية،٣ اجزاء،بلا مكان طبع،كردستان.
-البامرني،ميهفان محمد حسين رشيد(٢٠٠٨)،سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه الجركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان الجنوبية ١٩٤٥-١٩٦٨)،مطبعة خاني،دهوك.
-بطاطو،حنا(١٩٩٢)،العراق،الكتاب الثاني-الحزب الشيوعي،ترجمة عفيف الرزاز،مؤسسة الابحاث العربية،بيروت.
-البياتي،عبدالرحمن صالح ادريس(٢٠٠٥)،الشيخ محمود الحفيد البرزنجي والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى عام ١٩٢٥،دار الحكمة،لندن.
-الحسني،عبدالرزاق(١٩٨٨)،تاريخ الوزارات العراقية،١٠ اجزاء،دار الشؤون الثقافية،بغداد.
-الحسني،عبدالرزاق(٢٠١٣) ،العراق في دوري الاحتلال والانتداب،دار الرافدين ،بغداد.
-الحيدري،صالح(٢٠٠٤)،مختارات من مذكرات صالح ،السليمانية.
-الخرسان،صلاح(١٩٩٣)،صفحات من تاريخ الحركة الشيوعي في العراق،دار الفرات،بيروت.
-حبيب،كاظم(٢٠٠٥)،لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكردي في كردستان العراق،دار ئاراس،اربيل.

-حميدي،جعفر عباس(١٩٧٦)،التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣-مطبعة النجف الاشرف.
-سلوغلت،ماريون فاروق وبيتر سلوغلت(٢٠٠٣)،من الثورة الى الديكتاتورية العراق منذ١٩٥٨،منشورات الجمل.
-علي،عثمان(٢٠٠٨)،الكورد في الوثائق البريطانية،موكرياني،اربيل.
-قاسملو عبدالرحمن(٢٠٠٨)،كردستان والكرد ،ترجمة:ثابت منصور وغانم حمدون،مطبعة شفان،السليمانية.
-علي،محمد كاظم(١٩٨٢)،القوى السياسية والصراع الايديولوجي في العراق،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية القانون والسياسية.
-الطائي،مؤيد شاكر كاظم(٢٠٠٧)،الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩،اطروحة دكتوراه،غير منشورة،الجامعة المستنصرية،كلية التربية.
-م.س.لازاريف(٢٠١٣)،المسألة الكردية،ترجمة:عبدي حاجي،دار الفارابي،بيروت.
-مكدول ،ديفيد(٢٠٠٤)،تاريخ الأكراد الحديث،ترجمة:رال آل محمد،دار الفارابي،بيروت.
-النداوي،هاجر مهدي خاطر خضير(٢٠١٥)،يوسف سلمان يوسف(فهد)ودوره السياسي والفكري في العراق ١٩٠١-١٩٤٩،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد، كلية الاداب.
-النعمان،سالم عبيد(٢٠١٢)،نصف قرن من تاريخ وطن(عرض موجز لتاريخ الحركة الوطنية العراقية ١٩٠٠-١٩٥٨)،المدى،دمشق.

الصحف

-"رزكاري"(السرية)
-"الشرارة"(السرية).
-"القاعدة"،(السرية).
-"كفاح الشعب"،(السرية).

Sources and references Unpublished documents

- General Security Directorate, Iraqi Communist Party, the Kurdish issue - Archives of 1934 - (Limited Circulation), 1983, Part 18, Public Security Directorate, Part 1.
- The National Charter, The Bylaws of the Iraqi Communist Party (1945), Al-Adeeb Press, Baghdad.
- From the documents of the Iraqi Communist Party (1973), companion Fahd's books, New Culture Publications, Al-Shaab Press, Baghdad. Arabic and Arabized books Iskandar, Saad Bashir (2007), From Planning to Partition (Great Britain's Policy Toward the Future of Kurdistan 1915-1923, Shaqan Press, Sulaymaniyah.
- Amin, Talar Ali (2015), Turkey's position on the Kurdish issue in Iraq 1937-1975, Benayi, Sulaymaniyah. Baban, Jamal (2006), Iraqi Kurdish flags, Shafan Press, Sulaymaniyah.
-Barzani, Masoud Barzani (1986), Barzani and the Kurdish Liberation Movement, 3 parts, without a place of printing, Kurdistan.
-Bamrani, Mehvan Muhammad Husayn Rashid (2008), The Soviet Union’s Policy Toward the Kurdish National Liberation Movement in Southern Kurdistan 1945-1968), Khani Press, Dohuk.
- Batatu, Hanna (1992), Iraq, Book Two - The Communist Party, translated by Afif Al-Razzaz, Arab Research Foundation, Beirut.
- Al-Bayati, Abdul Rahman Saleh Idris (2005), Sheikh Mahmoud the grandson of Barzanji and the British influence in Iraqi Kurdistan until 1925, Dar Al-Hikma, London.
- Al-Hasani, Abdul Razzaq (1988), History of Iraqi Ministries, 10 volumes, House of Cultural Affairs, Baghdad.
- Al-Hasani, Abdul Razzaq (2013), Iraq in the Occupation and Mandate League, Dar Al-Rafidain, Baghdad.

Al-Haidari, Saleh (2004), Selections from Saleh's Memoirs, Sulaymaniyah.

- Al-Khursan, Salah (1993), Pages from the History of the Communist Movement in Iraq, Dar Al-Furat, Beirut. Habib, Kazem (2005), Glimpses of the struggle of the national liberation movement for the Kurdish people in Iraqi Kurdistan, Dar Iras, Erbil. Hamidi, Jaafar

Abbas (1976), Political Developments in Iraq 1941-1953 - Najaf Al Ashraf Press.

-Slogelt, Marion Farouk and Peter Sluegelt (2003), From Revolution to Dictatorship in Iraq since 1958, Al-Jamal Publications.

- Ali, Othman (2008), The Kurds in British Documents, Mukriani, Erbil. - Qasamlo Abd al-Rahman (2008), Kurdistan and the Kurds, translated by: Thabet Mansour and Ghanim Hamdoun, Shafan Press, Sulaymaniyah.

-Ali, Muhammad Kazim (1982), Political Forces and the Ideological Conflict in Iraq, Unpublished MA Thesis, University of Baghdad, College of Law and Political.

-Al-Taie, Muayad Shaker Kazim (2007), Iraqi Communist Party 1935-1949, unpublished doctoral thesis, Al-Mustansiriya University, College of Education.

- MS Lazarev (2013), The Kurdish Question, translated by Abdi Haji, Dar Al-Farabi, Beirut.

-Makdul, David (2004), Modern History of the Kurds, translated by: Ral Al Muhammad, Dar Al-Farabi, Beirut.

- Al-Nadawi, Hajar Mahdi Khater Khudair (2015), Yusef Salman Yusef (Fahd) and his political and intellectual role in Iraq 1901-1949, unpublished MA Thesis, University of Baghdad, College of Arts.

-Numan, Salem Obaid (2012), Half a Century of the History of a Homeland (A Brief Presentation of the History of the Iraqi National Movement 1900-1958), Al-Mada, Damascus.

سياسة الانفتاح الاقتصادي وآثاره الاجتماعية والثقافية على مصر (١٩٧٤-١٩٨١)

أ.م. د. احمد ماجد عبد الرزاق

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية- قسم التاريخ

هاتف : ٠٧٧٣٥٩٤٥٢٧٥

maal3479@gmail.com

Mobile : 07735945275

سياسة الانفتاح الاقتصادي وآثاره الاجتماعية والثقافية على مصر (١٩٧٤-١٩٨١)

أ.م. د. احمد ماجد عبد الرزاق

الملخص :

تعد دراسة الجوانب الاقتصادية والثقافية من الجوانب المهمة التي كانت تعنى بدراسة واقع الانسان وتطوره ودوره في بناء المجتمع والتي كان لها بصمات واضحة وصعبة للغاية في عهد الانفتاح والتي تمثل ركيزة أساسية ومهمة من خلال دراسة الواقع وظهور الجوانب السلبية ومنها تفشي الطفيلية أي تجار السوق السوداء، وكذلك الفساد في الجهاز المصرفي والرشوة والمراءاة والاغتراب، جميعها كان لها تأثير سلبي من خلال سياسة الدولة وتجويعه، ان هذه كانت وبرزت بفعل الفقر وتدني الخدمات مما أدى الى بروز هذه الأمة المجتمعية في مصر آنذاك .

الكلمات المفتاحية : الاجتماعي، الانفتاح، الثقافي

The Economic Openness Policy and Its Cultural-Social Effects on Egypt (1974-1981)

Asst. Prof. Dr. Ahmed Majed Abdul-Razzaq
University of Diyala /College of Education for Humanities
Department of History

Abstract

The study of Social and Cultural affaits is considered of great importance . This type of study had a great role in studying the reality of human, his development and his role in building society . This studies have their great role in the openness time, it represents a cornerstone through reality study. Some negative social phenomena appeared like scrounges, black market dealers, bank system corruption, bribes, women and immigration . All of these factors have bad influence in addition to the state policy on society especially starving people . All of these emerged because of poverty and utilities regression which led to the emergence of this societal nation in Egypt at that time.

Keywords : Social , Openness , Cultural

المقدمة: Introduction

تعد دراسة الجوانب الاجتماعية من الدراسات المهمة والحيوية وذلك لما تمثل أهميتها بدراسة جوانب مهمة من الانسان وما له علاقة بالواقع وتطوره وابداعه . انها دراسة تكون قريبة الى الواقع وحل المشاكل التي تكون أقرب اليه، فضلاً عن فهم شيء لم تكن نعرفه لما له من علاقة تمس حياته وانعكاساته على جميع مفاصل الحياة، وتكون دراستنا بداية عام ١٩٧٤، وهي بدايات لإعلان سياسة الانفتاح الاقتصادي وفتح أفق المستقبل الاقتصادي والاجتماعي على مصراعيه، لكنه كان نوعاً ما سلبياً لما نشطت عنه آثار مهمة وهي تفشي الطفيلية أي تفشي تجار السوق السوداء التي كان لها آثار سلبية على مصر من خلال زيادة الفقير فقراً، وزيادة الغني غنى، فضلاً عن تفشي تجارة المخدرات التي تعد آفة المجتمع المصري، وكذلك تقييد حرية المرأة من خلال الموروث الاجتماعي غير المدروس لما أصبح لها آثار سلبية ملموسة آنذاك، فضلاً عن ظهور ظاهرة الاغتراب على هذا القرن . أما عام ١٩٨١ فهو نهاية حكم السادات التي أنهت سياسة الانفتاح الاقتصادي والتي تعد حقبة مؤثرة على مصر سلباً وايجاباً، وعلى هذا الأساس تم اغتيال السادات على يد جماعة التكفير والهجرة في هذا العام .

وقد قسم البحث الى مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث . تناولت في المبحث الأول أثر الانفتاح الاقتصادي على القضايا الاجتماعية خلال الفترة (١٩٧٤-١٩٨١) والتي تناولنا فيها أولاً الانفتاح الاقتصادي وتفشي الطفيلية في المجتمع المصري، وثانياً تناولنا تجارة المخدرات، وثالثاً الفساد في الجهاز المصرفي .

وتناولنا في المبحث الثاني أثر الانفتاح الاقتصادي على القضايا الثقافية في مصر (١٩٧٤-١٩٨١) والذي تناولنا فيه الانفتاح الاقتصادي والشعور بالاغتراب، وثانياً تناولت الانفتاح الاقتصادي وأثره على الثقافة والابداع .

وأما المبحث الثالث فتناولنا فيه التراث النظري على آثار الانفتاح الاقتصادي على المساواة بين الجنسين .

وقد اعتمد الباحث على عدد من المصادر التي رفدت الدراسة ومنها (الانفتاح وتغيير القيم في مصر) لمؤلفه احمد أمين الذي كان بحق من المصادر التي كان لها دوراً في رفد

معلومات الدراسة لما له من معلومات قيمة لم تكن مألوفة من قبل، فضلاً عن حيادية الباحث من خلال الطرح العلمي والحيادي في تحليل المعلومات القيمة والذي أفادنا في أغلب ثنايا البحث في المباحث الأول والثاني، ويعد هذا المصدر من المصادر النادرة . وكذلك المصدر الآخر (الانفتاح الاقتصادي وآثاره الاجتماعية على الأسرة) لمؤلفه محمد علي سلامة الذي يعد من المصادر المهمة والحيوية التي رفدت البحث بعدد من المواضيع الجيدة النادرة المعلومات وغزارتها من خلال الطرح العلمي الموضوعي والمنطقي والذي اعتمد على مصادر مهمة من خلال ثنايا البحث والذي كان طرحه علمي وحيادي والذي أفادنا في الكثير من ثنايا البحث الأول والثاني والثالث . وكذلك استفدت من مجلة الأهرام الاقتصادي التي كان لها الدور الكبير في رفد معلومات البحث وهي مجلة علمية وحيادية واعتمادها على الطرح العلمي الموثق . كذلك اعتمدت على مصدر مهم الذي كان طرحه حيادياً ومعتدلاً استفدت منه كثيراً ألا وهو كتاب (الانفتاح الجذور الحصاد والمستقبل) لمؤلفه جودت عبد الخالق الذي كان بحق من المصادر النادرة والعلمية واستفدت كثيراً من معلوماته من خلال دراستنا البحثية هذه .

وقد واجه الباحث العديد من الصعوبات ألا وهي صعوبة الحصول على الوثائق وذلك لندرتها ولم تكن هناك جهة الخوض في هذا المضمار لصعوبة الحصول عليه وذلك كون الموضوع الاجتماعي موضوع صعب ومتشابك، وكذلك صعوبة الحصول على المصادر الأجنبية لأن الأغلبية تكتب في الجانب السياسي بينما هناك قلة قليلة في الجانب الاجتماعي وذلك لأنه موضوع صعب ومعقد لم يجرأ أحد في الكتابة فيه .

المبحث الأول

أثر الانفتاح الاقتصادي على القضايا الاجتماعية في مصر (١٩٧٤-١٩٨١)

أولاً : الانفتاح الاقتصادي وتفشي الطفيلية في المجتمع المصري .

ان المعنى الاصطلاحي للفظ الطفيلية يعني لغوياً الكائن الذي يعيش متطفلاً على كائن آخر داخله وخارجه، أي انه يعيش على حساب غيره يتغذى بغذائه، وان النشاط الطفيلي يقوم على استغلال الغير الأمر الذي يترتب عليه حرمان هذا الغير من فرص الترقي والنمو، وان دخول العناصر الطفيلية لا ترتبط بالعملية الانتاجية الأمر الذي يعكس في النهاية ان

النشاط الطفيلي هو نشاط ناقل للثروة ومجاله الأساسي هو التبادل، ومن ثم فهو يفسر الى حد بعيد ظاهرة التكاثر المالي وليس التراكم الرأسمالي (روية، ١٩٦٠ : ٣-٤) (Rawia, 1960: 3-4) .

وهناك عدد من المفاهيم التي تكون أقرب الى الدقة، فمنهم من يرى ان العناصر الطفيلية هي التي تمارس أنشطة غير انتاجية ولا تساهم في دعم ومساندة الهيكل الانتاجي، وهناك تعريف آخر وهي التي تقوم على استغلال الغير وحرمانه من فرص الترقي والنمو، والتعريف الأقرب الى وجهة النظر هي التي تقوم بنقل وتراكم الثروة لدى بعض العناصر بشكل لا يتناسب وطبيعة العملية الانتاجية السائدة، ودونما اسهام حقيقي في تحقيق قيمة مضافة للاقتصاد القومي، ومع ذلك يمكن القول بصفة عامة ان كل عمل منتج ليس عملاً طفيلياً، ولكن كل عمل غير منتج ليس بالضرورة عملاً طفيلياً (روية، ١٩٦٠ : ٤) (Rawia, 1960: 4).

ومن هذه الآثار الاجتماعية للانفتاح تفشي الطفيلية كسلوك فردي واجتماعي واكتسابها نوعاً من المشروعية في عدد غير قليل من الأحوال، وتوقف الناس بل والسلطة أيضاً عن النظر الى بعض ألوان السلوك الطفيلي نظرة استنكار واستهجان بل والتماسهم العذر لبعض من يمارسونه أثر ذلك كله على الأجيال الجديدة من الناشئين والشباب باعتبارهم بناة مجتمع الغد وصناع المستقبل .

ان ذلك أطفال اليوم وشبابه، أي رجال المستقبل يتقبلون الطفيلية في الكثير من نواحي حياتهم ويتشربون القيم المميزة لها في كل مجال من مجالات الحياة، ان أي طفل مصري يدرك جيداً ان القاعدة العامة هي ان المرء لا يستطيع الحصول على خدمة أو انجاز عمل بمجرد دفع الثمن أو الرسم أو المقرر، وانه من الضروري دفع رشوة أو على الأقل التوصل الى واسطة مناسبة بل أصبح من المعروف ان الحصول على هكذا حالات هو ليس مقابل الحصول على خدمة خاصة أو معاملة متميزة انما هو نوع من الأتاوة أو العلاوة الاجتماعية الاجبارية، فأي علاقة يمكن أن تتبلور في ذهن الطفل أو الشباب بين العمل والأجر، وبين المشروع وغير المشروع من طرق المكسب (بريل، ١٩٥٣ : ٣٢٠) (Brill, 1953: 320).

ان أي مفهوم للواجب أو الانجاز يمكن أن يكونه الطفل أو الشاب عندما يرى المدرس يهمل التدريس في الحصة الدراسية، ولا يعني بمتابعة الواجبات، ويقوم بتصحيح الكراسات بصورة غير علمية، ويوحي للتلاميذ بأنه من مصلحتهم الاشتراك في المجموعة أو الدروس الخصوصية أو يلمح الى أسئلة الامتحانات الشهرية، ولا يتورع عن تغشيشهم، حتى تأتي نتيجة الفصل أقل من مستوى معين، وحتى لا يهبط بمستوى المدرسة أي انه ما يعلمه الطفل أو المتطفل ليس الأداء الفعلي لما هو واجب عمله وانما الانجاز الشكلي، وليس مهما ان تعمل وانما المهم أن يبدو وكأننا نعمل فلا يتهمنا أحد بالتقصير، وان وسيلة الانجاز ليست بذات بال فما لا يدرك بالجد والاجتهاد يمكن أن يدرك بالغش والتزوير ولا تسأل عن الضمير، فالمؤامرة ضده محكمة والظروف جميعها تعمل على اخفاءه في زاوية من زوايا النسيان، أما فكرة النجاح التي تزرع في عقل المتطفلين والشباب التي تنطبع في وجدانهم، فهي فكرة مشوهة لا صلة لها بالعمل المنتج أو الاستقامة ونظافة اليد وراحة الضمير (اسماعيل وآخرون، ١٩٦٧ : ٤)(Ismail , al et, 1967: 4) .

ان النجاح أصبح مرتبطاً بالغنى وأنماط الاستهلاك المترف التي ييسرها دونما الاهتمام بوسيلة الغنى والشطارة يمكن أن تأخذ صوراً عديدة ومنها التمويه على موظف الكمرك للتخلص من دفع الرسوم الكمركية عند بوابة بورسعيد وفي الموانئ والمطارات، ومنها تفادي الوقوف في طابور الجمعية، وما اليها من الطوابير أو التحايل للتقدم في الطابور دونما نظر لما يقع بالآخرين من ضرر من جراء تجاوز حقهم، أو الحصول على ما هو أزيد من الكميات المقررة من بعض السلع التي تصرف في الجمعيات التعاونية والفئوية وما اليها ومنها التحايل في العمل دون اعطاء المشرفين فرصة للضبط أو توقيع الجزاء، وان الخطر في هذا الأمر أصبح مادة للزهو والتفاخر أمام الأبناء بل ان من لا يتصرف بهذه الكيفية يوصف بأنه غير مستحب . لقد شجع مناخ الانفتاح بالطبع على استشراء ظاهرة الطفيلية من خلال الرشاوى والعمولات والتوكيلات والبحوث الأجنبية أو المشتركة، كما شجعت ندرة العملات الأجنبية مع وجود أعداد ضخمة من المصريين يعملون في الخارج ويحصلون على مدخولاتهم بعملات أجنبية على قيام سوق سوداء للعملة، ووجد البعض مجالاً خصباً للثراء

الطفيلي، ومثال على ذلك عن أسواق سوداء أخرى، وتداخل القدرة مع نظم الدعم خاصة دعم الاسمنت وحديد التسليح وما اليها مما أوجد تجارة رائجة في أذونات صرف هذه السلع .

ان هذه الظاهرة للنشاط الطفيلي قد أصبحت منتشرة انتشاراً واسعاً في طبقات وفئات اجتماعية عديدة دون أن تمثل بالنسبة لمعظم من يمارسونها نشاطاً دائماً أو رئيساً بل وكثيراً ما يمارس النشاط الطفيلي اضطراراً لا اختياراً، ويفرض نفسه على البعض دون أن يسعوا اليه بأنفسهم، وفي النهاية يرى الباحث في ذلك، على الرغم من ان الطفيلية قد أصابت معظم أفراد المجتمع بدرجة أو بأخرى الا ان المجتمع لا يخلو من النماذج السوية التي تحاول أن تشق طريقها بأمانة ونزاهة حفاظاً على كرامتها واعلاء قيم الصدق والاخلاص، متحملة في ذلك شتى صنوف الضغط والحقد . ان هذه النماذج تظل مصدر الأمل وسط الكم الكبير من الاحباط، ويظل الأمل معقوداً عليها في ابقاء هذه المثل حية في الذاكرة المصرية وفي اثبات ان هناك بديلا عن الانفتاح وقيمه، وفي الأخذ بيد المجتمع عندما ينفجر بالون الانفتاح وتعود الأمة الى وعيها (اسماعيل وآخرون، ١٩٦٧ : ٥) (Ismail , al et, 1967: 5).

شهدت مصر نمواً واسعاً وكبيراً في الأنشطة الطفيلية منذ أن دخلت عهد الانفتاح الاقتصادي وهي احدى السياسات التي اتبعتها مصر بعد حرب عام ١٩٧٣ أي الانفتاح على الغرب وفتح مصراعيه أمام الاستثمار الغربي، الا انه انحرف وتغير عن هدفه الأساسي التنموي والانتاجي وأخذ طريقه نحو انفتاح استهلاكي مما كون طبقات جديدة انتهازية وجدت طريقاً سهلاً للثراء، وبالتالي فقدت الكثير من القيم الأصيلة التي عاش عليها هذا الشعب لآلاف السنين، ولا شك ان مصر قد لحقها ضرر كبير نتيجة هذا الاتجاه الخاطئ للانفتاح، اذ لم تحقق التنمية الانتاجية، وفي الوقت نفسه تكونت طبقة الطفيليين من بعض الموظفين والوسطاء وبعض رجال الأعمال (سلامة، دون تاريخ :١١٢) (Salamh, Without date: 112) (والي، ١٩٨٤ : ٦-٨) (Wali, 1984: 6-8)، واننا نرى انها لم تكن مجرد صدفة بالطبع أن تعرف مصر قدراً محدوداً من النشاط الطفيلي قبل الانفتاح الاقتصادي أي منذ عهد التحول الاشتراكي، اذ اتضح ان المجتمع المصري بعد التحول الاشتراكي لم يصبح مجتمعاً اشتراكياً في تصورنا، فالمجتمع الاشتراكي مجتمع يسيطر فيه الشعب على وسائل

الانتاج وبالتالي يديرها لصالحها ويتم فيه اقتسام الناتج الاجتماعي طبقاً لمساهمة الأفراد بجهدهم كماً ونوعاً، وكل ما حدث بعد التحول الاشتراكي هو تملك الدولة ممثلة في الحكومة وجهازها البيروقراطي لوسائل الانتاج، وفي مجتمع غير ديمقراطي فان تملك الدولة لوسائل الانتاج لا يعني بالضرورة ولا يضمن سيطرة الشعب على وسائل الانتاج، وان هذا التحول في النهاية نراه تمثل في جزئية التحول والدليل في ذلك بقاء قطاعات هامة مثل المقاولات والتجارة الداخلية بيد القطاع العام (أمين، ١٩٨٣ : ٦٧) (Amin, 1983: 67) (عبد الخالق، ١٩٧٨ :٣٦٦-٣٩٦) (Abd Alkhalek, 1987: 366-396)(عبد الخالق، ١٩٨٣ :٤١-٧٢)(Abd Alkhalek, 1983: 41-72) (مرسي، ١٩٧٦ :١٨١-١٨٢) (Morsi, 1976: 181-182) في حقبة الخمسينات أي وقت التضييق على النمو الرأسمالي ووقت مناهضة الاستعمار والتبعية ومحاولة النمو المستقل، بينما ازداد هذا النشاط واتسع نطاقه وتنوعت صوره منذ الأخذ بسياسة الانفتاح .

ان مما لا شك فيه ان ما حدث من تجزؤ في الاقتصاد وما انطوى عليه من فقدان السيطرة المركزية على الأوضاع الاقتصادية وفتح الأبواب على مصراعيها أمام القطاع الخاص المحلي والأجنبي، خاصة في مجال البنوك، اذ كان الهدف الأساسي لتبني سياسة الانفتاح الاقتصادي هو تشجيع القطاع الخاص واعطاؤه الضمانات والمزايا والحوافز مما يكفل له المشاركة الى جانب القطاع العام والسماح بفتح بنوك أجنبية وكذلك السماح بأن تشارك هذه البنوك في تطوير السوق العالمية والنقدية، وكقنوات لنقل الأموال من الاسواق العالمية الى مصر، كما ركزت بعض بنوك الاستثمار التي تأسست مؤخراً انشطتها في مجال الاستثمار وتمويل بعض المشاريع عن طريق تدبير القروض الجماعية وتقديم التسهيلات لشراء المعدات (الصادق،١٩٨٣ :٢٠-٢٣)(Alsadiq, 1983: 20-23) (سعد، ١٩٧٩ :١٥-١٧)(Saad, 1979: 15-17)، والطبيعة الخدمية لما جرى من نمو وما صاحبه من تفاقم لعدد من الأزمات ومنها الاسكان، أما في مجال الاسكان فقد لا يختلف أحد على ان أولويات المجتمع يجب أن تحدد على النحو الذي يحقق أقصى عائد اجتماعي أي أقصى فائدة للفئات الشعبية التي تمثل القاعدة العريضة للمجتمع المصري، وهذه الفائدة لن تتحقق الا اذا اتخذ الاسكان الشعبي وغيره من الاحتياجات الأساسية مثل الغذاء والكساء

الشعبي موقعهم في المقدمة على قائمة أولويات المجتمع، وفي اعتقادي ان جذور المشكلة السكنية ترجع الى ان الاسكان والاحتياجات الأساسية الأخرى لم تحظ بنصيبها من الأهمية في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي والتي كان يتم تحقيقها لمصالح فئة محدودة من أفراد المجتمع التي استفادت من هذه السياسة والتي حققت مكاسب كبيرة في انحراف السوق المصرية بالسلع الكمالية سواء كان ذلك مساكن فاخرة أو سلع بالغة الترف، وقد يكون هذا الوزن النسبي لهذه الفئة ضئيلاً جداً اذا ما نظرنا اليه من الناحية العددية لكن وزنهم من حيث النفوذ والسلطان الاقتصادي والسياسي كان على درجة عالية من الخطورة ولهذا أصبحت الأولويات السائدة في عصر الانفتاح هي أولويات القلة وليست أولويات المجتمع، وفي النهاية نرى ان معالجة هذه المشكلة التي تخص الاسكان، لا ترتبط بالقطاع وحده وانما يجب أن تكون المعالجة شاملة لقطاعات عديدة في الاقتصاد القومي من صناعة وزراعة ومواصلات وخدمات وسياحة، فان المعالجة يجب أن لا تقتصر على المشكلات القائمة في الأجل القصير بل يجب أن تمتد أيضاً الى توقعات الأجل الطويل من حيث دراسات توقعات زيادة السكان والتغيير في الدخول وتنمية المدن والقرى الجديدة، وان التخطيط القومي الشامل هو أكفأ وسيلة للقيام بهذه المهمة المعقدة (عبد الخالق، ١٩٧٨ : ٤١٦-٤١٧) (Abd Alkhalek, 1987: 416-417)(المطير، دون تاريخ : ١١٢)(Al-Mutair, Without date: 112) وعملات أجنبية وسلع تموينية وغيرها، وتزايد غير مسبوق في الاستيراد والاعتماد على الخارج، فضلاً عن غياب الديمقراطية وما يترتب عليها من نظم للرقابة والمسائلة لا شك أن يرى الباحث في ذلك ان كل هذه الأمور قد هيأت مناخاً مؤاتياً وفرصاً كبيرة لنشاط وتفشي الطفيلية، فالنشاط والجناح الطفيلي والتي لغوياً الكائن الذي يعيش متطفلاً على كائنات أخرى داخله أو خارجه، أي انه يعيش على حساب غيره يتعدى بغذائه ويستنزف قواه، وان دخول هذا النشاط أو العنصر المتطفل لا ترتبط بالعملية الانتاجية الأمر الذي يعكس في النهاية انه نشاط ناقل للثروة ومجاله الأساسي هو التبادل ومن ثم فهو يفسر الى حد بعيد ظاهرة التكاثر المالي وليس التراكم الرأسمالي، ومنهم من يعرفه ان النشاط الطفيلي هي تلك الأنشطة التي تمارس أنشطة غير انتاجية ولا تساهم في تدعيم الهيكل الانتاجي (عبد الكريم، ١٩٨٨ :٦٦-٦٧) (Abdelkrim, 1988: 66-67) .

ان ظاهرة تفشي هذه الظاهرة في أي مجتمع من المجتمعات تؤثر سلباً على نظام القيم في المجتمع لما انطوى عليه من استغلال ومن توتر وفجوة في العلاقة بين الجهد والكسب، وللطفيلية عواقب لا تحمد عقباها في المجال الاقتصادي ولما تنطوي عليه من العبث واحباط نظام الحوافز الذي يقوم على مبدأ ربط الأجر بالجهد، ولما يترتب عليه من انصراف والعزوف عن العمل المنتج الذي هو أساس النمط الاقتصادي، ولما تضعه من عراقيل أمام التخطيط الاقتصادي اذ يتعذر معها اجراء الحسابات الاقتصادية المعتادة والتنبؤ بالسلوك والتوجه المحتمل للاقتصاد القومي (عبد الفضيل، دون تاريخ :٥٩-٦١) (Abdul-Fadil, without date: 59-61) .

ان في هذه الفترة فقد ظهرت رأسمالية الانفتاح (أمين، ١٩٨٣ : ٢٠٦) (Amin, 1983: 206) وهي طبقة حديثة العهد بمستوى الدخل المالي وبالتعلم على حد سواء، وهي لذلك أقل ثقة بحقها في هذا الصعود عما كانت عليه الطبقات العليا طويلة العهد بالثراء والسيطرة، أو أقل قدرة على التشرب والتشبع بأنماط السلوك الغربي الأكثر تعقيداً، وهي كما تراها طبقات أكثر صلة بالقرية مما كانت الطبقات العليا القديمة، كما ان جزءاً من تغريبها وثقافتها يأتي الآن عن طريق غير مباشر بالاتصال بمجتمعات عربية متلقية من الغرب بدلاً من أن يكون التلقي من الغرب مباشرة، وان هذه الطبقات نظراً لصعودها وبروزها المادي والاجتماعي فإنها تغزو الأسواق والمدارس والجامعات والنوادي، بعد ان مكنتها قوتها الشرائية الجديدة من ذلك، كما ان هناك القدرة المتزايدة لدى هذه الطبقات على غزو وتدخل وسائل الاعلام والتأثير في الرأي العام بسبب زيادة حظوتها من التعليم والقدرة الشرائية على حد سواء، ويحدث العكس بالضبط لأفراد الطبقات العليا الهابطة التي يتعسر وجودهم المادي وتأثيرهم الثقافي، كما تنحسر في نفس الوقت ثقتهم بأنفسهم، وهكذا نرى في ذلك تأخذ قيم الطبقات الصاعدة في تأكيد وجودها وفرض نفسها على أفراد الطبقات الهابطة نفسها (سعيد، دون تاريخ: ١٣٠-١٣١)

(Elbert E. 1975 : 283) (Said, without date: 130-131) .

ان هذه الرأسمالية الانفتاحية تضم شرائح عديدة ومنها بقايا الطبقات القديمة من الاقطاعيين والرأسماليين وشرائح وفئات برجوازية من اداريين وفنيين التي تكونت في فترة

الستينات، وكذلك شريحة من الرأسمالية الوطنية، وأهم هذه الشرائح وأخطرها كما نراها التي كانت من جماعة من المغامرين ومحترفي الجريمة، وهم عادة من أرباب السوابق والخارجين على القانون، الذين استطاعوا بفضل هذه الأعمال أن يشقوا طريقهم الى دنيا المال وعالمه، فضلاً عن ان نشاطهم لا يقتصر فقط على النشاط الرأسمالي، بل يشمل أيضاً النشاط غير السوي (الاجرامي) (حمدان، ١٩٨٤ :١٣٧) (Hamdan, 1984: 137) .

كما وان البعض يراها انها رأسمالية بلا جذور ممتدة في أعماق الاقتصاد الوطني، بل غير معنية بتطوير الاقتصاد القومي والأوضاع الاجتماعية غير المطمئنة الى مستقبلها، لا تبني مصانع تستوعب عماله وتحقق الكسب بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة وبخاصة مع القطاع العام والدولة، فهي مثلاً تتعامل أساساً بقروض تحصل عليها من البنوك وهي بنوك الدولة وأموالها وأموال عامة، ومن ثم تبقى أموالها الخاصة بمنأى عن الخط ولو في خارج البلاد، ثم لا تدفع ضرائب للدولة، وتتقن كل وسائل التهريب واضفاء الدخول والثروات وتدعو الى التحالف مع الرأسمالية العالمية (أمين، ١٩٨٣: ٢٠٧)(Amin, 1983: 207).

وعندما أصبح الاقتصاد المصري في النصف الثاني من السبعينات توجهاً خصباً لرأس المال الطفيلي الذي أصبح الشغل الشاغل لهؤلاء الطفيليين هو تحقيق أكبر قدر من جمع المال وتكدسه في أقل فترة ممكنة، وقد لجأ كبار رأس المال لهؤلاء الفئات الى أساليب أقرب ما تكون الى أساليب القرصنة الاقتصادية التي تتفنن في ابتداع طرق الاغارة والهيمنة والسيطرة على المال العام والخاص على حد سواء (أمين، ١٩٨٣ : ٢٠٧-٢٠٨) (Amin, 1983: 207-208).

لقد أصبح هذا التوجه لهذه الفئات مسؤول مسؤولية مباشرة على نمو واتساع اقتصاد (العمولات) والأتاوات في المجتمع المصري واتساعه وافساد الأخلاقيات الاقتصادية، ولعل الأخطر من هذا الرأسمال المغامر هو رأسمال لا ينتمي للمجتمع بل هو في حقيقة الأمر رأسمال غير مقيم فهو رأسمال يقوم على المضاربة سرعان ما يلوذ بالفرار أو يختفي من نشاط الى آخر اذا ما أغلقت أمامه كل منافذ وفرص الكسب والثراء غير المشروعين

(Popenon , 1977 : 221-243) (وثائق وزارة التخطيط الدائرة الاقتصادية في مصر، ١٩٧٨) .

ويمكن لنا أن نوضح طبيعة الرأسمالية الطفيلية فهي لا تقوم على تطوير الانتاج المادي وانما تنشأ وتزدهر في مجال الخدمات المشروعة وغير المشروعة والتجارة والمقاولات والسمسرة والمضاربات، وخطرها الحقيقي يكمن في امتداد هذا الطابع التجاري الطفيلي ليشمل الرأسمالية المحلية التجارية بغير انتاج والا عدلت عن الصناعة الى التجارة، كما ان الأنشطة الطفيلية تعمل على تجريف القطاعات الانتاجية المملوكة للقطاع العام والزج بها في عالم الوساطة والسماسرة، فهو نشاط ليس فقط خارج عن العملية الانتاجية بل والأخطر هو تصفية الهيكل الانتاجي القائم (أمين، ١٩٨٣ : ٩١-٩٢) (Amin, 1983: 91-92)

أما الرأسمالية التابعة أي التابعة للرأسمالية العالمية، بحكم نشأتها وتطويرها ولذا فهي لا تتعامل معها من موقف قوة وانما من موقف ضعف، فهي لا تقدر على منافستها ولا تقدر على تكوين قاعدة مستقلة لنموها بخلق صناعات وسائل الانتاج وتوليد التكنولوجيا المحلية، ولذا فهي لا تنمو ولا ركيزة في تطورها على غير ركيزة التحالف مع الرأسمال الأجنبي (أمين، ١٩٨٣ : ٩١) (Amin, 1983: 91).

وقد لعبت هذه العناصر الطفيلية دوراً لا يستهان به في أحداث وتأصيل الانهيار الأخلاقي والاجتماعي وان هذه أثرت سلباً على نسق العمل والانتاج في المجتمع، وقد ساعد ذلك ان الاختيار السياسي لقيادة الدولة كان يوفر الحماية والأمان لهذه العناصر بحجة ان المساس بفئة الأغنياء الجدد يتعارض مع مبدأ سياسة الانفتاح لهذه العناصر كنموذج غربي يؤكد على الحرية المطلقة للفرد، ولا شك ان اعتراف السلطة بهذه الفئات واضفاء الحماية والأمان عليها قد خلق منها قوة تملك القدرة على حماية مصالحها ومواقفها وان تعارضت مع السلطة ذاتها، خاصة ان لها ارتباطاتها بالرأسمالية العالمية من خلال التجارة والوساطة والتوكيلات، الأمر الذي يشكل في النهاية قوى وسيطة لها ارتباطاتها برأس المال الاجنبي، ومن هنا يتبين رفض النخبة الحاكمة تحجيم دور هذه العناصر (عبد الفضيل، دون تاريخ : ١٤) (Abdul-Fadil, without date: 14) .

ان على الرغم من ذلك ان هذه العناصر قلبت موازين المجتمع وأصبحت تشكل خطراً اجتماعياً وسياسياً، الا ان النخبة السياسية تمادت في اضفاء الحماية عليها بل والمساهمة والمشاركة معها في عالم الأعمال، وقيامها بتسهيل أنشطتهم وأعمالهم وتغاضت عن جوانب عدم المشروعية والكسب الحرام (العيسوي، ١٩٨٤ :٥٢٣-٥٢٥) (Al-Essawi, 1984: 523-525).

فالنظام السياسي مسؤول عن قيم الناس وسلوكهم وتوجهاتهم، فالسلطة تتبنى قيماً وتروج لها فتسود بعض تلك القيم الاجتماعية في مراحل معينة بينما يتقلص دور البعض منها وبموقفها وسلوكها التي تفرض شرعية على بعض القيم وتنهار شرعية قيم أخرى، أي ان ممارسات السلطة واقرارها لأوضاع معينة أو حتى سكوتها عن تلك الأوضاع انما هو بمثابة اشارات أو اجازات مرور تعتمد قيماً بذاتها وتروج لها، فممارسات السلطة ليست مجرد جولات سياسية أو حسابات اقتصادية ولكن هذه الممارسات تغرس فيها وهذا يؤكد ان النخبة الحاكمة كانت في السبعينات تفسح المجال وتمهد الطريق وتتعاون مع الرأسمالية الطفيلية للتستر على قيم اللاعمل واللاانتاج، وبحثت عن أقصر الطرق وأقل الجهد لتحقيق الأرباح والمكاسب، وان البديهي من ذلك هو فرض هذه القيم على الجماهير، ومن ثم عملت على نشرها بين أغلب الطبقات بجميع شرائحها، وأدت اعادة فتح قناة السويس في عام ١٩٧٥ وتشجيع الدولة لرأس المال الأجنبي للمساهمة في مشروعات توسيعها الى زيادة عائدات المرور في القناة من لا شيء عام ١٩٧٤ الى (٥٨٩) مليون دولار عام ١٩٨١ والتي كانت رائدة في مجالات حيوية للنمو، وهذا النمو لا يستند الى عناصر القوة الذاتية للاقتصاد المصري بقدر ما يستند الى اعتبارات طبيعية كالنقلة في استخراج النفط وتصديره أو اعتبارات خارجية مثل حركة الملاحة العالمية وتأثيرها على ايرادات قناة السويس (عبد الخالق، ١٩٨٣ : ١٣٤-١٣٨) (Abd Alkhalek, 1983: 134-138) .

وفي النهاية يرى الباحث ان آثار الانفتاح الاقتصادي في مصر كان سلبياً والدليل في ذلك انها ما تسمى عصابات أو مافيات السلطة التي ظهرت والتي انتشرت في ارجاء البلاد والتي استطاعت بوسائلها المتدنية تكوين الملايين من خلال السطو والنهب وجمع المال للمسلحين بالجشع والأنانية وحب الذات، متخذين النصب والاحتيال والأتاوات مأخذاً لها،

فضربوا الاقتصاد المصري ولم يعيروا اهتماماً للقيم الانسانية بشيء، ولم توجه لثرواتها الى أي نشاط انتاجي حقيقي ولم تلتزم بأي وسيلة مشروعة، وبحثت عن أقصر الطرق وأقل الجهد لتحقيق الأرباح والمكاسب، والأدهى منه هذا هو نشر القيم السلبية بين أغلب الطبقات بجميع شرائحها والتي بحثت عن الربح السهل والسريع بدون مجهود .

ثانياً : تجارة المخدرات .

أصبحت مصر سوقاً واسعاً ورائجاً للمخدرات، وبقدر ما تدفعه مصر ثمناً للمخدرات المهربة اليها عبر الحدود بـ (٧٠٠) مليون جنيه سنوياً عام ١٩٧٤ تدفع بالعملة الصعبة، وهو ما يساوي نصف صادرات مصر السلعية تقريباً أي التي تدخل ضمن التبضع اليومي (فيما عدا النفط) أو ما يساوي دخلها من عائدات قناة السويس، واعتبر قطاع السياحة في ظل الانفتاح أحد القطاعات المهمة والرائدة في الاقتصاد القومي مما يدل ذلك على زيادة نسبته الاجمالية من (٦١.٨) مليون جنيه عام ١٩٧٣ الى (٤٠١.٢) مليون جنيه وهي تشكل سلة عام ١٩٨١ من اجمالي التحصيلات، وقد شجعت الدولة القطاع الخاص والمستثمرين الأجانب في مجال السياحة بتقديم التسهيلات والاعفاءات الضريبية بل الكمركية في ظل قانون الاستثمار الأجنبي وأصبحت المشروعات السياحية من أهم المشروعات التي يقبل عليها رأس المال الأجنبي والمصري ولا شك ان نمو السياحة يتوقف على الطلب العالمي والمنافسة الدولية وعلى الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية (تركي، دون تاريخ :٢٩٣) (Turki without date: 293) أو من السياحة أو يصل هذا الرقم الى المليار جنيه سنوياً عام ١٩٨١، اذا ما حسبنا ما يستهلكه المصريون على اختلاف طبقاتهم من المخدرات ويقدر بـ (٢٠٠) مليون جنيه، وان تكلفة أجهزة مكافحة المخدرات تقدر بحوالي (٨) مليون جنيه، وان ما أضفنا في ذلك بانتشار المخدرات من تأثير صعب للغاية مادياً ونفسياً لقوى الشعب المنتجة لأدركنا مدى التخريب والدمار الذي تلحقه هذه التجارة في السوق السوداء بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية (القعيد، ١٩٨٣ :٢٨٢-٢٨٣) (Alqaeid, 1983: 282-283) (فهمي، دون تاريخ :١٢٩) (Fahumi, without date: 129).

واذا كانت قيمة المخدرات المهربة الى البلاد تقدر بسبعمائة مليون جنيه سنوياً، فان هذا يعكس حجم الطلب ومدى اتساع السوق المصرية للمخدرات بالرغم من الارتفاع الكبير غير

المسبوق لأسعارها، فقد ارتفع ثمن أوقية الحشيشة من (٣٠٠) جنيه الى (٣٥٠٠٠) جنيه في هذه السنوات على التوالي من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨١، مما حققت تجارة المخدرات في مصر أرباحاً عالياً، فقد أصبحت مصر سوقاً جيدة ومناسبة لاستهلاك المخدرات، بل أصبحت طريقاً لتجارة المخدرات (الترانزيت) عبر قناة السويس وميناء القاهرة الجوي، كما ان سوق المخدرات المصرية كانت ذات طابع ذو توجهات احتكارية، فأصبحت حركتها في قبضة وزمام الأمور في عدد محدود من كبار التجار في القاهرة، وكشف محاكمة (عصمت السادات) و (رشاد عثمان) عن تورطهما في تجارة المخدرات و(عثمان اسماعيل) عضو مجلس الشعب عن الحزب الحاكم وشقيق عثمان اسماعيل محافظ أسيوط السابق كان يزرع الأفيون في محافظة أسيوط تحت حماية شقيق المحافظ(أمين، ١٩٨٣ : ٢٥-٢٨) (Amin, 1983: 25-28)، الذي اكتسب سمعة واسعة محلية ودولية في هذه التجارة والتي تستأثر بـ (٦٠%) من تجارة التجزئة بالقاهرة و(٢٠%) بالتوزيع على مستوى الجمهورية، وقد امتد بتجارة المخدرات الى أجهزة الدولة ذاتها ويشمل نشاطهم أرجاء البلاد ويتعاملون مع عصابات المافيا العالمية المتنفذة وذات الصيت الواسع في تبنيهم لهكذا أعمال وليشمل مجالات في غاية التنوع بمختلف أشكاله ابتداءً من تربية المواشي الى صالات عرض السيارات والمقاهي وتملك العقارات، ونرى في ذلك ان النقد السائل الشكل الأساسي لثروتهم حتى يسهل تهريبه فيتخلص من الحراسة والمصادرة (عبد المعطي، ١٩٨٦ :١٨٣) (Abdel Muti, 1986: 183) .

وفي النهاية يرى الباحث ان هناك صلة وثيقة بين تجارة المخدرات التي يصل حجمها الى حوالي مليار جنيه تدفع بالعملة الصعبة، وبين السوق السوداء للنقد الأجنبي حوالي ٧٠%، فالأطراف الثلاثة تتعاون لتوفير التمويل اللازم بالعملة الصعبة لواردات المخدرات المهربة، وهذا يعد أحد الأسباب الهامة لارتفاع سعر الدولار في السوق السوداء مقابل الجنيه المصري.

ثالثاً : الفساد في الجهاز المصرفي .

ان أخطر صور الفساد في الجهاز المصرفي، ما واكب عمليات منح القروض والتسهيلات الائتمانية ما بين العملاء وموظفي تلك المصارف بحيث أعطيت تلك القروض

والتسهيلات بدون ضمانات حقيقية تحفظ للبنك حقه من الضياع عند توقف العميل عن السداد . لقد كان نتيجة هذا الفساد والتعاون معهم ان ذهبت الملايين من أموال الدولة الى ما لا تحمد عقباه من قروض بلا ضمانات وشيكات بدون رصيد وغيرها، وقد كشف جهاز المدعي الاشتراكي عن العديد من الجرائم التي حجمت من اقتصاد مصر سواء كان أصحابها يمتلكون بنوكاً أو شركات أو أشخاصاً قاموا بالنصب والاحتيال على البنوك التي يملكها القطاع العام، وحصلوا منها على ملايين الجنيهات بدون ضمانات عينية ولكن بضمان السمعة فقط عن ضغط وذلك لنفوذهم الكبير داخل مؤسسات الدولة آنذاك (القعيد، ١٩٨٣ : ٨٣) (Alqaeid, 1983: 83).

رابعاً : الاختلاس والرشوة .

كان لظهور المغريات الاستهلاكية كما تمثلها البضائع المستوردة وامكانية تشغيل الأموال الصغيرة في أعمال مريحة مثل تشغيل وتأثيث الشقق المفروشة للسياح العرب، كل ذلك خلق بقنواته الضرورة المنطقية لاستمرار الاختلاس وتزايدها (أمين، ١٩٨٣ : ١٣٣) (Amin, 1983: 133)، واذا أضفنا الى كل ذلك الارتفاع المستمر والواسع في أسعار جميع السلع والضروريات مما يجعل المرتبات غير كافية مع ضرورة محافظة بعض الفئات الاجتماعية (أعضاء مجالس الادارات ووكلاء الوزارات مثلاً) على مستواهم المعاشي الذي وفرته سنوات الستينات، لذلك جذبت جرائم الاختلاس بعض الذين يشغلون مستويات وظيفية عالية (غنيم، دون تاريخ: ٣٤٢-٣٧٠) (Ghoneim, without date: 370-342) (ابراهيم، دون تاريخ: ١٠٩-١١٠) (Ibrahim, without date: 109-110) بعد أن كان مقتصراً على المستويات الدنيا الفقيرة بل زادت المبالغ المختلسة لتصل الى مليون جنيه كما هي حالة (بنك مصر) وشركة النصر للزجاج والشركة المصرية للأخشاب، وتقدر هذه الممارسات بدورها قيماً خاصة تحت شعار (المال السايب يعلم السرقة) وهذه تمثل نسقاً للقيم يسعى لتكريس وجوده باستمرار في واقعنا الجديد .

أما من ناحية المبلغ فنجد ان هذا البخشيش الذي لا يزيد عن جنيه أو ثلاثة أو عشرة أو عشرين (تحرير ورقة أسرع من الروتين)، وهناك البخشيش الذي يصل الى مئات الآلاف من الجنيهات وربما الملايين للحصول على (عشرة ملايين جنيه من بنك بدون ضمان والهروب

بها الى الخارج أو لتحرير صفقة أخشاب أو اسمنت بملايين الجنيهات)، وعلى هذا الأساس ظهرت عشرات المهن الطفيلية كالمهن الشيطانية (غير المنتجة) لمواجهة الطلب الشديد على هذا النوع من الخدمات ومنهم آلاف الموظفين الصغار لا يذهبون الى عملهم ولكنهم (مستهلائية) الذين يحلون للناس مشاكلهم المستعصية التي تحتاج الى جهد فادح وكبير والسير وراء ورقة في المجتمع واستخراج وتجديد رخصة القيادة، والى جانب هؤلاء الذين يركبون السيارات الفارهة الذين يقومون بتحديد موعد مع مسؤول وان هذا يرتبط بالهجرة من الريف الى المدينة، فان الهاربين من معاناة الزراعة الى مهن سهلة في المدن خلقوا هذه المهن (مهن اللامهن) مثل الصبي الذي يمسح زجاج السيارات ويبيع علب الكلينكس فضلاً عن شهود الزور لحالات الطلاق والزواج والبيع والشراء وغيرها (بهاء الدين ، ١٩٨٥) (Bahaa Aldin, 1985).

المبحث الثاني

أثر الانفتاح الاقتصادي على القضايا الثقافية في مصر (١٩٧٤-١٩٨١)

أولاً : الانفتاح الاقتصادي والشعور بالاغتراب Alienation :

هنا يقصد بالاغتراب هو الحالة التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله يحس بأنه غريب وبعيد عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي، وفكرة الاغتراب تسيطر في الوقت الحاضر على الواقع المعاصر كما تسيطر على تاريخ الفكر الاجتماعي، وهو فقدان القوة عند الفرد المغترب أي ان الاغتراب هو شعور ينتاب الفرد فيجعله غير قادر على تحضير ومساعدة الوضع الاجتماعي الذي يتفاعل معه، والاستعمال الثاني للاغتراب هو عدم وجود الهدف عند الشخص المغترب أي انه لا يستطيع توجيه سلوكه ومعتقداته وأهدافه نحو الهدف المنشود لتحقيقه، والمعنى الثالث للاغتراب هو اللامعيارية أي عدم وجود المعايير أي ان الفرد المغترب غالباً ما يشعر بأنه لو أراد تحقيق أهدافه فان عليه عدم التصرف بموجب المعايير المتعارف عليها اجتماعياً وأخلاقياً، والمعنى الأخير للاغتراب يرى الباحث انه الأقرب للواقع وهو العزلة أي شعور الفرد المغترب بأنه غريب عن الأهداف الحضارية لمجتمعه (ابراهيم، دون تاريخ: ١٠٩-١١٠) (Ibrahim, without date: 109-110).

ان جميع هذه الاستعمالات لمصطلح الاغتراب يجب أن تكون مستقلة الواحدة عن الأخرى حسب آراء علماء الاجتماع واستقلاليتها لا يمكن أن تتحقق دون استعمالات بيان المواقف لتمييزها وتشخيص بعضها عن البعض الآخر (أمين، ١٩٨٣ : ١٣٣) (Amin, 1983: 133).

ان مع تفاقم مشاكل مصر الاقتصادية خلال فترة السبعينات وعدم ظهور بارقة أمل لحل المشاكل التي تعاني منها القاعدة المتينة والرصينة في مجال قرص التوظيف ذات الدخل المعقول وفي مجال الحصول على سكن ملائم ومع تعقد مشاكل المواصلات وارتفاع الأسعار وتدهور الخدمات العامة، أصبح الكثيرون يشعرون ان الحل لن يأتي من داخل الوطن وانما من خارجه، وان هذا خلق شعوراً صعباً ومريراً بالاغتراب (جريدة الأهرام المصرية، ١٩٨٦) (Al-Ahram Egyptian Newspaper, 1986) ممزوجاً بالأنا والفردية، ويكفي كما يقول (عبد الباسط عبد المعطى) أن تتحول القيم الاجتماعية الى قيم فردية ذات طابع مادي ويقيم كل شيء فيها (بالنقود) ويضحي المهاجر بأسرته من أجل النقود وينشأ الأولاد على قيم مادية وهذا بمثابة المرض الذي ينخر في جسد المجتمع المصري، وقد أصبح هم المهاجر هو التعرف على كم المال ولا يعنيه مصدره، وظهر ما يمكن تسميته (بالاستسهال) في الحصول على المال واعتبار ذلك غاية وليس وسيلة مما أدى الى حلول السرقة والاحتيال محل العمل والكفاح والانتاجية، وتعد هذه الظاهرة غريبة في التاريخ، وعندما هاجر الأوربيون الى العالم الجديد استوطنوا هناك، بينما يعاني الهنود والباكستانيون من نفس المصير حالياً كما يعاني المصريون (بهاء الدين، ١٩٨٥) (Bahaa Aldin, 1985).

وفي النهاية يرى الباحث في ذلك ان كثيراً من الظواهر السلبية في المجتمع المصري يصعب أن نعلقها جميعاً على الهجرة كما يعلق أغلب الناس على هموم زيادة السكان، لكن ما حدث هو ظهور الهجرة مع ظواهر وتغيرات أخرى عمقت الآثار السلبية لهذه الظاهرة وأهم هذه الظواهر هي سياسة الانفتاح الاقتصادي .

ثانياً : الانفتاح الاقتصادي وأثره على الثقافة والابداع .

ويقصد بمفهوم الثقافة هو كل ما يتبقى من ماضي الانسان وأثره في حاضره، ويعمل على تشكيل مستقبله، فهي تتألف من أنماط مستترة وأنماط ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول عن طرق الرموز، فضلاً عن الانجازات المميزة للجماعات الانسانية (الجوهري، ١٩٨٣ : ٢٣-٢٥) (Aljawhri, 1983: 23-25)، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة ويتكون جوهر هذه الثقافة من أفكار تقليدية وكافة القيم المتصلة بها، وأيضاً الثقافة هي الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون وكل المقومات (عبد المعطي، ١٩٨٦ : ٢٩) (Abdel Muti, 1986: 29) التي يكتسبها الانسان كعضو في المجتمع. ونشير هنا الى تعريف SOAS والذي يذهب فيه الى ان الثقافة تتضمن كل مظاهر العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع المحلي، واستجابات الأفراد نتيجة لعادات الجماعة التي يعيشون فيها، ومنتجات النشاط الانساني، وتعد الثقافة سلوكاً متعلماً أو مكتسباً اجتماعياً (عبد المعطي، ١٩٨٦ : ٢٩) (Abdel Muti, 1986: 29).

ويمكن لنا أن نوضح هنا ان الثقافة هي أنماط السلوك المكتسب سواء أكان ظاهراً أو مستتراً يتناقلها الأفراد جيلاً بعد جيل وهي تحتوي على كل شيء يكتسبه الانسان بوصفه عضواً في المجتمع مثل الأفكار والقيم وكافة أنواع المعرفة، وان الانفتاح الاقتصادي أثر تأثيراً كبيراً في عملية الابداع، فالذي حدث ان المجتمع كان مغلقاً (عبد الكريم، ١٩٨٨: ٦٧-٦٩) (Abdelkrim, 1988: 67-69) وكان اقتصاده موجهاً ثم فجأة وبدون تمهيد انتقل الى مرحلة مضادة تماماً في كل شيء وليس في الاقتصاد وحده، فسادت في المجتمع قيم استهلاكية جديدة وبالتالي سيادة افكار دخيلة على المجتمع المصري، واندفعت فئات كثيرة من المجتمع في ناحية هذا الاستهلاك، وسادت الفوضى الاقتصادية في كل معاني الحياة بعد افتتاح باب الاستيراد على مصراعيه ودونما تدبر فظهرت الآثار في وجه المجتمع، وتعددت الأمراض الانفتاحية (سلامة، دون تاريخ : ١٨٢-١٨٣) (Salamh, Without date: 182-183) ، وتخلخلت بنية المجتمع، وتفشت عبادة المال والمادة، واشتعل الصراع في سبيل الحصول عليها، من أي طريق وبأي طريقة، وتزعزعت الثوابت التي تقيم عليها الحياة العامة، وكان لا بد أن يعني الابداع بكل هذه التغيرات التي حدثت في

المجتمع، والتي كان منها هجر الفلاح لأرضه وكذلك الصانع الماهر لمكان عمله، كما تقلص دور الرجل – الزوج في حياة الأسرة فلم يعد وجوده مهماً الآن، المهم غيابه من أجل الحصول على المادة واتسع دور الزوجة فوجدت نفسها تتعامل مع الآخرين وتدبر شؤون البيت دون الحاجة الى وجود الزوج، فاكتسبت الزوجة قيماً جديدة وطريقة جديدة للتعامل وأتاح لها دورها الجديد الكثير من الحرية التي قد يساء فهمها والأولاد أصبحوا بغير رعاية الأب والأم بطبيعتها متسامحة (فاضل، ١٩٨٧ :١٢٨-١٣٠) (Fadil, 1987: 128-130)، ومن هنا نتج الانقلاب والانفلات في جيل الشباب، لذا نرى ان جيلاً بأكمله قد زعزع بنيانه في ظل الانفتاح ووضوح سلبيته وآثاره التي منها ان الكل يريد الوصول وليس مهماً طريقة الوصول .

من هنا فان كل هذه المتغيرات التي أحدثها الانفتاح أثرت بالقطع على عملية الابداع لأنها أثرت على الانسان الذي يمثل أساس العملية الابداعية (دياب، ١٩٦٩ :٦) (Diab, 1969: 6)، اذ ان ما أحدثه الانفتاح غير المنضبط أو غير المسيطر عليه سيظل لسنوات طويلة يؤثر في بنية المجتمع، فالفروق الكبيرة الطبقية نتيجة تغير القوانين واضطرابها فضلا عن ظهور فئة المغامرين، كما شاع تدني قيمة العمل وقيمة أصول المهنة، وان من أراد أن يكسب فلينحرف أي أن يتصرف بصورة غير سوية والخوف أن يصبح هذا الشعور يقيناً يلازم أغلب الفئات، غير ان الأمور تقضي بضرورة الاسراع لتغيير هذه السياسة الانفتاحية غير المعتدلة (العيسوي، ١٩٨٤ : ٤٥-٤٧) (Al-Essawi, 1984; 45-47).

ان الاقتصاد هو المؤثر الأول، وهو الذي يلعب دوراً في توجهات الأدب، فالاقتصاد يؤثر على عملية الابداع، فطالما كان الاقتصاد قوياً وملائماً لتركيبة المجتمع، وملبياً لحاجات الغالبية العظمى من الناس فان الأدب سيتأثر بذات المناخ الطبيعي ولو انفلت الاقتصاد فان الأدب لن يترك هذا بدون رصد أو تقنين (فريفيل، دون تاريخ :٢٩-٣٢) (Freville, Without date: 29-33) .

ومثلما عادت التبعية الأجنبية في مجال الاقتصاد والسياسة، كان لا بد أن يعود أيضاً الى الغزو الثقافي حتى يطعن المصريون في أعز ما يملكون وهو ثقتهم بأنفسهم وحتى يُهزم المصري من داخله ويعود اليه الشعور بالدونية تجاه الأجانب بالنيل من كل ما هو تراث

وطني وثقافة قومية، وبإعلاء شأن كل ما هو ثقافة أجنبية وان لم يكن لها من الثقافة سوى الاسم .

ومما زاد الأمور تعقيداً ان الأمر لم يقتصر على قوى السلام التلقائية في تحديد نوع المنتجات الثقافية التي تتاح للناس، بل انه تعدى ذلك الى أحكام الحصار، حول نوع الثقافة الوطنية بالرقابة المتشددة من جانب مسؤولين يدينون للحكام من جهة، وبالقوانين الاستثنائية واجراءات القمع والقهر لكل قلم حر أو صاحب فكر معارض، ولكل من يرى الفن رسالة، غير التطبيل للحكام وتلبية المطالب الثقافية لأثرياء الانفتاح من جهة أخرى (خليل، ١٩٨٢ : ٨٨-٩٦) (Khalil, 1982: 88-96).

وفي النهاية نرى ان في عهد الانفتاح قد اختفت معظم الصحف والمجلات ذات الرسالة الثقافية والمرموقة وتحول ما تبقى منها الى أبواق دعاية للحكومة والحزب الحاكم، وابعاد اصحاب الكلمة الأمينة ودعاة الاستقلال الوطني ومعارضو الغزو الثقافي الاستعماري، وان هذا أثر الى الهجرة لدول عربية أو أوربية بحثاً عن منبر مأمون في بعضها، ولم يكن مصير الكتاب مختلفاً عن مصير المجلات الثقافية الجادة، فقد اختفت السلاسل الثقافية القيمة التي كانت تصدرها دور النشر العامة بهدف ربط القارئ المصري بتاريخه وتراثه، واحاطته بما يجري حوله في العالم من تطورات فكرية، كما أصبح الكتاب الجيد غالي الثمن (طرابيشي، دون تاريخ : ٧-١٧) (Tarabishi, Without date: 7-17) بعدما تقلص دعم الكتاب وزيدت الكمارك على مستلزمات صناعة الكتاب في الوقت الذي لم تبخل فيه الحكومة بالدعم على شركات الانفتاح وأعفتها من دفع الكمارك على وارداتها واستثنتها من دفع الضرائب على أرباحها (حجازي، دون تاريخ : ٢٠٩-٢٢١) (Hegazy, Without date: 209-221).

المبحث الثالث

التراث النظري على آثار الانفتاح الاقتصادي لتحقيق المساواة بين الجنسين

ان دونية المرأة وقهرها وتبعيتها مادياً ومعنوياً له جذوره في الفكر الانساني، فقد صرح ارسطو بأن الأنثى أنثى بسبب نقص معين لديها في الصفات، كما دعا افلاطون الى مشاع

النساء، وقد ميز فيثاغورس بين مبدأ الخير الذي خلق النظام والنور والرجل ومبدأ الشر الذي خلق الفوضى والظلمات والمرأة (مصطفى، دون تاريخ : ٥١) (Mustafa, Without date: 51).

وقد كرست بعض الديانات على نظرتهم الاجتماعية الى دونية المرأة بأن حملتها وزر الخطيئة الأولى وأصبحت هذه الخطيئة فيما بعد الجسد وبنيت حولها العديد من غير المستحبات التي أضفت صفة الرجس على فعل الجماع، ومن هنا أصبحت المرأة بفعل ذلك رمزاً للضعف والعيب، كما اعتبرت ملكية للرجل سواء اكان أب أم أخ أم زوج فهي تابعة لا حرية لها ولا ارادة ولا كيان، بل وانحازت الأديان الى جانب الرجل في الميراث، فالمرأة لها نصف ميراث الرجل، ونصف شهادة الرجل، ومنحت الرجل حق تعدد الزوجات وحق فسخ العقد وفرض زوج معين على المرأة، وفرضت الحجاب على المرأة (عبروط، دون تاريخ : ١١٥) (Abrout, Without date: 115).

ولقد رأى ماركس في علاقة الرجل بالمرأة الخلاصة المكثفة لاضطهادات الانسان ولو تصورنا امكانية تكثيف كل الاضطهادات التي عانى منها الانسان على مر العصور في اضطهاد واحد لقلنا ان هذا الاضطهاد المكثف هو اضطهاد المرأة لذلك نرى ان المرأة ليست مضطهدة فحسب بل هي مضطهدة المضطهدين وذلك لأن الانسان العامل يعاني من اضطهاد رب العمل، أما زوجة العامل فهي تعاني من اضطهاد رب عمل زوجها ومن اضطهاد زوجها معاً . والحق ان اضطهاد المرأة وان كان جذوره ما قبل التاريخ هو العلاقات الاقتصادية فاليوم ليس مجرد اضطهاد اقتصادي، انه تلخيص وتكثيف وتركيب لكافة الاضطهادات التي عانى منها الكائن البشري على مر العصور (عبدالله، ١٩٨٣ :١٥٣-١٥١) (Abdullah, 1983: 153-151) .

لذا يرى الباحث في ذلك ان المسألة لا تتعلق باستلاب المرأة اقتصادياً فقط بقدر ما أصبحت قيم للنظرة الدونية للمرأة وقهرها وتوارثها الأجيال بفعل هذه التقاليد والعادات الرجعية المتوارثة، وليس من قوة كما يقول لينين كقوة العادة، وحتى هذه العادات القديمة نفسها هي التي تحول دون اصدار قوانين جديدة للأحوال الشخصية، وذلك يرجع أساساً الى نقص الجرأة الثورية في بعض الحالات، وفي بعض الأحيان الأخرى ضغط الرأي العام الذي

يخضع للتقاليد الرجعية الموروثة، حتى يمكن القول ان اصدار قانون تقدمي للأحوال الشخصي يبدر من أكثر من زاوية أخطر وأكثر ثورية من اصدار قانون التأميم .

ولا شك ان التعارض بين الطباع والأمزجة المذكرة والمؤنثة، التي تؤكدها التقاليد الموروثة، ليس الا نتيجة الضغط الاجتماعي، فالأسرة تبذل قصارى جهدها منذ نعومة أظفارهن لتكييفهن مع منظور الزواج التقليدي الذي ينتظرهن، فتنمى فيهن النشاطات التي تفصلهن عن الصبيان (اسماعيل، دون تاريخ :٢٣١) (Ismail, Without date: 231).

وقبل أن نتحدث عن تدعيم الانفتاح لقيم دونية المرأة، لا بد أن نتذكر ان ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ التي فتحت الأبواب واسعة أمام تعليم الفتاة وألغيت كل القوانين التي تفرق بين الجنسين في التعليم أو الالتحاق بالجامعات والانجازات في ميدان التعليم للمرأة، كانت لها انجازات كبيرة في التاريخ المصري، فالذين علمتهم الثورة في عشرين عاماً يزيد عددهن آلاف المرات عمن تعلمن في المائة والخمسين عاماً السابقة على الثورة، أي منذ أول نهضة تحديثية في عهد محمد علي، فقد ارتفعت النسبة في المستوى الأول والاعداد الى ٢٨٢% بين عامي ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٧١ في التعليم الثانوي الفني ١٧٥% أي أكثر من (١٧) ضعفاً، وفي الثانوي العام زاد بنسبة ٦٣١% أي (٧) أضعاف، وعلى هذا الأساس تم انشاء عدد من الملكيات الخاصة بالفتيات، واقامة الجامعات الاقليمية التي التحقت بها فتيات الأسر الريفية وازداد عدد الطالبات حوالي (١١٠) مرات في حين تضاعف عدد الطلاب حوالي سبع مرات فقط (اسماعيل، دون تاريخ : ٥٤) (Ismail, Without date: 54) .

وان تشريعات الثورة لم تكتف بالعدل النسبي وحاولت تحقيق نوع من تكافؤ الفرص بين الرجال والنساء من خلال قوانين العمل التي تنص صراحة انه لا تفرقة بين الرجل والمرأة في قانون العمل، وحق المرأة المزدوج في العمل والأمومة، ولا يوجد أي نص في القانون المصري يفرق بين الجنسين في تولي الوظائف، فالقانون لم يشترط في التعيين للوظيفة سوى أن يكون المرشح لها مصرياً، ويطبق مبدأ تساوي الأجور عند تساوي الأعمال، وبالتالي تحصل الموظفات والعاملات على أجور مساوية لأجور زملائهن الرجال وأصبحت النساء يشغلن المناصب الكبرى في الادارة ويشغلن كرسي الأستاذية في الجامعات، وقد تم تعيين امرأة في منصب وزاري لأول مرة في تاريخ مصر وهي الدكتورة حكمت أبو زيد وزيرة الشؤون

الاجتماعية، كما منحت حقوقها السياسية ومنها حق التصويت والترشيح للانتخابات العامة وشغل وظائف الدولة بكل مستوياتها (اسماعيل، دون تاريخ : ٥٨) (Ismail, Without date: 58).

أما الانفتاح الاقتصادي فقد أفرز مجالاً خصباً لاستمرار قهر النساء وتبعيتها، وذلك من خلال الترويج للأغاني ذات المضمون غير المناسب وطرق أدائها من خلال تأجيج مشاعر الناس، ومن ثم انتشرت جرائم الدعارة وازداد عدد حالات البغاء، فالسياح العرب والشقق المفروشة والفنادق المنتشرة في القاهرة وانتشار الكبريهات الليلية، كل ذلك دعم من انحسار قيم العقلانية والتعليم والثقافة وبروز قيم الربح البسيط والاستهلاك، ولا نغفل هنا انتشار المخدرات بأنواعها المختلفة وعلاقتها بانتشار القيم غير السوية على نطاق واسع، وفي ضوء ذلك أصبحت المرأة وسيلة لنوع من الثراء والاستهلاك، وعلى النقيض تماماً كانت مناداة الجماعات الاسلامية التي كانت تدعو الى الحجاب والنقاب وعودة المرأة الى المنزل، وأصبح منع الاختلاط بين الجنسين جانباً رئيسياً من جوانب نضال وتوجهات الجماعات الاسلامية وأصبح في السبعينات منظر النساء المحجبات شيئاً مألوفاً .

لكن الباحث يرى في النهاية ان له رأي آخر بشأن المرأة انها ليست وسيلة للإنجاب والتمتع انما المرأة يقع عليها عاتق كبير من المسؤولية والمهمة الكبرى في التربية والانجاب والمسؤوليات الأخرى، ويجب أن نتخلص من هذه القيود المانعة من أخذ المرأة دورها في المجتمع لأنها نصف المجتمع لأنها تقع على مهام أصعب من الرجل ويجب أن نتخلص من هذا التفكير الضيق واللامنطقي الذي يعد المرأة مجرد وسيلة في المنزل والتخلص من العادات والتقاليد البالية الموروثة عن دونية المرأة في ممارسة مجالها السياسي وحقها في الارث ومساواتها مع الرجل وغيرها من الأمور الأخرى، والدليل على ذلك نجد انه في عام ١٩٥٢ كان لها دوراً كبيراً ومهماً أما في عهد الانفتاح أصبحت مقيدة بكل المعايير وهذا ليس من المنصف بحق المرأة بل وصل الحد حتى الى الصحف والمجلات حتى تؤكد تبعية المرأة وهذه الحقوق ليست بشيء من العدالة ويجب التخلص من الموروث الاجتماعي المقيد لحقوق المرأة وغير المنطقي وغير العلمي وغير المدروس بشكل جيد (أمين، ١٩٨٣ : ٢٩٤) (Amin, 1983: 294).

الخاتمة: Conclusion

١. من خلال دراستنا للجوانب الاجتماعية والثقافية كانت لها جوانب سلبية على مصر وذلك من خلال تفشي الطفيلية أي تجار السوق السوداء الذين يجهلون العمل الايجابي وانما كان عملهم سلبياً من خلال السيطرة على مقدرات البلاد وفرض اتاوات عليهم من خلال السيطرة الاقتصادية المركزية عليهم وتجزئة الاقتصاد والسيطرة على العملات الأجنبية التي تدخل البلد وتزايد غير مسبوق للاستيراد .

٢. فضلاً عن التجارة برزت والتي تعد آفة المجتمع والتي نخرته من الداخل ألا وهي تجارة المخدرات التي أثرت سلبياً نفسياً ومادياً على الشعب المصري مما أصبحت تجارة رائجة بفعل تجار أو مافيات السوق السوداء .

٣. كذلك انهيار الدولة وفسادها المصرفي من خلال بروز الرشوة مما أدى الى بروز هذه الظاهرة من خلال تقديم التسهيلات الائتمانية بين العملاء وموظفي تلك المصارف .

٤. ومن الآفات المجتمعية التي برزت ألا وهي الاختلاس والرشوة وذلك لضعف الدولة وبروز جماعات كان لها نفوذ كبير لارتباطها بالدولة مما أدى الى أن تستشري هذه الظاهرة .

٥. فضلاً عن ذلك أدى أن تصبح المرأة ذات نظرة دونية في عهد الانفتاح وذلك بفعل القوانين الاستثنائية التي وضعت آنذاك والتي كانت موروثة ولم يكن لها أي مبرر منطقي علمي مدروس وانما المرأة كيان متكامل لها الدور الكبير في ممارسة حقها الطبيعي من السياسة والميراث وغيرها .

٦. كذلك ظهور الاغتراب الذي لم يستطع العمل داخل بلده مما أدى الى السفر الى الدول النفطية وذلك لأن الدولة لم تستطع أن توفر له القوت اليومي مما أدى الى بروز هذه الظاهرة .

المصادر :

أولا : المصادر العربية :

١. ابراهيم، سعد الدين (دون تاريخ) : النظام الاجتماعي العربي، القاهرة.

٢. اسماعيل، محمد عماد الدين (دون تاريخ) : تغير اتجاهات الوالدين، القاهرة.

٣. اسماعيل، محمد عماد الدين، وآخرون (١٩٦٧): قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، القاهرة.
٤. أمين ، احمد(١٩٨٣): الانفتاح وتغير القيم، القاهرة.
٥. أمين ، جلال (١٩٨٣): نحو تفسير لازمة الاقتصاد، القاهرة.
٦. أمين، جلال (١٩٨٤): الاقتصاد والسياسة والمجتمع في عصر الانفتاح، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٧. بريل، ليفي (١٩٥٣): الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة محمد قاسم وآخرون، القاهرة.
٨. بهاء الدين، احمد (١٩٨٥): الحابل بالنابل الاقتصاد الخفي، جريدة أخبار اليوم، بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٢ .
٩. تركي، رمزي (دون تاريخ) : دراسات في أزمة مصر الاقتصادية مع استراتيجية مقترحة للاقتصاد المصري في المرحلة القادمة، مكتبة مدبولي القاهرة.
١٠. جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٤ .
١١. الجوهري، عبد الهادي (١٩٨٣): قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.
١٢. حجازي، مصطفى (دون تاريخ): التخلف الاجتماعي سيكولوجية الانسان المصري، القاهرة.
١٣. حلف الاسكان، مجلة الأهرام الاقتصادي، العدد ٦٧١، ك٢، ١٩٨١ .
١٤. حمدان، جمال (١٩٨٤) : دراسة في عبقرية المكان، عالم الكتب، القاهرة.
١٥. خليل، خليل احمد (١٩٨٢): المرأة العربية وقضايا التغيير، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت.
١٦. دياب، فوزية (١٩٦٩) : القيم والقيم الاجتماعية في جمهورية مصر العربية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية.
١٧. روية، ريمون (١٩٦٠): فلسفة القيم، ترجمة عادل العوا، القاهرة.
١٨. سعد ، احمد صادق (١٩٧٩): تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، مطابع دار الغد، بيروت.

١٩. سعيد، سامية (دون تاريخ): من يملك مصر، القاهرة.
٢٠. سلامة، محمد علي (دون تاريخ) : الانفتاح الاقتصادي وآثاره الاجتماعية على الأسرة، القاهرة.
٢١. الصادق، راوية (١٩٨٣): السباق بين الدعم والأسعار القاهرة، الأهرام الاقتصادي، العدد ٧٤٥.
٢٢. عبد الخالق، جودت (١٩٧٨): مصر في ربع قرن (١٩٥٢-١٩٧٧) أهم دلالات سياسة الانفتاح الاقتصادي بالنسبة للتحولات الهيكلية في الاقتصاد المصري، المؤتمر العلمي السنوي الثالث للاقتصاديين المصريين، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، القاهرة.
٢٣. عبد الخالق، جودت (١٩٨٣): الانفتاح الجذور الحصاد والمستقبل، القاهرة.
٢٤. عبد الفضيل، محمود (دون تاريخ) : تأملات في المسألة الاقتصادية، القاهرة.
٢٥. عبد الكريم، محمد الغريب (١٩٨٨): علم الاجتماع النظرية والمفهوم، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
٢٦. عبد الله، اسماعيل صبري (١٩٨٣): في التنمية العربية، الطبعة الثانية، دار المستقبل العربي، القاهرة.
٢٧. عبد المعطي، عبد الباسط (١٩٨٤): الهجرة النفطية والمسألة الاجتماعية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٢٨. عبد المعطي، عبد الباسط (١٩٨٦) : البحث الاجتماعي، القاهرة.
٢٩. عبروط، هنري (دون تاريخ) : الفلاحون، ترجمة محمد غلاب، القاهرة.
٣٠. العيسوي ، ابراهيم (١٩٨٤): في اصلاح ما أفسده الانفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٣١. فاضل، جمال (١٩٨٧): أدب الفساد الجميل، سلسلة كتب المواهب، القاهرة.
٣٢. فريفيل، جان (دون تاريخ): الاشتراكية والمرأة، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب.
٣٣. فهمي، علي (دون تاريخ) : القيم والقيم المضادة.
٣٤. القعيد، يوسف (١٩٨٣): شكاوى المصري الفصيح، ج١، الطبعة الأولى، القاهرة.

٣٥. مرسي ، فؤاد (١٩٧٦): هذا الانفتاح الاقتصادي، الطبعة الأولى، القاهرة.

٣٦. مصطفى، شاكر (دون تاريخ) : أزمة التطور الحضاري، القاهرة.

٣٧. المطير جاسم (دون تاريخ): الانفتاح الاقتصادي حصان الرأسمالية المريضة..

٣٨. والي، عبد الهادي محمد (١٩٨٤): الانفتاح الاقتصادي بين النظرية والتطبيق، الاسكندرية.

٣٩. وثائق وزارة التخطيط الدائرة الاقتصادية في مصر / قسم التجارة والعلاقات العربية والدولية بتاريخ ١٩٧٨/١/١٩، تقارير السفارة العراقية في القاهرة، محفوظة في دار الكتب والوثائق التصنيف /٥٢٠٢٠١ تسلسل ٨٨ .

References:

1- Abdel Karim, Muhammad Al-Gharib (1988): Theoretical and Concept Sociology, Modern University Office, Alexandria.
2- Abdel Khaleq, Jawdat (1978): Egypt in a Quarter of a Century (1952-1977) The most important indications of the economic openness policy for structural transformations in the Egyptian economy, The Third Annual Scientific Conference of Egyptian Economists, The Egyptian Society for Political Economy, Statistics and Legislation, Cairo.
3- Abdel Khaleq, Jawdat (1983): The Roots, Harvest and Future Openness, Cairo.
4- Abdel Moati, Abdel Basset (1984): Oil Migration and the Social Question, 1st Edition, Madbouly Library, Cairo..
5- Abdel-Fadil, Mahmoud (without date): Reflections on the Economic Question, Cairo.
6- Abdel-Moati, Abdel-Basit (1986): Social Research, Cairo.
7- Abdullah, Ismail Sabry (1983): In Arab Development, Second Edition, Dar Al-Mustaqbal Al-Arabi, Cairo.
8- Abrout, Henry (without history): The Farmers, translated by Muhammad Ghallab, Cairo.

9- Al-Ahram Egyptian Newspaper, dated 24/2/1986.
10- Al-Essawi, Ibrahim (1984): In reforming what was corrupted by openness, Madbouly Library, Cairo.
11- Al-Mutair Jassim (undated): Economic openness is the horse of sick capitalism.
12- Al-Qa`id, Youssef (1983): The El-Masry's Complaints, Part 1, first edition, Cairo.
13- Al-Sadiq, Rawiya (1983): The Race between Subsidies and Prices Cairo, Al-Ahram Al-Iqtisadi, Issue 745.
14- Amin, Ahmed (1983): Openness and Changing Values, Cairo.
15- Amin, Jalal (1983): Towards an Interpretation of the Economic Crisis, Cairo.
16- Amin, Jalal (1984): Economics, Politics and Society in the Era of Openness, First Edition, Madbouly Library, Cairo..
17- Bahaa Al-Din, Ahmad (1985): The Hidden Economy, the Hidden Economy, Akhbar Al-Youm Newspaper, dated 22/11/1985.
18- Brill, Levy (1953): Ethics and Ethics, translated by Muhammad Qasim and others, Cairo.
19- Diab, Fawzia (1969): Values and Social Values in the Arab Republic of Egypt, Master Thesis, Faculty of Arts, Alexandria University.
20- El-Gohary, Abdel-Hady (1983): Dictionary of Sociology, Nahdet Al-Sharq Library, Cairo.
21- Fadel, Gamal (1987): The Beautiful Literature of Corruption, Talent Book Series, Cairo.
22- Fahmy, Ali (without date): Values and Opposites.
23- Freville, Jean (without history): Socialism and Women, translated by George Tarabishi, House of Arts Publications.
24- Hamdan, Jamal (1984): A Study in the Genius of Place, The World of Books, Cairo.
25- Hegazy, Mustafa (without history): Social Backwardness, the Psychology of the Egyptian Man, Cairo.

26- Ibrahim, Saad Eddin (without date): The Arab Social System, Cairo.
27- Ismail, Muhammad Imad al-Din (without date): changing parents 'attitudes, Cairo.
28- Ismail, Muhammad Imad al-Din, and others (1967): Our social values and their impact on character formation, Cairo.
29- Khalil, Khalil Ahmad (1982): Arab Women and the Issues of Change, Second Edition, Dar Al Taleea, Beirut.
30- Morsi, Fouad (1976): This Economic Openness, First Edition, Cairo.
31- Mustafa, Shaker (without history): The Crisis of Civilizational Development, Cairo.
32- Rawiya, Raymon (1960): Philosophy of Values, translated by Adel Al-Awa, Cairo.
33- Saad, Ahmed Sadiq (1979): The Economic and Social History of Egypt, Dar Al-Ghad Press, Beirut.
34- Said, Samia (without history): Who Owns Egypt, Cairo.
35- Salama, Muhammad Ali (without history): Economic openness and its social effects on the family, Cairo.
36- The documents of the Ministry of Planning, Economic Department in Egypt / Department of Trade and Arab and International Relations, dated 01/19/1978, the reports of the Iraqi embassy in Cairo, preserved in the House of Books and Documents Classification / 520201, sequence 88
37- The Housing Pact, Al-Ahram Economic Magazine, Issue 671, January, 1981.
38- Turki, Ramzi (without history): Studies on Egypt's economic crisis with a proposed strategy for the Egyptian economy in the next phase, Madbouly Library, Cairo.
39- Wali, Abd al-Hadi Muhammad (1984): Economic openness between theory and practice, Alexandria.

ثانياً : المصادر الأجنبية :Foreign sources

1. Popenon D. Sociolog owrd Ed, prentico Hall ince. Newjersy, 1977.
2. Williams R. M. and Albert E. M. Values in tenternation Encyclopedia of Social Science N. Y. 1975.

دور علماء مدينة زنجان خلال العصر العباسي

(١٣٢ – ٦٥٦هـ)

he role of scholars of the city of Zanjan during the Abbasid era (132 - 656 A.H).

أ. م. د. علي نايف مجيد

كلية التربية الأساسية – جامعة ديالى

A.P.D. Ali Nayiff Majeed
College of Basic Education – University of Diyala
Email: ali.nayif@gmail.com

دور علماء مدينة زنجان خلال العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦هـ)

أ. م. د. علي نايف مجيد

ملخص البحث

تطرقت الدراسة الى الحياة العلمية في مدينة زنجان خلال العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦هـ) اذ برز العديد من العلماء فيها وفي مختلف صنوف العلم في علوم القرآن والحديث النبوي الشريف والتاريخ والادب والشعر فقد كان اكثر هؤلاء العلماء قم فقهاء ومحدثين ورواة وقضاة فحملوا على عاتقهم تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم في المشرق الإسلامي بصورة عامة وفي زنجان بصورة خاصة ولم يقتصروا على نشاطهم العلمي في المشرق الإسلامي فحسب فقد كانت لهم رحلات علمية الى بغداد ودمشق ومكة المكرمة ومصر وغيرها من المدن العربية وقد ساهموا بنقل العلوم المختلفة خاصة فيما يتعلق بتاريخ المشرق الإسلامي فقد وصلتنا اخبار تلك البلاد عن طريق هؤلاء العلماء بالإضافة عن طريق مصنفاتهم المختلفة ومن ابرز هؤلاء العلماء عمر بن علي بن احمد الزنجاني صاحب كتاب المعتمد وسعد بن علي بن محمد بن علي الزنجاني الحافظ الزاهد صاحب الكرامات كان الناس يرحلون اليه ويتبركون به فقد كان شيخ الحرم المكي وعبد الرحيم بن رستم الزنجاني الفقيه الشافعي الذي درس بالمدرسة المجاهدية بدمشق ومحمود بن احمد بن محمود بن بختيار مدرس النظامية والمستنصرية ببغداد ولم يقتصر دور العلماء عما ساهموه في نشر العلوم والمعارف فقد كانت لهم مساهمات في مقارعة الغزاة المحتلين بأقلامهم فقد استشهد يوسف بن إبراهيم أبو الفتح الزنجاني على يد الافرنج يوم تحرير بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ واستشهد أستاذ المستنصرية محمود بن احمد بن بختيار الزنجاني على يد المغول عند احتلالهم بغداد سنة ٦٥٦هـ.

Abstract

Summary The study touched on the scientific life in the city of Zanjan during the Abbasid era (132-656 AH), as many scholars emerged in it and in various types of science in the sciences of the Qur'an, the Prophet's hadith, history, literature and poetry. The Arabic language and the Noble Qur'an in the Islamic East in general and in Zanjan in particular, and they were not limited to their scientific

activities in the Islamic East only. Those countries are through these scholars, in addition to their various classifications, and among the most prominent of these scholars is Umar bin Ali bin Ahmed Al-Zanjani, author of the Al-Mu'tamid book, and Saad bin Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zanjani, the ascetic Hafizh, the owner of dignities. Rustam al-Zanjani, the Shafi'i jurist who studied at the Mujahidin School in Damascus, and Muhammad bin Mahmoud bin Bakhtiar, a teacher of Nizamiyya and al-Mustansiriya, in Baghdad. In spreading science and knowledge, they had contributions in fighting the occupying invaders with their feet. Yusef bin Ibrahim Abu Al-Fath Al-Zanjani was martyred at the hands of the Franks on the day of the liberation of Jerusalem in 492 AH, and the professor of Al-Mustansiriya, Mahmoud bin Ahmed bin Bakhtiar Al-Zanjani, was martyred at the hands of the Mongols when they occupied Baghdad in 656 AH .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه اجمعين.

بلغت الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ) اوج ازدهارها وتطورها في مختلف مجالات الحياة ومنها الجانب العلمي فقد ساهمت الشعوب التي دخلت للإسلام وخاصة المشرق الإسلامي ومن بينها اهالي مدينة زنجان اذ برز منهم العديد من العلماء والقضاة والمحدثين والرواة والادباء والشعراء واكثر هؤلاء العلماء كانوا فقهاء وصوفية ولهم مدارس وحلقات علمية حدثوا بها وعلموا القرآن الكريم والحديث النبوي ونشروا المذهب المالكي والشافعي في مدن المشرق الإسلامي وانتقلوا الى بغداد ودمشق ومصر ومكة المكرمة وغيرها واصبحوا مدرسين في المدرسة المجاهدية في دمشق والمدرسة النظامية والمستنصرية في بغداد وغيرها.

تم استخدام العديد من المصادر الاصلية التي تخص موضوع البحث واهمها: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) والتدوين في اخبار قزوين للقزويني (ت ٦٢٣هـ) وسير اعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ) ونرجو ان نكون قدمنا شيئا يمكن الاستفادة منه واسهامهُ في إضافة معلومة ترفد المكتبات العلمية لأجل اكمال ما هو لم تتطرق اليه الدراسات السابقة ومن الله العون والسداد.

اولاً: موقع مدينة زنجان واهميتها الجغرافية:

هو بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبنها وهي قريبة من أبهر [١] وقزوين [٢]، وقد خرج منها الكثير من العلماء والادباء ورواه ومحدثين واخباريين وعلماء حديث [٣].

ثانياً: فتح المدينة:

فتحت مدينة زنجان في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) سنة ٢٤هـ اذ أولى البراء بن عازب [٤] على الري [٥] ففتح قزوين وملكها ثم انتقل الى زنجان ففتحها عنوة [٦].

ثالثاً: علماء مدينة زنجان:

برز في مدينة زنجان العديد من العلماء وفي مختلف العلوم وهم :

١. الحسن بن علي بن محمد الهذلي الخلال، أبو علي الزنجاني، نزيل مكة، روى عن ازهر بن سعد السمان وحجاج بن منهال وابي أسامة حماد بن أسامة وغيرهم، كان ثقة حافظاً ثبتاً متقناً وعالماً بعلم الرجال، توفى بمكة سنة ٢٤٢هـ [٧].
٢. جعفر بن محمد بن أسامة، أبو القاسم الزنجاني، سمع بالعراق أبى نعيم وابى غسان وغيرهما، سمع منه احمد بن محمد بن ساكن وهارون بن محمد الثقفي وعلي بن محمد بن مهرويه بقزوين، توفى قبل سنة ٢٩٠هـ [٨].
٣. احمد بن محمد بن ساكن، أبو عبد الله الزنجاني، مشهور بالفقه والحديث وجامع بين الرواية والدراية، سمع ببغداد احمد بن المقدام ويعقوب الدورقي، وبالبصرة نصر بن علي واحمد بن عبدة الضبي وابى موسى بالكوفة إسماعيل بن موسى السدي وابى كريب، وبحلوان [٩] الحسن بن علي الخلال، وبالمدينة أبى مصعب ويحيى بن معين، وبمكة سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وبمصر يونس بن عبد الأعلى والربيع والمزني، وبالري محمد بن حميد، ورد قزوين قبل سنة ٢٩٠هـ فسمع بها إسحاق بن محمد وعلي بن محمد بن مهرويه وعلي بن إبراهيم، توفى قبل سنة ٣٠٠هـ [١٠].

٤. علي بن محمد، أبو الحسين الزنجاني الصوفي، ذكره عبد الواحد بن شاه الشيرازي في كتاب "تاريخ الصوفية" من جمعه، صحب أبى القاسم الجنيد البغدادي وابى محمد الحريري وابا العباس بن عطاء، كان له كلام مليح في التصوف، توفى بعد سنة ٣٢٠هـ [١١].

٥. محمد بن هارون الثقفي، أبو الحسين الزنجاني، سمع بالعراق بشير بن موسى وعمر بن حفص السدوسي ومحمد بن شاذان الجوهري، وبمكة من علي بن عبد العزيز، ورد قزوين وروى بها غريب الحديث لأبي عبيد عن علي بن عبد العزيز بسماعه منه سنة ٢٨٦هـ كذلك ارتحل اليه أبو سعد بن زيد المالكي واقرانه من اهل قزوين، توفى بعد سنة ٣٥٠هـ [١٢].

٦. مكي بن بندار بن مكي بن عاصم، أبو عبد الله الزنجاني، قدم بغداد وحدث بها عن أسامة بن علي بن سعيد الرازي ومحمد بن زنجويه القزويني وعرس بن فهد الموصلي ومحمد بن الحسين الزعفراني صاحب ابن ابي خيثمة وغيرهم، روى عنه أبو الحسن الدارقطني واو الحسن بم رزقويه وغيرهما، كان له عدة رحلات علمية الى الشام ومصر واصبهان [١٣]، كان يحفظ واسناده متقارب وحدث بنسخة بشر بن ابي عمرو بن العلاء عن ابيه، توفى بعد سنة ٣٦٠هـ [١٤].

٧. عبد الله بن إبراهيم بن يوسف، أبو القاسم الزنجاني ويعرف بالأبندوني، احد الرحالين في طلب العلم والحديث الى البلاد، كان رفيق ابي احمد بن عدي الحافظ، سكن بغداد وحدث عن ابي يعلى الموصلي والحسن بن سفيان وابن خزيمة وغيرهم، روى عنه البرقاني وغيره، كان ثقة ثبتاً مصنفاً، توفى سنة ٣٦٨هـ [١٥].

٨. محمد بن احمد بن جعفر الزنجاني، سمع بقزوين كتاب تعبير الرؤيا لابي حاتم بن ادريس الحنظلي وهو في جزء واحد خفيف من ابي الحسن القطان بروايته عن ابي حاتم وسمع من ابي الحسن في الطوالات يحدث عن حازم بن يحيى توفى سنة٣٩٧هـ [١٦].

٩. معروف بن محمد، أبو المشهور الزنجاني الواعظ، نزيل الري، روى عن أبي سعيد بن الاعرابي وقاسم الملطي، روى عنه البرقاني ورضوان الدينوري والعتيقي، حدث في سنة ٣٩٢هـ، توفى سنة ٤٠٠هـ [١٧].

١٠. فرج الزنجاني، الزاهد المعروف وهو من كبار الصالحين بمدينة زنجان وقد لبس خوقة السهروري واتبع طريقته الصوفية، توفى سنة ٤٥٨هـ [١٨].

١١. عمر بن علي ن احمد، أبو حفص الزنجاني الفقيه، قدم دمشق وسمع بها أبى نصر بن طلاب وحدث بها عن ابي جعفر احمد بن محمد السمناني قاضي الموصل وكان سمع منه ببغداد، روى عنه أبو علي الحسين بن احمد بن المظفر بن جريضة المالكي، كان قرأ الفقه على ابي الطيب الطبري والكلام على ابي جعفر السمناني، صنف كتابا سماه "المعتمد" وذكر الشريف أبو الحسن الهاشمي انه كان يدعي اكثر مما يحسن ويخطيء في كثير مما يسأل عنه، توفى ببغداد سنة ٤٥٩هـ [١٩] ودفن الى جانب ابن سريج [٢٠].

١٢. سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين، أبو القاسم الزنجاني، الحافظ الزاهد، طاف في البلاد ولقي الشيوخ بديار مصر والشام والسواحل وكانا إماماً حافظاً ورعاً متعبداً متقناً وصاحب كرامات، سكن في آخر عمره مكة المكرمة وجاور بها وصار شيخ الحرم، كان الناس يرحلون اليه ويتبركون به وكان إذا خرج الى الحرم يخلوا للمطاف وكان الناس يقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود [٢١].

سمع أبى بكر محمد بن عبيد الزنجاني بها وأبى عبد الله محمد بن الفضل بن مطيف الفراء وابا علي الحسين بن ميمون بن عبد الغفار الصدفي وابى القاسم مكي بن علي بنان الحمال بمصر وابى الحسن علي بن سلام بن الامام الغربي ومحمد بن ابي عبيد بزنجان وعلي بن سلامة بغزة وعبد الرحمن بن ياسر الجوبري وعبد الرحمن بن الطبيز الحلبي بدمشق، حدث عنه أبو بكر الخطيب البغدادي وهو اكبر منه وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وابن طاهر المقدسي وأبو المظفر منصور بن عبد الجبار السمعاني وهبة الله بن فاخر ومحمد بن طاهر الحافظ ومختار بن علي الاهوازي وغيرهم، توفى سنة ٤٧١هـ [٢٢].

١٣. يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن التفكري، أبو القاسم الزنجاني، الامام القدوة الزاهد المحدث المتقن، رحل وقرأ معاجم الطبراني "المعجم الكبير والمعجم الأوسط والمعجم الصغير" علي ابي نعيم الحافظ، سمع بزنجان من ابي عبد الله الحسين الفلاكي وابي علي بن بندار، وبأصبهان من ابي نعيم الحافظ، وببغداد من ابي عبد الله الصوري ومن

ابي إسحاق البرمكي، قرأ وتفقه ببغداد لما سكنها على الشيخ ابي إسحاق الشيرازي ولازمه حتى صار من كبار أصحابه وإماماً زاهداً ورعاً خاشعاً كبير القدر روى عنه أبو القاسم إسماعيل بن السمرقندي وعبد الخالق بن احمد اليوسفي وشيرويه الديلمي وغيرهم [٢٣]، وقال أبو القاسم الزنجاني "سمعت أبى علي الحسن بن علي بن بندار الزنجاني يقول: بعث هارون الرشيد (١٧٠– ١٩٣هـ) الى مالك بن انس يستحضره ليسمع منه ابناه الأمين والمأمون، فأبى عليه، وقال: ان العلم يؤتى، لا يأتي، فبعث اليه ثانياً، فقال: ابعثهما اليك يسمعان مع اصحابك فقال مالك: بشريطة انهما لا يتخطيان رقاب الناس ويجلسان حيث ينتهي بهما المجلس، فحضراه بهذا الشرط" [٢٤]. وكان يحيى بن يحيى [٢٥] يحضر المجلس فانكسر يوماً قلمه وبجنبه جالس المأمون فناوله قلماً من ذهب او من فضة من مقلمة ذهب فامتنع من قبوله، فقال له المأمون: ما اسمك؟ قال: يحيى بن يحيى النيسابوري، فقال تعرفني؟ قال: نعم، انت المأمون بن هارون الرشيد، فكتب المأمون على ظهر جزئه: ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلماً في مجلس مالك فلم يقبله [٢٦].

لما افضت الخلافة الى المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ) بعث الى عامله بنيسابور [٢٧]، وأمره ان يولي يحيى بن يحيى القضاء، فبعث اليه يستدعيه فامتنع عن الحضور، فانفذ اليه كتاب المأمون فقرئ عليه فامتنع من القضاء فرد عليه ثانياً وقال: "ان امير المؤمنين يأمرك بشيء وانت من رعيته، فتأبى عليه، فقال: قل لأمير المؤمنين: ناولتني قلماً وانا شاب فلم اقبله فتجبرني الان على القضاء وانا شيخ" فرفع الخبر الى المأمون بذلك فقال: "علمت امتناعه ولكن ولي القضاء رجلاً يختاره، فبعث اليه العامل في ذلك واختار رجلا من نيسابور فولي القضاء" [٢٨]. توفى أبو القاسم الزنجاني سنة ٤٧٣هـ [٢٩] ودفن في باب حرب [٣٠].

١٤. يوسف بن إبراهيم، أبو الفتح الزنجاني الصوفي، قدم دمشق واستجاز منه صابر [٣١] سنة ٤٨٥هـ، استشهد ابو الفتح الزنجاني على يد الافرنج يوم تحرير بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ [٣٢].

١٥. بنجير بن علي بن محمد بن عمويه، أبو الوفاء الزنجاني الهمذاني، كان صالحاً متديناً صدوقاً، روى عن ابي الفرج البجلي وعبد الحميد بن الحسن الفقاعي ومحمد بن الحسين وغيرهم من المشايخ" توفى سنة ٤٩٩هـ [٣٣].

١٦. يوسف بن علي بن محمد بن الحسين، أبو القاسم الزنجاني الشافعي، من كبار أصحاب ابي إسحاق الشيرازي [٣٤] وتفقه على يده وبرع في الفقه وفي المذهب والخلاف وكان يدرس في مسجده المعروف بدرب الدواب وسمع من ابي الحسين محمد بن علي المهتدي واحمد بن محمد بن النقور، روى عنه أبو المعمر الانصاري وأبو طاهر السلفي، توفى سنة ٥٠٠هـ [٣٥].

١٧. احمد بن محمد بن احمد بن زنجويه، أبو بكر الزنجاني الشافعي، الامام المعمر، كان اماماً في الفقه محدثاً ورعاً، قدم بغداد شاباً تفقه على القاضي أبو الطيب الطبري والقاضي ابي عبد الله الحسين بن محمد الفلاكي، سمع من ابي علي بن شاذان وسمع مسند الامام احمد من الحسين الفلاكي وسمع غريب ابي عبيد من ابن هارون التغلبي وقرأ لعلي ابن الصقر الكاتب وصارت الرحلة اليه ومدار الفتوى بزنجان اليه [٣٦].

وسمع من ابي طالب الدسكري والعلامة عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاصولي والحسن بن معروف الزنجاني صاحب ابن المقرئ سمع منه مسند ابي يعلى، حدث عنه شعبة بن ابي شكر بأصبهان والحافظ محمد بن طاهر والحافظ أبو الطاهر السفلي الذي قال عنه: "كانت الرحلة اليه لفضله وعلو اسناده" [٣٧]، توفى بعد سنة ٥٠٠هـ [٣٨].

١٨. الحسن بن علي بن عمر، أبو محمد الزنجاني الواعظ، الملقب بالقحف البغدادي، نزيل مكة وسافر الى الشام ومصر، كان كثيرا الحفظ وواعظ وقصاص ولقي الفضلاء واخذ عنهم وسمع من ابي العلاء شيئا من شعره ثم اقام ببغداد وكان يعظ في التعزي ويقص في الأسواق وكان يحفظ كثيراً من الحكايات والاناشيد، روى عنه أبو محمد بن الخشاب وأبو بكر بن كامل، وحدث بكتاب الشهاب للقضاعي عنه وحدث بكتاب ملقي السبيل لابي العلاء المعري عنه، توفى سنة ٥١٥هـ [٣٩].

١٩. جوه شير بن محمد بن عبد العزيز السهروردي، أبو الليث الزنجاني، فقيه صالح مناظر تفقه بنيسابور وحصل طرفاً صالحاً من الفقه والأصول، سمع أبا محمد عبد الله الارغياني

وابى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي وغيرهما التقى به السمعاني "ت ٥٦٢هـ" بنيسابور سنة ٥٣٠هـ وكتب عنه شيئاً يسيراً في تلك البلاد، توفى سنة ٥٤٠هـ [٤٠].

٢٠. عبد الرحيم بن رستم، أبو الفضائل الزنجاني الفقيه الشافعي، تفقه ببغداد على ابي منصور سعيد بن الرزاز وقدم دمشق سنة ٥٣٩هـ ودرس بالمجاهدية [٤١] ثم بالغزالية[٤٢]، كان فاضلاً عالماً بالمذهب والأصول وعلوم القرآن، تولى القضاء بعلبك [٤٣]، كان شديداً على المخالفين يعني الحنابلة وله شعر جيد، قتل في بعلبك سنة ٥٦٣هـ وحمل الى دمشق فدفن بها [٤٤].

٢١. عبد الصمد بن الحسين بن ابي الوفاء عبد الغفار، أبو المظفر الزنجاني، الصوفي الملقب بالبديع، قدم بغداد وتفقه بالنظامية [٤٥] على اسعد الميهني [٤٦]، حدث عن ابي القاسم بن الحصين وزاهر بن ظاهر الشحامي ومحمد بن الحسن الماوردي وغيرهم وصحب الشيخ أبى النجيب السهروردي [٤٧]، وانقطع الى العبادة والخلوة والرياضة ومواصلة الصيام والقيام حتى ظهرت عليه انوار الطاعة وظهر له القبول من الناس وصار ممن يشار اليه بالزهد والعبادة ويقصد الناس للتبرك به واتخذ من موت الشيخ ابي النجيب السهروردي رباطً وكان يعقد به مجلس الوعظ ويحضره الناس وحدث به، روى عنه: الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن محمد الحازمي الهمذاني وعبد الله بن ابي طاهر الزينبي وغيرهم، توفى سنة ٥٨١هـ [٤٨].

٢٢. فضل الله بن سرهنك بن علي، أبو المحاسن الزنجاني الصوفي، شيخ معمر مقدم بين اهل الطريقة الصوفية بعلو الخرفة وكثرة المجاهدات وحسن الكلام وورد قزوين زائراً وسمع أبى الحسن محمد بن حاتم بطوس [٤٩] سنة ٥١٤هـ، توفى سنة ٥٩٦هـ [٥٠].

٢٣. منصور بن الحسن بن منصور، أبو المكارم الزنجاني الشافعي، نزيل بغداد ومعيد النظامية ومدرس المدرسة الثقتية [٥١] كان بها امام مناظر ويعد حلقات علمية فيها، توفى سنة ٥٩٧هـ [٥٢].

٢٤. احمد بن ابي النجم بن نبهان بن محمد، أبو سالم الزنجاني القاضي والشيخ المعمر، أجاز له الشيخ أبو بكر احمد بن محمد الزنجري في سنة ٥٥١هـ، حدث ببغداد ومكة، توفى سنة ٥٩٩هـ [٥٣].

٢٥. عتيق بن بدل بن هلال بن حيدر، أبو بكر الزنجاني المكي، سمع ببغداد من ابي الفتح بن البطي وابي بكر بن النقور وغيرهم، وبزنجان من ابي حنيفة عمر بن احمد الخطيبي وغيره، وبهمذان من الحافظ ابي العلاء العطار، حدث بمكة، توفي سنة ٦١٨هـ [٥٤].

٢٦. محمد بن الفضل، أبو عبد الرحمن الزنجاني الشاعر، له من الشعر:

قسما بأيام الصفا ووصالكم والجمع في جمع وذاك الملتزم

ما اخترت بعدكم بديلاً لا ولا نادمت بعد فراقكم الا الندم

توفى سنة ٦٢٠هـ [٥٥].

٢٧. هندولة بن خليفة، أبو القاسم الزنجاني الصوفي، شيخ صالح نزل دمشق، حدث عن ابي الفتح شاتيل ويحيى الثقفي، توفى سنة ٦٢٥هـ [٥٦].

٢٨. مكرم بن مسعود بن حماد بن عبد الغفار بن سعادة بن معقل بن عبد الحميد بن احمد بن محمد بن قاضي القضاة احمد بن ابي داود، أبو الغنائم الزنجاني القاضي الشافعي، ولي القضاء ببلاد الروم وقدم مصر وحدث عن عبد المنعم الفرواي وغيره، روى عنه الزكي المنذري وغيره، توفى سنة ٦٣١هـ [٥٧].

٢٩. محمد بن احمد بن عبد الرحمن الامام سيف الدين، أبو المحامد الزنجاني، شيخ جليل حدث بـ "اكرام الضيف" للحربي عن ابي جعفر الصيدلاني [٥٨]، بحلب [٥٩]، سمع منه عبد الله بن احمد التاذفي وعباس بن بزوان وفتح الدين ابن القيسراني وغيرهم، توفى سنة ٦٤٠هـ [٦٠].

٣٠. محمود بن احمد بن محمود بن بختيار، أبو المناقب الزنجاني، نفقه وبرع في المذهب والأصول والخلاف وبعد صيته ودرس بالنظامية وبالمستنصرية [٦١] وبالمدرسة الثقتية، صنف تفسير القرآن الكريم واشتغل في العلوم وافتى وولي قضاء القضاة مرة ثم عزل وكان من بحور العلم، سمع الحديث من عبيد الله بن محمد الشاذلي، استشهد على يد المغول التتار بعد احتلالهم بغداد سنة ٦٥٦هـ [٦٢].

٣١. محمد بن إبراهيم بن ابي منصور، أبو عبد الله الزنجاني، الدمشقي الصوفي، حدث عن حنبل المكبر وابن طبرزد وغيرهم، روى عنه الدمياطي وغيره، توفى سنة ٦٥٦هـ [٦٣].

٣٢. احمد بن عمر بن محمد بن كاكا، أبو العباس الزنجاني الدمشقي، حدث عن حنبل المكبر وغيره، توفى سنة ٦٦٨هـ [٦٤].

٣٣. محمود بن عبيد الله بن احمد، أبو المجاهد، ظهير الدين الزنجاني الصوفي الفقيه الشافعي، نزيل دمشق، كان من ادعياء الصوفية وأكابرهم وعنده فضيلة وافتى على مذهب الامام الشافعي، كان امام المدرسة التقوية بدمشق واكثر نهاره بها، سمع الكثير وحدث واشتغل عليه جماعة، صحب الشيخ شهاب الدين السهروردي [٦٥]، وسمع عليه عوارف المعارف وغير ذلك وحدث به وسمع من عبد السلام الداهري وبدل التبريزي وابي المعالي صاعد وصنف تصانيف كثيرة منها الرسالة المنقذة من الجمر في الحاق الانبذة بالخمر، توفى سنة ٦٧٤هـ [٦٦].

٣٤. إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم، العلامة شرف الدين البكري الزنجاني، قدم بغداد حاجاً، صنف كتاباً على طريقة "جامع الأصول" وحدث بمراغة [٦٧] وتبريز [٦٨] بكتاب "الانوار اللمعة في الجمع بين الصحاح السبعة" للساوي [٦٩]، سمع منه الصاحب شمس الدين الجويني وغيره، توفى بشيراز سنة ٦٨٣هـ [٧٠].

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث تم التوصل الى جملة من النتائج وأهمها:

١. تطرقت الدراسة الى جانب مهم من جوانب الحياة العامة خلال العصر العباسي الا وهو الجانب العلمي في مدينة زنجان.
٢. من الشخصيات البارزة من علماء زنجان هو احمد بن محمد بن ساكن الزنجاني مشهور بالفقه والحديث وجمع بين الرواية والدراية.
٣. اكثر علماء زنجان قد رحلوا الى عاصمة الخلافة العباسية (بغداد) ليحصلوا على العلم والمعرفة وقد برع اكثرهم في تحصيل هذه العلوم واصبح منهم مدرسين في

المدرسة النظامية والمستنصرية كمنصور بن الحسن بن منصور الزنجاني (ت ٥٩٧هـ)، ومحمود بن احمد بن محمود بن بختيار (ت ٦٥٦هـ).

٤. كما وساهم بعض علماء زنجان في مقاومة الاحتلال الافرنجي على بيت المقدس فقد شارك يوسف بن إبراهيم أبو الفتح الزنجاني الصوفي في تحرير بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ واستشهد في المعركة كما استشهد مدرس المستنصرية والثقتية محمود بن احمد بن محمود بن بختيار الزنجاني في الدفاع عن بغداد من الغزو المغولي سنة ٦٥٦هـ.

٥. قام عماء مدينة زنجان بمساهمة علمية فاعلة ليس في مدينة زنجان فحسب بل بكافة المدن التي رحلوا اليها فقد صنفوا الكتب ورووا وحدثوا ودرسوا في المدارس المختلفة في بغداد ودمشق ومصر وكذلك كانوا يدرسون تلاميذهم في المساجد والحلقات العلمية وفي بيوتهم.

الهوامش

١. ابهر: هي مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل. ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ظ٢، دار صادر، (بيروت – ١٩٩٥)، ج١، ص٨٢؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي (ت ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، (بيروت – ١٩٩١)، ج١، ص٢١.

٢. قزوين: هي مدينة مشهورة بينها وبين الري سبع وعشرون فرسخا والى ابهر اثنى عشر فرسخاً بينها وبين بلاد الايلم جبل، اول من استحدثها الملك الساساني سابور ذو الاكتاف. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٢، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٨٩.

٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٢؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ). آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت – د.ت)، ص٢٨٧؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٧١.

٤. البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث الانصاري الاوسي، يكنى أبا عمرو وقيل أبا عمارة، رده رسول الله عن بدر بسبب صغره، غزا مع رسول الله

(ص) أربع عشرة غزوة، وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ صلحاً، شهد غزوة – مع ابي موسى الاشعري وشهد البراء مع الامام علي بن ابي طالب (علي السلام) موقعة الجمل وصفين والنهروان هو واخوه عبيد بن عازب، نزل الكوفة وابتنى داراً، توفى في أيام مصعب بن الزبير. ينظر: ابي الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن ابي المكارم محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٤)، ج١، ص٣٦٢.

٥. الري: هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد واعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبل بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا والى قزوين سبعة وعشرون فرسخا ومن قزوين الى ابهر اثنى عشر فرسخا ومن ابهر الى زنجان خمسة عشر فرسخا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١١٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٥١.

٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ٢١٥٢.

٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٨٢)، ص٢٣٢.

٨. أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن احمد بن إبراهيم القزويني (ت ٤٦٦هـ)، الارشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر ادريس، ط١، مكتبة الرشد، (الرياض – ١٩٨٨)، ج٢، ص٧٧٧.

٩. حلوان: هي مدينة تقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٠؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٤١٨.

١٠. ابن ابي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس التميمي (ت ٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت – ١٩٥٢)، ج٢، ص٧٤–٧٥؛ الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن احمد البغدادي (ت٣٨٥هـ)، المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت – ١٩٨٦)، ج٣، ص١٤١٩؛ أبو يعلى الخليلي، الارشاد في معرفة علماء الحديث، ج٢، ص٧٧٧؛ ابن ماكولا، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ)، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والانساب، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٠)، ج٤، ص٢٢٩؛ القزويني، أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت ٦٢٣هـ)، التدوين في اخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، (بيروت – ١٩٨٧)، ج١، ص٣٢؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف،

ط١، دار الغرب الإسلامي، (د.م – ٢٠٠٣)، ج٦، ص٨٩٧؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ)، طبقات الشافعيين، تحقيق: احمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م – ١٩٩٣)، ص١٦٨.

١١. الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت – ٢٠٠٢)، ج١٩، ص٨٩–٩٠.

١٢. أبو يعلى الخليلي، الارشاد في معرفة علماء الحديث، ج٢، ص٧٧٨؛ القزويني، التدوين في اخبار قزوين، ج٢، ص٤٢.

١٣. اصبهان: هي مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن واعيانها وهي من نواحي الجبل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٠٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٨٧.

١٤. أبو يعلى الخليلي، الارشاد في معرفة علماء الحديث، ج٢، ص٧٧٩.

١٥. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٢)، ج١٤، ص٢٦٥.

١٦. القزويني، التدوين في اخبار قزوين، ج١، ص١٧٥.

١٧. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م – ١٩٩٥)، ج٥٩، ص٣٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٨٣٧.

١٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص١٠٠.

١٩. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢٠، ص٧٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٢٩٨؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق – ١٩٨٤)، ج١٩، ص١٣٦–١٣٧؛ السبكي، اتج الدين بن عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م – ١٩٩٢)، ج٥، ص٣٠٢.

٢٠. ابن سريج، هو أبو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادي، شيخ الإسلام، فقيه العراقيين، القاضي لشافعي صاحب المصنفات، سمع من الحسن بن محمد الزعفراني وعلي بن اشكاب واحمد بن منصور الرمادي وغيرهم، حدث عنه أبو القاسم الطبراني وحسان بن محمد الفقيه وأبو احمد بن الغطريف الجرجاني وغيرهم، ولي القضاء بشيراز، توفى سنة ٣٠٠هـ. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة – ٢٠٠٦)، ج١، ص١٢٣.

٢١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٠١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٢.

٢٢. ابن ماكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج٤، ص٢٢٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٠١، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٤٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٢٧؛ تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٢٤٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص١١٢؛ اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٧)، ج٣، ص٧٧–٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، (د.م – ١٩٨٨)، ج١٢، ص١٤٦؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، (دمشق – ١٩٨٦)، ج٥، ص٣٠٧–٣٠٨.

٢٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢١٨–٢١٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت – ١٩٩٧)، ج٨، ص٢٧٧؛ سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات، ط١، دار الرسالة العالمية، (دمشق – ٢٠١٣)، ج١٩، ص٣٤٤؛ الذهبي، سير الاعلام النبلاء، ج١٤، ص٦٣؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٦٠.

٢٤. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٧٠.

٢٥. يحيى بن يحيى: أبو بكر بن عبد الرحمن، أبو زكريا التميمي النيسابوري، شيخ الإسلام الحافظ كتب بنيسابور والحجاز والعراق والشام ومصر، روى عن كثير بن سليم وعبد الله بن جعفر المخرمي ويزيد بن المقدام وغيرهم، روى عنه البخاري ومسلم وحميد بن زنجوبة وغيرهم، توفى سنة ٢٢٦هـ. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٨، ص٥١٢–٥١٣.

٢٦. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٧٠.

٢٧. نيسابور: هي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة بينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٤١١.

٢٨. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٧١.

٢٩. ابن نقطة الحنبلي، أبو بكر معين الدين محمد عبد الغني بن ابي بكر (ت٦٢٩هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٨٨)، ص٤٩٢؛ اكمال الاكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، ط١، جامعة ام القرى، (مكة

المكرمة – ١٩٨٩)، ج٢، ص٧٥٣؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٧١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٦٠؛ سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٦٣.

٣٠. باب حرب: هي مقبرة منسوبة الى محلة الحربية المشهورة في بغداد، مدفون فيها بشر الحافي واحمد بن حنبل وغيرهما. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٧.

٣١. ابن صابر: أبو محمد عبد الرحمن بن احمد بن علي بن صابر السلمي الدمشقي، ثقة سمع أبى القاسم بن ابي العلاء المصيصي وابى عبد الله بن ابي الحديد وغيرهما، روى عنه السلفي وابن عساكر وأبو المعالي عبد الله بن صابر، توفى سنة ٥١١هـ. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٢٠.

٣٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢١٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٧٣٢.

٣٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨١٣.

٣٤. أبو إسحاق الشيرازي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، الفيروزابادي الملقب جمال الدين، سكن بغداد وتفقه على جماعة من الاعيان منهم أبو احمد عبد الوهاب بن محمد بن امين وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو القاسم منصور بن عمر الكرخي وغيرهم، صحب القاضي بن الطيب الطبري كثيراً وانتفع به، صار امام وقته ببغداد، صنف تصانيف مفيدة منها: المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه واللمع وشرحها في أصول الفقه والتبصرة والمعونة وغيرها، توفى ببغداد سنة ٤٧٦هـ. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت – ١٩٩٤)، ج١، ص٢٩-٣٠.

٣٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص١١٥.

٣٦. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٠؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر احمد بن محمد بن عمر الاسدي (ت ٨٥١هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، (بيروت – ١٩٨٦)، ج١، ص٢٦١.

٣٧. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص٤٧؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص٤٩٨.

٣٨. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٠؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨٢٣؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص٤٩٨؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ص٢٦١.

٣٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١١، ص٢٣٥؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٦٣)، ج١، ص٥٠٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٩٢؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد

(ت ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت –١٩٧١)، ج٢، ص٢٢٧–٢٢٨.

٤٠. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ)، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط١، رئاسة ديوان الأوقاف، (بغداد – ١٩٧٥)، ج١، ص١٧٢–١٧٣؛ المنتحب من معجم شيوخ السمعاني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، دار عالم الكتب، (الرياض – ١٩٩٦)، ص٥٦٤–٥٦٥.

٤١. المجاهدية: هي المدرسة التي تقع بالقرب من النورية بمدشق. ينظر: اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، (القاهرة – ١٩٩٢)، ج٤، ص١٩٦.

٤٢. الغزالية: ويقصد بها الزاوية الغزالية التي يدرس بها بجامع دمشق. ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٩٦.

٤٣. بعلبك: مدينة قديمة فيها ابنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور بينها وبين دمشق ثلاث أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٠٨.

٤٤. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٤٢–١٤٣؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص١٥٨–١٥٩؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص٦٦١؛ النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٠)، ص٣٠٧.

٤٥. النظامية: هي المدرسة التي بناها الوزير السلجوقي نظام الملك ببغداد سنة ٤٥٩هـ. ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت – د.ت)، ج٢، ص٣٠٩.

٤٦. اسعد الميهني: هو أبو الفتح مجد الدين اسعد بن ابي نصر بن الفضل القرشي العمري، صاحب التعليقة البديعة، تفقه بمرو وسار الى غزنة وشاع فضله وتخرج به الكبار ثم قدم بغداد ودرس بالنظامية سنة ٥٠٧هـ ثم عزل بعد ست سنين ثم وليها سنة ٥١٧هـ ونشر العلم، تفقه على العلامة ابي المظفر السمعاني والموفق الهروي وسمع من إسماعيل بن الحسن الفرائضي، توفى بهمذان سنة ٥٢٧هـ. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٤، ص٤٢٧.

٤٧. أبو النجيب السهروردي: هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه بن سعد بن الحسن بن القاسم بن علقمة بن معاذ بن الفقيه، القرشي التيمي البكري الشافعي الصوفي الواعظ، الشيخ الامام العالم المفتي الزاهد العابد القدوة شيخ مشايخ ببغداد، ولد بسهرورد في سنة ٤٩٠هـ، قدم

بغداد سنة ٥١٠هـ فسمع من ابي علي بن نبهان كتاب غريب الحديث وسمع زاهر الشحامي وابي بكر الانصاري وغيرهما، حصل الأصول وكان يعظ الناس في مدرسته وولي تدريس النظامية وصار أئمة الشافعية وعلم من اعلام الصوفية، حدث عنه السمعاني وابن سكينة وأبو نصر ابن الشيرازي وغيرهم، توفى سنة ٥٦٣هـ.ينظر: السبكي , طبقات الشافعية الكبرى , ج٧ , ص١٧٤.

٤٨. ابن نقطة الحنبلي، التقييد، ص٣٨٠؛ اكمال الاكمال، ج١، ص٢٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٧٣٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٦٩؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص١٧٠.

٤٩. طوس: هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لأحدهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما اكثر من ألف قرية فتحت في عهد الخليفة عثمان بن عثمان (رضي الله عنه) وبها قبر الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وبها ايضاً قبر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٩٧.

٥٠. القزويني، التدويني في اخبار قزوين، ج٤، ص٣٦.

٥١. المدرسة الثقتية: هي المدرسة التي بناها علي بن محمد ثقة الدولة بن الدريني البغدادي في بغداد. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢٠، ٤٦١.

٥٢. السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٣٠٤؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص٧٦٣.

٥٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص١١٦٤.

٥٤. ابن نقطة الحنبلي، اكمال الاكمال، ج٤، ص١٢٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٥٤٩.

٥٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٦٢٧.

٥٦. المصدر نفسه، ج١٣، ص٨٠٦.

٥٧. المصدر نفسه، ج١٤، ص٦٠.

٥٨. أبو جعفر الصيدلاني، هو محمد بن احمد بن نصر بن ابي الفتح حسين بن محمد بن خالويه الاصبهاني، سبط حسين بن مندة، سمع من فاطمة بنت عبد الله "المعجم الأكبر" للطبراني بكماله وهو ابن احدى عشر سنة روى عنه الشيخ الضياء فأكثر وبالغ ومحمد بن عمر العثماني وعبد الله بن الحافظ ومحمد بن احمد الزنجاني وغيرهم ويعد أبو جعفر الصيدلاني من اقران ابن عطاء وصحب ابي سعيد الخراز وكان أستاذ ابن الاعرابي، جاور بمكة سنين، توفى في مصر سنة ٦٠٣هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٦، ص٥٩٨؛ الذهبي، سير علام النبلاء، ج١٦، ص١٤.

٥٩. حلب: هي مدينة مشهورة بالشام واسعة كثيرة الخيرات وهي قصبة جند قنسرين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٤١٧.

٦٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٣٢٦.

٦١. المستنصرية: هي المدرسة التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ – ٦٤٠هـ) ببغداد سنة ٦٣١هـ ونقل اليها الكتب وهي ومائة وستون حملاً وعدد فقهائها (٢٤٨) فقيها من المذاهب الأربعة. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٦، ص٦.

٦٢. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٧٧؛ تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٨٤٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ص٣٦٨؛ ابن كثير , طبقات الشافعيين، ص٨٧٨؛ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد ابن ايدمر العلائي القاهري (ت ٨٠٩هـ)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق: سمير طبارة، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٩٩)، ص٢٥٢؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٢٦؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (القاهرة – د.ت)، ج٥، ص٦.

٦٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٨٣٧.

٦٤. المصدر نفسه، ج١٥، ص١٥٣.

٦٥. شهاب الدين السهروردي، أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعد بن حسين بن القاسم، الشيخ العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام واوحد الصوفية، قدم من سهرورد الى بغداد وهو شاب فصحب عمه الشيخ ابن النجيب السهروردي ولازمه واخذ عنه الفقه والوعظ والتصوف، سمع من هبة الله بن احمد الشبلي وابي الفتح البطي وابي زرعة المقدسي وغيرهم، حدث عنه ابن نقطة وابن الدبيثي وابن انجار وغيرهم، توفى سنة ٦٣٢هـ. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٧٠-٢٧١.

٦٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٢٨؛ العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٣٣٠؛ معجم الشيوخ الكبير، ط١، مكتبة الصديق، (الطائف – ١٩٨٨)، ج٢، ص٣٣١؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ص٣٧٠-٣٧١.

٦٧. مراغة: وهي بلدة مشهورة عظيمة اشهر بلاد أذربيجان وكانت قصبتها، بها آثار ومدارس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٩٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٥٠.

٦٨. تبريز: هي اشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسناء ذات اسوار محكمة بالآجر والجص فيها انهار جارية وبساتين من الفواكه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٥٢.

٦٩. الساوي: هو شمس الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الحسين بن الحسن بن احمد، الشيخ المسند الصالح الدمشقي المولج، سكن في مصر، الصوفي، سمع من ابي طاهر السلفي وعبد الله بن بري وهبة الله البوصيري وغيرهم، حدث عنه أبو محمد الدمياطي وأبو الفتح بن القيسراني وشرف الدين حسن ابن الصيرفي وغيرهم، توفى سنة ٦٤٧هـ. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ٤١٢.

٧٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٤٩٣.

قائمة المصادر

❖ ابن الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن ابي المكارم محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ).

١- اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٤)

٢- الكامل في التاريخ ,تحقيق :عمر عبدالسلام تدمري ط١,دار الكتاب العربي (بيروت-١٩٩٩)

❖ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤هـ)،

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (القاهرة_ د. ت).

❖ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٢).

❖ بن ابي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس التميمي (ت ٣٢٧هـ).

٥- الجرح والتعديل، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت – ١٩٥٢).

❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت ٨٥٢هـ).

٦- لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت -١٩٧١)

❖ الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد (ت ٤٦٣هـ)

٧- تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت – ٢٠٠٢

❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي (ت ٦٨١هـ)

٨- وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت – ١٩٩٤)

❖ الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن احمد البغدادي (ت٣٨٥هـ)

٩- المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، دار الغب الإسلامي، (بيروت – ١٩٨٦)

❖ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد ابن ايدمر العلائي القاهري (ت ٨٠٩هـ)،

١٠- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق: سمير طبارة، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٩)

❖ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)،

١١- تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الاعلام تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ط٢,دار الكتاب العربي (بيروت ١٩٩٣)

١٢- سير اعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة – ٢٠٠٦

١٣- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت – د.ت)،

١٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٦٣)

❖ سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ)،

١٥- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات، ط١، دار الرسالة العالمية، (دمشق – ٢٠١٣)

❖ السبكي، تاج الدين بن عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)

١٦- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م – ١٩٩٢)

❖ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ)

١٧- التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط١، رئاسة ديوان الأوقاف، (بغداد – ١٩٧٥
١٨- المنتحب من معجم شيوخ السمعاني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، دار عالم الكتب، (الرياض – ١٩٩٦).
❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)
١٩- طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٨٢)
❖ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل القطيمي البغدادي (ت ٧٣٩هـ)
٢٠- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، (بيروت – ١٩٩١).
❖ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)
٢١- تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م – ١٩٩٥).
❖ ابن قاضي شهبة، أبو بكر احمد بن محمد بن عمر الاسدي (ت ٨٥١هـ).
٢٢- طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، (بيروت – ١٩٨٦)
❖ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ).
٢٣- آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت – د.ت)
❖ القزويني، أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت ٦٢٣هـ)
٢٤- التدوين في اخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، (بيروت – ١٩٨٧)
❖ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي (ت ٧٧٤هـ)
٢٥- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، (د.م – ١٩٨٨)
٢٦- طبقات الشافعيين، تحقيق: احمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م – ١٩٩٣).
❖ ابن ماكولا، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ)
٢٧- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى

والانساب، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٠).

❖ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)

٢٨- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق – ١٩٨٤)

❖ النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ)

٢٩- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٩٠)

❖ ابن نقطة الحنبلي، أبو بكر الدين محمد عبد الغني بن ابي بكر (ت٦٢٩هـ)

٣٠- اكمال الاكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، ط١، جامعة ام القرى، (مكة المكرمة – ١٩٨٩)

٣١- التفسير لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٩٨٨)

❖ ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)

٣٢- معجم البلدان، ظ٢، دار صادر، (بيروت – ١٩٩٥)

❖ أبو يعلي الخليلي، خليل بن عبد الله بن احمد بن إبراهيم القزويني (ت ٤٦٦هـ)

٣٣- الارشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر ادريس، ط١، مكتبة الرشد، (الرياض – ١٩٨٨).

❖ أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)

٣٤- ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، (القاهرة – ١٩٩٢)

منهج المقريزي في كتابه " الإلمام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام

أ. م. د.وسن إبراهيم حسين

كلية التربية للعلوم الإنسانية

ابن رشد/ قسم التاريخ

Dr.Wasan 76@gmail.com

منهج المقريزي في كتابه " الإلمام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام "

أ. م. د.وسن إبراهيم حسين

الملخص:

تأتي أهمية كتاب المقريزي الإلمام انه قدم معلومات عن منطقة شرق افريقيا، وتظهر أهمية الكتاب كونه يعرض وصفاً لملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن معلومات عن الموقع والمناخ قدمها بعقلية الجغرافي . إذ اعتمد على رحالة سابقين كما اعتمد على الروايات السمعية من الذين زاروا هذه البلاد، نقل المقريزي رواياته بامانة علمية من خلال تحريه عن ناقلين الرواية وتحليلها.

الكلمات المفتاحية :

المقريزي، الإلمام، الحبشة Al-Maqrizi, Forefathers,Ethiopia

Approach Al-Maqrizi in his book " Knowledge news from the land of Abysslnia from the kings of Islam ".

A.M.D. Wasan Ibrahim Husein
College of Education/ Ibn Rushd
Department of History

The importance of the Familiar Maqrizi book comes, he provided in formation on the East African region, It shows the importance of the book by Providing adescription of the Features of Political, ecomonic and Social life, In addition to location and climate in formation he provided with ageographic mindset, And he relied on the audio accounts of those who uisited this country, Al.Maqrizi transmitted his novels with Scientific integrity through his investigation of the Transmissiom of the novel and analyzing the novel.

Key words:
Al.Maqrizi, Getting acquainted, Ethiopia.

المقدمة :

شهدت بلاد الحبشة قيام علاقات بينها وبين الدول الإسلامية وكانت على عده صور واشكال وللإسلام اثره في تنمية هذه العلاقات واعطائها الصيغة الإسلامية مما كان له اثر

في ظهور ثقافه اسلاميه فظهر علماء اهتموا بهذه البلاد وكتبوا عن تاريخها وجغرافيتها وكذلك جغرافيون مسلمون كتبوا عنها امثال الإدريسي (ت ٥٥٩ هـ/ ١١٦٦م) والعمري (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م) وابن سعيد (ت ٦١٠ هـ/ ١٢٨٦م) وغيرهم ويعتبر المقريزي من اهم المؤرخين الذين كتبوا عن هذه البلاد في مؤلفه " الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام " وتكمن أهميه الكتاب كونه محاوله للكشف عن تاريخ منطقه مهمله من حيث الكتابات والمؤلفات مقارنة بكتابات تاريخ المشرق فكان ظهور كتاب الالمام للمقريزي محاوله لإيجاد تقارب بين الافارقه والعرب من حيث قدم فيه معلومات عن منطقه غاليه على نفوس المسلمين فوصف ملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

حياة المقريزي:

هو تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد المقريزي. الشيخ الإمام البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين والمصري المولد والدار الوفاة (ابن تغري بردي، ١٩٥٦، ج١، ص ٤١٥؛ ابن الحنبلي، ١٩٨٦، ج٩، ص ٢٦٧) (Ibn Taghra Barada, 1956, P.1, P.415; Abn Al-Hanbali, 1986, P.9, P.267) و لد سنه ٧١٦ هـ/ ١٣٦٥م في القاهرة (ابن تغري بردي، ١٩٥٦، ج١، ص ٤١٥) (Ipn Taghra Barada, 1956, S1, P.415).

اسرة المقريزي من الشام مشهورة بالعلم والصلاح فجده لأبيه كان روأيا للحديث وتولى دار الحديث البهائية في دمشق (ابن حجر العسقلاني، ١٩٥٤، ج٣، ص ٣٩) (Ibn Hajar Al-Asqalani, 1954, S3, P.39) اما جدة لامه (ابى الصائغ الحنفي)[*] تولى

[*] ابن الصائغ الحنفي: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن ابي الحسن الزمردي المعروف بشمس الدين ابن الصائغ ، سمع الحديث بمصر والشام، برع ، ودَّرس وأفاد، وصنف، فجاد له في النحو عدة مجلدات توفي سنة ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٥م. ينظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في تاريخ من غبر، تح: عبد القادر ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ١٩٨٦، ج٦، ص ٢٤٨.

دار العدل وتدريس الفقه الحنفي في الجامع الطولوني اما والد المقريزي تولى كتابه الإنشاء والحساب.

حفظ المقريزي القران الكريم وتتلمذ في الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب والتاريخ على يد عدد كبير من العلماء (السخاوي،لا.ت، ج٢، ص٢٢-٢٣؛ كمال الدين، ١٩٩٢، ص١٧١-١٧٢) (Gritty, N.D., P.2; Kamal Al-Deen, 1992, P.171-172). التحق المقريزي بالعديد من الوظائف نتيجة خبرته العلمية فعمل في بداية حياته في ديوان الانشاء وهي مهنة تحتاج الى طول باع في التعليم وله تفوق في الأدب والتاريخ (زيادة، ١٩٧١، ص١٥) (ziada, 1971, P.15)، وعين قاضيا وأماما في جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي وعندما جاء إلى القاهرة سنة (٧٨٤هـ/١٢٨٢م) عقد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) حلقاته الدراسية فطرح ارائه وافكاره حول التاريخ وتأثر المقريزي بآراء ابن خلدون ووصفه بانه استاذه (المقريزي، ١٩٩٧، ص ٣٢٢) (Al.Maqrizi, 1997, P.322)، وعين مدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية[*]، وعمل محتسبا من قبل السلطان برقوق[**]في القاهرة ، واعانته هذه الوظيفة في كتاباته التاريخية وتنحى عن هذه المهنة مرتين لان هذه الوظيفة شغلته عن الكتابة فعاد الى التدريس مرة اخرى عينه السلطان برقوق مدرسا في المدرستين الاقبالية[***]

---

[*] المدرسة المؤيدية: وهي من اهم مدارس العصر المملوكي انتهت عمارتها سنة (٨١٩ هـ/ ١٤١٦م) وبلغت النفقة عليها اربعين الف، رتب فيها درساً للحديث واخر للفقه. ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٦٧، ج٢، ص ٢٧٢.

[**] السلطان برقوق: هو برقوق بن انس بن عبد الله الشركسي انشأ دولة المماليك البرجية الشركسية في مصر التي استمرت حتى عام (٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م) قام بالعديد من الإصلاحات الداخلية منها ابطال المكوس وانشأ الجسور واصلح خزائن السلاح. عبد الحافظ، عبد الله عطية، معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك في مصر والشام، دار النيل، لا.ت، ص ٢٣٤.

[***] تقع داخل باب الفرج وباب الفراديس انشأها جمال الدولة احد خدام الملك صلاح الدين واوقف الوقوف للإقبالتين الحنفية والشافعية وكانت دارين فجعلها مدرستين. النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت

والأشرفية[*] بدمشق وعرض عليه قضاء دمشق الا انه رفض (ابن تغري بردي، ١٩٥٦، ج١، ص ٤١٧) (Ibn Taghra Barada, 1956, S1, P.417) فعاد الى القاهرة بعد ان بقى مدة عشرة سنوات في دمشق فتفرغ للعلم ، ثم ترك القاهرة إلى مكة لغرض الحج سنة (٨٣٤ هـ/ ١٤٣١م) واقام مجاورا بمكة خمس سنوات عمل مدرسا للحديث وقام بتأليف الرسائل الصغيرة مثل "كلام عن بناء الكعبة بيت الله الحرام " وكتاب " التبر المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك " ، وكتاب "وصف حضرموت العجيبة "(زيادة، ١٩٧١، ص ١٥) (Ziada, 1971, P.15) ثم عاد الى القاهرة وسكن في حارته (حارة برجوان) واضحت داره ندوة للعلم ومقصد الطلاب والعلماء، حتى وافاته المنية سنة ٨٤٥ هـ/١٤٤٦م ودفن بمقبرة الصوفية (ابن تغري بردي، ١٩٥٦، ص٤٢٠؛ العجمي، لا.ت، ص ٢٦٨؛ السيوطي، ١٩٦٧، ج١، ص٥٥٧) (Ibn Taghra Barada, 1956, P.420; Al-Ajmi, N.D., P.268; Al-Suyuti, 1967, P.1, P.557).

ومن مؤلفات المقريزي:

" النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم "،"الذهب المسبوك "،" الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك العرب "، "اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفأ"،، " المقفى الكبير" ، "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار" وكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك " ، وكتاب " واغاثة الأمة بكشف الغمة " وكتاب " امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والأموال والحقدة والمتاع والأمير الزاهد إبراهيم بن ادم " وكتاب " تاريخ الأقباط المعروف بالقول الابريزي للعلامة المقريزي " وغيرها من الكتب. (ابن تغري بردي، ١٩٥٦، ص ٤١٨-٤١٩؛ السخاوي، لا.ت، ج٢، ص ٢٢؛ السيطوطي، ١٩٨٦، ج١، ص ٥٥٧) (Ibn Taghra Barada, 1956, P.418; Gritty, N.D., P.2, P.22; Al-Suyuti, 1967, P.1, P.557).

---

٩٢٧ هـ/ ١٥٢٢م)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص١١٨-١١٩.

[*] الاشرافية وهي دار الحديث جوار باب القلعة الشرقي غربي العصرونية بناها الملك الاشراف مظفر موسى بن العادل فتحت سنة ٦٣٠ هـ. النعيمي، الدارس، ج١، ص١٥-١٦.

ثانياً: منهج المقريزي في كتاب الإلمام :

تأتي اهمية الكتاب انه تحدث عن منطقة مهمة على نفوس المسلمين هي بلام الحبشة (شرق إفريقيا). الف المقريزي كتاب الإلمام اثناء وجوده في مكة المكرمة وذلك سنة ٨٣٩ هـ/١٤٣٥م وقد صرح بمقدمته بهذا الامر موضحا ان روايته عن الحبشة لم تكن جمعه للمادة وانما اعتمد على اعتبارات علمية من علماء ورجال الحبشة فقال (من العارفين بأخبارهم) (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٧) (Al-Maqrizi, 2006, P.77).

الكتاب يحوي على مقدمة وثلاث فصول الاول عن تاريخ بلاد الحبشة ، والثاني تحدث عن بلاد زيلع ذاكرا اهم دولها مع دراسة تفصيلية لاهم نظمهم السياسية والحضارية ،اما الفصل الثالث يتحدث عن دور المسلمين في الجهاد ضد الأحباش ودور بعض سلاطين المسلمين في قيادة حركة الجهاد.

قدم المقريزي وصفا لملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ونجد بروز عقليه المقريزي الجغرافية من خلال تقديمه المعلومات عن الحدود والموقع الجغرافي للحبشة وأقاليمها لا تختلف كثيرا عما نعرفه فأشار إلى بلاد الحبشة تشمل(السودان واثيوبيا وارتيريا والصومال) ، فعرض روايات عن طبيعة الحياة الاقتصادية في الحبشة خاصه الزراعة وعاداتهم في المأكل والمشرب وطرازهم في بناء المساكن ، ومذاهبهم في دياناتهم ، ونظام حكمهم ، وصراعاتهم السياسية.

فقال: جميع بلاد الحبشة تزرع على المطر في السنه مرتين فيحصل لهم في السنه الواحدة مغلان وان كثر عندهم نزول المطر وقعت الصواعق... ضمن اشجارهم شجر الأبنوس(*) وعندهم القنا نوعان صامت ومجوف منابت لأتعرف بارض مصرولا الشام ولا العراق..."(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٨)(Al.Maqrizi, 2006, P.78).

(*) الابنوس: من اثمن انواع الأخشاب على الاطلاق متعدد الالوان منه الأسود الحالك والاسود المخطط بعروق بنيه او بيضاء، ويمتاز بصلابته وسهوله كسرة ويتميز بملمس ناعم وله شكل ملس للغاية عند صقله مما يجعله فينموا في مدغشقر وجنوب افريقيا وجنوب السودان. ينظر للمزيد من التفاصيل: مرزوق ، محمد عبد العزيز، الحياة الفنية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية، ص ٥٩٣؛ أبو بكر، نعمت ، المنابر في العصرين المملكوي والتركي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٦.

وتحدث عن معادن الحبشة فقال: وعندهم معدن الحديد ومعدن الذهب ويوجد في بعض بلادهم معدن الفضة"(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٨) (Al.Maqrizi, 2006, P.78) واستطر المقريزي في تناول الحياة الاجتماعية والدينية للحبشة فأشار في رواية انهم كانوا نصارى فقال: "الحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم ويعتقدون بمذهب اليعقوبية(*) وهم يشددون في ديانتهم تشددا زائدا ويعادون من خالفهم من سائر المال اشد عداوة ويعادون الطائفة الملكانية(**)" (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٩) (Al.Maqrizi, 2006, P.79). بل نجد المقريزي ينقل رواية من داخل بلاد الحبشة انه اظهر المذاهب اليعقوبي خوفا من القتل لو على انه ملكي (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٩) (Al.Maqrizi, 2006, P.79).

لوح المقريزي الى منصب ديني يدير شؤون النصارى اطلق عليه مطران بن اكد على ان تعيينه كان من قبل بطريق النصارى اليعاقبه بمصر بكتاب يبعث اليه ولابد للحبشة من مطران يوليه بطريق النصارى العاقبة في مصر بعد سؤال الحطى لسلطان مصر في ذلك بكتاب يبعث بصحبة مرسله هدية فيتقدم البطريق بتعيين مطران لهم " (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٩) (Al.Maqrizi, 2006, P.79).

ويتضح تأثر المقريزي بشيخه ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م) في كتاب مؤرخنا حيث تسمو الروح الاقتصادية والاجتماعية وتتجلى فيها الرؤية التحليلية الناقدة للحدث التاريخي .اذا ساعده هذا المنهج على الوقوف على احوال المجتمع وتبصره بعاداته وتقاليده من خلال امتزاج جميع الطوائف خاصة في مصر فنجده يجعل لمصر أساس في تحضير افريقيا وتهذيب عاداتها وتقاليدها إذ جاء برواية يعزي فيها معرفة الحبشة بديوان الملك كان

(*) اليعقوبية : فرقة مسيحية تنسب الى يعقوب البردعي وهي واحدة من ثلاث فرق رئيسية هي اليعقوبية والمكانية والنسطورية عاش اليعاقبة في مصر والنوبة والحبشة ،يدور مذهبهم حول القول ان المسيح هو الله والانسان اتحدا في طبيعة واحدة مع المسيح. الشهرستاني، ابي الفتح محمد عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، لا.ت، مجلد ٢، ص ٣٠.

(**) الملكانية : تسمية تطلق على المسيحيين من الروم الارثوذكس والكاثوليك وهي واحدة من ثلاث فرق رئيسية هي اليعقوبية والملكانية والنسطورية وهي منتشرة في سوريا وفلسطين ومصر وهم القائلون ان المسيح له طبيعتان وهم اخذوا بقرار مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م نسبة الى الإمبراطور الروماني ملكا الذي ظهر بارض الروم واستولى عليها. الشهرستاني، الملل والنحل، مج، ص ٢٧.

بفعل احد اقباط مصر، ومعرفة الاحباش (بالزردخانات) كان بفعل بعض مماليك الجراكسة ممن كان زركاش في مصر، ومعرفتهم بالحروب والرمي بالنشاب واللعب والرماح كان بفعل شخص يسمى (طنغا مفرق) احد امراء الدولة في مصر نصها: " فلما ملك الحطى داود بن سيف ارعد سنة اثني عشر وثمانمائة اقيم بعده ابنه تادرس فهلك سريعاً ... وذلك ان بعض المماليك الجراكسة ممن كان زركاش بديار مصر قدم عليه واقام عنده وعمل له زردخانات عظيمة تشتمل على الات السلاح من السيوف والرماح والزرديات ونحو ذلك، وكانوا من قديم اذا لاح لهم الحراب يرمون بها. وقدم عليه من امراء الدولة بمصر شخص يقال له الطنبغا مفرق ترمى حتى ولى بعض بلاد الصعيد ثم فر اليه وكان يعرف من أبواب اللعب بالات الحرب ومن بعض بلاد الصعيد ثم فر اليه وكان يعرض من أبواب اللعب بالات الحرب ومن أنواع الفروسية اشياء فحظى عند الحطب وعلم عساكره رمى النشاب واللعب بالرمح والضرب بالسيف لهم النقط فعرفوا ساعات الحروب" (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٠) .(Al.Maqrizi, 2006, P.80)

امتاز منهج المقريزي بالكتابة التاريخية بعدم التعصب لاي فكر او رأى مع تقبل اراء الآخرين بكل احترام فعرف بأمانة العرض والتجرد من الاهواء وتقواه الى الله لذلك "اقترن باسمه لقب التقي المقريزي "(عاشور، ١٩٨٣، ص ١٧٨-١٨١) (Ashour, 1983, P.178-181). وبما ان المقريزي عمل بالتدريس في علم الحديث مما انعكس ذلك على عدم اكتفاءه بنقله للرواية وانما يتحرى الحدث ويحلله مثل ذلك حديثه عن مدينة سفالة(*) ونقل رواية على انها من مدن الزنج ثم قال عنها ايضا هي مدينة من مدن الهند جاء نصها "وسفالة من الزنج...اقول سفالة ايضا من الهند". (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ١٠١) .(Al.Maqrizi, 2006, P.101)

لم ينجح المقريزي بالاستشهاد بآيات القران الكريم لتدعيم اخباره لكن دون ان يصرح بذلك فنجده ينقل قوله تعالى "؟ [***سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ***

(*) سفالة : اخر مدينة تعرف بأرض الزنج وهي تعرف ببلاد التبر ،ينسب اليها الذهب الخالص الذهب السفالي. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١، ج٢، ص ٤٣٠ وج٤، ص٤٩.

تَبْدِيلً](سورة الأحزاب، آية ٦٢) (Surat Al.Ahzab, Verse 62)، وان تجد لسن الله تحويلا [***وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا***]"((المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٥) (Al.Maqrizi, 2006, P.85).. ثم يكمل النص القرأني من سورة فاطر دون تفصيل بين الآيتين كأنما يجعلها نصا كاملا وربما السبب انه اراد ان يربط بين التأكيد ان بقاء الامم وزوالها هو امر رباني لا مرد له.

اما مصادر الرواية التي اعتمدها المقريزي في كتاب الإلمام تتذبذب فيها فنجده يعتمد على الرواية الشفهية التي سمعها من الحجاج القادمين الة هذه المناطق فقال "اخبرني من دخل منهم الى بلاد الحبشة "(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٩) (Al.Maqrizi, 2006, P.79)، " وعن بعض المسافرين اليها "(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ١٠٥) (Al.Maqrizi, 2006, P.105). كما اعتمد على كتابات الرحالة السابقين من امثال ابن سعيد المغربي خاصة فيما يتعلق بمناطق غرب افريقيا (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٩٨) (Al.Maqrizi, 2006, P.98)، فنقل روايته عن بلاد السودان وقاعدته التكرور(*)، وعن مدينة غانة ومدينة بريسا (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ١٠٠) (Al.Maqrizi, 2006, P.100)، وعن مدينة كوكو(**)، ومدينة بربرا(***) ومدينة دنقلة(****) ومدينة زيلع(*****) ومدية هدية.

(*) التكرور بلاد تنسب الى قبيلة من السودان في اقصى جنوب المغرب واهلها اشبه الناس بالزنوج. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، ترجمة سعد غراب، دار الغرب، ١٩٩٢، مجلد ٢، ص ٨٦٨.

(**) كوكو :اسم بلاد من السودان ،ملكهم يظاهر رعيته بالإسلام واكثرهم يظاهر به وله مدينة اسمها سرناه وهي مملكة اعمر من مملكة زغاوة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧، ص ١٦٤.

(***) بربرا : وهي بلاد بين بلاد الحبشة والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج أهلها سودان ولهم لغة لايفهمها غيرهم وهو بواد معيشهم من صيد الوحش. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٩٣.

(****) دنقلة : مدينة كبيرة في بلاد النوبة وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل لها اسوار عالية لاترام مبنية بالحجارة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤،ص ٣١٢.

(*****) زيلع : هي البلاد المقابلة لبر اليمن على اعالي بحر القلزم (البحر الأحمر ومايتصل به بحر الهند (المحيط الهندي)، ويقال ان هذه البلاد يقال لها بمصر والشام بلاد = =زيلع، وان طولها براً

ونقل المقريزي رواية من المسعودي عن مدينة سفالة الزنج قال فيها "وذكر المسعودي ان الزنج لا يعيش عندهم الخيل فعسكرهم رجالة ويقاتلون على البقر" (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ١٠١؛ المسعودي، ٢٠٠٥، ج١، ص٣٠٢) (Al.Maqrizi, 2006, P.101; Al.Masoudi, 2005, P.1, P.302)، وكما نقل رواية عن ابو المجد الموصلي[*] من كتابه "مزيل الارتياب "عن مدينة مقديشو (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ١٠٤) (Al.Maqrizi, 2006, P.104).

ونقل المقريزي روايات اخرى عن مصادر لم يحددها بل اطلق عليهم "اكثر المصنفين في كتب المسالك والممالك والأطوال والعروض"(المقريزي، الالمام، ص ٢٠٣) (Al.Maqrizi, 2006, P.103) واعتمد ايضا على الروايات السمعية من الذين زاروا البلاد فقال عنهم : "اخبرني من دخل منهم"(المقريزي، الإلمام، ص ٧٩) (Al.Maqrizi, 2006, P.79)، " اخبرني الشيخ المعمر الأديب الشاعر شهاب الدين احمد بن عبد الله الخالق بن محمد بن محمد المجاصي المغربي[**] الجوال في الأرض رحمه الله "(المقريزي، الإلمام، ص ٨٣) (Al.Maqrizi, 2006, P.83)، "من العارفين بأخبارهم " (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٧) (Al.Maqrizi, 2006, P.77)، "شاهد رجلا" (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٩) (Al.Maqrizi, 2006, P.79) ،"اخبرني من راه"(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٦)

وبحراً خاصاً بها نحو شهرين وعرضاً يمتد أكثر من ذلك. ياقوت الحموي، مجم البلدان، ج٤، ص ٢٨١.

(*) ابو المجد الموصلي: عماد الدين ابو المجد إسماعيل بن ابي البركات هبة الله بن سعيد بن محمد بن باطيش الموصلي ولد (٥٧٥ هـ/١١٧٩م) قرأ الفقه وسافر الى بغداد تفقه في المدرسة النظامية حتى برع في الخلاف و الجدل والأصوليين اشتغل بالأدب. ابن الشعار، أبو البركات كمال الدين (٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م)، عقود الحجان في شعراء هذا الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢، ج١، ص ٤٣٣-٤٣٥.

(**) شهاب الدين احمد بن عبد الخالق بن محمد بن خلف الله المجاصي المغربي : شاعرا طاف البلاد وتكسب بالشعر وله مدائح واهاجي كثيرة مات بالقاهرة عمر ٨٠عاما. ابن حجر العسقلاني، ابي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩م)، انباء العمر بانباء العمر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٩، ج١، ص٢٤٣.

(Al.Maqrizi, 2006, P.86)، اخبرني من دخل منهم الى بلاد الحبشة " ،"وحدثني بهذا الخبر الثقاة الذين حضروا ذلك المجلس ...وشاهده "(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٩٦) (Al.Maqrizi, 2006, P.96).

مما تقدم يظهر ان الروايات التي نقلها المقريزي من اشخاص زاروا أو شاهدوا الحبشة وما جرى فيها من احداث لأنه يؤكد من كتابه ان مصدره المشاهدة والسماع.

عرف المقريزي بالأمانة في النقل واعتماده على طريقة السند وهي طريقة تتعارض مع النقل حيث اعتمد على السماع بالأذن والإسناد لروايتها.

واهم ما يشار في منهج المقريزي هو ركونه الى الروايات التي تنافي العقل والمنطق وهي كثيرة منها حديثه عن الحيات التي يبلغ ارتفاع الجبل عند وقوفها فقال عنها :" وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية بأعلى الجبل فتصير في الجو شبه قوس قزح في عظمها لا في اللون واخبرني ثقة انه شاهد ذلك " (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٨) (Al.Maqrizi, 2006, P.78). كذلك رواية السحرة الذين يستطيعون ان يوقفوا السحاب فقال :-" وعنهم سحرة يمنعون الريح ان تهب فيأمر الحطى بهم ان يضربوا فلا يزال يضربون حتى تهب الريح فينزلوا عليهم غلالهم "(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٧٨) (Al.Maqrizi, 2006, P.78) استخدم المقريزي منهجاً شمولياً في معالجة بعض الظواهر الاقتصادية فقدم صورة حية نابضة ممتعة حتى وكأن عباراته قد استحالت شريطاً متتابع المشاهد، فامتازت مروياته الاقتصادية بالروح العلمية إذ اعتمد على الأسس المادية في مناقشته وطرحه للقضايا، فلم يغفل عن ذكر الأوبئة في المنطقة (افريقية) وسني حدوثها ففي رواية دونها المقريزي " ثم فشأ في عامة بلاد الحبشة وباء عظيم شنيع في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وهلك فيه الحض وعالم عظيم حتى قيل انه قد خلت البلاد لموت اهلها. (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٢ وص ٩٧) (Al.Maqrizi, 2006, P.82 A.P.97). كذلك نجده يبّين الحالة الاقتصادية للبلد فذكر العملة المستخدمة والأوزان والأسعار " رأيت بمدينة أوفات ايام عمارتها الوز يباع

كل عرجون(*) بربع درهم فئة نحو مائة وزة رأيت اللحم كل طابق وهو ثلاثون رطلاً بدرهم ونصف ... فتباع البقرة بخمسة الاف حنكة والرأس الغنم بثلاث الاف حنكة " (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٣؛ العمري، ٢٠١٠، ص ١٩-٢٠؛ القلقشندي، ١٩٢٢، ص ٣١٥) (Al.Maqrizi, 2006, P.83; Al Omari, 2010, P.19-20; Al.Qalqashandi, 1922, P.315).

أهم ما امتاز به المقريزي التذبذب في اقسام الكتاب فكان القسم الثالث "الدولة القائمة بجهاد النصارى من الحبشة " وهو اغزر الاقسام مادة ومساحة فأشار الى ان الدولة هناك اصلها يرجع الى قبيلة (قريش) اذ رحل من الحجاز الى ارض (زيلع) قوم من "بني عبد الدار "او من "بني هاشم "فأقاموا هناك من اوفات فعين الخطى – سلطان الحبشة – على اوفات (عمر المعروف بو لشمع) حاكما على اوفات واعمالها (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٦؛ العمري، ٢٠١٠، ص ٣٧) (Al.Maqrizi, 2006, P.86; Al. Omari, 2010, P.37)، حكم مدة طويلة وحسنت سيرته وصارت له شوكة قوية وذلك منذ منتصف القرن السابع الهجري (السمعاني، ٢٠٠٦، ص ٤٧) (Al.Samani, 2012, P.47)، وجاهد المسلمون الخطى وجنوده على يد (حق الدين احمد بن علي) الذي خاض اكثر من عشرين معركة في تسع سنين (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٧-٨٨؛ الخويلدي، ٢٠١٩، ص٩٠) (Al.Maqrizi, 2006, P.87; Al.Khweldi, 2019, P.90) وكان اخر معركة سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م.

واستمر الجهاد كل من(سعد الدين ابو البركات محمد) الذي اتسعت غاراته "حتى بيع كل عبدين من الاسرى بتفضله " (المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٨٨) (Al.Maqrizi, 2006, P.88) فمات شهيدا سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤م "فاستولى الخطى وقومه على البلاد وسكنوها وبنوا بها الكنائس وخربوا المساجد واقعوا بالمسلمين وقائع "(المقريزي، ٢٠٠٦، ص ٩٠-٩١؛ جميل، ٢٠١٠، ص٨) (Al.Maqrizi, 2006, P.90-91; Jamil, 2010, P.8).

(*) عرجون: ما يحمل التمر وهو من النخل كالعنقود من العنب وذكرت كلمة العرجون في القرآن الكريم في قوله تعالى: [***وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ***]. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، لا.ب، ٢٠٠٤، ص ٥٨٥.

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وآله وصحبه،

من خلال البحث تم التوصل إلى نتائج عدة منها:

١- المقريزي مؤرخ من اعلام التاريخ بحث في اصول البشر والديانات حسن الخلق كريم العهد عالي الهمة في نيل العلم والدراسة محبا للمذاكرة كثير الاتقان فيما يرويه من الحوادث متبحرا في التاريخ تشهد بذلك مؤلفاته، نشأ في القاهرة في كنف جده لامه الذي كفل تعليمه وظل يتنقل في وظائف الدولة المختلفة قرابة ثلث قرن قبل ان ينصرف عنها نهائيا وينقطع الى الكتابة والتأليف في مجالات مختلفة وفي التاريخ بشكل خاص وتولى وظائف عدة ابرزها الكتابة في ديوان الانشاء والقضاء وامامة جامع الحاكم وتدريس الحديث بالقاهرة ومحتسبية القاهرة.

٢- تنطوي اهمية الكتاب كونه يتناول منطقة بلاد الحبشة الفه اثناء وجوده في مكة وذلك ٨٣٩ هـ/١٤٣٥م اعتمد في جمعه على اعتبارات علمية من علماء ورجال الحبشة .وقسم الكتاب إلى مقدمة وأربعة فصول من تاريخ بلاد الحبشة.

٣- عرض المقريزي وصفا عن ملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلاد الحبشة فتناول وجغرافيتها واقتصادها ومعادنها وعن دياناتهم بحيث اتضح تأثره بشخصية ابن خلدون ت(٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).

٤- ظهر انعكاس عمله في التدريس في علم الحديث من خلال تحريه عن نقله للرواية وتحليلها ،فامتاز بالأمانة العلمية والتجرد عن الهوى.

٥- اعتمد المقريزي في كتابه "الالمام"على الرواية الشفهية التي سمعها من الحجاج القادمين للمنطقة (بلاد الحبشة) بالإضافة إلى روايات الرحالة السابقين امثال ابن سعيد هذا وروايات اخرى من مصادر لم يحددها.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية :

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (١٩٩٢)، المسالك والممالك، ترجمة سعد غراب، دار الغرب، لا.ت.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين (١٩٦٥)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه محمد محمد آمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية، القاهرة.
- ابن حجر العسقلاني، ابي الفضل احمد بن علي (١٩٦٩ و١٩٥٤)، انباء الغمر بانباء العمر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدر اباد الدكن .
- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
- سبط ابن العجمي، أحمد بن أحمد بن محمد بن خليل، (لا.ت)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (١٩٦٧)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر.
- ابن الشعار، أبو البركات كمال الدين (٢٠١٢م)، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (١٩٨٦)، شذرات الذهب في تاريخ من غبر، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار كثير، بيروت.
- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين (٢٠١٠)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد (١٩٢٢)، صبح الاعشى في كتابة الانشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة.
- المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين (٢٠٠٥)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت.
- المقريزي، تقي الدين علي بن عبد القادر (٢٠٠٦)، الالمام بأخبار من بارض الحبشة من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة.
- ـ ، فضل اهل البيت ، تحقيق وتعليق : محمد أحمد عاشور، لا.ب، لا.ت.
- النعيمي، عبد القادر محمد (١٩٩٠)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (٢٠١م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

ثانياً: المراجع الحديثة

- أبو بكر، نعمت (١٩٨٦)، المنابر في مصر في العصرين المملوكي والتركي، القاهرة.
- الخويلدي، محمد علي عمر ، (لا.ت)، التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق افريقيا من القرن الخامس الهجري حتى السابع ٤٢٤-٦٥٦ هـ/ ١١٢٩-١٢٥٨م، دار الجديد.
- زيادة، محمد مصطفى (١٩٩١)، تاريخ حياة المقريزي، مجموعة ابحاث، الهيئة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- السمعاني، علي، ٢٠١٢، نشأة الممالك والدويلات الإسلامية في افريقيا، ممالك الطراز الإسلامي في شرق افريقيا، منتديات الحلفة.
- عبد الحافظ، عبد الله عطية، معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك في مصر والشام، دار النيل، لا.ت.
- كمال الدين (لا.ت)، محمد اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات، الهيئة العامة للكتاب، لا.ت.
- مرزوق، محمد عبد العزيز (لا.ت)، الحياة الفنية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية.

- مصطفى ، إبراهيم وآخرون (٢٠٠٤)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، لا.ب.

المجلات:

- جميل، بشار اكرم (٢٠١٠)، ممالك المسلمين في الجبشة من خلال كتاب مسالك الابصار في ممالك الابصار لابن فضل العمري، مجلة ادارة الرافدين، بغداد، العدد ٥٦، ٢٠١٠.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح (١٩٨٣)، اضواء على كتابات المقريزي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ١٤.

List of Sources and references:

Al.quran Al-Karim.

- Ibn Taghra Barada, Abu Mahasin Jamal al.Din, Tracts and Kingdoms, Translation saad Ghorab, West House.
- Ibn Hajar Al. Asqalani, Abi Al.Fadl Ahmed bin Ali (1969), News of immersion in the children of age, Encyclopedia Ottoman Press, Hyderabad Dark.
- The Pearls lurking in the eight hundred notables, Eneyctopedia ottoman press, Hyderabad Dark.
- Al-Sakhawi, Shams al.Din Muhammad the Bright Light of the ninth Century, Dar Al . Jeel, Beirut.
- Al-Suyuti, Abd al. Rahman bin Abi Bakr, Hassan the lecture on the history of Egypt and cairo, T. Muhamma Abu al.fadl Ibrahim, Isso Al.Babi Al.Halabi , Press, Egypt.
- Al. Omari, Ibn Fadlallah Shihab uddin (2010), Paths of sight in the kingdoms of the wold, T.Kamel Salman Al.Juboury, Scientific Books house, Beirut.
- Abn Al Shaar, Al-Barakat kamal al-Din, (2012), Juman decades poets of this time, Scientific books liouse, Beirut.
- The Son of General Hanbali, Abdul-Hay bin Ahmed (1986), Nuggets go on a golden date, T.Abdel.Qader Al-Arnaout, Dar many, N.C.
- Al.Qalaoshand Ibn Fadlallah Shihab (1922), Subuh Al.Asha in the Construction industry, Eqyptian Book House, Cairo.

- Al. Masoudi, Ali bin al.Hussein (2005), Promoter of gold and metals Al.Jawhar, Afif Nayef Hatoum Seized , Dar sader, Beivut.
- Maqrizi, Ali bin Abdul Qadir (2007), Knowledge of news from the land of Abyssinia From the Kings of Islam, T.Abdel Naim Deifi Al.Azhar library for heritage, Cairo.
- Yaqut alhumwi, Shihab aldiyn (2010), Adictionary of countries, Dar Sader, Beirut.

Modern references:

- Al.Khoweildy, Mukammad Ali Omar, the Arab. Islamic cultural in fluence in east Africa from the Fifth century All to the Seventh 24-656 A.H. 1129-1208, A.b, A New house. N.C.
- Ziada Muhammad Mustafa, Life history of Al.Maqrizi, Egyptian Authority Research, Cario.
- Samani, Ali, the emergence of Islamic kingdoms and States in Africa, forums Djelfa Magazines.
- Kamal al.Din Muhammad, Four historians and four books, the Public body of the book, N.C.
- Jamil, Bashar Akram (2010), Muslim kingdoms in Abyssinia through the book paths of Sights in Kingdoms of sights by Ibn Fadl Al. Omari., Tadab Al Ra. Fidain Magazine, N56, 2010.
- Ashour Saeed Abdel Fattah (1983), Lights on the book Al. Maqrizi, thought wold Magazine, Folder 14.

الاعمال الجماعية في العمارة الدينية

Religious works in Collective Construction

ميسون عايد ابراهيم

Maysoon Ayyed Ibrahim

meson.ss92@gmall.com

أ.م. د. فائز هادي علي الحسناوي

Assist. Prof. Faaz Hadi Al- Hasnawy (PH.D)

الاعمال الجماعية في العمارة الدينية

ميسون عايد ابراهيم

أ.م. د. فائز هادي علي الحسناوي

الملخص

عرف الدين هو ذلك الشعور نحو الأشياء التي حولنا أنه الشعور الغامض بوجود نظام للأشياء أسمى منا ومن كل ما يحيط بنا ونشعر بميلنا إلى الخضوع له أو الاتجاه نحوه. وعدت المعتقدات والأفكار الدينية العامل الأهم في تحديد الإطار العام لسلوك الإنسان وحياته وعاداته وتقاليده والخلفية المؤثرة في حياته الاقتصادية والاجتماعية السياسية. أظهرت المكتشفات الاثارية والبحوث المعينة بفلسفة الفكر الديني والمعتقدات الدينية لدى الإنسان هو قديم ببداياته الأولى مع قدم الإنسان العاقل ولكون الإنسان لم يهتد إلى الكتابة إلا مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد وبما أن البيئة هي المؤثر الأوَّل على الحضارات الإنسانية بشكل عام والإنسان بشكل خاص فمن خلال المخلفات المادية التي تركها في المراحل السابقة أتضح أن الإنسان القديم تأثر بالظواهر البيئية المحيطة به لدرجة أنه صيرها آلهة وأخذ يحاكي تلك الظواهر الكونية (الالهة) وأخذ يتعامل معها بما يتناسب مع مستوى تفكيره ومصالحه ليكون بمقدرة أن يستفيد من خيرها ويتجنب شرها لذا أخذ على عاتقه في المراحل اللاحقة بناء المعابد (بيوت الالهة) وتقديم الاضاحي والقرابين بغية ارضائها كما جعل لها رموز خاصة بها وامتازت حضارة بلاد الرافدين بعمارتها ولاسيما العمارة الدينية وما عكسته لنا من مضامين روحية وحضارية فمخططات البناء وضخامته انعكاس للتنظيم الاقتصادي والاجتماعي والديني بالإضافة الى ذلك الجهد والنشاط الجماعي الذي استنزف في اعمال البناء منها والتعمير ويتضمن بحثي الاعمال الجماعية الدينية إذ أخذ سكان حضارة بلاد الرافدين على عاتقهم في بناء تلك الصروح (المعابد والزقورات) إذ هي انعكاس لجهد وبراعة المعمار العراقي القديم وتناولت في دراستي هذه أهم المظاهر العمارة الدينية معتمده في ذلك على ما ورد لنا من المصادر الكتابية والمؤرخة من قبل

الباحثين وجرى المبحث في مضمارين أولا المعبد ظهوره وتطوره وثانيا الزقورات ظهورها وتطورها .

Abstract

Defining religion is that feeling towards the things around us that it is the mysterious feeling that there is a system of things that is superior to us and of everything that surrounds us and we feel our tendency to submit to it or move towards it. Religious beliefs and ideas are the most important factor in Defining the general framework of a person's behavior, life, customs and traditions, and the background affecting his economic, social and political life. Archaeological discoveries and researches specific to the philosophy of religious thought and religious beliefs in man showed that he is old with his early beginnings with the sane human feet, and because man did not go to writing until the beginning of the third millennium BC, and since the environment is the first influence on human civilizations in general and man in particular through waste The materialism that he left in the previous stages: it became clear that the ancient person was affected by the environmental phenomena surrounding him to the point that he became a goddess and began to emulate those cosmic phenomena (gods) and began dealing with them in a manner commensurate with the level of his thinking and interests to be able to benefit from their good and avoid their evil, so he took it upon himself in the stages Subsequent building of temples (houses of the gods) and offering sacrifices and offerings in order to satisfy them, as well as making them their own symbols, and the civilization of Mesopotamia was distinguished by its architecture, especially religious architecture, and the spiritual and civilizational implications it reflected for us. The building plans and its magnitude are a reflection of the economic, social and religious organization in addition to the effort and collective activity that drained in Building and construction works, including research, include religious group work As the residents of Mesopotamia civilization took it upon themselves to build those monuments (temples and ziggurat), then they are a reflection of the effort and ingenuity of the old Iraqi architecture. First, the temple is

its emergence and development, and secondly, the ziggurats are their ages and development.

أهم المظاهر العمارة الدينية.

أتضح من خلال المخلفات المادية التي تركها أنسان العصور الحجرية القديمه وفي المراحل السابقة(بوتيرو، ١٩٩٠، ص٢٥٠) قد تأثر بالظواهر البيئية المحيطة به لدرجة أنه صيرها آلهة وأخذ يحاكي تلك الظواهر الكونية (الالهة) وأخذ يتعامل معها بما يتناسب مع مستوى تفكيره ومصالحه ليكون بمقدرة أن يستفيد من خيرها ويتجنب شرها لذا أخذ على عاتقه في المراحل اللاحقة بناء المعابد (بيوت الالهة) وتقديم الاضاحي والقرابين بغية ارضائها كما جعل لها رموز خاصة بها.(Vanburen, 1945, P.1-2) كان ذلك بداية الاعتقاد بالقوة الكامنة في تلك الظواهر التي تعود إلى عصر جرمو و حسونة وتل الصوان وحلف(الأحمد، ٢٠١٣، ص١٢) ثم أخذ بالتطور إلى ما يعرف بالسحر المعتمد على المحاكاة ومبدأ التشبيه(باقر وفرنسيس، ١٩٤٥، ص١٠)، وقد عثر في قرية جرمو* (باقر، ٢٠٠٩، ص٢١٨، ٢١٩) (السواح، (ب.ت)، ص١٠) على دمى متمثلة بدمى نسوية حبالى مع سمنة مفرطة في الأرداف تمثلت في معتقداتهم كرمز لتلك المظاهر الكونية (الطبيعة) كالأرض التي تمثلت رمز للعطاء والنماء والخصب واستمرت معه إلى عصر حلف أي بداية الألف الرابع قبل الميلاد واطلق على تلك الدمى التي ربما كانت تمثل مظهر من مظاهر العبادة بأسم الإلهة الأم* (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٥٢).أما في العصور التاريخية فأن المخلفات المادية المتعلقة بالمعتقدات الدينية باتت أكثر وضوحاً سيما ما يتعلق منها ببقايا المعابد والزقورات فضلاً عن النصوص الكتابية والمؤلفات الدينية والملاحم و الأساطير والمشاهد الفنية(علي، ٢٠٠٠، ص٣١،٣٢)(إسماعيل، ١٩٨٥، ص٢٢٢).

* استناداً إلى الرأي الأستاذ طه باقر والتنقيبات الأثرية التي أجرتها بعثة المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو فأن قرية جرمو تعد أولى القرى الزراعية في العصر الحجري الحديث.

* أن تسمية الآلهة الأم، جاءت من مصطلحات الآثاريين والباحثين الذين عملوا في تلك الفترة هنا واستمرت إلى الألف السابع إلى الألف الرابع ق. م.

أولا: المعبد

ورد كلمة المعبد في اللغة السومرية (É) يقابله بالأكدية (bitū)(Vonsodoen, 1985, P.13). لقد أظهرت نتائج التنقيبات التي أجريت في تل الصوان الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث (الألف السادس ق.م) عن بناية واسعة مشيدة باللبن وهي ذات موصفات خاصة إذ احتوت على أربعة غرف تقع جميع مداخلها على محور واحد كما وجد فيها حنيه في الجدار الشمالي لأحدى الغرف وعثر فيها على مجموعة من الدمى المصنوعة من الحجر الشمعي تمثل الإلهة الأم مما حمل الاعتقاد على أن هذه البناية ربما تكون مكان لأداء الطقوس الدينية كذلك كشف في الأربجية من عصر حلف (٥٥٠٠-٤٥٠٠ق.م) عن بناية في مركز الموقع ذات مميزات خاصة ربما تكون ذات صفة دينية أو طقوسية(الدباغ، ١٩٩٩، ص٢٨، ٢٩) (عمران، ١٩٩٦، ص١٩١، ١٩٢).

١- <u>بداية ظهور المعبد وتطوره</u>

استنادا إلى نتائج التنقيبات الأثرية فأن الظهور الأوَّل لعمارة المعبد كبناء ديني مستقل كان في عصر العبيد في موقع أريدوا* (Safar, 1950, P.27ff) الألف الخامس قبل الميلاد وظهر بالشكل ثلاثي الأجزاء وبدأ أشبه بحرف T اللاتيني(الجادر، ١٩٩٩-٢٠٠٠، ص٣٠٢) (Foaf, 1984, P.81). مما تجدر الإشارة هنا أن الخاصية البنائية لهذا النوع من التخطيط يتميز بانه قابل للتوسع مما إذا أراد المعمار إضافة ملحقات بنائية أُخرى للبناء(الحسناوي، ٢٠١٤، ص١٨) (Delougze, 1939, P.1) ان بناء تلك المعابد والتي عكس لنا التقنية في البناء وماهرة المعماريين لابد رافقه جهد متعاون من افرد سكان تلك المدن. وبذلك عد المعبد المكان الذي يوضع فيه تمثال الإله ويجمع المتعبدين في مكان واحد وتقام فيه الشعائر والطقوس الدينية وبدأ يمثل موضعاً من مواضع المقدسة التي اكتسبت قدسيتها من ارتباطها بالإلهة(باقر، ١٩٤٧، ص١٨٤).أما في عصر الوركاء

* أريدوا، تقع أريدوا على مسافة ٤٠كم غرب الناصرية وعلى بعد (٢٤كم)إلى الجنوب الغربي من أور اظهرت نتائج التنقيبات فيها عن اكتشاف عن أحد عشر طبقة أثرية تضم بقايا سبعة معابد يعود تاريخها إلى عصور قبل التاريخ.

تميزت معابد هذا العصر بتطور معماري بدا واضحا من حيث سعة البناء ودقة التخطيط فضلا عن ترتيب واجهات المعابد بعناصر معمارية معينة كالمخاريط الفخارية والفسيفساء التي زيت بها واجهات المعابد(Leuzen, 1974, P.111-112) فضلا عن ظهور المعابد المبنية على مصطبة واحدة أو مصطبتين* (بصمه جي، ١٩٥٥، ص٥٢) (Koldwey, 2005, P.23) وهذا يتطلب بلا شك جهدا جماعيا مضاعفا لان البناء سيكون على عده مراحل ومستويات منها ما يتعلق بناء المصطبة وتهيأها ومن ثم بدء مرحله بناء المعبد وهذا ان دل على شيء أنما تدل على أن الجهود المبذولة لبناء المعابد في هذا العصر أصبحت أكثر وأكبر من العصر السابق أما المخطط الداخلي للمعابد فقد أستمر المخطط الثلاثي الاجزاء فضلا عن وجود مخططات أُخرى منها ما كان على شكل حرف (I) ومنها ما كان على شكل حرف (L)(Al Asil, 1960, P.3-9).

أن التطور المعماري الذي شهده هذا العصر يعد انجاز حضاريا سيما على الصعيد الاجتماعي والعمراني سواء كان ذلك في مدينه الوركاء أو غيرها من المدن الأُخرى ولا بد من أن هذا قد رافقه الجهد الجماعي فضلاً عن الجهد المادي.

أما في العصر السومري القديم (٢٨٠٠-٢٣٧١ق.م) شهدت مخططات المعابد الخارجية تطوراَ معماريا جديدَا إذ بدت بتخطيط معماري هندسي(مربع-مستطيل) في حين كان البعض منها وفق مخطط بيضوي كما في معبد شارا* (لويد، ١٩٩٢-١٩٩٣، ص١١٣)كذلك شيدت لبعض من تلك المعابد وفق تخطيط أرضي في حين شيد البعض منها فوق مصاطب اصطناعية تتألف من طبقة أو طبقتين(Deloygaz, 1940, P.14) أما التخطيط الداخلي لتلك المعابد فهو يعد استمرارية للمحور المنكسر مع ملاحظة ظهور

* ساد استعمال المصاطب في هذا العصر ومن الأمثلة المعابد التي شيدت فوق مصطبة هو معبد(أي – أنا) أو كما يعرف بـ (بيت السماء) والذي كان مكرسا للآلهة أننا – عشتار والتي عرفت بأنها سيده السماء وقد شيد ذللك المعبد على غرار مصطبة معبد العقير المكرس لعباده الاله أنو والذي يعرف بالمعبد الابيض.

* يعد معبد شارا التي كشف عنه التنقيبات في تل أجرب احد مواقع ديالى والذي يعود تاريخه إلى عصر فجر السلالات الدور الثاني منه حيث شيد مخطط أرضي مربع الشكل يتالف من ساحة الوسطية.

تطور معماري تميز بتطور حضاري جديد تمثل ببروز الساحة الوسطية أو الفناء الذي تتوزع حوله الوحدات البنائية(الحسناوي، ٢٠١٤، ص٢١).لقد شهد العصر السومري القديم (٢٨٠٠-٢٣٧١ق.م) تطورات حضارية مهمة تمثلت أولها بظهور دويلات المدن وتنوع كل دويلة وبحكمها الذاتي المستقل فضلاً عن حدوث الازدهار الاقتصادي المتمثل باستغلال مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتحقيق الإنتاج واستغلال الفائض منها في التبادل التجاري إضافة إلى تطور الحرف والمهن المحلية(Deloygaz & Lloyd, 1942, P.263) أن هذه التطورات كان لها تاثيرها في العمارة بشكل عام والدينية بشكل الخاص سيما أن المعبد أصبح في هذه الفترة بمثابه المؤسسة الدينية والاقتصادية والاجتماعية فالتطور العماري للمعبد راجع من تطور دوره في المجتمع (عبد الرزاق، ٢٠٠٣، ص٢٠٣). أما في العصر الأكدي وفي ظل التطورات التي حدثت في هذا العصر والذي تمثل بظهور العنصر السامي/الجزري في الساحة السياسية وما أثمر منهم بتوحيد دويلات المدن تحت سيادة مركزية الدولة فضلا عن ذلك بروز دور القصر، وازدياد نفوذه مع تراجع وانحسار دور المعبد مقارنة مع ما كان عليه في العصر السومري القديم.ان هذا الانجاز الحضاري والتطور العماري في بناء المعابد انبثق من الجهود المشتركة ونشاط عمل افراد سكان حضارة بلاد الرافدين. وقد عدت هذه التطورات انعكاسها على الجانب العمراني بشكل عام والديني بشكل خاص، مما أدى إلى تغيير كان قد حصل في عمارة المعبد الأكدى وهو اعتماد المحور المستقيم أو المداخل المتقابلة والابتعاد عن المحور المنكسر* (عزة، ١٩٨٤، ص٩١) أن هذا التغيير ناتج عن نظرة الأكديين نحو التوسع والانفتاح والذي يحوي بنظرة دينية أكثر انفتاح هي أن يكون الإله أمام المتعبد* (باقر، ١٩٤٧، ص٢٦).

* قد كشف في الطبقة الثانية من تل المقدادية الواقع في محافظة ديالى عن ثلاثة أدوار السكن العائدة إلى العصر الأكدى تميزت كمخططات ذات ساحة عبر غرفة أو مجاز يتصل بباب الخارجي وبنفس الطبقة عثر على نموذج فخاري لمعبد تميز بالتخطيط المعماري بالمحاور المستقيمة المتقابلة.

* يتميز هذا النوع من التخطيط في أن جميع المداخل الرئيسية في بنايه المعبد تقع على استقامة واحدة إذ يمكن للواقف عند المدخل الرئيس للمعبد أن يرى تمثال الإله في الغرفة المقدسة.

أن هذه التطورات المعمارية التي نلاحظها بين عصر وآخر ناتج عن النظرة الشمولية للمعمار العراقي في أن تكون العمارة هي المرأة العاكسة لأي تطور حضاري لأي مجتمع كذلك يعبر عن ابداع المعماريين ومهاراتهم الفنية في البناء فضلاً عن الجهود الجماعية التي يبذلها الإفراد في تشيد تلك الوحدات البنائية كذلك الجهد المادي الذي عكس طبيعة المرحلة وما تحويه من ازدهار اقتصادي. وفي العصر السومري الحديث فأن التخطيط الداخلي للمعبد ذو المحور المستقيم أخذ بشكل أكثر انتظاماً ووضوح من العصر السابق فضلا عن إلى ظهور التطورات المعمارية الأُخرى في عمارة المعبد وهو وجود جدران ثنائية تحصر بينهما ممر خلفياً خال من النوافذ(الحسناوي، ٢٠١٤، ص٢٤) ويعد نهاية العصر السومري الحديث الذي انتهى بزوال السومريين وانتهاء دورهم ويزور الأقوام الجزرية/السامية المسماة الآمورين (البابليين) وكذلك الآشوريون ثمة اختلاف ظهر في عمارة المعابد فيما يخص التخطيط الداخلي للمعابد المشيدة عند البابليين والآشوريون وأصبح من السمات المهمة والتي من خلالها تمكن الباحثون من التمييز بين الطراز البابلي والطراز الآشوري(مورتكات، ١٩٧٥، ص٢٥٣) فقد عرف التخطيط الداخلي لعمارة المعبد بالمحور المستقيم بنمط المعابد البابلية أو (المعبد الجنوبي) في حين نمط تخطيط المحور المنكسر بنمط المعابد الآشورية أو (المعبد الشمالي)(Baqir, 1947, P.23).

المعبد كمؤسسة دينية قبل أن يكون مؤسسة اقتصادية اجتماعية – سياسية، فهو ظاهر عمارية مهمة لدى سكان العراق القديم(رشيد، ١٩٨٥، ص١٨٤)(Martironssian, 1983, P.29) فضلا عن كونها من أهم الوحدات البنائية في المجتمع ابتداء من عصر العبيد حتى نهاية حكم السلالة الكلدانية (البابلي الحديث ٥٣٩ ق.م) كانت المعابد بما تمتاز به من تدابير خاصة تختلف عن المساكن وعن بقيه المنشئات من حيث التخطيط والبناء.(الدباغ، ١٩٨٨، ص٤١)(Lloyd and Others, 1940, P. 1943, P.133-134) بالإضافة إلى ذلك عكست لنا الجهد والنشاط الجماعي لما يطلبه بناء تلك المعابد والزقورات من جمع المواد ونقلها مما يستدعي أيدي عاملة كبيرة ومجموعة كبيرة من الحرفيين المتخصصين كالبنائين وصانعي الاحجار وعمال نقل المواد وهذا ما يعكس الجهد

البشري والمادي الذي يتطلبه مراحل بناء المعابد.(سعيد، ١٩٨٥، ص١٠٤)(Clayden, 1995, P.63) يُنظر (لشكل:١)

العائد لفترات الآشورية يمثل مجموعه من عمال حرفين مع عددتهم متجهين نحو العمل.

٢- **الأعمال الجماعية التي ساهمت في بناء المعابد**

وقد أشارت لنا النصوص الكتابية والمشاهد الفنية على الجهد البشري والمادي التي تتطلب بناء تلك المعابد، وفي أحد النصوص التذكارية للملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨٢ق.م) حيث يذكر:

"**.... في الشهر الممنون ويوم السلام وبمساعدة الخبراء المعماريين وبحكمة الكهنة أنابنيته بالكامل من حجر الكلس الجبلي. رفعت ابراجه عاليا وجعلته بارتفاع الجبل طمرت في قلب أسس جدرانه احجار كريمة اللازورد والعقيق ومجموعة مختارة من الكنوز أنا حفرت قناتين للارواء من حوله، أحطته بالحدائق الفناء...**"(حسين، ٢٠١٢، ص٤٩٤)(Ahmad & Grayson, 1999, P.1-2).

يشير لنا هذا النص عن انجازات هذا الملك في بناء معبد الاكيتوا الذي يقع خارج أسوار مدينة آشور حيث أشاد بالتفاخر لإعمار هذا المعبد كذلك اشاد بالجهد المادي الذي استغرقه في بناء فضلاً عن الجهد البشري من الخبراء المعماريين والكهنة ولابد أن يكون هناك طاقم من البنائين والحرفيين.

وكان لمعبد الاله نابو*(روبرت، ١٩٨٥، ص١٠٤)(الأحمد، ٢٠١٣، ص١٣) ازيدا ((البيت الحقيقي)) في مدينة كالح ((نمرود)) اهتمام من قبل الملك الآشوري آشور بانيبال إذ يشير في أحد نصوصه "... **فيما مضى معبد نابوا في كالح الذي بناه أدد نيرراي أبن شمشى**

* الإله نابوا، يعني أسمه باللغة السومرية (الاله اللامع) أما باللغة الاكدية يعني (المظهر المتكلم و المنبأ) ويرمز له بالتين الصغير على لوح صغير استقر فوقه قلم وهو اشارة إلى مكانته المعرفية كما يظهر في بعض المشاهد الفتية بهيئة اله راكب على ظهر تنين أما معبده فهو (ايزيدا) في بورسيا ويعني البيت المكين.

أدد ملك آشور أصبح قديما وخرابا أنا أزلت انقاضه سكبت السوائل من الجعة الجيدة والخمر إكراما للآلهة في المستودع العمال المسخرين للبناء يغنون اغاني الفرح وهم يصبون قوالب اللبن في أسس المعبد إلى أعلاه بنيتة بالكامل سقفته بروافد خشب الأرز...."(حسين، ٢٠١٢، ص٤٩٩)(Eknudsen, 1967, P.1).

يبدوا واضح ما أشاد به هذا النص الذي يعود إلى العصر الآشوري الحديث ما بذل فيه جهد مادي وبشري فالعمال يغنون أغاني الفرح وهم يقومون بأعمال صب الأسس البناء.

كانت مدينة بابل من أهم المدن التي تمتعت بصفة دينية مقدسة وهذا ما دفع بالملوك الذين فرضوا سيطرتهم عليها أن يعاملوها برفق حيث عملوا على بناء وتجديد المعابد في هذه المدينة والمدن الأُخرى الواقعة إلى الجنوب منها. وخلال العصر الآشوري الحديث وبالتحديد خلال السلالة السرجونية التي مثلت أبهى العصور الآشورية نجد أن بلاد بابل قد أصبحت تحكم مباشْره, من قبل ملوك تلك السلالة لذلك نجدهم قد أولوا اهتمام كبير بالمقدسات البابلية إذا قاموا بتجديد واصلاح المعابد حتى أنهم أخذوا يتفاخرون في ذلك(عبد الحسين، ٢٠٠٨، ص١).وهذا ما جاء به النص الذي يعود إلى العصور الآشوري الحديث

"... أمر الملك .... بناء الجدار المحيط ايساكلا ... بناء معبد سيدة بابل ... دع عمال السخرة الآخرين يزجج الجدار المحيط ايساكلا ...." (CAD, P.208a) (Gearge, 1993, P.139-140).

انعكاس واضح إلى طبقة العمل الجماعي تجنيد العمال بالسخرة لأنجاز هذا العمل من أعمار وبناء المعابد. ويوضح لنا نص تذكاري آخر يعود إلى الألف الأوّل قبل الميلاد، من عصر الملك الآشوري اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ق.م) قيام هذا الملك اسرحدون في عملية تجديد معبد (ايساكلا) في مدينة بابل إذ يذكر في النص :

".... استدعيت صناعي المهرة كافة وشعب كادريناش (بلاد بابل) جميعا وجعلتهم ينقلون السلة، ووضعت لبادة الرأس عليهم وبنيت جدران الأسس بالزيت المختار والعسل والزبد والخمر وخمر الجبال المتألقة وصنعت آجرة بقالب آجر من العاج وخشب القبقب وخشب

البقس وخشب التوت عليه النقش كتابي وجدت بناء معبد ايساكلا مع الالهة، مع مراقده المقدسة في بابل...." (اوتس، ١٩٩٠، ص١٨٦).

كذلك أهتم ملوك الدولة البابلية الحديثة بالعمارة وحيث قاموا بمشاريع ضخمة تتطلب تسخير مجاميع من العمال والحرفيين ساهموا بصنع اللبن والآجر وجلب القير، كما يتطلب هذه المشاريع تجهيزها مواد البناء الأُخرى كالأخشاب المستخدمة في صنع الأبواب وفي التسقيف.وهذا ما بدا واضح في النصوص التذكارية للملك نايو-ايلا-اوصر ملك بابل في نشيده لمعبد خورساك للإله ننورتا الواقع في مدينة بابل حيث يشير :

".... سخرت عمال انليل (نفر) وشمش (سيار) ومردوك (بابل) وجعلتهم يحملون المجارف وينقلون السلال ... القير البيت مكتمل ٠٠٠اكملت عمله ... رصيت الألواح الضخمة على سقفه ... ولامعت الابواب الجيدة في بواباته وجعلت ذلك المعبد لامعاً كالشمس..." (غانم، ٢٠١٢، ص٤٣١). أن اغلب تلك النصوص قد عكست لنا الجهد الجماعي والبشري المادي التي تتطلبه بناء تلك المرافق المعمارية وهذا ما جاء به النص الآتي الذي يعود إلى نفس الفترة

"... أستأجرت العمال الذين ينجزون العمل في ساحة وبوابة معبد بربارا.." (CAD, P.403B) (GT, No.573:2).وفي نص آخر من العصر البابلي الحديث:"... **العمال المستأجرين بنو بالآجر معبد الاكينو ..."** (CAD, P.270B).

وهذا يتطلب اعمال البناء إلى استئجار عمال أو حرفيين يتطلب منهم اعمال البناء وهذا ما أشار اليه النص اعلاه من العصر البابلي الحديث.

ثانيا: الزقورات

أن كلمه الزقورة المتداولة حاليا مأخوذة من الكلمة الأكدية ziqqurrtu(m) (CAD, P.129a) وقد اختلف الباحثون في تفسيرها فقد فسرت لدى البعض من الباحثين على انها برج معبد والبعض منهم فسرها على انها معبد عال كما فسرت من قبل البعض البرج المدرج ولوحظ ان جميع تلك التفسيرات تبدو متقاربة في المعنى ولاتخرج عن كون الزقورة

هي بنايه مرتفعة يعلوها معبد أما مايقابل ziqurratu(m) كمصطلح سومري (U_6.NIR) الذي فسر على انه المعبد العالي أو مصبطة المعبد العالية(CAD, P.129a).

١- بداية ظهور الزقورة وتطورها:

منذ ظهور المعبد وبشكل مؤكد تقريبا في طور العبيد الأوَّل (الألف الخامس قبل الميلاد)(Merpert & Munchaev, 1987, P.49) أستمر تشييد المعابد اللاحقة فوق المنطقة ذاتها وعلى الأسس وأنقاض المعابد السابقة لقد عليت وأصبح الوصول إليها يتم عبر سلم أو منحدر كما هو الحال في معابد طور العبيد الثالث والرابع (٤٠٠٠-٣٥٠٠ق م) المتمثلة بالطبقات من (١١-٨) و(٧-٦) في أريدوا(مهدي، ١٩٧٥، ص٦٩) ويعد معبد الطبقة الحادية عشر من طور العبيد الرابع من اقدم المعابد المقامة على مصطبة اصطناعية(Safar, 1950, P.27ff) غير أن من أوضح الأمثلة على تلك المعابد هو معبد الطبقة السابعة في الموقع ذاته والذى شيد على مصطبة ارتفاعها(١.٥م) يرقى إليها بسلم(باقر، ١٩٤٧، ص١٥) ومنذ ذلك ساد تقليد خاص قوامه تشيد المعابد المتعاقبة وعلى نفس الموقع مما يخلق مصطبة اصطناعية ترتفع عن الأرض أو السهل المجاور بالإضافة إلى ذلك رافق تشييد تلك المعابد وفي العصور اللاحقة بعض الممارسات والطقوس الدينية بالنسبة للمواقع التي لم يسبق التشييد عليها سابقا كأن تتمثل بتطهير الأرض بالنار أو دفن الأرض بتراب أو رمل نقي ثم يقيم فوقها المصطبة(لينتسن، ١٩٨٩-١٩٩٠، ص٣٢-٣٣) أن ظاهره بناء المعابد فوق أنقاض المعابد السابقة استمرت في عصر جمده نصر(٣٠٠٠-٢٨٠٠ق م)* (باقر، ٢٠٠٩، ص٢٤١) وما تلاه ونتج عن التراكمات البنائية وأصبحت ترتفع لعد أمتار مما حدى ببعض المختصين ان يطلقوا على هذه المصاطب المرتفعة أسم برج المعبد أو الزقورة(بحر جك، ١٩٩٨، ص٥٢) ومن معابد هذا العصر معبد أنو الذي يقع على الجانب الغربي من مدينه الوركاء إذ شيد ذلك المعبد على مصطبة مبنية من اللبن غير منتظمة الشكل أبعادها ما يقارب (٧٠×٦٦م) بارتفاع

* جمده نصر، هو الطور الثاني من اطوار الشبيه بالكتابي وأسم جمده نصر جاء من (تل نصر) وهو موقع اثري يبعد ٢٤ كم شمال شرق كيش.

(١٣م) عن السهل المجاور مبنية على انقاض معبد يعود إلى عصر العبيد(بصمه جي، ١٩٥٥، ص٥٦-٥٧) أما المعبد الثاني فهو معبد العقير* الذي أقيم على مصطبتين الأولى بشكل حرف (D) اللاتيني وأبعادها تقريبا (٥٨×٤٥م) أما ارتفاعها فيقدر بحوالي (٥م) (Lloyd and Others, 1943, P.4) تعلو هذه المصطبة مصطبة ثانية مضلعة الشكل ارتفاعها يقرب إلى (١.٦٠م) يرقى إليها بسلم عند زاويتها الشمالية(بحر جك، ١٩٩٨، ص٥٣) وقد شيد المعبد على قمه المصطبة الثانية أن أقامه معبد العقير على مصطبتين يشير إلى ظهور المصاطب المدرجة أو يمكن اعتبار ذلك بداية لفكره الزقورة قد بدأ منذ ذلك العصر(سفر، ١٩٤٥، ص٢٨) وفي عصر فجر السلالات وبأدواره الثلاثة (٢٨٠٠-٢٣٧٠ ق م) شاع نوعان من المعابد, النوع الأوَّل هي المعابد المضلعة والتي أقيمت بدون مصاطب مثل معبد أبو في تل اسمر في منطقة ديالى(مورتكات، ١٩٧٥، ص٧٠-٧١) أو بمصاطب قليله الارتفاع نتيجة تعاقب البناء(Deloygaz & Lloyd, 1942, P.40ff) أما النوع الثاني هي المعابد البيضوية ومن أهمها المعبد البيضوي في خفاجي. لقد اتبعت عمل بناء ذلك المعبد طقوسا ومراسيم خاصة في تشيده تضمنت بتنظيف الموضع المهيأة للبناء وذلك برفع التربة إلى عمق (٨م) ومن ثم ملئها بالرمل النقي(سفر، ١٩٤٥، ص٢٩) لقد بنى هذا المعبد بثلاث مستويات الأوَّل تمثل بمصطبة اصطناعية بيضوية الشكل ترتفع تقريبا إلى ٧٠م عن المنطقة المجاورة ويرقى اليها سلم مكون من اربع درجات حجرية عبر مدخل وحيد في الضلع الشمالي الغربي فيها واحيطت تلك المصطبة بجدار بيضوي الشكل سمكه حوالى (١.٥م) (سفر، ١٩٤٥، ص٣٠) شيد على تلك المصطبة ما يعرف بالبيت الذي يعتقد أنه خصص للكاهن القائم على أداره المعبد بالإضافة إلى وجود الساحة الأمامية وممر يتراوح طوله ما بين (٣م إلى ٨م) أما المستوى الثاني تمثل بمصطبة بيضوية الشكل ترتفع عن طبقه الرمل ما يقارب (١٢٥سم -١٣٠سم) أحيطت بجدار أبعاده ٨٠×٦٠م وعرضه(٣.٥م) يتم الوصول إلى تلك المصطبة عبر مدخل في الضلع الشمالي منا وينحرف قليلا عن المحور المستقيم للمدخل الرئيس للبناية وتضم تلك المصطبة ساحة وسطيه احتوت على عده أبار للمياه واحيطت بغرف ذات اشكال واحجام مختلفة ربما

* العقير: موقع اثري يبعد حوالى ٨كم جنوب بغداد ويتكون من تليين مرتفعين.

استعملت تلك على الاغلب كغرف عمل أو أماكن خزن(Roaf, 1984, P.89-92). ان أعمال البناء تلك لابد وان تم بمشاركه افراد سكان ذلك العصر وبجهودهم الجماعية. يُنظر(لشكل :١٩) يمثل عمل جماعي لعمال بناء يعود إلى الالف الثالث قبل الميلاد. أما في الجزء الجنوبي الشرقي من تلك الساحة الوسطية شيدت المصطبة الرئيسة للمعبد والتي مثلت المستوى الثالث من مرحله البناء وهي ذات شكل مضلع أبعادها (٢٥×٣٠م) وارتفاعها (٤م) ويعتقد ان معبد صغير شيد فوقها أن هذا التطور اقترب إلى شكل الزقورات ذي الطبقات المتعددة كما ظهر في العصور اللاحقة(Roaf, 1984, P.89-91) ان ظهور المعابد المشيدة على مصاطب يمكن ان يعزى إلى عده أسباب منها إعطاء خصوصيه لتلك المباني الدينية إذ عدت من أهم المباني إذ يسكن فيها الإله؛ إذ إن المكان المرتفع بعطي للمعبد أكثر قدسيه وهيبة إضافة إلى ذلك المكانة التي احتلها المعبد مابين عصر العبيد الأوَّل ونهاية عصر فجر السلالات (٤٩٠٠-٢٣٧٠ ق.م) التي عرفت بفترة سيادة المعبد مما تتطلب إلى ظهور المعابد الكبيرة لكونها أصبحت المؤسسة الدينية الاقتصادية والاجتماعية لذا تتطلب إلى ظهور تلك المعابد الواسعة الحجم والمشيدة على ارتفاعات فلربما هي محاوله تميز المبنى الديني المقدس والمؤسسة الاقتصادية عن باقي أبنية المدينة(بحر جك، ١٩٩٨، ص٦٠) لقد تطور بناء تلك المصاطب أو الدكات لتصبح في العصور التالية وأصبحت ثلاث طبقات كما في العصر السومري الحديث (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م) وأصبحت طبقات تلك الزقورة تتراوح ما بين أربع طبقات إلى سبع طبقات إذ كانت الطبقات السبع هي المرحلة الأخيرة من تطور بناء الزقورة و أوضح مثال على ذلك زقورة بابل في العصر البابلي الحديث(سعيد، ١٩٨٨، ص١٣٢) الا أن عوامل التعرية أزالت الزقورة بالكامل ولم تترك سوى الأرض المشيدة عليها محاطة بأربعة خنادق وتمثل أسس القاعدة ومن خلال التحريات الأثرية للموقع بالإضافة إلى ما ذكر عنها في النصوص توصل الباحثون إلى تصور كامل للزقورة بابل والتي يفترض أنها تتكون من قاعده مربعه طول ضلعها (٩١.٥م) وانها تتألف من سبعه طبقات كل طبقه أصغر من سابقتها يرقى إلى كل طبقه بسلالم خارجيه وبالقرب من قاعده الزقورة كان يوجد عدد من الحجرات ويحيط بها سور والى جوار ذلك السور يوجد المعبد السفلى (بليافسكي، ٢٠١٠، ص١٥٠-١٥١)

ان بناء تلك الزقورات لابد ان تتطلب إلى الجهد البشري والمادي والتكا تف من الافراد من اصحاب المهن والحرف والعمال لإنجازه ولا يعرف الهدف الخاص من بناء الزقورة ألا أنها بالتأكيد لم تكن كالأهرامات المصرية مدافن للملوك وأن تشابهت معها من حيث الشكل العام أو الضخامة ومع ذلك فهناك بعض الباحثين من يرى بان الزقورة كانت بمثابة مدفن للإله المحتضر الذي يموت بصوره مؤقته ثم يقوم ويحيا بحسب معتقدات القوم(ساكز، ١٩٦٦، ص١٠٩) الا أن لا توجد أدله قويه تثبت هذا الرأي في حين يراها آخرون بأنها مكان أعدت لرصد النجوم والكواكب(رشيد، ١٩٨٥، ص١٨٦) الا أن أكثر الآراء قبولاً هو ان الزقورة شيدت لكي يشيد فوقها معبد صغير هو(المعبد العالي) الذي يعد مكان استراحة مؤقت للإله في طريقه و حسب معتقدات القوم بين السماء والأرض(سليمان، ١٩٩٣، ص١٢٥) ويمكن القول ان هذا البناء المدرج (الزقورات) وفي ضوء تلك التطورات التي مر بها هي ابداع وقدرات المعمار العراقي القديم وجهد المتعاون ونشاط عمل الافراد من سكان حضارة بلاد الرافدين.

٢- الأعمال الجماعية التي ساهمت في بناء الزقورة

أن أعمار وبناء الأماكن المقدسة (المعابد-الزقورات) من قبل افراد سكان العراق القديم قد تتطلب إلى حشد الجهود المتكاتفة من البنائيين والحرفيين والنجارين والحدادين وما إلى ذلك وهذا ما أشادت به النصوص الكتابية أن موارد مادية وطاقات بشرية قد جندت من أجل أعمال البناء بالإضافة إلى ذلك لربما وظفت ورشات عمل كاملة في عمل وتهيئة المواد الإنشائية (كالآجر) ونستنتج في ذلك في أحد النصوص التي تعود لعصر البابلي الحديث (٦٢٦- ٥٣٩ ق م) في كيفية الحصول على مواد البناء الكافية لانجاز الاعمال التي قد تكون جماعية المتعلقة ببناء برج حيث أشار النص : "**٠٠٠٠حصلت على ألف أو الفي من الكتل الجافة (الآجر) .... أدفع الفضة ... احضرها إلى بوابة أدد (بشكل عاجل) لعمل (بناء) برج معبد ...**" (CAD, P.40) (Bin, no.21 : 21 let).

وبما أن الأيدي القوة العاملة الأساس في انجاز اعمال البناء والترميم فقد ذكر في اغلب النصوص الكتابية إلى حشد الأيدي العاملة وهذا ما اشار به النص الذي يعود إلى نفس الفترة.

"…. هناك ٨٥٨٠ عاملا عملوا على بناء برج (زقورة) ...." (CAD, P.217a) (VAS, no.65:5).

وفي نص آخر للملك نابو –أيلا – أوصر ملك بابل إذ يذكر فيه تفاصيل بناء زقورة ((أي – تمن –أن–كي)) في مدينة بابل إذ يذكر فيه:

".. فرضت السخرة على جموع عمال بلادي ... وقطعت اللبن بعدد لا يحصى وصنعت أجراً لا يحسب كالمطر كالفيضان الهائل، ونقلت الأسفلت (بواسطة) قناة اراختو، ... بمهارة (آله أيا) وبمعرفة (اللهة مردوك) وبحكمة الالهيين (نابو بورسيا) ... واستناداً إلى حنكتي درست مليا ... أمرت الحرفيين من الخبراء ... جعلت المساحين يضعوا المقاييس واينما وجهت قلبي وضعت القياسات ... ارشدني الإلهة العظيم ... دلتني في المكان العظيم ... "(غانم، ٢٠١٢، ص٤٣٢).

وفي نص من العصر البابلي الحديث اشاد بالعمل الجماعي في بناء تلك الزقورات

إذ يذكر الملك نبونائيد تشيده لمعبد (عشتار في أكد وزقورته) إذ كتب على لوح الاساس العائد لذلك المعبد " ...على أسس معبد (É.UIMAŠ) من زمن سرجون ملك بابل وأبنه نرام سين الملوك السابقين حتى زمن نبونائيد ملك بابل أنهم (العمال) حفرو أسس معبد (É.UIMAŠ) ...." (بحر جك، ١٩٩٨، ص٢٦)

ان إنسان هذه التجمعات بعد ان ادرك وافعه ونمت لديه قابليه الوعي التي ميزته عن الحيوان وسعى إلى التآلف مع ابناء جنسه والعيش في تجمعات أوجدت عبر مراحل التطور علاقات اجتماعيه مختلفة فأسس العمل الجماعي لتحقيق سبل العيش لضمان استمراره في البقاء تركز كل تفكيره في مجال بيئته التي يمكن التأثير فيها وكذلك مظاهر الكون الأُخرى التي يصعب تفسيرها وعبر مراحل تطور فكره وبدأ يتصور بان هذا الكون وما يحتويه من

مظاهر انما تسيره قوى خفيه اخذ يجسدها كإلهه قياسيا للبشر وبدا يقدسها وبنى لها المعابد التي أخذت بالتطور عبر مرحل التاريخ فتميزت بسعة البناء وضخامته وعكست لنا براعه وقدره البناء والمعمار العراقي في اظهار خبرته في بناء تلك الزقورات كذلك الجهد لجماعي الذي استنزف في بناءها.

الخاتمة

١. بعد أن أدرك انسان العراق القديم واقعه ونمت لديه قابليه الادراك والوعي التي ميزيه عن سائر الحيوانات سعى الى التآلف مع أبناء جنسه والعيش في تجمعات أوجدت عبر مراحل التطور علاقات اجتماعية لربما كانت مؤسسه لقاعده العمل الجماعي لتحقيق سبل العيش وضمان استمراره في البقاء
٢. المؤثرات المناخية المتطرفة في شدتها وتباينها ترك أثرها في مستوى مراحل فكر انسان العرافي القديم وبدأ يتصور بان هذا الكون وما يحتويه من مظاهر انما تسيره قوى خفيه اخذ يجسدها كإلهه قياسيا للبشر وبدا يقدسها وبنى لها المعابد التي أخذت بالتطور عبر مرحل التاريخ
٣. كان بناء المعبد وما يتميز به من تخطيط هندسي بسيط ا لظهور الاول لعمارة الدينية إذ عد المعبد المكان الذي يوضع فيه تمثال الإله ويجمع المتعبدين في مكان واحد وتقام فيه الشعائر والطقوس الدينية وبدأ يمثل موضعاً من مواضع المقدسة التي اكتسبت قدسيتها من ارتباطها بالإلهة ومنذ ظهوره أستمر تشييد تلك المعابد و أخذت مخططاته بالتطور والتوسع وتميز بضخامة البناء وارتفاعه فكان ظهور المصاطب المدرجة أو يمكن اعتبار ذلك بداية لفكره الزقورة البيت الاله العالي وفي ضوء تلك التطورات التي مر بها أثبت فيها ابداع وقدرات المعمار العراقي القديم وجهد المتعاون
٤. أن أعمار وبناء الأماكن المقدسة (المعابد–الزقورات) وما تمتاز به من مخططات عكس لنا الجهد والنشاط الجماعي من قبل افراد سكان العراق القديم قد تتطلب إلى حشد الجهود المتكاتفة من البنائيين والحرفيين والنجارين والحدادين وما إلى ذلك

٥. امتازت حضارة بلاد الرافدين بعمارتها ولاسيما العمارة الدينية وما عكسته لنا من مضامين روحية وحضارية فمخططات البناء وضخامته انعكاس للتنظيم الاقتصادي والاجتماعي والديني بالإضافة الى ذلك الجهد والنشاط الجماعي الذي استنزف في اعمال البناء والتعمير

٦. إدراك سكان حضارة بلاد الرافدين قدرته على التكتل في مجموعات لانجاز المشاريع العمرانية والانتاجية الضخمة

٧. فساهم النشاط والعمل الجماعي في تأصيل حضارتنا فكانت العماره المرآة العاكسه لحضارة بلاد الرافدين

الأشكال

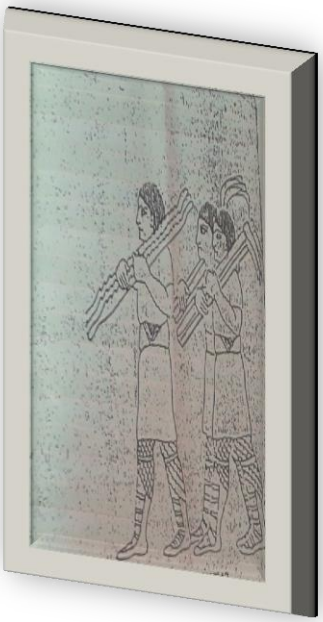

(الشكل :١) مشهد فني يصور مجموعه من الحرفين وهم حاملين عدتهم في حاله توجه الى عملهم نقلا عن .gs, H.W.F. Every Day.....p73

الشكل : (٢) مشهد العمل جماعي لعمال بناء نقلا عن d, H. Sumer And The Sumerians, London,1991,p165

المصادر العربية

١. بوتيرو، جان، (١٩٩٠)، بلاد الرافدين الكتابة – العقل – الالهة. ترجمة: الاب البير ابونا، بغداد.

٢. الدباغ، تقي، (١٩٦٠)، "الأثار والمستوطنات الزراعية الأولى في العراق"، مجلة الاستاذ، ع١-٢.

٣. الاحمد، سامي سعيد.(٢٠١٣)، المعتقدات الدينية في العراق, بيروتز

٤. باقر، طه و فرنسيس، بشير. (١٩٤٥)، "عقائد سكان العراق في العالم الآخر"، سومر، مج١، ج١، بغداد.

٥. باقر، طه، (٢٠٠٩)، مقدمة في تاريخ الحضارات،بغداد .

٦. السواح، فراس. (ب.ت)، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دمشق.

٧. الموسوي، جاسم مجيد جاسم. (٢٠٠٧)، الدين والمعتقد في حضارة وادي الرافدين وأثره في الفكر الديني في حضارة بلاد ايران ، أطروحة دكتواره غير منشوره، جامعه بغداد، كليه الاداب.

٨. علي، فاضل عبد الواحد. (٢٠٠٠)، سومر أسطورة وملحمة، ط٢، بغداد.

٩. اسماعيل، بهيجة خليل. (١٩٨٥)، "الكتابة"، حضارة العراق، ج١، بغداد.

١٠. الجادر، وليد وعبد الله، زهير رجب، (١٩٩٩-٢٠٠٠)، "رأي في التخطيط الثلاثي في العمارة العراقية القديمة في ضوء تنقيبات جامعة بغداد في تل عياش (حوض سد حمرين) "، سومر، مج٥٠، بغداد.

١١. الحسناوي، فائز هادي علي، (٢٠١٤)، عمارة المعابد الآشوريه، اطروحه دكتوراه غير منشوره، جامعه بغداد، كليه الاداب.

١٢. باقر، طه. (١٩٤٧)، "معابد العراق القديم"، سومر، مج٣،ج١ , بغداد.

١٣. – بصمه جي،فرج. (١٩٥٥)، "الوركاء"، سومر،مج١١، ج١،بغداد.

١٤. لويد، ستيون، (١٩٩٢-١٩٩٣)، أثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم الى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طالب، (ط١)، دمشق.

١٥. عبد الرزاق، حنان عبد الوهاب، (٢٠٠٣)، جدلية التواصل في العمارة العراقية، بغداد.
١٦. – عزة، حسين علي، (١٩٨٤)، "تل المقدادية واهميته الحضارية"، سومر، مج٤٠، بغداد.
١٧. مورتكات، انطوان، (١٩٧٥)، الفن في العراق القديم، ترجمة : عيسى سلمان وسليم طه، بغداد.
١٨. رشيد، فوزي، (١٩٨٥) "المعتقدات الدينية"، حضارة العراق، ج١، بغداد.
١٩. الدباغ، تقي. (١٩٨٨)، "من القرية إلى المدينة" المدينة وحياة المدنية، ج١، بغداد.
٢٠. سعيد، مؤيد، (١٩٨٥)، "العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث"، حضارة العراق، ج٣، بغداد.
٢١. حسين، أثير أحمد. (٢٠١٢)، "عمارة المعابد الآشورية وموجوداتها في ضوء النصوص الملكية، مجله جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج٢٠، ع٢.
٢٢. روبرت, كولد يفاي. (١٩٨٥)، معابد بابل وبروسيا، ترجمة : نوال خورشيد سعيد، بغداد.
٢٣. الاحمد، سامي سعيد. (٢٠١٣)، المعتقدات الدينية في العراق، بيروت.
٢٤. عبد الحسين، خالد موسى وسلمان، كاظم جبر، (٢٠٠٨)، "بناء وأعاده المعابد في بلاد بابل من قبل ملوك آشور خلال عصر السلالة السرجونية (٧٢١-٦١٢ق.م)"، مجلة القادسية للعلوم الإسلامية، مج١١، ع١-٢، العراق.
٢٥. اوتس، جون. (١٩٩٠)، بابل تاريخ مصور، ترجمه: سمير عبد الرحيم الجلبى, بغداد.
٢٦. غانم، عثمان، (٢٠١٢)، "كتابات تذكاريه تعنى بالعماره من العصر البابلي الحديث (٦٢٥-٥٦١)"، سومر، مج ٥٧، ج١،بغداد.
٢٧. مهدي، محمد على. (١٩٧٥)، دور المعبد في المجتمع العراقي القديم حتى نهاية دور الوركاء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.

٢٨. لينتسن، هاينرش. ١٩٨٩-١٩٩٠، "العمارة في منطقة أي – أنا في عصر الطبقة الرابعة لمدينة الوركاء "، ترجمه: عبد الرزاق ذنون الحسن، سومر، مج ٤٦،ج٢.
٢٩. بحر جرك، أوسام. (١٩٨٨)، الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم, رسالة ماجستير غير منشورة، جامعه بغداد، كليه الآداب.
٣٠. سعيد، مؤيد. (١٩٨٨)، "المدن الدينية والمعابد"، المدينة وحياة المدينة،ج١، بغداد.
٣١. بليافسكي، ف.أ. (٢٠١٠)، أسرار بابل، ترجمه توفيق فائق نصار، دمشق\سوريا.
٣٢. ساكر، هاري. (١٩٦٦)، عظمه بابل، ترجمة: عامر سليمان، ط٢، لندن.
٣٣. سليمان، عامر. (١٩٩٣)، العراق في التاريخ القديم ج٢، الموصل.
٣٤. عمران، مريم. (بلا.ت)، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصدر "المسمارية"، رساله دكتوراه غير منشوره، جامعه بغداد، كليه الآداب.

المصادر الأجنبية

1. Vonsoden,W.(1985), "AkkadischesH and wörterbuch", AHW. Band, 1.London.
2. Vanburen, D.(1945), Symblols of the Gods in Mesopotamian Art Roma.
3. - Roaf , M.(1984)"Ubaid Houses And Temple", Sumer Part. 43, Bagdad.
4. Delougza, P.(1939) "Ashort Investigation of the Temple at Al.Ubaid", Iraq, Vol.5, British.
5. Leuzen, H. J, (1974), "Die architektur Eanna in Der Uruk Periad ", Iraq, Vol.36, British.
6. - Koldwey,R.(2005), New Discoveries at warka in southern in Iraq 1955-2005, Berlin.
7. Al asil, N. (1960), "The Eanna District after Excavation in the Winter of 1958-1959 with Plan Map ", Sumer Vol.16, Baghdad.
8. Deloygaz, P. (1940), "Temple Oval At khafajah", Oip,Vol. 52, Chicaga.

9. Delougaz, P. And, Lloyd, S." Pre-Sargonid Temples in the Diyala Region", Oip, Vol.58, Chicaga
10. Lloyd, Seton. And Others (1904-1941), ".Tell Uqair: Government Direcotrorate of Antiquities in .
11. Martirossian, A. (1983), "Notes Concerning The Econmic Activities of The Babylonian Temple in The Frist Milennium B.C", Iraq, Vol.45, British.
12. Lloyd, Seton. And Others(1943)".Tell Uqair: Government Direcotrorate of Antiquities in 1940 and 1941 JENS, Vol.2.
13. Clayden, T.(1995), "The Date of the Foundation Depots in the Temple of ningal at UR", Iraq, Vol.57, British.
14. - Ahmad, A. L. And Grayson, A.k.(1999), "Sennacherib in the Akitu House", Iraq, Vol. 61, British.
15. Eknudsen, E.(1967), "Fragments of Historyical Textes From nimurd II", Iraq, Vol.29, British .
16. - Gearge, A. R, (1933), House Most Hight the Temples of Ancient Mesopotemia, London.
17. Merpert,N. And Munchaev,M. (1987), The e earliest, Levelsat yarim Tepe I and yarim Tepe II In Northern Iraq", Iraq, Vol. 49, British.
18. Lloyd, s. And others. (1943), TELL Uqair Uqair: Government Direcotrorate of Antiquities in 1940 and 1941", JENS, Vol.2.
19. Roaf,M. " Ubaid HouseAndTemples(1984),",Sumer,Vol.40,Part 2, Baghdad.
20. Safar ,f.(1950),″ Eridu Apreliminary Report on the Third Season is Excavation 1948- 1949″,Sumer, Vol. 6, Baghdad.

Arabic Sources

1- Potero Jean ,Mesopotamia ,Writing –Mind –Gods, Translated by Father Pier Abona ,Baghdad ,1990.

2- Al-dabagh ,Taqy, Antiquities and the First Agricultural Settlements in Iraq,Alustath Journal issue No.1-2,107,1960.
3- Al-Ahmed ,Sami Saeed ,Religious Believes in Iraq, Beirut ,2013.
4- Baqir ,Taha and Francis Basheer ,People of Iraq Believe in the Other World ,Summer ,Vol. 1,Part 1.Baghda ,1945.
5- Baqir ,Taha ,An Introduction in Civilization History ,Baghdad ,2009.
6- Al-Sawah ,Firas ,An Introduction to the Texts of Old Ancient East, Damascus ,(n.d).
7- Almusawy , Jasim Majeed Jassim ,Religion and Believe in Mesopotamia Civilization and its Influence in Iran States Civilization, Unpublished Dissertation ,University of Baghdad, College of Arts,2007 .
8- ALI ,Fadhil Abdulwahed ,A Legend and an Epic ,2ed Edition ,Baghdad ,2000.
9- Ismael ,Bqahija Khaleel "The Writing ",Civilization of Iraq ,Part 1,,Baghdad ,1985.
10- Aljader ,Waleed and Abdullah,Zuahir Rajab "An Opinion in the Tripartite planning in in Ancient Iraqi Construction in the light of the University of Baghdad Excavations in Tel Aiash (Hemreen Dam Basin)"Sumer ,Vol. 50 ,Baghdad 1999-2000 ,p302
11- Al-Hasnawy ,Hady Ali .Construction of Assyrian Temples .Unpublished Dissertation ,University of Baghdad ,College of Arts,2014.
12- Baqir ,Taha ,Temples of Ancient Iraq ,Summer ,Vol.3,Part 1,,Baghdad ,1974.
13- Basma .J .Faraj ,"Alwarka" ,Summer ,Vol. 11,Part 1,Baghdad ,1955.
14- Lyod ,Steon ,Antiquaries of Mesopotamia from Ancient Stone Age to Persian Invasion ,Translated by Mohammed Talib,,1st edition ,,Damascus ,1992-1993.

15- Abdulrazaq ,Hanan Abdulwahab ,The Dialectic Communication in Iraqi Construction , Baghdad ,2003.
16- Izat Hussien Ali ,Tel Almuqdadia and its Civilization Importance ,Sommer , Vol.40,Baghdad 1984 .
17- Mortqat ,Antwan ,Arts in Ancient Iraq ,Translated by Issa Salman and Saleem Taha ,Bagdad ,1975 .
18- Rasheed Fawzy ,Religious Believes, Civilization of Iraq ,Part 1 ,Baghdad ,1985 .
19- Taqy ,Al-dabagh "From Village to City "City and Urban Life ,Part 1,Baghdad ,1984 .
20- Saeed M'uaid "Construction From the of Dynasties to the End of Babylonian Modern Age "Civilization of Iraq ,Part 3 ,Baghdad ,1985.
21- Hussien ,Atheer Ahmed," Construction of Assyrian Temples and its Assists in the Light of Royal Text " Journal of Babylon University for Human Sciences, Vol. 20,issue No. 2,2012.
22- Robert Coledify ,Temples of Babylon and Prussia ,translated by Nawal Khorsheeed Saeed ,Baghdad ,1985 .
23- Al-ahmed ,Sami Saeed ,Religious Believe in Iraq ,,Beirut ,2012.
24- Bdulhueeien ,Khaled Mussa and Salman ,Kadhum Jabur ,Building and Reconstruction of Temples in Babylon by Kings of Assyria During Sergon Dynasty Age (721-612 B C),Alqadesia Journal for Human Sciences ,Vol .11,issue 1-2 ,Iraq ,2008 .
25- Otis John ,Babylon ,Photographed History ,Translated by Sammer Abdulraheem Al-Chalaby ,Baghdad ,1990 .
26- Ghanem Othman "Memory Writings Concerns of Construction from Modern Babylon Age "625-561),Summer ,Vol.57 ,Part 1, Baghdad ,2017 .
27- Mahdy Mohammed Ali ,The Role of Temple in Iraqi Ancient Age Until the End of Alwarka' ,unpublished master thesis , College of Art ,1975 .

28- Lintsen Hinresh ,Construction in Ay-Ana in the Age of the Fourth Layer of Alwarka' City Area Translated by Abdulrazaq Tahanoon Alhassan ,Summer , Vol.46.Part2 ,1989-1990.
29- Bahar ,Cherik Awsam ,Alzaqora a Distinguished Civilized Phenomena ,University of Baghdad ,College of Arts ,1998 .
30- Saeed, Mu'yad , Religious Cities and Temples, City and Life of City .Part 1,Baghdad ,1988 .
31- Beliafsky ,F.A. , Secrets of Babylon ,Translated by Tawfiq Faeq Nassar ,Damascus ,Syria ,2010.
32- Saker, Harry ,The Greatness of Babylon ,Amir Suleiman ,2ed Edition ,Lebanon ,1966 .
33- Sulieman Amir ,Iraq in Ancient History ,Part 2,Mosul ,1993 .
34- Umran Mariam ,Religious Thinking History of Sumerian in the Light of "Cuneiform " Resource ,unpublished PhD Dissertation ,University of Baghdad ,College of Arts .

تدجين الكلب في الشرق الأدنى القديم – بلاد الرافدين انموذجا

Dog domestication in the Ancient Near East - Mesopotamia as a model

نسرين جبر عبيد النداوي

Nisreen J. Abid Alndawi

طالبة ماجستير/ جامعة بغداد/ كلية الآداب /قسم الآثار

Fataa_1986@yahoo.com

07710325292

أ.م.د. ماجدة حسو منصور عيسو

Majida H. Mansoor Esso

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ قسم التاريخ/ تدريس تاريخ وآثار شرق أدنى قديم

Majida.hasso2020@gmail.com

07705875974

تدجين الكلب في الشرق الأدنى القديم – بلاد الرافدين انموذجا

نسرين جبر عبيد النداوي
أ.م.د. ماجدة حسو منصور عيسو

ملخص

يعد الكلب الحيوان الأكثر التصاقا بالأنسان منذ العصور الحجرية وحتى الوقت الحاضر بما امتاز ويمتاز به من صفات وامكانيات ومواهب استطاع البشر الافادة منها عبر العصور، اذ تمثلت أولى صفات الكلب بكونه حيوانا مرافقا للانسان في عمليات الصيد والقنص وحارسا أمينا ثم راعيا للماشية بعد أن اهتدى الأنسان الى الأستقرار ومعرفة الزراعة وتدجين الحيوانات وأنتهاءا بأهميته في الوقت الحاضر في مجالات عدة، اذ تمكن هذا الحيوان من أن يكسب ثقة الأنسان به عبر هذه الفترة الزمنية الطويلة. وقد لعبت البيئة الطبيعية من أرض وظروف مناخية وكائنات حية دورا في صياغة العلاقة بين الأنسان والكلب ومعرفته بكيفية تقريبه اليه لغرض الأفادة منه بعد معرفته بكيفية أستئناسه وتدريبه وترويضه وأنتهاءا بتدجينه ليتعايش معه دون خوف، فتوصل الى أنتاج حيوان سهل الأنقياد بالأمكان التحكم به والتعامل معه.

ويرجح أن عملية تدجين الكلب في العالم أجمع جرت خلال العصر الحجري القديم في المدة (١٢٠٠٠-١٠٠٠٠ ق.م) اذ يمكن تمييز عظامه اعتبارا من هذا التاريخ عن النوع البريّ، أما في مناطق الشرق الأدنى القديم فان أقدم بقايا لعظام كلب مدّجن تم العثور عليها كانت في كل من ايران وفلسطين تعود الى مدة العصر الحجري الوسيط، في حين أرخت أقدم بقايا عظمية مدّجنة لكلاب في بلاد الرافدين الى العصر الحجري الحديث وفقا لما وجد منها في جرمو، القرية المؤرخة الى نحو (٨٠٠٠-٦٥٠٠ ق.م) اذ تم العثور على الكثير من عظام الكلاب المدجّنة فيها فضلا عن تماثيل طينية صغيرة شخص بعضها على أنها كلاب، ثم توالت مثل هذه البقايا في العصور اللاحقة.

Abstract

The dog is the animal that is most attached to man from the stone ages until the present time with its characteristics, capabilities and talents that humans have been able to benefit from through the ages. Stability and knowledge of agriculture and the domestication of animals and the end of its importance at the present time in several areas, as this animal was able to gain the confidence of a person in him through this long period of time. The natural environment of land, climatic conditions and living organisms played a role in shaping the relationship between man and dog and his knowledge of how to draw him closer to him for the purpose of benefiting from him after knowing how to domesticate, train and tame him, and finally to domesticate him in order to coexist with him without fear. So he produced a docile animal that could be controlled and dealt with.

It is likely that the process of domestication of the dog throughout the world took place during the Paleolithic period in the period (12000-10000 BC), as its bones can be distinguished from this date from the wild type in, The regions of the ancient Near East, the oldest remains of a domesticated dog's bones were found in Iran and Palestine dating back to the Mesolithic period, while the oldest domesticated bone remains of dogs in Mesopotamia date back to the Neolithic period, according to what was found in Jermo, the village dated to about (8000-6500 BC), as many domesticated dog bones were found in it, as well as small clay statues, some of which were personified as dogs, and then such remains came to pass in later ages.

الكلمات المفتاحية: (الأنسان، التدجين، عصور حجرية، الكلب)

Key words: (Dog, Domestication, Human, Stone ages)

مقدمة

يعُد الكلب حيواناً حراً يمكنه العيش في بيئات مختلفة إمّا في حفر أو جحور أو أماكن مهجورة، وهو لا يستقر في مكان معيّن الا في حالة الإنجاب والتكاثر ورعاية جراءه (Wilson, 1994, p.936)، أمّا عن علاقته بالإنسان فإنها تمتد إلى عمق التاريخ البشري

(Hizheimer 1932, p.13) حين تمّكن من استئناسه ومن ثم ترويضه وتدجينه لخدمته (Wilson, 1994, p.940) ، فقد كانت صفات الكلب وقدراته سنداً للإنسان في أطوار حياته الأولى يوم كان يعيش في الكهوف والمغاور أبان العصور الحجرية ومن ثم إنتقاله إلى القرى الزراعية وصولاً إلى الحياة المدنية وحتى وقتنا الحاضر بوصفه من أهم الحيوانات المدّجنة مرافقةً للبشر.

تم تقسيم البحث الى ثلاثة محاور رئيسية تضمن الأول منها موجز مركز عن البيئة الطبيعية وتأثيرها على الأنسان والحيوان بشكل عام وعلى بلاد الرافدين بشكل خاص، أما المحور الثاني فخاص بالأدلة الأثرية الخاصة بتدجين الكلب خلال العصور الحجرية مع توضيح تاريخي لهذه العصور وعلاقتها بعملية التدجين، وأخيرا المحور الثالث وهو خاص بآلية تدجين الكلب والنظريات المتعلقة بعملية التدجين وكذلك تصورات منطقية للكيفية التي تمت بها هذه العملية.

أولاً: البيئة الطبيعية

تمثل البيئة الطبيعية كل ما يحيط بالإنسان من أشياء ومخلوقات محسوسة وملموسة ليس له علاقة بخلقها على سطح الكرة الأرضية، وهي الوسط الذي يمارس فيه الإنسان نشاطات حياته المختلفة من خلال إستغلال ظروفها وإمكانياتها لخدمته والأفادة منها عبر تسخير وترويض (الدباغ، ١٩٨٥، ص١٦)(Aldabak, 1985, p.16) عناصرها المختلفة، فالأحداث التي تأخذ مجراها داخل أي نظام بيئي ما هي إلاَّ نتاج تفاعل مجموعة من العوامل تشمل الأرض (التربة الزراعية وطبيعتها وتركيبها) والمناخ (ضوء، حرارة، رطوبة، رياح.... الخ) والكائنات الحية من نبات وحيوان من ضمنها الإنسان بكل تأكيد (عبد السلام، ١٩٨٢، ص١٨٦)(Abd Alsalam, 1982, p.186).

إن البيئة الطبيعية شكلّت مع الإنسان، منذُ القدم، وحدة متكاملة لا يمكن الفصل بينها، أسفرت عن أن يكون لكل تجمع بشري إقليم خاص تحيط به ظروف طبيعية أثرّت عليه بشكل مباشر أو غير مباشر (ديورانت، ١٩٨٨، ص٦–٨)(Deurant, 1988, pp.6-8)، فقد سعى الإنسان منذُ ظهوره على سطح البسيطة إلى أكتشاف أسرار الكون وفهم قوانين

الطبيعة التي تتحكم بالظواهر الطبيعية لتسخيرها والأفادة من الثروات الطبيعية لمصلحته ولتحسين ظروف معيشته بهدف تحقيق سعادته ورفاهيته (باقر، ٢٠٠٩، ص٢١٦) (Baqer, 2009, p.216).

لقد كانت البيئة الطبيعية لبلاد الرافدين منذُ العصور الحجرية وما زالت، معيناً لا ينضب من الثروات الطبيعية المختلفة أمنّت بقاء الإنسان وأستقراره، كالظروف المناخية الملائمة في المناطق الشمالية من بلاد الرافدين (النجم، ٢٠٠٦، ص٢١-٢٢) (Alnajim, 2006, pp.21-22)، والمصادر الغذائية المتنوعة التي أدّت إلى تواجد وتنوع المخلوقات الحيوانية (الدباغ، ١٩٨٥، ص٢٠-٢١)(Aldabak, 1985, pp.20-21)، والتي أسفر التفاعل القوي والمتواصل، سلباً وايجاباً، بينها وبين الإنسان إلى نشوء علاقة بينهما أسفرت عن إستبعاد بعضها بوصفها وحشية وبقاءها هدفاً متاحاً للصيد، وتقريب بعضها الآخر لما تحمله من صفات قابلة للترويض والتدجين والقولبة لاستعمالها لمنفعته سواء كان بعضها للمرافقة في الصيد وأكتشاف مكان الفريسة، أو للإفادة من منتجاتها أو لغرض المؤانسة معها وتدليلها، وكان أحد هذه الحيوانات، بلا شك، هو الكلب (أوبنهايم، ١٩٨١، ص٤١٦-٤١٧)(Oppenhaim, 1981, pp.416-417).

ثانياً: الأدلة الأثرية لتدجين الكلب في بلاد الرافدين خلال العصور الحجرية

١- التطور – التدجين – الاستئناس – التدريب – الترويض

من المهم إبتداءاً إظهار وجه الأختلاف بين مصطلحي التدجين والتطور من إذْ معناهما، فالأول ينطوي على تدخل وسيطرة الإنسان على تكاثر الكائنات الحية، أمّا الثاني فهو عملية تتم عن طريق الإنتقاء الطبيعي من البيئة المحيطة من دون تدخل مباشر من قبل الإنسان (داروين، ٢٠٠٤)(Darwen, 2004)، ففيها تستمر السمات الجينية الأكثر ملائمة للأجواء البيئية المحيطة بالتطور والأزدهار حتى تصبح متكاملة عبر الأجيال القادمة فتكون آنذاك نتائج الأنتقاء الطبيعي ظهور كائنات حية تتكيف بشكل أفضل لإعالة نفسها

والتكاثر بنجاح، والعوامل المؤثرة في موضوع الأنتقاء الطبيعي هذا عديدة مثل توافر الغذاء والماء، الأمراض، الهجرة، الأنحراف الجيني، القدرة التناسلية والزواج العشوائي، أي لا يكون التغيير في عملية التطور في شكل الكائن الحي فحسب وإنما في نوعه وإداء وظائفه الداخلية، ومن الجدير بالذكر أن عملية التطور هذه تحدث بشكل بطيء لآلاف من السنين (Raiser, 2004, pp. 112-114).

أمّا التدجين فهو عملية يقوم الإنسان فيها بالتدخل في حياة أنواع معينة من الحيوانات، يعمل على نقلها من المناطق التي تعيش فيها بصورة برّية إلى مناطق يتم فيها تربيتها تحت إشرافه لأغراض الأفادة منها لجعلها متأقلمة ومنسجمة معه من خلال إخضاعها لنمط معيّن من الحياة (البستاني، ١٨٧٠، ص٦٢٧) (Albustani, 1870, p.627); (Foyer, 2015, p.3) فالحيوان المدّجن هو الذي تربى تحت سيطرة ورعاية الإنسان لأجيال عدة متعاقبة لكي تظهر منه سلالة تختلف عن أصله البرّي الذي ينتمي إليه (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٨٣)(Aldabak, 1981, p.283)، وبذلك يظهر حيواناً يسمى داجناً يتعايش مع الإنسان فهو يعرفه ولا يخافه ولا يُعدَّ فريسة محتملة ويعتمد عليه في طعامه وإحتياجاته الأساسية(FrancQ, 2007, p.13) .

أي أن الهدف من التدجين هو تغيير النوع البرّي للسلوك وإنتاج حيوان سهل الأنقياد بالإمكان التحكم به والتعامل معه، ويتم ذلك من خلال الأختيار الدقيق من قبل الإنسان للسمات المرغوب بها في الكائن الحي مثل الحجم واللون والشك (Raiser, 2004, pp.116f)، وحينذاك يسيطر عليه بشكل فعاّل من خلال الإفادة من لحمه وجلده وصوفه وشعره ولبنه وفي جر العربات والنقل والركوب... الخ (سلطان، ٢٠٠٠، ص٨٣) (Sultan, 2000, p.83).

ومع أن عملية التدجين تغيّر نوع الكائن الحي من الناحية الشكلية والأجتماعية إلاَّ أنها في بعض الأحيان تعمل إلى جانب العملية التطويرية في ذات الوقت، فالكلاب مثلاً وكذلك أنواع أُخرى من الحيوانات تخضع للعديد من التغيرات الهيكلية عند التدجين والتي

تحدث أغلبها في الجمجمة وتشمل تقصير الوجه وإزدحام الأسنان وتقليل حجمها، فضلاً عن طول الأطراف وحجمها (Raiser, 2004, pp.112f) .

من المهم الإشارة إلى أن هناك مصطلحات لها علاقة بالحيوانات عادة ما تستعمل، لها مفاهيم معينة تختلف عن التدجين وهي الأستئناس والتدريب والترويض (Galibert, 2011, p.190)، فالأوَّل يقصد به التآلف والملاطفة (المنجد، ٢٠٠٨، ص١٩)(Almunjed, 2008, p.19)، في حين ان الثاني يعني التذليل والتطويع والتعليم (المنجد، ٢٠٠٨، ص٢٨٧)(Almunjed, 2008, p.287)، بينما الثالث هو التعويد على شيء ما (المنجد، ٢٠٠٨، ص٢١٠)(Almunjed, 2008, p.210)، والمعروف أن الترويض والتدريب ممارستان قد تجرى على كلٍ من الحيوانات المدّجنة والبرّية معاً كما يحدث في عروض السيرك في الوقت الحاضر.

بشكل عام يمكن الإستدلال على وجود التدجين في المناطق الأثرية من خلال الكشف عن الآلآت والأدوات التي كان الإنسان يستعملها في علاقته مع الحيوان، وكذلك من خلال الأعمال الفنية التي تمثل الحيوانات المسخرّة لخدمة الإنسان، وأخيراً من بقايا عظام الحيوان في هذه المناطق وعلاقتها مع اللقى الأثرية الأُخرى (الدباغ، ١٩٨٥، ص١١٦)(Aldabak, 1985, p.116).

٢- تدجين الكلب في بلاد الرافدين خلال العصور الحجرية

أ. العصر الحجري القديم (٦٠٠٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠٠ – ١٠٠٠٠ ق.م)

لأبدَّ أن أول علاقة جمعت الكلب بالإنسان كانت علاقة إفتراس بدائية حاله حال الحيوانات الأُخرى في حين أن الحيوانات بشكل عام كانت المصدر الغذائي الأوَّل والمهم للإنسان (الملائكة، ١٩٧٤، ص١٢)(Almalaika, 1974, p.12)، ثم تطور الأرتباط بينهما حتى وصل إلى مرحلة التدجين الذي يعتقد أنه حدث في المدة المحصورة بين (١٢٠٠٠- ١٠٠٠٠ ق.م) في العالم أجمع، إذْ يُعدَّ الكلب من أولى الحيوانات المدّجنة نتيجة التدخل المباشر من قبل الإنسان إذْ يمكن تمييز عظامه إعتباراً من هذا التاريخ عن النوع البرّي (Raiser, 2004, p. 248) .

فقد تم العثور على آثار عظام الكلب في مناطق متعددة من العالم تعود أقدمها إلى العصر الحجري القديم ولعل أقدم هذه الأدلة الأثرية تم العثور عليها في سيبريا في روسيا تؤرخ الى نحو ٣٥٠٠٠ سنة مضت (Foyer, 2015, p.4) ،إذْ كان أول حيوان إستأنسه الإنسان وتآلف معه على مستوى العالم (دياكوف وكوفاليف، (ب.ت)، ص٢٨) (Diyakov & Kofalief, p.28)، الأمر الذي دعا البعض إلى التأكيد على أحتمالية إرتباط طويل بين الإنسان والذئب (Clutten, 1980, p.39) (سلف الكلب) تعود إلى (٣٥٠٠٠) سنة مضت أي في المدة التي كان لا يزال فيها الكلب ذئباً(Galibert, 2011, p.190) .

أمّا في بلاد الرافدين فقد كانت سفوح جبالها من بين المناطق التي تمتعّت منذ بداية العصر الحجري القديم ببيئة ملائمة لعيش أنواع مختلفة من الحيوانات البرّية والمتوحشة (الوائلي، ٢٠١٩، ص٢٦)(Alwaili, 2019, p.26) أنقرض البعض منها ولا زال الآخر موجوداً حتى وقتنا الحاضر ومن بينها الكلاب البرّية (النجم، ٢٠٠٦، ص٢١،٤٦)(Alnajim, 2006, pp.21, 46)، التي أعتاد إنسان ذلك العصر قبل تدجينه لها إلى قنصها في أماكن تواجدها بوصفها مصدراً غذائياً (Raiser, 2004, p.125)اذ كان يعتمد في تأمين غذاءه على صيد مختلف أنواع الحيوانات فضلاً عن جمع القوت البريّ، ثم وبالتدريج على مرّ السنين، وبحسب الدلائل الأثرية، فإن الكلاب التي إعتاد الصيادون على إصطيادها في المناطق الخاصة بها أخذوا يحتفظون بها أو بصغارها ثم بدأوا يربونهم بمعزل عن البرّية منها (محمود، ١٩٨٠، ص٢٦–٢٧)(Mahmood, 1980, 26-27)، وهكذا بدأت عملية التدجين التي كانت فطرية في الأساس ثم مرّت بمراحل عدة إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن (Clutten, 1980, p.39).

وقد تمّ العثور على أقدم الهياكل العظمية الخاصة بالكلاب في بلاد الرافدين في هذا العصر في موقع بالي كورا، والتي شخصت نحو (١٢٠٠٠) ق.م (Clutten, 1980, p.39)، في حين تنسب في مصادر أُخرى إلى نحو (١٠٠٠٠) ق.م (FrancQ, 2007, p.14).

ب. العصر الحجري الوسيط (١٠٠٠٠- ٩٠٠٠ ق.م)

مع إطلالة العصر الحجري الوسيط إعتدل المناخ ومال إلى الدفء والجفاف النسبي (الصالحي، ٢٠١٧، ص٣٠)(Alsalihi, 2017, p.30)، فبدأت حياة الإنسان تتغير إذْ التجأ إلى أماكن تواجد المياه ومن ثم قام بأنتاج القوت عن طريق الزراعة المحدودة وتربية الحيوانات وتكييفها للعيش في المراعي، حيث أن الزراعة وتربية الحيوان حرفتان متلازمتان سارا جنباً إلى جنب وهذا ما يطلق عليه عادة مصطلح ((الزراعة المختلطة)) (الدباغ، ١٩٨٨، ص٣٠)(Aldabak, 1988, p.30).

يُعدَّ هذا العصر تمهيدياً وإنتقالياً بين عصرين الأوَّل هو العصر الحجري القديم المعتمد على صيد الحيوانات وجمع القوت، والثاني هو العصر الحجري الحديث القائم على إنتاج القوت (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٧٨)(Aldabak, 1981, p.278)، إذاً وبعد مرور مئات من السنين حصل الأنتقال المهم من أسلوب قائم على الأفادة مما موجود في الطبيعة من حيوان ونبات إلى طريقة أُخرى تستند على حياة أقتصادية جديدة إعتمدت كلياً بعد ذلك على الزراعة (الرويشدي، ١٩٧٣، ص٤)(Alrwashidi, 1973, p.4)، وأصبح فيها الصيد مسألة ثانوية بالمقارنة مع الزراعة والرعي (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٨٠) (Aldabak, 1981, p.280).

لعبت التغيرات المناخية المذكورة دوراً في تغيير حياة الحيوانات أيضاً التي إضطرت إلى اللجوء إلى مناطق توافر المياه متبعة في خطاها الإنسان الذي سبقها اليها (سلطان،٢٠٠٠، ص٨٤)(Sultan, 2000, p.84)، ومع مرور الأيام نمت المودة بين الإنسان والحيوانات، وشيئاً فشيئاً وجد الإنسان مصلحته تقضي أن يتحول إلى حياة الأستقرار وأن يربي الحيوانات ويسخرّها في خدمته (الدباغ، ١٩٨٥، ص١١٩) (Aldabak, 1985, p.119)، مع أنه من الصعب تتبع المراحل الأولى التي بدأ الانسان فيها التدجين مثلها مثل صعوبة تتبع المراحل الأولى للزراعة بل ويصعب معرفة أيهما سبقت الأُخرى (الدباغ، ١٩٨٨، ص٢٢٠؛ سليمان، ١٩٩٣، ص٢٣٤) (Aldabak, 1988, p.220; Sulayman, 1993, p.234)، إلا أنه يمكن القول أن التدجين بمعناه البدائي وهو الأستئناس قد يكون

سبق الزراعة وبالتحديد تدجين الكلب بدلالة عظامه التي تم تواجدها في كهوف إنسان العصر الحجري القديم كما سبقت الإشارة.

لاشك أن من أهم مناطق العالم التي تواجد فيها الكلب قديماً إلى جانب الإنسان كانت مناطق الشرق الأدنى القديم، إذْ أنَّ أقدم بقايا لعظام كلب مدّجن تم العثور عليها كانت في كلٍ من إيران وفلسطين تعود إلى مدة العصر الحجري الوسيط (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٨٨-٢٨٩)(Aldabak, 1981, pp.288-289) إذْ إستئنسه الإنسان والذي لأبدَّ بالبداية أستعمله لأكله ثم كمساعد له ورفيق في الصيد ولحماية نفسه من الحيوانات المفترسة (غلاّب والجوهري، ١٩٧٥، ص٢٦٤، ٢٦٥، ٣١٥) (Galab&Aljawhari, 1975, pp.264, 265, 315)، ففي بداية الأمر لأبدَّ أن مراحل التدجين كانت لأغراض الأستئناس ثم جاءت بعدها للأغراض الاقتصادية (المتولي، ٢٠٠٧، ص٢٠٠-٢٠١) (Almutawali, 2007, pp.200-201).

في بلاد الرافدين يعد موقعي زاوي جمي وكريم شهر من أهم المواقع الخاصة بالعصر المذكور والتي يمكن فيها تتبع الجذور الأولى لتدجين الحيوانات، إذْ تم العثور على بقايا عظمية لحيوانات برّية قابلة للتدجين، والأرجح أن يكون الكلب من ضمن تلك الحيوانات على الرغم من عدم العثور على عظامه في مواقع هذا العصر (الوائلي، ٢٠١٩، ص٢٨، ٣٢) (Alwaili, 2019, pp.28, 32).

ج. العصر الحجري الحديث (٩٠٠٠- ٥٦٠٠ ق.م)

أتضحت ملامح الأنقلاب الأقتصادي في توجه الإنسان إلى الزراعة وتدجين الحيوان في العصر الحجري الحديث بعد أن كانت بوادره قد ظهرت في العصر السابق، ذلك الأنقلاب الذي كان أثره عظيماً في حياة الإنسان وفي مسيرته الطويلة نحو الحضارة والمدنية (باقر، ٢٠٠٩، ص٢١٥)(Baqer, 2009, p.215)، ففي هذا العصر الذي إستقر فيه الإنسان بشكل نهائي، تضافرت العوامل الحياتيه وإمكانية التدخل المقصود والمباشر من قبل الإنسان للقيام بعملية تدجين الحيوانات التي توضحت معالمها في هذا العصر والعصور اللاحقة (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٨١-٢٨٢)(Aldabak, 1981, pp.281-282).

لعّل أهم قرى العصر الحجري الحديث قرية جرمو المؤرخة إلى نحو (٨٠٠٠-٦٥٠٠ ق.م) والتي أشارت البقايا العظمية للكلاب الموجودة فيها إلى ممارسة تدجينهم مع بعض الحيوانات الأُخرى (رو، (ب.ت)، ص٧٨)(Ro, (n.d) p.78)، إذْ تم العثور على نحو (٥٠) قحف وشظايا الفك السفلي لكلاب أليفة ضخمة جداً مما يعد مؤشراً لكون عملية تدجين هذه الحيوانات كانت مستمدة من الذئب المحلي (Raiser, 2004, p.147) ، فضلاً عن العثور على تماثيل طينية صغيرة لحيوانات شخّص بعضها على إنها كلاب (Morales, 1983, p.372).

إن هذه الآثار سواء العظمية منها أم الفنية تعد مؤشراً مؤكداً لتكيف هذا الحيوان مع البيئة الجديدة للإنسان وتغلغله في حياته الأجتماعية والأقتصادية وحتى الدينية في هذا العصر والعصور اللاحقة.

د. العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠- ٣٥٠٠ ق.م)

بالإنتقال إلى العصر الحجري المعدني يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة ظهور ملامح الحضارة الإنسانية الأولى بعد أن إستقر بشكل دائمي، فحدثت سلسلة من التطورات الحضارية كانت مدخلاً للعصور التاريخية إذْ التطور في جميع نواحي الحياة، مثل أتساع رقعة الزراعة وظهور نظام تقسيم العمل وطلائع التخصص وأستيطان مساحات واسعة من الأراضي اثر إزدياد عدد السكان، وأتساع القرى الزراعية بل وتطور الكثير منها إلى مدن فنجم عن ذلك تطوراً في النظام السياسي والأجتماعي والأقتصادي للإنسان (باقر، ٢٠٠٩، ص٢٢٩-٢٣٠)(Baqer, 2009, pp.229-230)، ولأبدَّ أن هذا التطور، ولاسيَّما في مجال الزراعة، نجم عنه تطوراً في مجال عملية التدجين وتنوع الحيوانات المدّجنة ومن ضمنها الكلب بما يتماشى وطبيعة المرحلة من حيث أحتياج الإنسان إلى الحيوانات المختلفة في مختلف نواحي حياته الأقتصادية.

تُعد قريتا حسونة ويارم تبة من القرى الزراعية التي تعود لهذا العصر واللتان تقدمتا في مجال التدجين (Merpert and Mnncharv, 1969, pp.125ff) ، كذلك تم العثور ضمن التنقيبات الأثرية في قرية أم الدباغية على بقايا عظمية تؤكد قيام سكانها بتدجين

الكلاب(Bökönyi, 1973, p10)، وكما تم العثور على جمجمة لكلب سلوقي مدّجن في موقع تبة كورا (رو، (ب.ت)، ص٩٩–١٠٠)(Ro, (n.d), pp. 99-100) في شمال العراق أرخ إلى عصر العبيد (٤٠٠٠– ٣٥٠٠ ق.م) (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٨٩) (Aldabak, 1981, p.289) وهو العصر نفسه الذي تؤرخ إليه المقبرة البشرية في مدينة أريدو والتي تم العثور فيها على كلاب مدّجنة مدفونة مع البشر (لويد، ١٩٩٢–١٩٩٣، ص٦٢) (Liwed, 1992-1993, p.62).

بشكل عام يمكن القول أنه أستمر استعمال الكلاب خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في مجالي الحراسة والصيد إذْ وجدت بقايا عظامها في معظم القرى الزراعية العائدة لهذين العصرين (النجم، ٢٠٠٦، ص٤٦)(Alnajim, 2006, p.46) وصولاً إلى العصور التاريخية في بداية الألف الثالثة قبل الميلاد وظهور المستوطنات السومرية في جنوب بلاد الرافدين إذْ بداية الحياة المدنية (ساكز، ١٩٧٩، ص٣٦) (Sagez, 1979, p.36).

ثالثاً: كيف تم تدجين الكلب؟

يمكن القول أن ليس هناك شيئاً مؤكداً حول موضوع أصل تدجين الكلب وتاريخه بأستثناء ما تم ذكره وما تم العثور عليه من أدلة آثارية تعد قليلة ولا تعطي صورة متكاملة عن بداية الموضوع وماهيته (Foyer, 2015, pp.3f)، ولربما يعود السبب بالدرجة الأولى إلى عدم الأهتمام بما تم العثور عليه من عظام الكلاب من قبل المنقبين الأوائل، فلو كان تم ذلك لدرست دراسة علمية صحيحة من قبل المختصين ولكان موضوع تدجين الكلب وعلاقته بالإنسان الأوَّل خلال العصور الحجرية، الممتدة لآلاف السنين، أكثر وضوحاً بكثير مما هو عليه في الوقت الحاضر (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٩٠)(Aldabak, 1981, p.290).

ومن ثم فإن أمر كيف استطاع الإنسان أن يفرض سيطرته على الكلب وإدخاله إلى نظام حياته الأجتماعية ما زال موضوعاً يختلف فيه الباحثون، لكن في المجمل هناك نظريتان رئيسيتان حول إستئناس الحيوانات، بشكل عام، ومن ثم تدجينها (غلاّب والجوهري،

١٩٧٥، ص٢٦٤)(Galab & Aljawhari, 1975, p. 264) أولهما تقول بأن ذلك له علاقة بأصول دينية إِذْ عُدَّت الحيوانات ذات قدسية معينة وإن لها تأثيرات معينة على الإنسان (Zeuner, 1955, p.329) إِذْ كان في حاجة إِلى التقرب من البعض منها لاستعمالها كقرابين (الرويشدي، ١٩٧٣، ص٥)(Alrwashidi, 1973, p.5)، أمّا النظرية الثانية فترجع التدجين لأسباب أقتصادية أي للحصول على لحومها وجلودها (Braidwood, 1990, p.134).

وكما إن هناك من يقول أن إستئناس وتدجين الحيوان قد مرّ بخمسة مراحل هي (غلاّب والجوهري، ١٩٧٥، ص٢٦٤)(Galab & Aljawhari, 1975, p.264):

١. مرحلة التعايش (Symbicsis).
٢. مرحلة الأعتماد على الغير (Scavenging).
٣. مرحلة أستغلال كل مجموعة للأُخرى (Social Parasitim).
٤. مرحلة الترويض (Taming).
٥. مرحلة التدجين الكامل (Systematic demostication).

يدمج البعض هذه المراحل كلها، فيما يخص الكلب، في مرحلتين: الأولى هي عملية التدجين التي جرت عندما عرف الإنسان الزراعة وأكتشفها أي عندما تغيرت حياة الإنسان من حياة الصيد وإلتقاط القوت إِلى حياة الأستقرار في العصور القديمة (Foyer, 2015, p.3)، أمّا المرحلة الثانية فهي حديثة وتخص السلالات والتحكم بها والتي حدثت في مدة (٢٠٠–٣٠٠) سنة الأخيرة (Foyer, 2015, p.3; Ostrader, 2019, p.810) إِذْ تميزت بالتركيز على الصفات البدنية – الجسدية مثل الحجم، الشكل، الطول، نوع الشعر ولونه فضلا عن التحكم ببعض سلوكيات هذا الحيوان والتي أدّت إِلى التخصص بنوع السلالات مثل الحراسة، الصيد، الرعي... الخ (Foyer, 2015, p.3) .

وأنطلاقاً من النظريتين المذكورتين ومفاهيم المراحل مجتمعة بالإمكان رسم تصورات عدة يمكن الإعتماد عليها في معرفة كيفية وآلية تدجين الكلب في العصور القديمة:

التصور الأوَّل

يتعلق بحاجة الكائنات الحية الطبيعية للطعام، ففي العصور الحجرية الأولى يوم كانت الحيوانات، بضمنهم الذئب، تشكّل تهديداً للإنسان وكان يقتلها للافادة من لحمها كطعام وجلدها للكساء، أخذت مجموعات منها بالتسلل إلى أماكن تواجد البشر في الكهوف لإنجذابها إلى بقايا طعامه الملقات خارج سكناه فلعب هذا الموضوع دوراً مهماً في نشوء العلاقة بينهما (الرويشدي، ١٩٧٣، ص٨)(Alrwashidi, 1973, p.8)، وقد كانت بعض الذئاب بطبيعتها أكثر لطافة وأقل وحشية من غيرها، بل حتى أنها كانت تقوم بحماية الإنسان من بعض الحيوانات المفترسة الأُخرى في بعض الأحيان، لذلك تركها خارج كهوفه ولم يؤذيها، وبمرور الزمن وبعد أن أنعزلت تقريباً عن أبناء جلدتها الأخر، خلّفت صغاراً والتي بدورها خلّفت أُخرى أكثر لطفاً، وهكذا حتى ظهرت سلالة أليفة مدّجنة من الذئاب هي الكلاب (Raiser, 2004, pp.226ff; Galibert, 2011, p.191; Wagner, 2014, p.8).

ما يدعم هذا التصور أنه لا زال هناك، في الوقت الحاضر، أنواعاً من الذئاب تسمى فصيلتها "الذئب الجرابي" من تسمانيا في استراليا، لا تهاجم الإنسان أبداً بل عادة ما تفر وتبتعد عنه خائفة (ديممتريف، ١٩٩٣، ص٢٤٩)(Demmtrieef, 1993, p.249)، في حين هناك من يرى ان هذا التحول الاندماجي مع الإنسان غير ممكن، فالذئاب من الحيوانات المفترسة لذلك فإن الذي حدث في تغيير الذئب إلى كلب هو عدد من الطفرات الوراثية على مدى آلاف السنين وليس عن طريق التدجين(Raiser, 2004, pp.238f) .

إذاً سلمنا بصحة كون أن الذئب من الصعب تغييره بالتربية والتدجين فإن هذا التصور عملياً يمكن إسقاطه على الكلاب البرّية التي قد تكون أعتاشت على بقايا طعام الإنسان خارج مسكنه، ولماّ وجد فيها صفات جيدة كالحراسة والصيد أطعمها وقرّبها منه وبالتدريج تطورت العلاقة بينهما حتى تحوّل الكلب إلى حيوان أليف عن طريق التدجين وأصبح صديقاً مقرباً للإنسان (غلاّب والجوهري، ١٩٧٥، ص٢٦٥) (Galab & Aljawhari, 1975, p.265).

التصوّر الثاني

هذا التصور قائم على قوّة ملاحظة ونباهة الإنسان القديم، فبما أنه كان يعتمد على الكلب كمصدر لغذائه حال الحيوانات الأُخرى (الملائكة، ١٩٧٤، ص١٢)(Almalaika, 1974, p.12)، وكما سبق وتمّت الإشارة، فإنه لأبدَّ كان يصطاد بعضها للأحتفاظ بها بالقرب أو داخل كهفه لغرض الإفادة من لحمها كطعام في الأوقات التي لا يستطيع فيها الذهاب للصيد كأيام البرد الشديدة مثلاً، وهنا أخذ يلاحظ سلوكياتها من حيث قدرتها على سماع الأصوات وشم الروائح والنباح عند إقتراب الحيوانات المفترسة (Raiser, 2004, pp.125f; FrancQ, 2007, p.15)، محذّرة من إذْ لا تدري الإنسان من الخطر القادم، فعرف آنئذ كيفية الإفادة من هذه الصفات المهمة التي يمتلكها هذا الحيوان.

التصوّر الثالث

هذا التصوّر يستند على عاطفة الأمومة عند المرأة، فمن المعروف أن في إستطاعة الصيادين ترويض وتدريب صغار الحيوانات المفترسة عن طريق ربطها وعزلها عن البرّية منها في مناطق سكناهم (Clutten, 1980, p.28) ، مما أدى إلى نشوء نوع من العلاقة التعاطفية بين جراء الكلاب وبين النساء (غلاّب والجوهري، ١٩٧٥، ص٢٦٤) (Galab & Aljawhari, 1975, p.264)، لما لهن من حنو وقابلية على العناية بالصغار، فضلاً عن رغبة أطفال الإنسان، بشكل عام، للعب مع الجراء والتي تمّثل متعة لهم، كانت من أهم الأسباب التي دفعت الإنسان إلى تدجين الكلب والتي بدأت بأستئناس هذه الجراء الرضيعة (محمود، ١٩٨٠، ص٢٦–٢٧؛ الدباغ والجادر، ١٩٨٣، ص١٢٨) (Mahmood, 1980, pp.26-27; Aldabak & Aljader, 1983, p.128).

التصوّر الرابع

هذا التصوّر قائم على قابلية بعض الحيوانات وبضمنها الكلب للتدجين بشكل طبيعي (الآلوسي، ١٩٦٠، ص١١٤)(Alalusi, 1960, p.114)، حيث تتمتع بالقدرة على الإندماج

بالوسط الإجتماعي للإنسان والإنقياد له (Wagner, 2014, pp.8f, 14) ، فالإنسان القديم لم يقم بالضرورة بتدجين الكلاب أو غيرها من الحيوانات للحصول على سلالات أليفة بل يبدو أن هناك شيء فيزيولوجي أو نفسي يربط البشر بالحيوان وهذا الأمر يلقي بعض الضوء على بداية نشوء التدجين (الدباغ، ١٩٨١، ص٢٨٢)(Aldabak, 1981, p.282)، إذْ يمكن أن حصل ووجود جراء بالقرب من سكنى الإنسان أخذت تقترب منه حتى ألفها ودجّنها (Singer, 1954, p.327)، آخذين بالحسبان أن الكلاب لها مجموعة من العواطف والأمزجة التي تحاكي المشاعر الإنسانية مثل الإثارة، السعادة، الأنتباه، الولاء والعاطفة (Raiser, 2004, p.128)، بل ومن المحتمل أن مثل هذا التآلف قد دفع الإنسان إلى إعتبار الكلب بمثابة سرير دافئ له في المناطق الباردة مثلاً، فالإقتراب من شعر جلده يؤدي إلى الأحتفاظ بدرجة حرارة جيدة، بمعنى أن موضوع نشوء علاقات ودّية بين الإنسان والكلب هي مِسألة فطرية (Raiser, 2004, p.126) .

وأخيراً نرى أنه ليس بالضرورة أن تكون إحدى هذه التصورات هي الصحيحة بمفردها، فمن الممكن القول أنها قد تكون واحدة مكملة للأُخرى، فبعد أن كان الإنسان يرمي فضلات طعامه كان الكلب يعتاش عليها فيلجأ إلى قرب مسكن الإنسان مما دعى إلى ظهور نوع من التآلف بينهما ولاسيَّما أن الكلب كان ينبح عندما يقترب حيوان مفترس من الكهف الأمر الذي أدى بالإنسان إلى تقريبه للنار ليتدفأ بها هو أيضا ، وهكذا نشأ الإستئناس الأول ثم بعد أن كانت جراء الكلب المقرّب تولد، أخذ الإنسان بتربيتها وشيئاً فشئياً عرف إمكانيات وقدرة حواس هذا الحيوان من شم وسمع فأخذ يستعين به في حراسة مكان إقامته، ثم اخذ بمرافقته للصيد حين عرف مدى قدرته على معرفة مكان الفريسة مستعيناً بحواسه، كل ذلك أدى بالإنسان إلى ترويضه وتدريبه ومن ثم تدجينه حتى أصبح جزءاً من المجتمع البشري القديم وأستمر كذلك حتى الوقت الحاضر.

إذاً بإختصار يمكننا حصر مراحل العلاقة التطورية التي ربطت الإنسان بالكلب منذُ العصور الحجرية الأولى وحتى الوقت الحاضر بالشكل التدريجي الآتي: الأفتراس، الإستئناس والمصاحبة، الترويض والتدريب وأخيراً التدجين.

المصادر والمراجع العربية

الآلوسي، سالم (١٩٦٠)، *((أقدم أصدقاء الإنسان من الحيوان))*، *مجلة سومر*، عدد ١٦، ج١-٢، ١٩٦٠.

أوبنهايم، ليو (١٩٨١) ، *بلاد ما بين النهرين*، تر: سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد.

باقر، طه (٢٠٠٩)، *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة- الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين*، ج١، بيروت.

البستاني، بطرس (١٨٧٠)، *محيط المحيط*، مج١، بيروت.

داروين، تشارلس (٢٠٠٤)، *أصل الأنواع – نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الأحتفاظ بالاعراق المفضّلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة*، تر: مجدي محمود المليجي، القاهرة.

الدباغ، تقي، (١٩٨١)، *((تدجين الحيوان إستناداً إلى الآثار المكتشفة في المواقع الأثرية))*، *مجلة كلية الآداب*، عدد: ٣٠، ١٩٨١.

الدباغ، تقي (١٩٨٥)، *((البيئة الطبيعية والأنسان))*، *حضارة العراق*، ج١، بغداد.

الدباغ، تقي (١٩٨٥) *((الثروة الزراعية والقرى الأولى))*، *حضارة العراق*، ج١، بغداد.

الدباغ، تقي (١٩٨٨)، *((التدجين والانتاج ونظم الزراعة والارواء))*، *العراق في موكب الحضارة*، ج١، بغداد.

الدباغ، تقي (١٩٨٨)، *((الزراعة والتحضر))*، *العراق في موكب الحضارة*، ج١، بغداد.

الدباغ، تقي والجادر، وليد (١٩٨٣)، *عصور ما قبل التاريخ*، بغداد.

دياكوف.ف، وكوفاليف.س. (ب.ت)، *الحضارات القديمة*، ج١، تر: نسيم واكيم اليازجي، دمشق.

ديممتريف، يوري (١٩٩٣)، *الإنسان والحيوان عبر التاريخ- من الأسطورة والتقديس إلى الواقع المعاش*، تر: محمد سليمان عبود، دمشق.

ديورانت، ول وايريل (١٩٨٨)، *قصة الحضارة -ج١- نشأة الحضارة*، تر: زكي نجيب محمود، بيروت- تونس.

رو، جورج (ب.ت)، *العراق القديم*، تر: حسين علوان حسين، بغداد.

الرويشدي، سعدي (١٩٧٣)، *((نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان))*، مجلة سومر، عدد: ٢٩، ج١-٢، ١٩٧٣.

ساكز، هاري (١٩٧٩)، *عظمة بابل موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة*، تر: عامر سليمان، الموصل.

سلطان، عبد العزيز إلياس (٢٠٠٠)، *أثر البيئة الطبيعية في بلاد الرافدين*، رسالة ماجستير غير منشورة، الآثار، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.

سليمان، عامر (١٩٩٣)، *((العراق في التاريخ القديم))*، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، الموصل.

الصالحي، صلاح رشيد (٢٠١٧)، *بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم*، ج١، بغداد.

عبد السلام، محمد السيّد (١٩٨٢)، *التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي*، الكويت.

غلاّب، محمد السيّد و الجوهري، يسري (١٩٧٥)، *الجغرافية التاريخية عصور ما قبل التاريخ وفجره*، ط٢، (ب.م).

لويد، سيتون (١٩٩٢- ١٩٩٣)، *آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي*، تر: محمد طلب، دمشق

المتولي، نوالة أحمد محمود (٢٠٠٧)، *مدخل إلى دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)*، بغداد.

محمود، حافظ إبراهيم (١٩٨٠)، *الثروة الحيوانية في العراق وسبل تطويرها*، بغداد.

الملائكة، عصام (١٩٧٤)، *((تطور علم الحيوان في الحضارات القديمة))*، *مجلة سومر*، عدد:٣٠، ١٩٧٤.

النجم، حسين يوسف حازم (٢٠٠٦)، *اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق*، اطروحة دكتوراة غير منشورة، الآثار، كلية الاداب، جامعة الموصل ٢٠٠٦.

الوائلي، سيناء محسن كاظم (٢٠١٩)، *الحيوانات اللبونة على مشاهد الأختام في بلاد الرافدين حتى ٥٣٩ ق.م*، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩.

المنجد في اللغة والاعلام (٢٠٠٨)، ط٤٣، بيروت.

Translated Arabic sources and references

Abd Alsalam, Muhammad Al-Sayed (1982), *Modern Technology and Agricultural Development in the Arab World*, Kuwait.

Alalusi, Salem (1960), *((Man's oldest friend of animals))*, *Sumer*, 16, par.1-2, 1960.

Albustani, Boutros (1870), *Ocean Ocean*, par.1, Beirut

Aldabak, Taqi (1981), *((Animal domestication based on the effects discovered in archaeological sites)), College of Arts*, 30, 1981.

Aldabak, Taqi (1985), *((The natural environment and man)), Civilization of Iraq*, par.1, Baghdad.

Aldabak, Taqi (1985), *((The Agricultural Revolution and the First Villages)), The Civilization of Iraq*, part.1, Baghdad.

Aldabak, Taqi (1988), *((Domestication, production, and agriculture and irrigation systems)), Iraq in the Procession of Civilization*, part.1, Baghdad.

Aldabak, Taqi (1988), *((Agriculture and Urbanization)), Iraq in the Procession of Civilization,* par.1, Baghdad.

Aldabak, Taqi and Aljader, Walid (1983), *Prehistory*, Baghdad.

Almalaika, Essam (1974), *((Development of Zoology in Ancient Civilizations)), Sumer*, 30, 1974.

Almutawali, Nawala Ahmad Mahmoud (2007), *Introduction to the Study of the Economic Life of the Third Ur-Third State in the Light of Cuneiform Documents (Published and Unpublished)*, Baghdad.

Alnajm, Hussein Yusef Hazem (2006), *The Economy of Agricultural Villages during the Neolithic and Mineral Eras in Iraq, Unpublished PhD thesis, Archeology*, College of Arts, University of Mosul, 2006.

Alrawashidi, Saadi (1973), *((A look at the process of plant and animal domestication)), Sumer*, 29, par.1-2, 1970.

Alsalihi, Salah Rashid (2017), *Mesopotamia, Study in the History and Civilization of Ancient Iraq,* par.1, Baghdad.

Alwaili, Sinai Mohsen Kazim (2019), *The Milky Animals on Seal Scenes in Mesopotamia until 539 BC*, Unpublished PhD thesis, Archeology, College of Arts, University of Baghdad, 2019.

Baqer, Taha (2009), *Introduction to the History of Ancient Civilizations – Acronym in the History of the Mesopotamian Civilization*, par.1, Beirut.

Darwen, Charles (2004), *The Origin of Species - The Genesis of Living Species by Natural Selection or the Preservation of Favorite Races During the Struggle for Life*, tr: Magdy Mahmoud El Meligy, Cairo.

Demmtrieef, Yuri (1993), *Man and animal through history - from myth and reverence to reality*, tr: Muhammad Suleiman Abboud, Damascus.

Deurant, Will Wirel (1988), *The Story of Civilization – par.1 - The Origins of Civilization*, tr: Zaki Naguib Mahmoud, Beirut - Tunisia.

Diyakov.F and Kofalief. S. (n.d), *Ancient Civilizations*, par.1, tr: Nasim Wakim Al-Yazji, Damascus.

Galab, Muhammad Al-Sayed and Aljahari, Yousry (1975), *Historical Geography of Prehistory and Its Dawn*, 2nd Edition, (n.p).

Liwed, Seaton (1992-1993), *Mesopotamian Antiquities from the Palaeolithic Age until the Persian Conquest*, tr: Muhammad Talab, Damascus.

Mahmood, Hafez Ibrahim (1980), *Livestock in Iraq and Ways to Develop It*, Baghdad.

Oppenheim, Leo (1981), *Mesopotamia*, tr: Saadi Faidi Abdul-Razzaq, Baghdad.

Ro, George (n.d), *Ancient Iraq*, tr: Hussein Alwan Hussein, Baghdad.

Sagez, Harry (1979), *The Greatness of Babylon, A Brief History of the Ancient Tigris and Euphrates Valley Civilization*, tr: Amer Suleiman, Mosul.

Sultan, Abdulaziz Ilyas (2000), *The Impact of the Natural Environment in Mesopotamia*, Unpublished Master Thesis, Archeology, College of Arts, University of Mosul, 2000.

Suleiman, Amer (1993), *"Iraq in the ancient history", A Brief History of Civilization*, par. 2 , Mosul.

Al-Munajjid in Language and Media (2008), 43rd Edition, Beirut.

French sources and their English translation

FrancQ, E., (2007), *Les Origines des Races Europeennes De Chiens de Berger*, These Pour le Doctorat Veterinaire, Ecole Nationale Veterinaire, Dalfort, 2007.
FrancQ, E., (2007), *The Origins of European Shepherd Dog Breeds*, Thesis for the Veterinary Doctorate, National Veterinary School, Dalfort, 2007.

English sources and references

Bökönyi, S., (1973) *((The Founa of Umm Dabghiyah A Preliminary Report))*, *Iraq* 35, No.1, (1973).

Braidwood, R.J, (1990), *((The Agricultural Revolution))*, *Seintific American*, U.S.A.

Clutten, J. (1080), *((The Early History of Domesticated Animales in the Westren Asia))*, *Sumer* 36 (1980).

Foyre, P., (2015), *Early Experiences, Maternal Care and Behavioural Test Design, Effects on the Temperament of Military Working Dogs*, Linköping.

Galibert, F., and others, (2011), *((Toward understanding dog evolutionary and domestication history))*, *Comptes Rendus Biologies* 334, 2011.

Hilzheimer, M, *Dogs* (1932), London.

Merpert, N. and Mnncharv, R. M., (1969), *((Excavations at Yarim Tepa))*, *Sumer* 25 (1969).

Morales, V.B., (1983), *((Jarmo Figurines and other clay objects))*, in Linda S. Braidwood and Others, *Prehistoric Archeology along the Zagros Flanks*, Chicago.

Ostrander, E. A., and others, (2019), *((Dog l0k: an international sequencing effort to advance studies of canine domestication, phoenotypes and health))*, *National Science Review* 6 (2019).

Raiser, M. J., (2004), *Determining the Antiquity of Dog Origins: Canine Domestication as a Model for the Consilience Between Moleculer Genetics and Archaeology*, Unpublished phD thesis, Texas A & M University, 2004.

Singer, Ch, (1954), *A History of Technology*, vol.1, Oxford.

Wagner, K., (2014) *An Osteological Analysis of 18th Century Dog Burials at the Williamsburg public Amoury*, Williamsburg.

Wilson, P.J., (1994), *The Wolf- Dog Hybrid an Over view of a Contntrover Animals*, vol.81, U.S.A.

Zeuner, F.E., (1955), *((Domestication Animals))*, *A History of Technology*, vol.1, London.

أثر إنجيل يوحنا في رموز التصوف الإسلامي

(دراسة تاريخية)

The Impact of John's Gospel on the Symbols of Islamic Sufism
(Historical study)

أ.د. قصي أسعد عبد الحميد

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

Dr . Qusayasaad@gmil.com

Prof. Dr. Qusay As'aad Abdul Hameed

Al Mustansiriya Center for Arabic and International Studies

أثر إنجيل يوحنا في رموز التصوف الإسلامي
(دراسة تاريخية)

أ.د.قصي أسعد عبد الحميد

(خلاصة البحث)

أن التصوف من رموز العبادات التي واكبت حياة الإنسانية منذ بدايات الأديان السماوية ، وقد أخذ المتصوفة المسلمين من تلك الرموز التي وردت في الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا منها ، النور والحب الإلهي وحالة الوجد التي تنتاب السالك عندما يبلغ العشق الإلهي والحمل والتضحية ، والماء الذي هو أساس وجود الحياة.

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾ .

وبذلك يتبين أن رموز التصوف يشترك فيها المتصوفة عبر مراحل الحياة الإنسانية ، وقد أشار لها إنجيل يوحنا بشكل تفصيلي بذلك من خلال سيرة حياة سيدنا المسيح (عليه السلام) .

Abstract

Sufism is one of the symbols of the ritual acts that have accompanied the life of humanity since the beginnings of the heavenly religions. Muslim Sufis have taken from those symbols mentioned in the Bible in the Gospel of John from them, the light and divine love and the state of conscience that befalls the walker when he reaches divine love, and sacrifice, and water that is the basis The existence of life.

Thus, it appears that the symbols of Sufism are shared by Sufis through the stages of human life, and the Gospel of John referred to them in detail through the biography of the life of our master Christ (peace be upon him).

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه النجباء الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

يُعد البحث في رموز التصوف في الكتاب المقدس العهد الجديد ذات أهمية في معرفة الوشائج والصلات المشتركة التي سار عليها المتصوفة عبر مراحل تاريخ الإنسانية ، وقد اشترك المتصوفة المسلمين في بعض رموز التصوف التي وردت في إنجيل يوحنا ، سائرين على نهج الهدى وفقاً لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف في الزهد وبساطة الحياة ، ونيل مرضاة الله تبارك وتعالى ، وطلب رحمته في الحياة الآخرة .

وقد اتخذ متصوفة الاسلام من سيرة حياة سيدنا المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) ، شواهد ودلالات على حياة الزهد التي عاشها مع الحواريين من أجل طلب مرضاة الله سبحانه وتعالى والابتعاد عن الرذيلة والخطيئة التي يرتكبها الإنسان في خضم مسيرة حياته في الدنيا ، وطلب المغفرة ، ونشر المحبة بين جميع البشر .

أعتمد البحث على العديد من المصادر الأولية منها كتاب اللمع في التصوف لمؤلفه عبد الله بن علي السراج الطوسي المتوفى سنة (٣٧٨هـ | ٩٨٩م) ، وكتاب في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لمؤلفه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة (٤٤٠هـ | ١٠٤٩م) ، وكتاب تاريخ بغداد لمؤلفه أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ | ١٠٧٠ م) ، وكتاب الرسالة القشيرية لمؤلفه أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفى سنة (٤٦٥هـ | ١٠٧٣م) ، وكتاب أساس البلاغة لمؤلفه محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ | ١١٤١م) ، وكتاب صفة الصفوة لمؤلفه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ | ١٢٠١م) ، وكتاب ترجمان الأشواق لمؤلفه محيي الدين بن عربي المتوفى سنة (٦٣٨هـ | ١٢٤٠م) ، وكتاب وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان لمؤلفه شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان

المتوفى سنة (٦٨١هـ | ١٢٨١م)، وكتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨هـ | ١٤٠٥م)، وكتاب معراج التصوف إلى حقائق التصوف لمؤلفه عبد الله بن أحمد بن عجيبة المتوفى سنة (١٢٢٤هـ | ١٨٠٩م) ، وغيرها من المصادر الأولية الأخرى .

أما أهم المراجع الثانوية التي أسندت البحث منها ، كتاب التصوف الإسلامي لمؤلفه زكي مبارك ، وكتاب في ملكوت الله مع أسماء الله لمؤلفه محمد سالم عبد المقصود ، وكتاب نصوص صوفية لمؤلفه بولس نويا ، وكتاب الإسلام والتصوف لمؤلفه لويس ماسينون ، وكتاب المنجد في اللغة والأعلام لمؤلفه لويس معلوف وغيرها من المراجع الثانوية الأخرى .

واخيراً أسأل الله تبارك وتعالى التوفيق في خدمة التاريخ العربي والإسلامي .

(معنى التصوف)

التصوف لغة .

إن المعنى اللغوي للتصوف " مشتق من فعل صوفَ جعله صوفياً ، تصوف صار صوفياً ، تخلق بأخلاق الصوفية ، والصوفية فئة من المتعبدين ، وأحدهم الصوفي وهو عندهم من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى مستخلصاً من الطبائع متصلا بحقيقة الحقائق "(معلوف ، ١٩٩٨ م ، ص ٤٤١) ، وللفظة التصوف اشتقاقات لغوية عدة منها ، نسبة التصوف إلى الصفاء " قالت طائفة : إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء اثارها ، وردّها أخرون إلى صفاء القلب لله ، وقيل لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم إليه وإقبالهم عليه ، وقيل : إنما سموا صوفية لقرب اوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ... " (الكلاباذي ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٤) .

بينما تعود كلمة صوفيا اليونانية إلى الحكمة (البيروني ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٤) ، أما أنواع الصوف : " الصوف للضأن وما أشبهه ، وقال الجوهري : الصوف للشاة والصوفة أخص منه ، وقال ابن سيدة : الصوف للغنم كالشعر للماعز والوبر للإبل والجمع أصواف ،

وقد يقال الصوف للواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع ... " (ابن منظور ، ١٩٦٨ م ، مج ٢ ، ص ٣٠٧) .

وأصل فعل صوف ، هو " صَوُف فلان يلبس الصوف أي ما يعمل به ، وكبش صاف وهو فاني ... ويقال كان آل صوفة يجيزون الحاج من عرفان ، أي يفيضون بهم ويقال لهم : آل صوفان وآل صفوان وكانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون ولعل الصوفية نسبوا إليهم تشبيهاً بهم في النسك والتعبد أو إلى أهل الصفة ، فقيل مكان الصفة الصوفية... أو إلى الصوف الذي هو لبس العباد وأهل الصوامع ... " (الزمخشري ، السنة بلا ، ص ٥٦٤) ، في حين تعلل تلك التسمية وذلك : " لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء وشعار الأولياء والأصفياء ... " (الطوسي ، ١٩٦٠ م ، ص ٤٠) ، كما ترد معنى التصوف إلى صفاء القلوب (الطوسي ، ١٩٦٠ م ، ص ٤١) .

كذلك تطلق تلك التسمية لدواع لغوية : " وإن جعل مأخذه من الصوف، استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة ... " (الكلاباذي ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٤) ، فضلاً إلى أن " من قال : إنه من الصوف ، ولهذا يقال : تصوف إذا لبس الصوف ، كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فلذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ... " (القشيري ، السنة بلا ، ص ٤٦٤) ، كذلك أنه لا يوجد لهذا الاسم من حيث العربية قياس و لا اشتقاق وانما هو كاللقب (القشيري ، السنة بلا ، ص ٣١٢) .

ويؤيد ابن خلدون التسمية إلى الصوف بقوله : " والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم في الغالب مختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف ... " (ابن خلدون ، السنة بلا ، ص ٣٨١) .

بينما يحاول أحد الباحثين (مبارك ، ١٩٥٤ م ، ج ١ ، ص ٥٤) اثبات نسبة التصوف إلى صوفة وإلى الصفاء وإلى صوفيا اليونانية ، لكنه يقرر بعد ذلك أن نسبتها إلى الصوف هي الأصوب بقوله : " أن يكون الصوفي منسوباً إلى الصوف " ، ويرجح كبار المستشرقين (ماسينون ، ١٩٧٩ م ، ص ١٤) وعدّ التصوف بأنه : " مصدر الفعل

الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوف ومن ثم المتجرد لحياة الصوفية ، وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة " .

التصوف اصطلاحاً .

أن نسبة الكلمة ترجع إلى صوفة رجل في الجاهلية أشتهر بخدمة الله تعالى عند بيته الحرام ، وصوفه : " هو حي من احياء مضر وهو غوث بن مر بن أد بن طافه ، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية ، أي يفيضون بهم من عرفات ، وكان أحدهم يقول فيقول : أجيزي صوفة ... فإذا أجازت ، أذن للناس كلهم في الإجازة " (الفيروز آبادي ، ١٩٧٨ م ، ج ٢ ، ص ٧٧٩) .

ونتيجة مرور الصوفية بمراحل وتطورات مختلفة ، لذلك نلاحظ الاختلاف في تعريفها منها : " التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق" (القشيري ، السنة بلا ، ص ٣١٣) ، كذلك " هي أخلاق كريمة ظهرت في زمن كريم من رجل كريم..." ، وأن التصوف : " ذكر مع اجتماع ، ووجُدّ مع استماع ، وعمل مع اتباع " (القشيري ، السنة بلا ، ص ٣١٣) ، كما قيل : " أن مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال : علمنا منوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، وقال : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات ، لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا "(ابن الجوزي ، السنة بلا ، ص ١٧٠) ، ومن الجدير بالذكر أن : " علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد غنى ، ويذل بعد العز ،ويخفى بعد الشهرة ، وعلامة الكاذب على العكس " (ابن خلدون ، السنة بلا ، ص ٩٤) .

وعُرف ايضاً : " التصوف الدخول في كل خُلق سني والخروج من كل خُلق دني" (ابن خلدون ، السنة بلا ، ص ٩٣) ، وقيل ايضاً في التصوف : " رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده ، مقدماً الاهتمام بأعمال القلوب ، مراقباً خفاياها ، حريصاً بذلك على النجاة" (ابن خلدون ، السنة بلا ، ص ٥٤) .

وقيل عن التصوف : " أنه العلم اللدني الذي يسمى علم التصوف ، وهو العلم بأحكام المجاهدين، وهي مجاهدة الاستقامة ومجاهدة الكشف والاطلاع وآدابها وكيفية سبيلهما وما يطرأ على السالك من العلل وما يفسد سلوكه " (ابن خلدون ، السنة بلا ، ص ٩٣).

وهناك تسميات عدة أطلقت على الصوفية ، وسبب تسميتهم بهذا الاسم هو لبس الصوف أو لأنهم من الصف الأول بين يدي الله أو لأن لهم أوصاف أهل الصفة ، " وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم وذلك إنهم قوم قد تركوا الدنيا ، فخرجوا عن الأوطان ، وهجروا الاخوان، وساحوا في البلاد ، وأجاعوا الأكباد ، وأعروا الأجساد ، لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه ، من ستر عورة وسد جوعه ، فلخروجهم عن الأوطان سموا غرباء ، ولكثرة اسفارهم سموا سياحين " (الكلاباذي ، ٢٠١١ م ، ص ١١) .

وعُرف التصوف بأنه : " علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك أو تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل ، أو غيبة الخلق في شهود الحق أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم ، ووسطه عمل ، وأخره موهبة "(ابن عجيبة ، ٢٠٠٤ م ، ص ٢٥ ، ص ٢٦) .

(التصوف في الكتاب المقدس)

بعض من رموز التصوف في إنجيل يوحنا .

اختلفت مقاربتنا للإنجيل كما رواه يوحنا عن مقاربتنا للإنجيل كما رواه الأخرون لكون هذه المقاربة لا تكفي بالوقوف عند ظاهر النص بل تتعدى ذلك إلى استقراء الرموز ، وقد يقول قائل اننا ربما نتعسف على النص مثل هذه القراءة ، لكننا على سبيل الرد نقول ، إن القراءة المتأنية للإنجيل حسب يوحنا تبين أن هذا الكتاب يستدعي مثل هذه المقاربة ، وهي مقاربة باطنية روحانية مبنية على منهاج السلف من الصوفية ، من حيث استكناه روح اللغة ، وفتح مغاليق الرموز والإشارات .

أن اشتغال الصوفية بمفهوم الحقيقة مقابل مفهوم الشريعة ، كان لها موقف سيدنا عيسى المسيح (عليه السلام) من الفريسيين ، وهم رجال الدين المتزمتين وصراعه معهم ،

يُذكرننا بموقف الصوفية المسلمين وصراعهم مع الفقهاء المتشبثين بظاهر الشريعة ، مع الإشارة إلى سيدنا المسيح لم ينكر أبداً الشريعة ، بل أكد بشدة استمرارها كما يتضح من قوله في إنجيل متي : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض أحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يُدْعَى عَظِيماً في ملكوت السموات ، فإني أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات " (إنجيل متي ، السنة بلا ، الاصحاح الخامس ، ١٨) .

ولقد بين يوحنا حسب هذا المنهاج ، في توظيف عدد كبير من المفاهيم والرموز الروحانية توظيفاً رائعاً ، وسنحاول الوقوف على أهمها وملامسة أبعادها ومدلولاتها الباطنة .

أولا | البدء .

لا احد يجادل في أن مفهوم البدء أو البداية ذو دلالة عميقة من حيث حمولته الرمزية القوية التي تحيل الأصل ، أو البعد التأسيسي للعالم ، فجميع النصوص الكبرى التي تُعتبر أساسية في مختلف الثقافات تستحضر هذا البعد استحضاراً قوياً ، مما يوضح بجلاء معالم المشروع الضخم الذي اضطلع به يوحنا منذ أول آية في هذا الإنجيل ، فالآية : في البدء كانت الكلمة ، هي في تناصها مع أول آية من الكتاب المقدس (سفر التكوين ، الاصحاح الأول ، ١) ، إنشاء العالم والبشرية ، في البدء خلق الله السموات والأرض ، هي دعوة إلى قراءة جديدة في عملية الخلق بناء على العهد الجديد الذي اتى به سيدنا المسيح بل إلى مجاورة ذلك إلى التأمل في أصل هذا الخلق وفي بُعد الكينونة ذاتها ، فإذا اعتبرنا العهد القديم سجلاً للخلق والشريعة، فأن العهد الجديد ، كما يرويه يوحنا استشراف لما وراء هذا الخلق وهذه الشريعة .

من هذا المنطلق يمكن اعتبار العهد القديم والعهد الجديد لحظتين مترابطتين تُرابط الشريعة والعقيدة عند الصوفية المسلمين ، وهي الفكرة التي عبر عنها الرسول بولس (عليه السلام) حين قال : " واننا نعلم أن كل ما تقوله الشريعة إنما تقوله للذين هم في حكم

الشريعة ، لكي يخرس كل لسان ، ولكي يعرف العالم كله مذنباً عند الله ، فلذلك لن يبرر عنده أحد من البشر إذا عمل بحسب الشريعة ، فما الشريعة إلا سبيل إلى معرفة الخطيئة ، أما الأن فقد ظهر بر الله بمعزل عن الشريعة ، تشهد له الشريعة والأنبياء ، هو بر الله وطريقه الإيمان بيسوع المسيح ، لجميع الذين أمنوا لا فرق ذلك بأن جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله ، ولكنهم برروا مجاناً بنعمته ، بحكم الفداء الذي تم في المسيح يسوع ، ذاك الذي جعله الله كفارة في دمه بالإيمان ليظهر بره بإغضائه عن الخطايا الماضية في حلمه تعالى " (سفر رومة ، الاصحاح الثالث ، ١٩ـ ٢٥) .

أذن نحن أمام مفهومين للبداية ، بداية تأسست على الشريعة ، وبداية تأسست على الحقيقة، أي على البر (الصلاح) الذي يمنحه الله بواسطة النعمة فقط ، وهذه الأخيرة ناسخة للأولى لأنها سابقة عليها ، لارتباطها بالكلمة الذي هو سيدنا عيسى المسيح الكائن أزلاً قبل أن يتكون أي شيء ، في البدء كانت الكلمة ، ويترتب على هذا المفهومين مفهومان أخران للإنسان حيث يذهب بولس (عليه السلام) أبعد من ذلك حين يقترح بناءُ على ذلك كيانين للإنسان : الإنسان العتيق الذي يقع تحت الشريعة ، والإنسان الجديد الذي نجاه المسيح كلياً ، " فإذا اتحدنا به فصرنا على مثاله في الموت ، فسنكون مثاله في القيامة ايضاً ، ونحن نعلم إنساننا القديم قد صلب معه ليزول هذا البشر الخاطئ ، فلا نظل عبيداً للخطيئة " (سفر رومة ، الاصحاح السادس ، ٥ ـ ٦).

ثانياً | الحياة .

يُعتبر مفهوم الحياة مفهوماً محورياً في الإنجيل المقدس الذي دونه يوحنا ، لارتباطه ارتباطاً وثيقاً بلحظة البدء " فيه كانت الحياة " ، وقد نجح يوحنا في الانزياح بهذا المفهوم عن معناه المألوف الذي يحيل عادة إلى العالم أو الوجود المحسوس، وهو بذلك دعوة إلى إعادة النظر في عملية الخلق كما تطلعنا في بداية سفر التكوين، كما يمكن القول إن يوحنا يؤسس رؤيته منذ البداية على ثنائية جوهرية تنظم الإنجيل الذي رواه من البداية إلى النهاية ، وهي العالم، أي الوجود الملموس من جهة ، والحياة ، أي الحياة الأبدية ، من جهة أخرى ، ذلك أن الحياة بالنسبة ليوحنا لا تعني شيئاً أخر سوى الحياة الأبدية ، أما الوجود في العالم

الملموس فليس سوى موت محقق، وهذه الحياة لا تُنال إلا بالإيمان بسيدنا عيسى المسيح والاتحاد به اتُحادَه هو بالأب، مصداقاً لقوله (سلامه علينا) :

" إنّ خرافي تصغي إلى صوتي ، وأنا أعرفها وهي تتبعني ، وأنا أهب لها الحياة الأبدية ، فلا تهلك أبداً ، ولا يختطفها أحد من يدي ، إن ابي الذي وهبها لي أعظم من كل موجود ، ما من أحد يستطيع أن يختطف من يد الأب شيئاً ، أنا ولأب واحد . " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح العاشر ، ٢٧ ـ ٣٠) ، كما أن شدة المجاهدة لبلوغ هذا المقام ، وهي فكرة يؤكدها سيدنا المسيح حين يخاطب مرة أخت لعازر موضحاً لها المعنى الحقيقي للحياة والموت : " فقال لها يسوع : أنا القيامة والحياة من آمن بي ، وإن مات فمسيحياً ، وكل من يحيا ويؤمن بي لن يموت للأبد ، أتؤمنين بهذا ؟ " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الحادي عشر ، ٢٥ ـ ٢٦) .

وهو ايضاً المعنى الذي أراده بولس حين قال : " أو تجهلون أننا ، وقد اعتمدنا جميعاً في يسوع المسيح ، إنما اعتمدنا في موته فدفنا معه في موته بالمعمودية لنحيا نحن أيضاً حياة جديدة كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الأب ؟ " (سفر رومة ، الاصحاح السادس ، ٣ ـ ٤) .

ومن الجدير بالذكر أن أحد أسماء الله الحسنى الحبيبة إلى قلوب الصوفية هو اسمه تعالى (الحي) والذي معناه الدائم الحياة ، أي له البقاء المطلق ، لم يسبق وجوده عدم ، ولا يلحق بقاءه فناء ، وقد أشار أحد الضالعين في الاشتغال على أسماء الله الحسنى ، أن المداومة على ذكر هذا الاسم تورث الشفاء من الأمراض الباطنة والظاهرة وتهب الذاكرين الحياة السعيدة (عبد المقصود ، السنة بلا ، ص ٩٧) ، وبذلك تتضح رؤية العارف الجليل بربط اسم الله (الحي) بهبة الحياة السعيدة الفاضلة التي لا يمكن أن تكون سوى الحياة الأبدية التي أعلنها سيدنا عيسى المسيح .

ثالثاً | النور .

يُعد النور من الرموز ذات الحمولة الروحانية القوية في أغلب الثقافات ، وذلك لارتباط النور بالشمس والقمر والنجوم ومصادر الضوء الأخرى ، سواء الطبيعية أو التي استنبطها الإنسان ، كما أن فطنة الإنسان وحدسه جعلاه يتنبه إلى أن الضوء من أهم مصادر الحياة ، لذلك أرتبط النور دائماً بمعاني الحقيقة والكشف والوضوح والحياة والانبعاث ، وغيرها من المعاني ذات الدلالات الإيجابية .

يخبرنا سفر التكوين أن الأرض كانت مشوشة ومقفرة ، والظلمة تكتنف وجه المياه حين أصدر الله سبحانه وتعالى أمره : " ليكن نور " ، فانبثقت شرارة الحياة الأولى ، لكن الإنجيل الشريف حسب يوحنا يستعيد هذه اللحظة الحاسمة ويؤسسها من جديد بناء على بشارة سيدنا المسيح ، فيصبح النور هو سيدنا المسيح نفسه حسب المرادفات المتوالية التي تزخر بها الفقرات الافتتاحية للإنجيل الشريف حسب يوحنا : " فيه كانت الحياة والحياة نور الناس " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الأول ، ٤) ، حيث النور مرادف للحياة ومرادف للحقيقة ، وكلها مرادفات تحيل في النهاية المطاف إلى سيدنا المسيح : " كان النور الحق الذي ينير كل انسان اتياً إلى العالم ، كان في العالم ، وبه كان العالم والعالم لم يعرفه " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الأول ، ٩ ـ ١٠) .

وهذه المرادفات تتوحد جميعها في شفافية لا تضاهي حين يخاطب سيدنا المسيح جمهور الشعب قائلاً : " أنا نور العالم من يتبعني لا يمشِ في الظلام بل يكون له نور الحياة ، فقال له الفريسيون : أنت تشهد لنفسك فشهادتك لا تصح . " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الثامن ، ١٢ ـ ١٣) .

ومن الجدير بالذكر إلى أن النور من أسماء الله الحسنى الحبيبة أيضاً إلى قلب الصوفية ، قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة النور ، الآية ٣٥) .

وترتبط الظلمة بالموت ، أي العدم ، ويرتبط النور بالحياة ، أي الوجود ، وهي ثنائية جوهرية تندرج في انسجام تام مع سلسلة الثنائيات الأخرى التي يزخر بها الإنجيل الشريف حسب يوحنا ، فمفهوم العالم وارتباطه بالموت في مفهوم الحياة له ارتباطه بمفهوم أخر هو الظلمة ، " وإنما الدينونة هي أن النور جاء إلى العالم ، ففضل الناس الظلام على النور ، لأن أعمالهم كانت سيئة " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الثالث ، ١٩) ، أي أحبوا الحياة الدنيا أكثر من الحياة الأبدية .

رابعاً | المحبة .

من المفاهيم الأساسية التي لها الصدارة في تعاليم سيدنا المسيح والتي يحتفل بها الإنجيل الشريف حسب يوحنا احتفالاً خاصاً ، فيكفي دلالة على ذلك أن سيدنا المسيح يجعل منها لب وصيته التي وصى بها حواريه قبل أن يلقي اليهود القبض عليه :

" وصيتي هي : أحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم ، ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه في سبيل أحبائه ، فإن عملتم بما أوصيكم به ، كنتم أحبائي " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الخامس عشر ، ١٢ ـ ١٤) .

وبذلك يتضح أن الحب يرتبط في تعاليم سيدنا المسيح ، أشد الارتباط بالبذل والعطاء والتضحية : " إذ بالمحبة خلق الله العالم ، حتى أنه جاد بابنه الوحيد أضحية تعويضية لإنقاذ الناس : فأن الله أحب العالم : حتى أنه جاد بابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الثالث ، ١٦) .

واذا تأملنا ملياً في هذا المفهوم وجدناه يمثل طاقة التحول الأولى التي لا يستقيم بغيرها عمل أو موهبة أو صفة من الصفات ، فالعلم والمعرفة بلا محبة لا يعنيان شيئاً ، والعطاء بلا محبة لا يعني شيئاً ، والتضحية بلا محبة لا تعني شيئاً ، والطاعة والصدق والوفاء

والكمال والشجاعة وكل الصفات الأخرى لا تعني شيئاً بلا محبة ، لأنها جميعاً بلا هذه الأخيرة آيلة إلى الزوال ، وهذه الفكرة التي تقوم عليها رسالة بولس الأولى إلى مؤمني كورنثوس ، حيث يخلص إلى القول : " إن هذه الثلاثة باقية : الايمان، والرجاء، والمحبة، ولكن أعظمها هي المحبة (رسالة بولس ، الاصحاح الثالث عشر ، ١٣ ـ ١٤) .

أن طاقة التحول الوحيدة التي تجعل القلب قابلا كل صورة هي طاقة المحبة التي تحطم الحواجز بين الثقافات والعقائد والأمكنة ، وتجعل من الهوية الإنسانية هوية متحركة غير مرتبطة بوطن أو عرق أو جنس ، وقد تغنى بولس الرسول ايضاً بطاقة التحول الكامنة في المحبة ، ففي الرسالة إلى مؤمني كولوسي يقول مؤكداً هذه الفكرة : " ولا يكذب بعضكم بعضاً ، فقد خلعتم الإنسان القديم وخلعتم معه أعماله ولبستم الإنسان الجديد ذاك الذي يجدد على صورة خانقه ليصل إلى المعرفة ، فلم يبقى هناك يوناني أو يهودي ولا ختان أو قلف ولا أعجمي أو إسكوتي ولا عبد أو حر ، بل المسيح الذي هو كل شيء وفي كل شيء " (رسالة بولس ، الاصحاح الثالث ، ٩ ـ ١١) .

ومن الجدير بالذكر أن الصوفية المسلمون احتفوا بالمحبة في كتاباتهم وسلوكهم أيما احتفاء ، حتى إن شيخ الصوفية الأكبر محيي الدين بن عربي جعلها ديناً يدين به وذلك في قوله (ابن عربي ، السنة بلا ، ص ٤٣) :

" لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعىً لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّى توجّهت ركائبه فالحب ديني وايماني "

خامساً | الحَملَ .

هو أكثر الرموز قوة وحضوراً في الروحانية المسيحية ، وذلك لارتباطه الوثيق بالموت البديلي الذي اضطلع به سيدنا المسيح فداء للبشر ، وينفرد الإنجيل الشريف حسب يوحنا بكونه الإنجيل الوحيد الذي يذهب برمزية الحمل إلى أبعد حدودها ، ففيه يربط وقت موت

سيدنا المسيح بوقت نحر خراف الفصح تذكاراً لإنقاذ بني إسرائيل من عبودية مصر ، كما أن هذا الإنجيل يسكت عن ذكر احتفال المسيح مع حواريه بوليمة الفصح عشية صلبه ، وأن هذا الاختلاف هو الذي يدل بشكل ملموس على الخصوصية الرمزية للكتابة عند يوحنا من حيث كونه لا يكتفي بالتدوين بل يتأمل : أي أنه لا يهتم في الدرجة الأولى بتفاصيل الحدث كحدث منفصل ، بل يهتم بما يحمله الحدث من معانٍ ودلالات ، فكون إنجيل يوحنا لا يصف مشاركة عيسى المسيح وحواريه في أكل خروف الفصح إشارة رمزية إلى أنه هو نفسه حملُ الفصح ، (الذبح الأعظم)، مصداقاً لقول يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) عندما شاهد سيدنا عيسى المسيح أتياً نحوه : " وفي الغد رأى يسوع أتياً نحو فقال : هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الأول ، ٢٩) .

ولا بد من الإشارة إلى أن عيد الفصح يقابله مبدئياً عيد الأضحى عند المسلمين ، ذلك أن عيد الأضحى لا يستمد روحه ومغزاه فقط من رؤيا إبراهيم التي أمر فيها أن يذبح ابنه ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى فدى هذا الأخير بذبح عظيم ، قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (سورة الصافات ، الآية ١٠٧) .

وهي الفكرة الشائعة بل يستمد روحه ومغزاه أيضاً من فريضة الفصح ، حين أمر الله تبارك وتعالى النبي موسى الكليم (عليه السلام) أن تختار كل عائلة من بني إسرائيل حملاً ذكراً خالياً من كل عيب وتذبحه ثم تطلي بدمه عتبة الباب العليا والقائمتين ، لأن الرب حين يجتاز ليهلك المصريين ويرى الدم يعبر عن الباب (سفر الخروج ، الاصحاح الثاني عشر).

بينما أشار سيدنا عيسى المسيح في ذلك : " فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون فيكم الحياة ، من أكل جسدي وشرب دمي ، فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير ، لأن جسدي طعام حق ودمي هو شراب حق ، من أكل جسدي وشرب دمي ، ثبت في وثبة فيه " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح السادس ، ٥٣ ـ ٥٦) .

كما تناول المتصوفة المسلمون هذا الرمز في اشارتهم إلى موت التضحية التعويضي الذي ماته سيدنا المسيح ووظفوه بكثافة في العديد من كتاباتهم ، وقد أشار شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي في معنى الموت التضحية سيراً على نهج من سبقه من المتصوفة ، حيث يقول في إحدى قصائده الرائعة (ابن عربي ، السنة بلا ، ص ٢٠ ، ص ٢١) :

" فلا انس يوماً بالمحصب من منى وبالمنحر الأعلى أموراً وزمزمِ

محصبهم قلبي لرمي جمارهم ومنحرهم نفسي ومشربهم دمي "

سادساً | الخمر .

هو من الرموز التي عرفت انتشاراً واسعاً في جل الثقافات ، سوء عند الهنود أو الإغريق أو العرب وغيرهم ، وذلك لارتباطها بالقدرة التحويلة الهائلة الكامنة فيها والتي جعلت الكثير من الشعوب القديمة تعتبرها ذات مصدر إلهي ، فهي لذلك من رموز العبور بين عالمين الحس والروح بسبب حُمياّ سكرها التي تجعل الشارب يشعر بالدخول في بُعدِ مختلف عن الأبعاد الأخرى المألوفة لوجوده ، مع ما يصاحب ذلك من إحساس بالتحرر والانطلاق والفرح ، لذلك فلا عجب أن تكون أول معجزة يخبرنا بها يوحنا أن سيدنا المسيح قام بها هي تحويله الماء إلى خمر ، وكون إنجيل يوحنا وهو الإنجيل الروحي بامتياز ، ينفرد بهذه المعجزة ، أمر يدعونا إلى التوقف ملياً عند مدلولات هذا الحدث وأبعاده الرمزية ، فضلاً عن ظهور سيدنا المسيح (عليه السلام) بشكل فجائي دائرة الضوء في مشهد العرس ، وحلوله محل العريس الذي ينسحب إلى الظل مع نفاد خمره ، فاسح المجال لسيدنا المسيح العريس الحقيقي صاحب الخمر الجديدة الجيدة التي لا ينالها نفاد .

يمكن القول أن هدف سيدنا عيسى في ليلة العرس تلك هو أن يعلن دخوله إلى العالم من جديد متألقاً كعريس بين حواريه ، مع ما يصاحب ذلك من فرح واحتفال ، وذلك بعد انسحابه إلى البرية ومكوثه فيها أربعين يوماً وليلة وعدته منتصراً على المُغوي ، وهو ما سيدركه الحواريون بعمق عبر إيمانهم به ، وما سيؤكده أيضاً يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان)

بواسطة شهادته في الفصل التالي حين أتاه مُريدو وأخبروه بأن الجميع يتحولون نحو سيدنا المسيح .

" لأن يوحنا لم يكن وقتئذٍ قد ألقي في السجن ، وقام جدال بين تلاميذ يوحنا وأحد اليهود في شأن الطهارة ، فجاؤوا إلى يوحنا وقالوا له : رابي ذاك الذي كان معك في عبر الأردن ، ذاك الذي شهدت له ، ها إنه يعمد فيذهب إليه جميع الناس ، أجاب يوحنا : ليس لأحد أن يأخذ شيئاً لم يعطه من السماء ، أنتم بأنفسكم تشهدون لي بأني قلت إني لست المسيح ، بل مرسل قدامه " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الثالث ، ٢٤ ـ ٢٨) .

لذلك فإن اختيار سيدنا المسيح لعرس قانا الجليل كمشهد افتتاحي لإعلان مجده هدفه اساساً ربط هذا المجد بتمام الفرح ومشاعر المشاركة والابتهاج ، واذا كان ارتباط رمز الخمر بالفرح في سياق اعلان المسيح لمجده أمراً واضحاً لا يحتاج إلى المزيد من التعليق ، فأنني أحب أن أشير إلى عنصر آخر هو من الأهمية بمكان في علاقته بمعجزة تحويل الماء إلى خمر ، وهذا العنصر هو مفهوم التحول نفسه في علاقته بالمجد المُعلَن ، وهو عنصر ذو دلالة مضاعفة تتجلى اولاً في تحول الماء إلى خمر ، وثانياً في فعل التحول الذي تحدثه الخمر نفسها في الشارب وكلها إشارات عجيبة إلى معجزة التحول العظيم الذي جاء سيدنا المسيح لكي يجربها في حياة البشر .

كما أن علاقة الخمر بالدم واردة بشكل واضح ، سواء من ناحية لونها الذي يشبه لون الدم أو من ناحية سريانها في الجسم ، لذلك كان يشار إلى الخمر بدم العنب ، حيث أشار سفر التكوين " رابط بالجفنة جحشه ، وبأفضل كرمة ابن حمارته ، غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه " (سفر التكوين ، الاصحاح التاسع والاربعون ، ١١) .

أما في سفر التثنية فقد بين بأن " لبن البقر وحليب الغنم مع شحم الحملان وكباش بني باشان والتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب تشربه خمراً "(سفر التثنية ، الاصحاح الثاني والثلاثون ، ١٤) ، وهذه دلالات تتضح علاقتها كثيراً بالمجد المُعلن حين نربطها بأقوال سيدنا المسيح لما أعلن أن دمه هو شراب الحق(إنجيل يوحنا ، الاصحاح السادس ، ٥٥) ، وأنه هو الكرمة الحق (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الخامس عشر ، ١) .

وقد تنبه الصوفية المسلمون كذلك إلى رمزية الخمر ، ووظفوها كثيراً للتعبير عن حالة الوجد التي تنتاب السالك عندما يبلغ منه العشق الإلهي مبلغاً يغيب فيه عن شهود الإحساس من نفسه ، مثلما يغيب السكران عن كل ما يحيط به ، وما ينسب في ذلك إلى الخمر (الحلاج ، السنة بلا ٣٣٧) :

" طاب السماع وهبت النسماتُ وتواجدت في حانها الساداتُ

سمعوا بذكر حبيبهم فتهتكوا خلعوا العذار ودارت الكاساتُ

طربوا فطابت باللقى أرواحهم كتموا فبانت منهمُ حالاتُ

شربوا بأقداح الصفا لما صفوا سكروا فلاحت منهمُ رقصاتُ

ظهرت عليهم من بواطن سره كاسات بشر كلها راحاتُ "

سابعاً | الماء .

يُعتبر الماء من أهم الرموز التي تشير إلى أصل الحياة ، وذلك إلى جانب أغراض أخرى كالطهارة والولادة الجديدة وغيرها ، على أن مدلولاته تتأثر بالسياق الذي قد يوجد فيه (نهر ، عين ، بئر ، بحر ، مياه صافية ، مياه عكرة) وغيرها .

وقد ارتبط الماء في الإنجيل الشريف حسب يوحنا بالحياة الأبدية ، أي الحياة في سيدنا المسيح ، كما يتضح حكايته مع المرأة السامرية التي طلب منها أن تسقيه ، وحين أجابته بأنه يهودي وهي سامرية ولذلك لا يجوز لها أن تسقيه قال لها :

" لو كنت تَعرفين عطاء الله ومن هو الذي يقول لك ، أسقيني ، لسألته أنتِ فأعطاكِ ماءً حياً " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الرابع ، ١٠) ، ثم أردف : " وأما الذي يشرب من الماء الذي أعطيه أنا إياه لن يعطش أبداً بل الماء الذي أعطيه إياه من ماء يصير فيه عين ماء يتفجر حياة أبدية " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الرابع ، ١٤) ، فهو يفرق بين الماء الموجود

في البئر والذي لا يطفئ سوى عطش الجسد والماء الحي الذي يعطيه هو والذي يطفئ عطش الروح ، لكن الجسد لا يلبث أن يحتاج إلى الماء من جديد ، أما الروح فلا تعطش بعد ذلك أبداً لأنها تحررت بسيدنا عيسى من شريعة العطش ، ولذلك فهي لا تموت ، وهو المعنى الذي يجعل الماء مرتبطاً بالولادة الجديدة التي تتم بفعل الروح القدس وكلمة الله عند رجوع الإنسان إلى الله تائباً ومؤمناً بالمسيح ، فيتطهر بغسل الماء بالكلمة (رسالة بولس ، الاصحاح الخامس ، ٢٦) ، إذ يولد ثانية بكلمة الله (رسالة بطرس ، الاصحاح الأول ، ٢٣) ، ذلك مصداق لقول سيدنا المسيح : " أجاب يسوع : الحق الحق أقول لك : ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلا إذا ولد من الماء والروح ، فمولد الجسد يكون جسداً ومولد الروح يكون روحاً" (إنجيل يوحنا ، الاصحاح الثالث ، ٥ ـ ٦) .

يطفوا رمز الماء أيضاً بقوة حين شاهد التلاميذ سيدنا المسيح ماشياً فوق ماء البحيرة ، و " دلالة الماء " ترتكز بشدة على الثنائية التي فصل فيها سيدنا المسيح بين الماء الحي المرتبط بالروح والحياة الأبدية ، والماء المألوف المرتبط بالجسد والعالم الحسي (إنجيل يوحنا ، الاصحاح السادس ، ١) ، لأن مشي السيد المسيح فوق الماء تعبير ملموس منه عن انتصاره على العالم الذي يمثله ماء البحيرة كماء مألوف مرتبط بالجسد ، وهذا الماء هو أيضاً الذي أهلك الكائنات في حادثة الطوفان باستثناء من دخل الفلك مع نوح ، ويمكن القول في ذلك أن سيدنا المسيح عيسى (عليه السلام) يمثل فلك النجاة الحقيقي .

وقد التقط شهيد الصوفية الحسين بن منصور (الحلاج ، السنة بلا ، ص ١٥٧) هذا المعنى في ابيات الشعر :

" إني ارتقيت إلى طود بلا قدم ... له مراق على غيري مصاعب

وخضت بحراً ولم يرسب به قدمي ... خاضته روحي وقلبي منه مرعوب

حصباؤه جوهر لم تدن منه يد ... لكنه بيد الأفهام منهوب

شربت من مائه ريًا بغير فم ... والماء قد كان بالأفواه مشروب

لأن روحي قديماً فيه قد عطشت والجسم ما مسه من قبلُ تركيب ".

وفي تلك الابيات يبدو واضحاً توظيف الحلاج لرمز الماء مستلهماً شخص سيدنا المسيح، وتؤكد مدى توسل الصوفية بتعاليم السيد المسيح (عليه السلام) .

ثامنا | الخبز .

يُعد الخبز رمزاً مرتبط أشد الارتباط بشخص سيدنا المسيح وذلك لأسباب كثيرة أهمها ، إعلانه أنه الخبز الحق النازل من السماء ، وهي إشارة تندرج ضمن المنظومة الرمزية للإشارات الأخرى التي تتبني عليها الروحانية المميزة لإنجيل يوحنا ، وقد جاءت كأغلب الإشارات في سياق " حياتي ملموس "

فمثلً أن تؤطر البئر في سياق الحديث عن الماء الحي ، نجد أن الإطعام الفعلي لأكثر من خمسة الأف نفس يؤطر سياق الحديث عن الخبز الحقيقي ، وهو في الحقيقة منهاج تعليمي أعتمد فيه سيدنا المسيح التدرج مما هو ملموس إلى ما هو مجرد ، فعندما جاء الجمع الذين أكلوا وشبعوا يبحثون عنه في كفر ناحوم ووجدوه على الضفة المقابلة من بحيرة طبرية قال لهم : " فأجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، أنتم تطلبونني ، لا لأنكم رأيتم الآيات ، بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم ، لا تعملوا للطعام الذي يفنى بل أعملوا للطعام الذي يبقى فيصير حياة أبدية ، ذاك الذي يعطيكم ابن الإنسان فهو الذي ثبته الأب الله نفسه بختمه " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح السادس ، ٢٦- ٢٧) .

وهو محاولة لارتفاع بهم إلى مستوى روحاني مجرد انطلاقاً من حالة جسدية ملموسة ، وهي حالة الشبع ، إذ كما أعطاهم خبزاً ملموساً أشبعهم ، ها هو يثير انتباههم إلى وجود حالة مختلفة من الشبع يولدها خبز حقيقي غير الخبز الفاني الذي أكلوه ، وكما أن الماء الحي الذي يعطيه هو يشفي الشارب من علة العطش ، فأن الذي يأكل هذا الخبز لا يجوع أبداً ، مصداقاً لقوله في نفس السياق : " قال لهم يسوع : أنا خبز الحياة من يقبل إلي فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح السادس ، ٣٥) .

يندرج الخبز في سلسلة الثنائيات الضدية ، مثل النور | الظلمة ، العالم | الحياة الأبدية ، الماء المألوف | الماء الحي ، الله تبارك وتعالى | الشيطان ، إلى غير ذلك من الثنائيات الضدية ، وهو الأمر الذي لا يَرق إلى فهمه الكثير من جمهور الشعب والأئمة الدينيين ، حيث يبدو غباء اليهود مثيراً للشفقة ، فهم يتسألون بعد أن قال لهم إنه الخبز الذي نزل من السماء : " وقالوا : أليس هذا يسوع بن يوسف ، ونحن نعرف أباه وأمه ؟ ، فكيف يقول الأن : إني نزلت من السماء " (إنجيل يوحنا ، الاصحاح السادس ، ٤٢) .

والثنائية المبنية على رمزية الخبز (خبز حقيقي مرتبط بالروح مقابل خبز فاني مرتبط بالجسد) نجدها هي نفسها ، بشكل غير مباشر ، عند المتصوفة المسلمين فهم لم يتكلموا عن الخبز الحي بالشكل الذي به تكلم عنه سيدنا المسيح ، بل سلكوا إلى ذلك مسلك الزهد يعتمد ضمنياً على ثنائية الخبز الحقيقي | الخبز الفاني ، أو الطعام الحي | الطعام الفاني ، يتبدى ذلك في دعوتهم إلى الانصراف عن شهوة الطعام ومنع النفس من الشبع ، حيث " مبتدأ الدخول في الزهد أدب النفس بقطع الشهوات من الطعام والشراب على القوت الكافي ، ومنعها من الشبع بالليل والنهار... ويجعل طعامه أكلتين ، أن شاء غداء ، وأن شاء عشاء وسحوراً ، أن أراد الصوم والصوم أقوى له وأسرع ... " (نويا ، ١٩٧٣ م ، ص ١٧) .

(ثبت المصادر والمراجع)

القرآن الكريم .

الكتاب المقدس .

أولاً | المصادر الأولية .

البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ | ١٠٤٩م) ، ١٩٥٨ م ، في تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ | ١٢٠١م) ، السنة بلا ، تلبيس إبليس ، دار ابن خلدون ، بيروت .

الحلاج ، أبو المغيث الحسين بن منصور (ت القرن الثالث الهجري | القرن التاسع الميلادي) ، السنة بلا ، ديوان الحلاج ، تحقيق كامل مصطفى الشيبي ، مكتبة النهضة ، بغداد .

ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ | ١٤٠٥م) ، السنة بلا ، المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ؛ السنة بلا ، شفاء السائل لتهذيب المسائل ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

الزمخشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ | ١١٤١م) ، السنة بلا ، أساس البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت .

الطوسي ، أبو نصر عبد الله بن علي السرج (ت ٣٧٨هـ | ٩٨٩م) ، ١٩٦٠ م ، اللمع في التصوف ، تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

ابن عجيبة ، عبد الله بن أحمد (ت ١٢٢٤هـ | ١٨٠٩م) ، ٢٠٠٤ م ، معراج التصوف إلى حقائق التصوف ، تحقيق عبد المجيد خيالي ، مكتبة دار البيضاء ، المغرب .

ابن عربي ، محيي الدين (ت ٦٣٨هـ | ١٢٤٠م) ، السنة بلا ، ترجمان الاشواق ، دار صادر للطباعة ، بيروت .

الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٦هـ | ١٤١٤م) ، ١٩٧٨ م ، القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، دار الفكر للطباعة ، بيروت .

القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ | ١٠٧٣م) ، السنة بلا ، الرسالة القشيرية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

الكلاباذي ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ | ٩٩١م) ، ١٩٨٠ م ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق محمود أمين النوري ، ط ٢ ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ؛ ونسخة أخرى ، ٢٠١١ م ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تعليق أحمد شمس الدين ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

ابـن منظـور ، محمد بـن ابـي مكـرم (ت ٧١١هـ | ١٣١١م) ، ١٩٦٨ م ، لسـان العـرب المحيط ، دار لسان العرب ، بيروت .

ثانياً | المراجع الثانوية .

معلـوف ، لـويس ، ١٩٩٨ م ، المنجـد فـي اللغـة والاعـلام ، ط ٣٧ ، دار الشـروق ، بيروت.

عبد المقصود ، محمد سالم ، السنة بلا ، في ملكوت الله مع أسماء الله ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ماسـينون ، لـويس ، ١٩٧٩ م ، الإسـلام والتصـوف ، ترجمـة مصـطفى عبـد الـرزاق ، مطابع الشعب ، القاهرة .

مبارك ، زكي ، ١٩٥٤ م ، التصوف الإسلامي في الآدب والأخلاق ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

نويا ، بولس . ١٩٧٣ م ، نصوص صوفية ، دار المشرق ، بيروت .

List of Sources and References

The Holy Quran .

Johns Gospel .

First –Sources :

Al- Biruni , Mohammad bin Ahmed (d. 440 AH |1049 AD) , 1958 , Fe Tahaiceq Ma India min Maquala Maqbual or Marthoula , Darit Maraf AThmania , Heudar Abad .

Ibn Gawziy , Abdul Rahman bin Ali (d . 597 AH | 1201 AD) , 1979 , Saft Al-Sofowa , studied by Mohammad Faquari , Dar Marffa , Beirut .

Al-Hallag , Abo Al-Maquith Hassan bin Mansour (d . Third Century Hajera | Nine Century Millied) , No Year , Dawan Al- Hallag , studied by Kamail Mastafa , Maktabit Al-Natha , Baghdad .

Al-Katib Al-Baghdadi ,Ahmed bin Ali (d. 463AH | 1070 AD) , 1350 AH , Traic Baghdad, No press , Beirut .

Ibn Khaldun , Abdul Rahman (d . 808 AH | 1405 AD) , No Year , Mokaddimat bin Khaldun (Al-Ibar wa Diwan Al-Mubtada was Al-

khabar fi Ayam Al- Arab wa Al-jam was Al-barbar ma Walahum min Sultan Adum) , publisher Ihyaa Al-Turath Al-Arabi , Beirut .
Al-Zamqishery , Mohammad bin Omar (d . 538 AH | 1141 AD) , No Year , Asais Al- Balga , Dar Maraf , Beirut .
Al- Toscy , Abdullah bin Ali (d . 378 AH | 989 AD) , 1960 , Almaq fe Al-Taswf , studied by Mohammad Abdul Halim , Taha Abdul Al-Baque , Dar Katab Al-hadaitha , Cairo .
Ibn Agiaba , Abdullah bin Ahmed (d . 1224 AH | 1809 AD) , 2004 , Maraj Al- Tasouf to Haicaq Al- Tasouf , studied by Abdul Majaed Qualiy Dar Batha , MorrIco .
Ibn Arabi , Mohay Alden (d. 638 AH | 1240 AD) , No Year , Trgman Al-ashouk , Dar Saader , Beirut .
Fieous Abady , Mohammad bin Yaicob (d . 816 AH | 1414 AD) , 1979 , Al- Qumois Al –Mhaiat and Kabos Al-Wasat , Dar Faker , Beirut .
Al- Quishery , Abdul Krem Bin Howazin (d . 465 AH | 1073 AD) , No Year , Quisheria Massage , No press , Cairo .
Al-Klibathy , Abo Baker Mohammad (d . 380 AH | 991 AD) , 1980 , Al- Tarif Lamathab Alalla Al- Tasouf , studied by Mohammad Amin , Maktabt Al –Klait Al- Azahara press , Cairo .
Ibn Manzoor , Mohammad bin Abi Makram (d . 711 AH | 1311 AD) , No Year , Lassan Alarab Almoheq , Dar Lisan Alarab , Beirut .

Second –References :

Mallof , Liowas , 1998 , Al- Minged fi Allouq Wa Al-Alaam , Dar Al-Shrooq , Beirut .
Abdul Maqisoud , Mohammad Salim , No Year , fi Mallqout Alah and Name Alah , Dar Al- Katab Al –Masria , Cairo .
Masanoin , Liowas ,1979 , Al- Islam Wa Al- Tasouf , Transliet Mostafa Abdul Razaq , Dar Al-Shaab press , Cairo .
Moumarq , Zake , 1954, Al- Tasouf Al- Islam fi Al- ADaab Wa Al-AqallaK , Dar Al-Katab Al- Aarabi , Cairo .
Noia , Bollus , 1973 , Nouswis Souffa , Dar Al- Maisheq , Beirut .

بنية التفكير القصصي في تاريخ العرب ماقبل الاسلام

د. شفيقة جاسم نصيف العبيدي

جامعة الانبار / كلية الاداب / قسم التاريخ /

رقم الهاتف : ٠٧١١٦٩٢٤٢ /

الايميل: . art .prf. shafika @uoanbar .edu

بنية التفكير القصصي في تاريخ العرب ماقبل الاسلام

د. شفيقة جاسم نصيف العبيدي

الملخص

لعبت القصص في عصر ما قبل الاسلام دوراً مهماً في صياغة فكر العرب ،وذلك بما يحتوي من حقائق وفوائد ومقاصد ،حيث تناول القصاص التاريخ الانساني في قصصهم منذُ بدء الخلق مروراً بتاريخ الانبياء والرسل ، كما انصب اهتمامهم بالقصص التي عاصرت ايامهم وهي ممزوجة بالخرافات والاساطير منها القصص العربية وغير العربية والتي نقلت عن طريق قصاص العرب كقصة ابن عناق ، ورستم واسفنديار ، هذا وساهمت ايام العرب في اثراء معلومات القصاص عن وقائع القبيلة وبطولات ابنائها ، اما قصص الحيوان ، فكان لها الاثر التاريخي في ثقافة العرب ، ولاسيما في ضرب الامثال ، فكل مثل قصة يعبر عن اهميتهِ على مر الزمان سواءٍ كان اجتماعياً ام سياسياً ، فقيل ((جوع كلبك يتبعك)) ،((لا ناقتي لي فيها ولا جمل))، هذا فضلاً عن اهمية قصص الحيوان في القران الكريم وفيها الكثير من الدروس والعبر ، منها قصة الهدهد مع النبي سليمان(عليه السلام) ، وقصة حمار النبي عزيز وغيرها ، ويبدو ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين كلمة الذكر والوعظ وكلمة القصص وظهر هذا جلياً في الروايات التي اكدت هذا الترابط ، وفي خلاصة القول يتضح لنا ان هناك ثلاثة انواع من القصص ، الاول منها الاسطورية وهي قصص اجتماعية اعُدت لغرض التسلية ، والثاني القصص القرآنية ، والهدف منها الوعظ والارشاد ، اما النوع الثالث من القصص كانت مضرب الامثال والتي قيلت لمعالجة مسألة معينة.

كلمات مفتاحية: العرب ، الاساطير ، القصص ، الحيوان ، القران الكريم ، التاريخ

Research entitled (structure of narrative thinking for arabs in the pre-lslamic) era submitted by dr. shafiqa jassim nassif al-obaidi

/Emall: art .prf. shafika @uoanbar .edu .iq

University of Anbar College if Arts / Department of History / lraq

Keywords: alearab , alasatyr , alqasas , alhayawan , alquran alkarim , alttarikh

ABSTRACT

Stories in the peelslamic era played an important role in shapingarab thought withits facts beuefits and intentions ,where retribution deal with human history in there stories from the beginning of creation ,through the history of the phets and messengers, and attention was also focused in the stories that lived through their days and are mied with my and legend ,including arab and non –arab stories ,which were reported through the story of the arab ,suchas the stiry if lbn anaq rustam and esfandiar ,and this helped the days of the arabs to enrich the retribution in formation about the facts if the tribe and heroism of its sons ,as for animal stories, they hada historical impact on the culture of arabs ,especially in striking pvoverbs ,every eample is astory that epresses its importance over time ,it was said (your days hunger follows you) ,(l have not spoken to me about it or sentences) this is in addition to the importance of animal stories in the holy quran and has has many lessons and lessons ,including the story of the hoopoe with the prophet Solomon ,and the story of the donkey of the prophet aziz and others, and it seems that is aclose connection between the word stories, and it was evidentin the narratives that con firmed this connection the first of which is legendary and they are social stories prepared for the purpose of entertainment , and the second is quranic stories and the pupose of which is preaching and guidance ,the third type of story was apvoverd that was said to address as pescific issue .

المبحث الاول

القصص واهميتها على عرب شبه الجزيرة العربية

يمثل القصص مظهر من مظاهر الثقافة الفكرية العربية قبل الاسلام ، فهي مرآة صافية لطبيعة عاداتهم وتقاليدهم ، وعُرف عنهم شغفهم للقصص وساعدهم على ذلك اوقات الفراغ الطويلة ، فكانوا حينما يرخى الليل سدوله يجتمعون للسمر وما ان يبدأ القاص بقولهِ : ((كان

يا ماكان حتى يصغي الجميع بأسماعهم اليهِ من شيوخ وشباب ونساء واطفال ، وكانوا ايضاً يشاركونهُ الحديث ويتابعونهُ بشوق ولهفة)) **(الرافعي ، ١٩٤٠م ، ج٣،ص١٤٩-١٥٠)**

١- القصص لغةً واصطلاحاً

اشتقت كلمة القصص من قص : ((اي قص اثرهُ يقصهُ قصاً وقصصاً تتبعهُ)) **(الزبيدي ، ١٩٨٢م ، ج١،ص٩٨)**، وقيل : ((القاص يقص القصص لأتباعهِ خبراً بعد خبر وسوقهِ الكلام سوقاً)) **(ابن منظور ،١٩٩٢م، ج٧ ،ص٩٧)**، ومنهُ قولهُ تعالى : ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ **(سورة القصص ، الاية ١١)**، وقص عليهِ الخبر قصاً وقصصاً اعلمهُ بهِ واخبرهُ ومنهُ قَصَصْت الرُّؤيا عَلَى فُلان إذَا أَخْبَرْتَه بِهَا، قال تعالى : ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ **(سورة يوسف ، الاية ٥)**، كما جاءت لفظة القصص لتعني القضاء والافتاء والاخبار ورواية الرؤيا وتفسيرها (**السخاوي، ١٩٧٩م، ص١٦ ، سورة الاخبار (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) ، (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)** .

وافادت غالبيتها معنى الاخبار والحديث عن الامم السالفة من خلال الحديث عن الانبياء والرسل **(السخاوي ، ١٩٧٩م ، ص١٦)** ، هذا ويتضح ان هناك علاقة وطيدة بين مفهوم القصص والذكر والوعظ ، فالذكر : ((هو حفظ للشيء وتذكرة)) **(ابن دريد ، ١٩٨٧م ، ج٢،ص٦٩٤)**، قال تعالى : ﴿ **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ **(سورة ق ، الاية ٤٥)**، وقيل في الوعظ : ((هو النصح والتذكير بالعواقب)) **(ابن دريد ،١٩٨٧م ، ج٢، ص٩٣١)**، قال تعالى : ﴿ **كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **(سورة هود ، الاية ١٢٠)** .

القصص اصطلاحاً: ((هو مظهر من مظاهر الفكر والثقافة العربية في عصر ما قبل الاسلام ،فالعرب كانت لديهم قصص كغيرهم من الشعوب تتعلق بالعبرة والحكمة والنوادر

والنكات ، فضلاً عن قصص الملوك والابطال وسادات القوم والايام ، والاسفار وقصص خيالية تحولت الى اساطير)) **(طقوش ، ٢٠٠٩م ، ص١٥٢)**، وقال وزارن في القصص : ((أنهُ الادب والعلم والثقافة العامة لما تحويهِ كل قصة من معارف شيىء بالخلق ، والتاريخ الانساني ، والاديان والطبيعة ، والعادات والتقاليد فما من شيء في التاريخ الا ولهُ قصة)) **(وزارن ، ١٩٨٣م ، ص١٤٥)**

اولاً: صفات القاص ، وانواعهِ ، واهدافهِ :

القاص الناجح هو الذي يسيطر على مشاعر الناس وعواطفهم بما يمتلك من فصاحة وبلاغة في تصريف العبارات وفي ربطهِ الاحداث بعضها ببعض ، فهو من الشخصيات المحببة لديهم ، فقد كان يقص على ابناء حيهِ القصص المسلية الممتعة التي تتناسب مع اهواءهم وافكارهم مراعياً الفوارق بين اعمارهم **(جواد علي ، ١٩٧٣م، ج٨،ص٣٧٤)**.

وتعتبر قصص الايام جانباً مهماً من تاريخ العرب قبل الاسلام ، اذ تمدنا بمعلومات دقيقة عن حياة القبيلة وما فيها من عادات وتقاليد واعراف ، فهي مادة خصبة بما احتوت عليهِ من وقائع سجلت فيها الخطب والمواعظ والحكم والوصايا ، فتغنى بها المحاربون وشدت من عزيمتهم، كما تعكس فيها القيم الاخلاقية وتصور الشجاعة والاقدام والذود عن الحرمات والوفاء بالعهد ، أما قصاصي الايام، فقد كانت لديهم مواهب خاصة وقدرة على القص والتأثير في النفوس **(بروكلمان ،١٩٦٢م ،ج١،ص١٢٨)**، ومن اشهرهم وكيع بن سلمة بن زهير الايادي ، وعُرف بالفصاحة والحكمة ، وكان يحث قبيلتهِ على التحلي بالاخلاق الفاضلة وصلة الرحم وحسن الكلم **(ابن حبيب،١٩٦٤م،ص١٣٦)** .

لكن تفتقر قصص الايام الى الفكرة التاريخية المتكاملة واسلوب الايام مباشر يفيض بالحيوية وواقعي يختلط فيهِ النثر بالشعر وهذا الاسلوب لهُ اثر في بداية علم التاريخ عند العرب وفي الاوساط القبلية خاصة **(الدوري ،١٩٨٣م ، ص١٩)**

اما قصص الاساطير والخرافات التاريخية المأثورة عن العرب او عمن جاورهم ، ومن اشهر قصاصيها هو عدي بن زيد بن ايوب العبادي (ت ٥٨٧م) ينتمي الى اسرة نصرانية

كانت تسكن الحيرة كان فصيحاً يحسن العربية والفارسية ذكر في قصصهِ عن آدم واغواء ابليس لحواء وكيف ادخلتهُ الحية الى الجنة حين كانت في صورة جمل فمسخها الله عقاباً لها، قصة بن عناق الذي كان يحتجز السحاب فيشرب منهُ ، ويتناول الحوت من قرار البحر ، فيشويهِ بعين الشمس ثم يأكله **(الطبري، بلا ت ، ج١،ص١٨٥)**

كما تداول العرب قصص شفوية تحدثت عن الهتهم وانسابهم تضمن دروساً وعبر للوعظ والارشاد ، وهذهِ القصص لها اصل تاريخي ومنتشرة بشكل كبير ، كقصة اساف ونائلة ، وحفر بئر زمزم ، وبناء قريش للكعبة ووضع الحجر الاسود وغيرها **(ابن هشام، ١٩٨٢م،ج١،ص٨٢)** ، ومن اشهر قصاصي عرب ماقبل الاسلام وهم طبقة الكهان الذين كانوا منتشرين في اواسط المجتمع بشكل كبير ، اذ ويمكن اعتبار هؤلاء من اوائل القصاص الذين اجتمع اليهم الناس وطلب مشورتهم اصحاب السلطان والنفوذ في مهامهم وامورهم ، وذلك لتنبئهم بامور الغيب التي يحبها الناس بالفطرة ويقبلون عليها ومن اشهر هؤلاء الكهان سطيح الذئبي وشق بن مصعب الانماري **(ابن هشام، ١٩٨٢م،ج١،ص١٥).**

كما ادعى الكهان تفسير الرؤى حيث اقبلوا اليهم الناس في المنازعات والمنافرات، او في التحلل من نذر نذورهُ ، كما حصل مع عبد المطلب لما نذر ان يذبح ولداً من اولادهِ اذا رزقهُ الله عشرة من الولد **(ابن سعد، ١٩٤٦م، ج١،ص٤١).**

ولبعض القصص اصول اعجمية دخلت الى المجتمع العربي من منابع خارجية ،ومنها يونانية وفارسية ونصرانية ، مثل قصة يومي البؤس والنعيم ، وشريك مع الملك المنذر اللخمي ، وهو قصص وان اقترن باسماء عربية قبل الاسلام الا ان اصوله غير عربية **(جواد علي ،١٩٧٣م،ج٨،ص٣٧٦)**، ومن هؤلاء القصاص النضر بن الحارثة بن علقمة كان يحدث قريشاً بأحاديث رستم واسفنديار وما تعلم في بلاد فارس من اخبار فكان يعرض قصصهِ باللغة العربية ليوضح مدى بلاغته وثقافتهِ **(البلاذري ،١٩٦٦م، ج١،ص١٦٠)**، كما ادخل تميم بن اوس بن خارجة الداري القصص الدينية فكان نصرانياً كقصة الجساسة والدجال، ويبدو انهُ خلط احاديثه بين القصص النصراني وبين الاساطير العربية **(ابن سعد، ١٩٤٦م، ج١ ،ص٧٥) .**

ومما يؤكد كلامنا هذا نقل امين **(١٩٦٤م ، ص٦٦-٦٨)** نص عن المسشرق ديلاس اوليري قال : ((ان هناك صلة بين عرب الجاهلية وآداب غيرهم من الامم ، كالاغريقية والفارسية ، تمثلت في انهم اخذوا بعض القصص فأحتفظوا بهِ يروونه ويتسامرون به على الحال التي نقلوهُ ، علاوه على قصصهم الاصيل الذي لم يأخذوه عن غيرهم مما نجدهُ في ايام العرب ...))

فضلاً عما سبق ، ظهر لون آخر من الوآن القصص ، الا وهو قصص المسافرين ورحلاتهم، حيث اراد العرب التعرف على العالم المحيط بهم ومعرفة احوال الناس من معيشتهم وتجارتهم وحرفهم ، والتعرف ايضاً على المسافرين انفسهم وطبيعة رحلاتهم والمصاعب التي واجهتهم وطرق السفر **(عبد الحليم،١٩٧٩م، ص١٩٣)** .

اذن هناك نوعان من القصص التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية ، الاول منها مايتحدث عن حياة العرب قبل الاسلام بجميع نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، اما النوع الاخر فهي من اصول اعجمية تداولها القصاص العرب وكان لهذا اثر في التبادل الثقافي لكلا الطرفين ،كذلك لعبت القصص دوراً مهماً في نشأت المدارس التاريخية المستمدة من تاريخ الانبياء عليهم السلام واخبار الامم السابقة لما تحويهِ من عبر وموعظة ، وهذهِ العبر بمثابة قصص تعليمية ، اي دروس تعلم الانسان في حياتهِ وترشدهُ الى النجاح وتشمل قصص الماضيين وما قاموا بهِ من خير او شر ، اما قصص الايام ، فيتعرف من خلالها على وقائع العرب وادوات بطولاتهم ، لهذا اصبحت القصص اشبه ماتكون بالمدارس في ايامنا ، الا انهُ تتعلم فيها جميع الشراح الاجتماعية من صغار وكبار ونساء وشيوخ .

ثانياً: دور القصاص في نشأة المدرسة التاريخية وعلاقتهم بالتاريخ

تناول القصاص التاريخ الانساني في قصصهم منذ بدء الخليقة حتى ايامهم ، فقد تحدثوا عن المبتدأ وذكروا خلق الله السموات والارض والعرش والماء والريح ، وقصة خلق الله لأبليس **(الاجري، ٢٠٠٠م، ص٢٣٤)** ، كما تداولوا تاريخ الانبياء بدءٍ من ادم(عليه السلام) ،وانهُ

اول من ضرب بالدينار والدرهم ، وآدم والقضاء والقدر، وآدم وحواء(**الاصفهاني،١٩٧م ، ج٦،ص١٣)** .

كما وجه القصاص عناية فائقة بالتاريخ الانساني العالمي ثم انصب اهتمامهم بتاريخ الانبياء والرسل عليهم السلام من جانبين ، الاول منهُ اهتم بسرد الاحداث التاريخية ، أما الجانب الثاني ، هو الوعظي الذي اهتم بسير الانبياء والامم ، لهذا فقد تأثر هؤلاء القصاص بثقافة الكتب السماوية ، حيث كان قسم منهم على اطلاع عليها ، حتى ان مسلمة اليهود ادخلوا الكثير من الإسرائيليات الى التاريخ الاسلامي ومن اشهرهم كعب الاحبار (ت ٣٢هـ – ٦٥٢م) ، ومحمد بن كعب القرظي (ت ١٠٨هـ – ٧٢٦م)،وكثيراً ما تحدث كعب عن الكتب الاسرائيلية ويقص العجائب وذا اطلاع واسع بالثقافة اليهودية واساطيرها (**الذهبي، بلا ت،ج٣،ص٤٨٩– ٤٩٠)** ، ويمكن اعتبار كعب الاحبار من اوال من قدم نموذجاً للتاريخ العالمي لسير الانبياء ، وليس كما ذكر الدوري **(الدوري،١٩٨٣م ،ص٣١ ، ص١٣٦)**، بأنهُ وهب بن منبه على الرغم من انهُ قاص، فقد سبق كعب الاحبار كل القصاص وكل الرواة في ذلك حتى ان معظم الرواة اخذوا عنهُ هذا القصص ، وبهذا شكل هؤلاء القصاص المدرسة الاخبارية الاولى في رواية هذا النوع من القصص ، واعتمد عليهم كبار المؤرخين فيما بعد كالواقدي وابن قتيبة والطبري وبن كثير وغيرهم.

المبحث الثاني

القصص التعليمية واثرها التاريخي على عرب شبه الجزيرة العربية

١– قصص العرب مضرب الامثال التاريخية

الامثال هي مادة مهمة لفهم التاريخ ، فقد تعرض جامعوها لاصل المثل وجاؤوا بشرحهم هذهِ بمادة تاريخية ، ولكل مثل قصة تروي منشأ ضرب ذلك المثل وما وراءه خبر وهي تعبير عن روح الزمان الذي قيل فيهِ ، وكثيراً منها كانت متداولة منذُ عصر ماقبل الاسلام وحتى وقتنا الحاضر **(جواد علي، ١٩٧٣م ،ج٨،ص٣٦١).**

كما ساهم الخيال العربي في بناء نماذج حيوانية شكلت مادة خصبة للامثال والقصص ، الا اننا نواجه صعوبات جمة لتاكيد هذا الطرح ، ولاسيما ان بعض من الباحثين **(زكي،١٩٧٩م، ص٧٨)** يزعمون : ((ان العرب لم يعرفوا الاساطير ،ذلك انهم لم يكونوا من اصحاب الملكات الخلاقة التي تعتمد الخيال الواسع)) ، ومع ان اطلالة سريعة على جواهر الشعر الجاهلي تنسف هذا الموقف من اساسهِ ، ولعل السبب في هذا الموقف هو عدم فهم طبيعة العقلية العربية ، وقد رد امين **(امين،١٩٦٤م، ص٣٦)** على هذهِ الشبهة بقولهِ : ((اما ضعف الخيال فلعل منشأه ان الناظر في شعر العرب لا يرى فيهِ اثراً للشعر القصصي ولا يرى الملاحم الطويلة التي تشيد بذكر مفاخر الامة كالياذة هومريوس ...ونحن مع اعتقادنا قصور العرب في هذا النوع من القول ، الا ان هذا الضرب احد مظاهر الخيال لا مظهر الخيال كله ، فالفخر والحماسة والوصف والتشبيه كلهُ ونحوهِ من مظاهر الخيال)).

– قيل : ((اجمل من ذي العمامة))(**العسكري** ، **١٩٨٨م، ج١،ص٣٣٥)**، هذا المثل من امثال اهل مكة ، وذو العمامة هو سعيد بن امية ،فأذا لبس عمامته لايلبس قرشي عمامة على لونها ،وأذا خرج لم تبق امرأة الا وبرزت للنظر الى مالهِ، وقيل : أن هذا اللقب إنما لزم سعيدَ بن العاص كنايةً عن السيادة، لأن العرب تقول فلان مُعَمَّم يريدون أن كل جناية يجنيها من تلك القبيلة والعشيرة فهي مَعْصُوبة برأسه، فإلى مثل هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص ذا العصابة وذا العمامة **(الميداني، بلا ت، ج١،ص١٨٨)** .

– ((لا ناقتي لي فيها ولا جمل)) **(العسكري،١٩٨٨م، ج٢،ص٣٩١)** هي قصة الحارث بن عباد الذي رفض المشاركة في حرب البسوس بين تغلب وربيعة ، وقد كان سبب الحرب ان كليباً قتل ناقة البسوس فقام جساس بقتل جمل كليب لكنهُ قتل كليباً ، فأشتعلت الحرب بين ابنا العمومة ، ولمّا دعي ابن عباد الى الحرب رأى انها حرب محقة لا لطرف الزير سالم اخو كليب المقتول ولا لطرف مرّة بن ربيعة والد جساس القاتل ، فأبى النزول وقال هذا المثل فأصبحت جملتهِ هذهِ مضرباً للمثل تدل على البراءة من الامر **(جواد علي،١٩٧٣م ، ج٨، ص٣٦٩)**.

– قيل في المثل : ((جوع كلبك يتبعك)) (**الميداني ، بلا ت، ج١،ص١٦٥**)، يضرب في معاشرة اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به، أول من قال ذلك ملك من ملوك حمير، وهي قاعدة سياسية بحتة اتبعها غيره من الملوك ،اذ كان الملك عنيفاً على أهل مملكته يغصبهم أموالهم ويسلبهم ما في أيديهم وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك، وأن امرأته سمعت أصوات السؤَّال فقالت: إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن من العيش الرَغْد، وإني لأخاف أن يكونوا عليك سِباعاً وقد كانوا لدينا أتباعاً! فردّ عليها: جوِّع كلبك يتبعك. فأرسلها مثلاً **(جواد علي ،١٩٧٣م،ج٨،ص٣٦٩)**

– ((جَاءَ بخُفَّيْ حُنَيْن))(**الميداني ، بلا ت ، ج١،ص٢٩٦)** ، أصلُه أن حُنَيناً كان إسكافا من أهل الحِيرة، فساوَمَه أعرابي بخُفَّين، فاختلفا حتى أغْضَبه، فأراد غَيْظَ الأعرابي، فلما ارتَحَلَ الأعرابي أخذ حنينٌ أحدَ خفيه وطَرَحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مرَّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الْخفَّ بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأولَ، وقد كَمنَ له حنينٌ، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنينٌ إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخُفَّانِ، فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: جئتكم بِخُفَّيْ حُنَين، فذهبت مثلاً ، ويضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

٢– قصص الحيوان في الفكر الاسطوري العربي

استطاع الحيوان ان يشغل مخيلة الانسان منذ العصور الغابرة ، ولعل اول محطة تستوقفنا في مسيرة الحياة البشرية هي مشهد من مشاهد بداية الخليقة ، يشاء القدر ان يتتلمذ الانسان على يد الحيوان ويفقه التعامل مع جسد فارق الحياة ، وقد صورت هذهِ الحادثة في اجمل معانيها منبئة بهول الموقف الذي واجهه الانسان امام ظاهرة الموت وسلوك الغراب اتجاه هذهِ الظاهرة في قولهِ تعالى : ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** (**سورة المائدة ، الاية ٣١،**)، ويأبى هذا المجتمع الحيواني ان يغادر سفينة نوح (عليه السلام) في

حادثة الطوفان قبل ان يترك بصماتهِ على نفسية الانسان وتفكيره حتى ارتقى الى مراتب الالهة على مر العصور **(الطنطاوي،٢٠٠٧م،ص١٦)**.

كما ان اطلاق اسم الحيوان على بعض القبائل يشير الى ان العرب كانوا يقدسون بعض الحيوانات ، فالناقة يكثر ذكرها في قصائدهم لأنها رمز للعطاء ومصدر للرزق والنماء ووسيلة الرحلة في الصحراء ، اما الخيول اداة الحروب وحامية حياض القبيلة ومن هنا فقد حرصوا على حفظ انسابها ، ولم يقف الامر عند ذكر هذين النوعين ، فقد ورد ان قريش اشهر قبائل العرب بمعنى ((الحوت)) **(عبد الحكيم،١٩٨٣م،ص١٤٤)**، ويقال ان طوتهما **(كلمة يراد بها كائنات تحترمها وتقدسها بعض القبائل المتوحشة وقد يكون الطوتم حيواناً او نباتاً للمزيد ينظر : خان،١٩٣٧م،ص٥٥)** الحوت ومن القبائل : بنو اسد ، بنو ضب ، بنو فهد ،بنو كلب ، بنو نعامة وغيرهم كثير وفي تأويل هذهِ الاسماء رأيين على حد قول الباحث خان **(خان،١٩٣٧م،ص٦٧)**، الاول ان هذهِ الاسماء هي القاب لأشخاص تاريخية معروفة ، مثال ذلك ان بني كلب اتخذوا لقبهم عن شخص تاريخي معلوم وهو كلب بن وبرة بن ثعلبة جد قضاعة، والرأي الثاني مفاد ان لهذهِ الاسماء معاني دينية لها علاقة بعبادة الحيوانات وفي دلالة هذهِ الاسماء فأنهم كانوا يسمون الاولاد بأسم الحيوان ظناً منهم انهُ يحفظهم من اعين الانس والجن وهذا مايسمونهُ بالنقير ، فقد قيل لأعرابي : ((لمَ تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم احسنها نحو مرزوق ورباح ؟ فقال : انما نسميّ ابنائنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا)) **(خان ،١٩٣٧م ، ص٧٠)**.

وتزداد قصص الحيوانات وثاقة بتفكير ومعتقدات العرب قديماً ، ولاسيما بثنائية الروح والجسد ، فظن منهم ان الروح تغادر الجسد وتعود اليهِ من جديد ، فأن وجدتهُ متحللاً حلت في جسم اخر او حيوان او طير ومن هنا جاءت فكرة التناسخ ، وهذا كان اما بدافع الخوف والرهبة او بدافع الحب ،لأن الحيوان او الطير المعبود هو مصدر خير وعطاء ، فقيل : ان النفس طائر ينبسط في جسم الانسان ((فأذا مات او قتل لم يزل مطيفاً بهِ متصوراً لهُ صورة طائر يصدح على قبرهِ ، فأن كان قتل ولم يؤخذ بثأرهِ نادت الهامة على قبرهِ : اسقوني فأني صدية)) **(خان ،١٩٣٧م، ص٤٦)**.

والملاحظ ان العرب الاوائل استهوتهم الحيوانات الضخمة والوحشية الخارقة فأنطبع ذلك في مخيلتهم وطقوسهم ، ففي ((قصة الخلق القريشية أن ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهر الارض ، فوسوس اليهِ ، وقال : أتدري ما على ظهرك يالوتيا من الامم الدواب والشجر والجبال وغيرها ، انك لو نفضتها او القيتها عن ظهرك لكان ذلك اريح لك)) **(عبد الحكيم ،١٩٨٣م ،ص١٤٤)** ، وقد نطق الحيوان بما حفلت بهِ مخيلة العرب ومعتقداتهم حول قضايا وجودية طالما شغلت العقل البشري مثل الموت والقضاء ، ويشبه ذلك ((ما فسر بهِ سليمان (عليه السلام) حديث الهدهد حين يقول :

اذا نزل القضاء عمي البصر)) **(اليوسي ،،١٩٨١م، ج١،ص٧٥)** ، والنسر يقول : ((يا ابن آدم عش ما شئت فأنك ميت)) **(عبد الحكيم ،١٩٨٣م ،ص١٤٤)** ، ويتواتر ذكر الهدهد في المأثور العربي لأرتباطهِ بحادثة بلقيس ملكة سبأ مع النبي سليمان ولقُب بذلك ابو الاخبار وزعموا ((ان القنزعة التي على رأسهِ ثواب من الله تعالى ما كان من برهِ لأمهِ لما ماتت جعل قبرها على رأسهِ ، فهذهِ القنزعة عوض عن تلك الوهدة)) **(الجاحظ ، بلا ت ،ج٣،ص٥٩٤) .**

وكذلك من القصص التي شاعت بين العرب قصة الحية التي ملكت كنزاً ، والسعلاة التي صادقت شاعراً ، والنعامة التي يمتطيها الجن في الصحراء الموحشة تحت جنح الظلام **(يونس ،١٩٦٨م،ص٤١)**، ومن الحيوانات الخرافية التي وردت في قصصهم واشعارهم الغول والسعلاة ومن الطيور العنقاء والهامة كما كانت العرب تتفاءل بالحمامة والقطاة والديك والهدهد بينما تنفر من الغراب والبوم **(الرباعي ،١٩٩٨م،ص١٢٢)**،كما اورد الميداني قصة ((في بيتهِ يؤتى الحكمة)) على السنة الحيوان حينما اختصم ارنب وثعلب فأحتكما الى الضب الذي جرت اقوالهِ مجرى الامثال السائرة ، وقصة الغول التي تجيء في صورة امرأة ولها رجلاً حمار ،**(الميداني، مجمع الامثال ، ص٧٢)**

٣- الدروس التاريخية من قصص الحيوان في القران الكريم

القصة في القرآن الكريم من الفنون الادبية الرفيعة التي جات لتسهم فيما يرمي اليهِ كتاب الله من الوعظ والنصح والارشاد ، كقصة النبي ابراهيم (عليه السلام) حين اراد ان يوغل في طريق الايمان ، فتمنى من الباري ان يريهِ كيف يحيي الموتى ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ**

أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة البقرة ، الاية ٢٦٠)، واختلفت الاراء حول انواع الطيور الاربعة ، فذهب فريق الى انها كانت طاووساً وهو رمز اريد بهِ زينة الدنيا ، والديك رمز الشهوة ، والنسر رمز الامل الطويل ، والبط رمز للحرص الشديد **(الصابوني،١٩٨١م، ج١،ص١٦٦)** ، والغاية من هذهِ القصة هي اكرام الله لابي الانبياء ،حينما اراد ان يخرج من علم اليقين الى عين اليقين فكانت التجربة الفريدة التي تقوم على سلب الحياة وبعثها من جديد بأذن الله ، كما تعكس قصة سليمان (عليه السلام) مع الهدهد ، المكانة المرموقة لبعض الطيور في القصص القرآني ،ولا سيما حينما تفقد سليمان (عليه السلام) الطير فلم تقع عينه على الهدهد ،فتوعدهُ بأشد عقوبة ان لم يبد عذراً مقتنعاً ،قال تعالى : **﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة النمل، الاية ٢١)**، وذهبت بعض المراجع **(الجزائري،١٩٨١م، ص١١٤)** الى ان سليمان تفقد الطير لأنهُ كان في حاجة الى الهدهد ليدلهُ على مواقع الماء في سفرهِ ،لأن الهدهد يرى الماء في بطن الارض ، وهذا يدلل على حاجة الانسان الماسة الى الحيوان .

وجاء الهدهد فبسط حجتهِ بين يدي سيمان(عليه السلام) قال تعالى في كتابهِ العزيز : **﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (سورة النمل ، الاية ٢٣).**

ويعرض الجاحظ **(بلا ت ، ج٤،ص٨٥)** ،الدروس المستخلصة من هذهِ القصة التي تكشف عن علم اعطاه الله للهدهد ولم يعطهِ لسليمان حتى لا يصاب بالغرور ، وادرك هذا الطائر عظمة عرش ملكة سبأ ، كما فصل ما بين الملوك والسوقة وما بين الرجال والنساء ،

كما عرف السجود للشمس وانكر المعاصي وتعجب من سجود القوم لغير الله ثم علم ان الله يعلم غيب السموات والارض .

اما قصة حمار عزيز(عليه السلام) ، الذي اماتهُ الله قرناً ثم احياهُ ليكون آية على البعث والنشور قال تعالى : ﴿ **وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ **(سورة البقرة ، الاية ٢٥٩)**، من يتأمل بعث الحمار في هذهِ الآية يدرك ان الانسان يجب الا ينخدع بالمظاهر الخارجية ، ولاسيما ان الحمار بين الناس مرتبط بمعانٍ اجتماعية لا اساس لها من الصحة اشهرها البلادة والغباء والذل ، لكن شاءت ارادة الله ان يعطي هذا الحيوان دروس يتعظ منها الانسان في مسيرة حياتهِ .

ومن يتأمل قصص الحيوان هذهِ يلاحظ انها شملت ، دور مركزي فاعل مؤثر لا يقل اهمية عن شخصيات البشر فمنها الداجن كالحمار ومنها غرائبي مدهش كالطيور التي تكلم الناس ، كذلك لابد من الاشارة هنا الى ان اهم الفروق الجوهرية بين القصص التي ابدعها الانسان منذ عصر ما قبل التاريخ والقصص القرآني ،اذ يقوم القصص الذي يصنعه البشر على التحرك بين عالمين عالم الخيال وعالم الواقع ، بينما يقوم القصص القراني على حقائق دامغة لا يشوبها خيال كاذب ،قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ **(سورة ال عمران ، الاية ٦٢)**، والقصة التي يبتدعها الانسان قد تعرض شخصيات من نسيج الخيال ، بينما قصص القرآن الكريم تعرض شخصيات عاشت كالرسل والانبياء والامم التي سادت ثم بادت بعيداً عن تهويمات الخيال ومبالغات القاصين ، واذا كان من اهداف القصص الذي يصوغه البشر التسلية والترفيه ،فأن القصص القرآني جاد كلهُ له اغراض سامية وكلها تنأى عن الهذر والتسلية وتزجية اوقات الفراغ ، ومن نافلة القول ان نشير الى فرق جوهري آخر هو ان القصص الانساني من صنع البشر بينما القصص القرآني من وحي رب البشر .

الخاتمة

انطلاقاً مما سبق يمكن القول ان القصص في عصر ماقبل الاسلام كانت تهدف الى ان تكون عبرة للمعتبر وعظة للمزدجر ، فكان في مكة وفي انحاء شبه الجزيرة العربية قصاص يعظون الناس ويقصون عليهم انباء الماضيين واخبار السالفين ،فالعرب كغيرهم من الامم مفطورون على التعلق بتواريخ الاباء والاسلاف وذكرياتهم حول قصص الجن والغيلان، وفضلاً عن ذلك كان غاية القاص اجتماعية هو التسلية وملء اوقات الفراغ فهي تباعد بين الانسان وهمومهِ وتنفي عنهُ الشعور بالملل ، فيستمعون الى النوادر المضحكة والاساطير والخرافات والى حكايات المسافرين ورحلاتهم فمن خلالها يتعرفون على العالم المحيط بهم وعلى احوالهم وطرق معيشتهم ، واخيراً فقد شكلت القصص المادة التاريخية للعرب في جزيرتهم ، وكان القاص بمثابة الاخباريين الذين نقلوا هذا التراث وحملوهُ الى الاجيال اللاحقة.

قائمة المصادر والمراجع

ابن منظور ، محمد بن مكرم ،(ت٧١١هـ)، لسان العرب ،ط/٢،دار صادر –بيروت – لبنان .

الزبيدي ، محمد بن عبد الرزاق ،(ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين ،دار الهداية –مصر .

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ،(ت٩٠٢هـ)، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي –بيروت .

ابن دريد ، محمد بن الحسن ،(ت٣٢١هـ)،جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي ، ط/١، دار العلم للملايين –بيروت .

ابن حبيب ، محمد بن امية ،(ت٢٤٥هـ)،المحبر ، تح: خورشيد احمد فاروق ، مطبعة المعارف العثمانية حيدر اباد .

الطبري ، محمد بن جرير ،(ت٣١٠هـ)،تاريخ الانبياء والرسل والملوك، تح: محمد ابوالفضل ابراهيم ،ط/٤، دار المعارف ، القاهرة–مصر

ابن هشام ،عبد الملك بن ايوب،(ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية ،تح: مصطفى السقا واخرون ،ط/٣،دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان.

ابن سعد ، محمد بن منيع ،(ت٢٣٠هـ)،الطبقات الكبرى ،ط/١، دار احيا التراث العربي، بيروت لبنان .

البلاذري ،احمد بن يحيى ،(ت٢٧٩هـ)، انساب الاشراف ، تح: سهيل زكار زركلي ،دار الفكر ،بيروت لبنان .

الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان،(ت٧٤٨هـ)،سير اعلام النبلاء ،تح: شعيب الارنؤوط ، مكتبة الرسالة ،بيروت–لبنان

العسكري ، الحسن بن عبد الله ،(ت٣٩٥هـ)،جمهرة الامثال ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط/٢،دار الفكر ،بيروت –لبنان .

الميداني ، احمد بن محمد بن ابراهيم ،(ت٥١٨هـ)، مجمع الامثال ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ،بيروت–لبنان .

الجاحظ ، عمر بن بحر،(ت٢٥٥هـ)، الحيوان ، تح: عبد السلام هارون ،دار صعب ، بيروت لبنان .

الاجري ، محمد بن الحسن ،(ت٣٦٠هـ)، الشريعة ،ط/١١،جمعية احيا التراث الاسلامي ،الضاحية–الكويت .

– الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ اداب العرب، ط/٢،مطبعة الاستقامة –مصر .

طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ العرب قبل الاسلام ،ط/١،دار النفاس .

عدنان ، مطالعات في الادب المقارن ،مكتبة الدار السعودية –دة السعودية .

علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ط/١،دار العلم للملايين ،بيروت–لبنان .

بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، دار المعرفة ،القاهرة مصر .

الدوري ، عبد العزيز ،بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق ، بيروت لبنان .
احمد ، فجر الاسلام ، ط/٩،مكتبة النهضة الفكرية –القاهرة .
عبد الحليم ،علي، القصة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف القاهرة .
الاصفهاني ،احمد بن عبد الله،(ت٤٣٠هـ)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ط/٣،دار صادر –بيروت .
زكي ، احمد كمال ، الاساطير – دراسة حضارية مقارنة ،ط/٢ ، دار العودة ، بيروت لبنان .
الطنطاوي ، علي ، قصص من التاريخ ، تح: مجاهد مأمون ديرانية ،ط/١٠، دار المنارة للنشر والتوزيع – السعودية .
عبد الحكيم ، شوقي ، الفلكور والاساطير العربية ، ط/٢،دار ابن خلدون –بيروت .
خان، محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية قبل الاسلام ، (القاهرة –١٩٣٧م)
اليوسي ، الحسن بن مسعود ،(ت ١١٠٢هـ)، زهر الاكم في الامثال والحكم ، تح: محمد حجي ،ط/١،الدار البيضاء–المغرب .
يونس ، عبد الحميد ، الحكاية الشعبية ، المؤسسة المصرية – القاهرة .
الرباعي ، عبد القادر ، الطير في الشعر الجاهلي ،المؤسسات العربية للدراسات والنشر – بيروت .
الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير ،دار القران الكريم –بيروت .
الجزائري ، السيد نعمة الله ، النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين ،دار الاندلس بيروت .

abn manzur , muhamad bin mukrim , (t 711 h) , lisan alearab , t / 2 , dar sadir -byrut – lubnan -
-alzubaydi , muhamad bin eabd alrazzaq ,(t 1205h), taj aleurus min jawahir alqamws, th: majmueat min almuhaqiqin ,dar alhidayat - msir
-alsakhawiu , muhamad bin eabd alruhmin ,(t902h), al'iielan bialtawbikh liman dhama alttarikhi, dar alkitab alearabiu -byrwt

-abn darid , muhamad bin alhasan ,(t321h),jamhirat allughat , th: ramziun munir biealbukiin , t/1, dar aleilm lilmalayin -byrwt
-abn habib , muhamad bin amyt ,(t245h),almuhabar , th: khurshid 'ahmad faruq , mutbaeat almaearif aleuthmaniat haydar 'abad.
-altabariu , muhamad bin jarir ,(t310h),tarikh al'anbia' walrusul walmuluk, th: muhamad abwalfdl 'iibrahim ,t/4, dar almaearif , alqahirt-msir
-abn hisham ,eabad almalik bin aywb,(t218h), alsiyrat alnubawiat ,th: mustafaa alsqa wakharun ,t/3,dar 'iihya' alturath alearabii, biruta-lubnan.
abn saed , muhamad bin manie ,(t230h),altabaqat alkubraa ,t/1, dar 'ahya alturath alearabii, bayrut lubnan-
albladhriu ,ahmd bin yahyaa ,(t279h), 'ansab al'iishraf , th: sahil zukar zurkaliun ,dar alfikr ,bayrut lubnan-
-aldhahabi , muhamad bin 'ahmad bin eathman,(t748h),sayr 'aelam alnubla' ,th: shueayb alarnwwt , maktabat alrisalat ,birut-libnan
-aleaskariu , alhasan bin eabd allh ,(t395h),jamhirat al'amthal , th: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim ,t/2,dar alfikr ,bayrut -lbanan
-almaydaniu , 'ahmad bin muhamad bin 'iibrahim ,(t518h), majmae al'amthal , th: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid, dar almaerifat ,birut-libnan.
aljahiz , eumar bin bihr,(t255h), alhayawan , th: eabd alsalam harun ,dar saeb , bayrut lubnan-
alajry , muhamad bin alhasan ,(t360h), alshryet ,t/11,jameiatan 'ahya alturath al'iislamii ,aldahyt-alkwyt
alrrafieiu , mustafaa sadiq , tarikh adab alearab, t/2,matbaeat alaistiqamat -msir-
taqush , muhamad sahil , tarikh alearab qabl alaslam ,t/1,dar alnafas-
eadnan , mutalieat fi al'adab almuqarin ,maktabat aldaar alsewdyt -dt alsewdy-
eali , jawad , almufsil fi tarikh alearab qabl alaslam ,t/1,dar aleilm lilmalayin ,birut-libnan-
bruklman , karl , tarikh al'adab alearabii , tarjamatan : eabd alhalim alnajar , dar almaerifat ,alqahirat misr-
aldawriu , eabd aleaziz ,bahth fi nash'at eilm alttarikh eind alearabi, dar almashriq , bayrut lubnan-

'ahmad , fajar alaslam , t/9,maktabat alnahdat alfikriat –alqahra-
eabd alhalim ,eali, alqisat alearabiat fi aleasr aljahili, dar almaearif alqahira-
alaisfhani ,ahmad bin eabd allah,(t430h), hilyat alawlya' watabaqat-
zaki , 'ahmad kamal , alasatyr - dirasatan hadariatan mqarnt ,t/2 , dar aleawdat , bayrut lubnan-
-altantawiu , eali , qusis min alttarikh , th: majahid mamun diraniat ,t/10, dar almnart lilnashr waltawzie - alsewdy
eabd alhakim , shawqi , alflkur walasatyr alearabiat , t/2,dar abn khaladun –byrwt-
khan, muhamad eabd almaeid , alasatir alearabiat qabl alaslam , (alqahirat -1937m-
-alyusiu , alhasan bin maseud ,(t 1102h), zahar alakm fi al'amthal walhukm , th: muhamad haji ,t/1,aldar albyda'-almghrb
yunis , eabd alhamid , alhikayat alshaebiat , almuasasat almisriat – alqahira-
. - alribaeiu , eabd alqadir , altayr fi alshier aljahilii ,almuasasat alearabiat lildirasat walnashr -byrwt
alsabuniu , muhamad eali , sifuat altafasir ,dar alquran alkarim – byrwt-
-aljazayiriu , alsyd niemat allah , alnuwr almubin fi qisas al'anbia' walmursilin ,dar alandils bayrut

توظيف آيات القرآن في التصوير الاسلامي
دراسة تحليلية

The recruit of verses of the Quran in Islamic painting , an analytical study

م . د. باسم عليعل خلف

جامعة ذي قار / كلية الاثار

توظيف آيات القرآن في التصوير الاسلامي دراسة تحليلية

م . د. باسم عليعل خلف

الملخص

نتناول في هذا البحث فرعاً مهماً من فروع الفن الاسلامي الا وهو التصوير حيث تم دراسة مجموعة من اللوحات الفنية التي اتخذت من القصص القرآنية موضوعاً لها في مخطوطات متعددة اضافة الى المصادر التي حوت على عدد من هذه اللوحات , وامتد البحث ليشمل قصص القرآن من النبي آدم عليه السلام الى عصر النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم , وتم توثيق عدد من الاحداث التاريخية من خلال آيات القرآن الكريم مع محاولة تحليل لهذه اللوحات بما يمنح القارئ وضوحاً أكثر في فهم اللوحة الفنية .

Abstract

In this research we deal with an important branch of Islamic art, which is painting, where a group of paintings that were taken from Qur'anic stories were studied in multiple manuscripts. In addition to the sources that contained a number of these paintings, and the research extended to include the stories of the Qur'an from the Prophet Adam to the era of the Prophet Muhammad, and a number of historical events were documented through the verses of the Holy Qur'an with an attempt to analyze these paintings in a way that gives the reader more clarity in understanding the artistic painting.

المقدمة

لازال الجدل مستمراً حول توظيف التصوير في الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام , ففي كل الديانات ظهرت آراء مختلفة حول تحريم وكراهية التصوير وأحليته وتستند هذه الآراء الى نصوص قرآنية وأحاديث دار حولها جدل كبير واستندت كل فئة الى أدلة يراها الآخر غير مقنعة ومن خلال هذا الجدل ظهرت حركات ومنها حركة تحطيم

الايقونات سواء كانت في الحضارات القديمة أو الحضارة التي سبقت الاسلام وخاصة في الفترة البيزنطية وكذلك الفتاوى التي جاءت في العصر الاسلامي تدعو الى تحريم التصوير وبالخصوص ما فيه روح . ويبدو إن هذه الحركات والفتاوى ظهر ما يناهضها فتولد لنا فن تصويري في مختلف البقاع الاسلامية سواء كان جدارياً أو في ثنايا الكتب التي كان لها دور كبير في شرح نصوص وآيات قرآنية تمثل فيها النبي محمد وال بيته صلى الله عليه واله وسلم من خلال توظيف الآيات القرآنية لشرح مضامين هذه الآيات . ويمكن القول إن ما أنتجه المسلمون في هذا الجانب يعطي صورة على أن التحريم لا يمكن أن يكون إلا لتقديس الشخص وعبادته أما فيما عدى ذلك فلا ضير من إتخاذ الصورة لشرح وتفسير مضمون الآيات والاحداث التاريخية وتزويق المخطوطات بما يمنحه أهمية اكبر ويثير في القارئ حسن المتابعة والتدبر في قراءة النص . ويمكن القول ان الفنان المسلم حاول تقليد الفنون السابقة للعصر الاسلامي كالفنون الساسانية والبيزنطية والتي كانت تصور احداث تاريخية فوظف آيات القرآن في التصوير الاسلامي مبتعداً عن الاحاديث التي تتوعد مصوري ذوات الارواح .

الكلمات المفتاحية

توظيف الآيات , التصوير الاسلامي , التحريم , الكراهة ,

التحريم والكراهة والاباحة في التصوير الاسلامي

حاول النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم في كثير من الاحاديث أن يجنب المسلمين مواضع الزلل ويبعدهم عن الشبهات وتثبيت عقيدتهم وكان التصوير أحد الامور المهمة التي أراد النبي من المسلمين الابتعاد عنه لأنه من الاسباب التي أدت الى الشرك بالله (محرز، ١٩٦٢، صفحة ٥). (mahrez, 1962, p. 5) فقد وردت أحاديث كثيرة عن هذا التحريم أو الكراهة أو الاباحة وكانت هناك أسباب عديدة لذلك وسنبين هذا من خلال التطرق لهذه الاحاديث .

ويمكن ان نقسم الاحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالتصوير الى التحريم المطلق والكراهة والاباحة ولكل نوع من هذه الاحاديث اسباب سواء كانت التحريم المطلق او الكراهة او الاباحة , فالاحاديث التي يرى البعض انها ذات تحريم مطلق تتعلق بتصوير ذوات الارواح مستندين الى عدد من الاحاديث ومنها الحديث المروي عن عبدالله بن عمر" ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة , يقال لهم احيوا ما خلقتم" والحديث المروي عن ابن عباس " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة " (البخاري، ٢٠٠٢، صفحة ١٤٩٥). (al- bukhari , 2002, p. 1495) وكذلك الحديث المروي عن السيدة عائشة " قدم رسول الله من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل فلما رآها رسول الله هتكها وقال اشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله فجعلته وسادة أو وسادتين" (البخاري، ٢٠٠٢، صفحة ١٤٩٦). (al- bukhari , 2002, p. 1496) والحديث المروي في باب بيع التصاوير " كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما اذ اتاه رجل فقال : يا ابن عباس اني انسان انما معيشتي من صنعة يدي , واني اصنع هذه التصاوير. فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سمعته يقول : من صور صورة فأن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً. فربا الرجل ربوةً شديدة واصفر وجهه , فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر , كل ما ليس فيه روح " (البخاري، ٢٠٠٢، الصفحات ٣٥٠-٣٥١) . (al- bukhari , 2002, pp. 350-351) ولعل في هذا الحديث دليل على معرفة العرب بالتصوير اذ ليس من المنطق ان يصبح هذا الرجل مصوراً بين ليلة وضحاها مالم تكن لديه خلفية وانه مارس فن التصوير في العصر الجاهلي مما جعل منه مهنة له .

فالملاحظ ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم حرم تصوير ذوات الارواح عندما تسيئ اللوحة الى الشخصية المصورة أو تجعلها في مكان يشوه من صورتها الحقيقية ويمكننا أن نستدل على ذلك من خلال ما ورد عند الازرقي حيث جاء فيه أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه عندما فتح مكة أمر بمحو الصور التي كانت تزين جدران الكعبة من الداخل ومن بين هذه الصور صورة النبي ابراهيم الخليل عليه السلام ولكنه يبقي على صورة السيدة مريم العذراء وفي حجرها السيد المسيح عليهم السلام والسؤال هنا لماذا قام الرسول بمحو

صورة ابراهيم الخليل وابقى على صورة السيدة مريم والنبي عيسى مع ان كل منهما نبي ؟ لعل الاجابة على ذلك نجدها في الحديث الشريف ((قال : حدثنا الوليد, قال : حدثني جدي عن سعيد بن سالم , قال أخبرنا يزيد بن عياض بن جعدبة , عن ابن شهاب : ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها صور الملائكة وغيرها, فرأى صورة ابراهيم , فقال : قاتلهم الله جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام)) . ثم رأى صورة مريم فوضع يده عليها , فقال : ((امحوا ما فيها من الصور إلا صورة مريم)) (الازرقي ، ٢٠٠٣، صفحة ٢٥٣). (al-azraqi, 2003, p. 253) ومن خلال الحديث اعلاه يتضح لنا ان الرسول حرم تصوير الاشخاص عندما تكون اللوحة لا تنقل الصورة الحقيقية فقد أمر بمحو صورة ابراهيم الخليل عندما تم تصويره وهو يقوم بالاستقسام وهو أمر أنكره الرسول وهو فعل ينافي رسالة الانبياء , ولكنه يبقي على صورة السيدة مريم والنبي عيسى في حجرها وهي صورة للوضع الطبيعي للام وطفلها وليس في الصورة ما يخدش الحياء ولذلك أبقى عليها الرسول الكريم , وعلى ما تقدم يمكننا القول ان الرسول كان لا يسمح بالصور لذوات الارواح عندما تكون بعيدة عن الواقع وتحمل في ثناياها تشويهاً للحقيقة.

اضافة الى ان الرسول غض النظر عن بعض الدمى والتماثيل عندما تكون الغاية منها هو اللعب كما ورد عن السيدة عائشة " ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قدم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت عن بنات لعائشة لعب فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن فقالت : بناتي , ورأى بينهن فرس له جناحان من رقاع . فقال : وما هذا الذي عليه قالت جناحان . قال : فرس له جناحان ؟ قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة . قالت : ضحك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى رأيت نواجذه" (الازدي، ١٩٨٧، الصفحات ١٤٣-١٤٤). (al azdi, 1987, pp. 143-144)

يرى بعض الباحثين ان العرب لم يكن لهم فن يدوي محتجين بان العرب كانوا يعيشون حياة البادية وان هذا الفن تعوزه الحياة المستقرة (عكاشة ، ١٩٧٧، صفحة ١٠) . (okasha, islamic religious and arab painting, 1977, p. 10) اذ ليس كل العرب كانوا على ترحال دائم فمكة التي يعرف الباحثون انها كانت محطة من محطات التقاء

القوافل والاسواق التجارية والشعرية وكانت تزين الكعبة التصاوير التي ذكرها المؤرخون عند فتح مكة ولكن مع ذلك يحاولون ان ينسبوا هذه التصاوير الى غير العرب (عكاشة ، ١٩٧٧، صفحة ١٢). (okasha, islamic religious and arab painting, 1977, p. 12) وهناك العديد من الادلة التي تثبت ان للعرب معرفة في فن التصوير قبل الاسلام منها موقع جزيرة العرب الذي جعلها محطة لالتقاء الثقافات المختلفة وكذلك مزاولة العديد من العرب عمل التماثيل والصور التي تحيط بالكعبة لاتخاذها كمعبودات قبل الاسلام اضافة الى ممارسة العرب للتجارة مما يمنحهم الاطلاع على فنون الشعوب الاخرى مما يمكنهم من ايجاد فن خاص بهم وكذلك فقد تداول العرب النقود المصورة سواء كانت الساسانية او الرومانية (فرغلي، ٢٠٠٠، الصفحات ١٥-١٦). (farghali, 2000, pp. 15-16)

قد يشكل البعض على فنون التصوير لأنها محرمة بنصوص من الاحاديث النبوية الشريفة , ولكن التحريم منصوص عليه في القرآن الكريم بشكل قطعي كشرب الخمر والزنا وليس هناك مجال للتأويل في الآيات القرآنية بخصوص ذلك ما يمكن أن نحتمل فيه الكراهة أو الاباحة ومع ذلك نجد الكثير من المسلمين لا يبالون بهذه الآيات وترى الكثير منهم وهم يقبلون على هذه الافعال على الرغم من النهي الصريح لها في القرآن الكريم , وهذا يعني أن استجابة المجتمع ليست واحدة وانما هناك فروق في درجات الايمان والتمسك بالتعاليم الدينية ولهذا نرى أن كثير من المصورين يمارسون هذا الفن على الرغم من علمهم بالاحاديث التي تتوعد المصور ولذا نجد البعض من أسماء المصورين غفل عن كتابتها لما لها من ردود افعال لدى الفقهاء وغيرهم , فكانت مكانتهم أقل من العلماء والادباء والمفكرين والخطاطين والمذهبين فكان المصور محل سخط وغضب رجال الدين (الباشا ، ١٩٥٩، صفحة ١٧). (al- basha, 1959, p. 17) وكان الفنانون الايرانيون الاكثر مخالفة لتطبيق الاحاديث النبوية فيما يتعلق بالكراهة والتحريم لانهم شعوب ميالة للفن بطبيعتها وقد ورثت ذلك عن اسلافهم فلم يكن للدين أثر على الفن ولا يؤمنون بأن التصوير فيه مضاهاة للخالق (حسن، الصين وفنون الاسلام، ١٩٨١، صفحة ٣٨). (hassan, 1981, p. 38)

وعلى الرغم مما ورد في اعلاه فقد استطاع الفنان أن يوظف الكثير من الآيات القرآنية أو جزءً منها في لوحاته الفنية وخاصة تلك الآيات التي تقص علينا ما جرى على الانبياء من أحداث سواء كانت مع الملوك أو مع اشخاص قريبين منهم أو أحداث أريد منها تثبيت أمر الهي واجب التنفيذ , وكذلك يحاول الفنان أن يستفيد من هذه الاحداث ليجعل منها موضوعاً فنياً وظفه بطريقة تتناسب والحدث اضافة الى امكانية تأثير هذا الحدث أو الموضوع على المتلقي من خلال التصوير وتكون قريبة من الواقع. سنحاول أن نتتبع هذه الموضوعات الفنية بما توفر لدينا من لوحات جادت بها الكتب التي تناولت التصوير الاسلامي ومنها مخطوطة قصص الانبياء للنيشابوري باللغة الفارسية والذي ضمت العديد من اللوحات التي تم الاعتماد عليها لقدمها وجودة لوحاتها على الرغم من أن هناك نسخ لهذه المخطوطة وبتواريخ مختلفة اضافة الى مخطوطات اخرى ولوحات من ثنايا الكتب والتي سيرد ذكرها في هذه الدراسة

توظيف الآيات الخاصة بالنبي آدم وحواء عليهم السلام

قص القرآن الكريم علينا قصص كثيرة ولكن تبقى قصة آدم وحواء الاكثر تداولاً بين الشعوب لان احداثها تتكلم عن الخطيئة الاولى التي ارتكبها البشر في معصية امر الله وكانت هذه الحادثة محل اهتمام الفنانين والمصورين واتخاذها موضوعاً لتوضيح هذا الحدث على الرغم من اختلاف الرؤية الفنية لكل فنان وتفسيره للآية القرآنية التي تناولت الموضوع .

لقد جسد الفنان في كتاب قصص الانبياء (النيشابوري ا.، ٩٨٤هـ) . ,nishapuri) (Hijri 984هذا الحدث من خلال ما تناولته الآيات التي تحدثت به وابتداءً من الآية ١٩الى الآية ٢٤ من سورة الاعراف علماً ان الفنان لم يتناول كل الآيات وانما اختار بعض منها لتكون موضوعاً فنياً يحكي قصة هذه الخطيئة كما اشار لها القرآن الكريم في سورة الاعراف الآية ١٩ بقوله تعالى ((**وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**)) . حيث نشاهد آدم وحواء وقد بدت لهما سوآتهما واخذا بتغطيتها بورق الاشجار التي رسمها الفنان باللون الاخضر وهي تحيط بالجزء الاسفل من جسديهما مستمداً ذلك من خلال ما جاء بالنص القرآني من سورة الاعراف الآية ٢٢

((**فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ**)). وقد صور الفنان حواء وهي خارج الجنة حيث صورها وهي تهم بالخروج من الباب الاخر الذي يؤدي الى الخارج وهي تنظر الى ادم والذي مازال داخل الجنة المحاطة بسياج له باب ذو مصراعين باللون البني , وصور الفنان آدم وهو يرفع يده متاحشياً ضربة يحاول ان يوجهها له رجل يرتدي الملابس العربية حيث نشاهد العمامة التي تخرج منها ذؤابة فيما تخرج من العمامة قلنسوة باللون الاحمر كما يمكن مشاهدته وهو يرتدي حذاءً باللون الاسود وجوارب تصل الى أعلى الركبتين وقد أدخل فيهما السروال باللون الاحمر ومزين بالأزهار ذات اللون الذهبي الذي ظهر لنا بعد ان قام هذا الشخص برفع طرفي الجبة التي يرتديها وعلقهما بالحزام الذي شد وسطه به وتظهر من أعلى الحزام طرف اسود صغير لعله مقبض سيف فيما يمكن ملاحظة نهايته تظهر خلف ساقه الايمن . ونلاحظ هناك شخصاً آخر يرتدي الملابس العربية من العمامة التي تخرج منها قلنسوة باللون الاسود ويرتدي ثوباً باللون الاصفر وكذلك يظهر من الاسفل سروال باللون الاحمر ومزين بالأزهار ذات اللون الذهبي ويهم بفتح الباب لحواء وهو في وضعية الالتفات الى الخلف وكأنه ينتظر خروج آدم . ونشاهد في اعلى اللوحة ملاكاً وعلى الاغلب جبرائيل وهو ينظر الى آدم وحواء وقد وضع يديه على جدار الشرفة المطلة على الجنة ونشر جناحيه وهو ينظر بأسف إليهما. والغريب في هذه التصويرة ما لاحظناه من وجود هذين الرجلين اللذين اقحمهما المصور في هذه اللوحة لان الله سبحانه وتعالى لم يخلق من البشر سوى ادم وحواء , ولعله أراد ان يوصل لنا عملية الطرد من الجنة التي ذكرها الله تعالى بقوله في سورة الاعراف الآية ٢٤((**قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ**)).

أضاف الفنان الى لوحته المعتمدة على الآية الكريمة ما ورد في الروايات المتعلقة بإغواء آدم وحواء للأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الاكل منها فقد استفاد الفنان من الرواية التي اشارت الى كيفية دخول ابليس الى الجنة من خلال العرض على الطاووس (النيشابوري ا.، ب.ت، صفحة ٣). (al- nishapuri, n.d., p. 3) لغرض ادخاله الجنة والذي بدوره أخبر الحية لتقوم بهذا الدور, وهذا ما يمكن مشاهدته من خلال اللوحة حيث

يظهر الطاووس والحية وهما يطردان من الجنة كما طرد آدم وحواء , ولابد هنا من الاشارة الى ان الدور الذي لعبته الحية في ادخال ابليس الى الجنة لم يقتصر على ما ورد في الروايات الاسلامية ولكن نفس الذكر نجده في الكتاب المقدس وبنفس الكيفية (الكتاب المقدس، ١٩٨٦، صفحة ١١). (Orient House, 1986, p. 11) والغريب في هذه اللوحة ان الفنان لم يصور لنا ابليس على الرغم من أن القصة تتمحور بشكل كبير حول شخصية آدم وحواء من جانب وابليس من جانب آخر ولا يمكن التأكيد لماذا تجاهل تصوير ابليس الا لكون مخيلة الفنان لم تصل بتصوراتها الى كيفية رسم هذه الشخصية التي يمكن لها ان تصور نفسها بأشكال واوضاع مختلفة بحسب الموقف والموضوع الذي تتبناه هذه الشخصية الملعونة. (لوحة رقم ١)

ترتبط بالآيات الخاصة بالنبي آدم عليه السلام آيات تصور لنا قصة ابني آدم وقد اشار القرآن الكريم الى هذه القصة في سورة المائدة إبتداءً من الآية ٢٧ وحتى الآية ٣١ وتدور احداثها حول قربان قدماه ابني ادم وبعد ان تقبل الله قربان هابيل ورفض قربان قابيل أضمر الأخير الحقد لأخيه هابيل ووسوس له الشيطان قتل اخيه فقتله وهو ما تصوره الآية ٣٠ من سورة المائدة ((**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**)) . ويصور لنا الفنان كيف يقوم قابيل بحمل اخيه على ظهره وهو لا يعلم ما يصنع بجثته حيث نشاهده وقد وضع اخيه على ظهره وربطه بحبل دار حول صدر هابيل ويظهر حاسر الرأس ويرتدي ثوباً طويلاً يصل الى أخمس القدمين اللتين ظهرتا بدون اي لباس لهما سواء كان خفاً او جورباً او غيرها من الملابس الخاصة بالقدم ، بينما ظهر قابيل وهو يرتدي عمامة كبيرة باللون الابيض وعليه قميص باللون الرمادي وسروال باللون البني وجواريب باللون السمائي تصل الى الركبتين ادخل فيهما السروال وغطى قدميه بحذاء باللون الاسود. وتحدثنا الآيات التالية عن الندم الذي اصاب هابيل وما فعل بأخيه وهو لا يدري ماذا يفعل بجثة اخيه وهنا يأتي دور الفنان ليجسد قول الله تعالى في الآية٣١ من سورة المائدة ((**فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ**)) بصورة بديعة تمثل غراباً يحاول دفن غراب آخر بعد ان

قتل حيث يظهر الغراب وهو يقوم بعملية الحفر بمنقاره ليصنع حفرة ليدفن الغراب الآخر ويظهر أن الغرابين ذات اللونين الابيض والاسود . (لوحة رقم ٢)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي نوح عليه السلام

ورد ذكر النبي نوح عليه السلام في عدد من السور الكريمة واستطاع الفنان ان يوظف آيات هذه السور ليجعل منها موضوعاً متكاملاً من خلال اللوحات الفنية التي تحكي قصة النبي نوح مع قومه من خلال النصح والدعوة الى الله متمثلاً بالآية ١من سورة نوح ((**إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) . واستطاع الفنان أن يمثل هذه الآية بلوحة فنية تبين وضعية النبي نوح عليه السلام وهو ينصح قومه وقد رسمه الفنان بحجم أكبر من بقية الاشخاص وهو يتربع على بساط مزين بالزخارف النباتية والهندسية وارتدى ثوباً باللون النيلي المزين بالأزهار وارتدى فوقه جبة باللون البني مفتوحة من الامام واعتمر عمامة بيضاء على قلنسوة باللون الاحمر وتتوجه هالة كبيرة تبدأ من أعلى الكتفين وترتفع الى أعلى الرأس بألسنة متعددة من اللهب وهي تطور للهالة المستديرة أو شبه المستديرة التي ترسم حول رؤوس الاشخاص لغرض ابراز الوجوه الادمية (حسن ، أطلس الفنون والتصاوير الاسلامية، ١٩٥٥، صفحة ٥٣٨). (hasan , 1955, p. 538) وتظلل النبي نوح بعض الاشجار ومنها شجرة الرمان التي بدت واضحة من خلال ثمارها التي رسمت باللون الاحمر اضافة الى شجرة ظهرت أوراقها من خمس بتلات باللون الوردي . وظهر في اللوحة اربعة اشخاص رسما اثنان منهما وهم في وضع يقابل النبي نوح وهم يرتدون ملابس تتمثل بالعمامة البسيطة والثياب الضيقة المزينة بالأزهار الذهبية وهما في حالة نقاش وهذا واضح من خلال وضعية اليدين اللتان تشيران الى النبي نوح ويتوسط الجلسة طبقين مملوئين بالفواكه ومنها ثمرات الرمان , أما الشخصان الآخران فقد رسما بوضعية تواجه القارئ فأعطيا ظهرهما الى النبي نوح وهي اشارة الى الاشخاص الرافضين للدعوة وهذا واضح من خلال اللامبالاة الواضحة عليهم من خلال حركة الاشخاص ووضعية الايدي . وتظهر في أعلى اللوحة امرأتان تطلان من شرفة وهن حاسرات الرأس وكأنهن يستمعن لحديث النبي نوح واستخدم الفنان الاشكال الهندسية من النجمة الثمانية الاضلاع

والسداسية الاضلاع والمربع في تزين جدار البيت الذي تطلان منه فيما رسم المدخل بعقد مفصص زين بالزخارف النباتية . (لوحة رقم ٣) .

وحاول الفنان استكمال قصة النبي نوح من خلال ما ورد في السور الاخرى التي جاء ذكر النبي فيها حيث وظف الآيات القرآنية التي تحكي قصة النبي واهل بيته واصاحبه وهم محمولون على السفينة وذلك في الآية ٤٠ من سورة هود في قوله تعالى ((**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**)). وفي هذه اللوحة نشاهد النبي نوح عليه السلام وهو يتوسط اصحابه واهل بيته ورسمه الفنان بحجم اكبر وهو متوج بالهالة, وظهر خلفه ثلاثة نساء محجبات بالملابس البيضاء ويجلسن بوضعية القرفصاء واستطاع الفنان ان يوضح النساء الثلاثة من خلال التدرج في رسم الاشكال بحيث يظهر احجامهن بشكل تتابعي فالأقرب اصغر والتي تليها اكبر منها لكي يوضح ملامحهن وهو عمل ابداعي بعكس ما يتم مع الاشكال البعيدة اذ كلما بعدت الصورة كلما صغرت واختفت الملامح , وهذا الاسلوب اتبعه في توضيح رسم الرجال الذين يواجهون النبي نوح عليه السلام , ونصب في وسط السفينة علم باللون النيلي على سارية باللون الاحمر. ونلاحظ شخصاً وهو يجلس على مؤخرة السفينة التي رسمت على هيئة رأس حصان وهو نفس الشكل لمقدمة السفينة ويمسك بمجداف طويل وهو يحاول دفع السفينة . اضافة الى ذلك فأن الفنان استطاع أن يوظف الآية القرآنية التي تأمر النبي نوح عليه السلام بحمل من كل زوجين من الحيوانات اثنين حيث اظهر هذه الحيوانات من خلال رسمها وهي تبدو وكأنها موضوعة داخل اقفاص وهذا ما يبدو من خلال رسمه لهذه الحيوانات داخل مستطيلات قسم بها بدن السفينة ليبين ان السفينة كانت ذات طوابق متعددة ويظهر في اللوحة عدد منها فنلاحظ زوج من الثور والبقرة ويليها زوج من الحمير ويليها زوج من الخيول وزوج من الجمال أما الجزء الاسفل من اللوحة فقد ظهر في المستطيلين اللذان الى اليمين رسم حيوانين غير واضحين لعلهما من الحيوانات المفترسة ويليهما رسم غزالين وشغل المستطيل الاخير رسم زوج من الخنازير. كما وظف الآية ٤٢ من سورة نوح ((**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ**)) . وعلى الرغم من أن الآية اشارت الى السفينة وهي

تسير في موج كالجبال الا اننا نلاحظ الفنان لم يصور لنا الجبال هنا وانما استعاض عنها برسم مأذنتين وقبة واظهر الاجزاء العلوية من هذه العناصر المعمارية ليبين لنا عظمة الامواج التي وصلت الى قمة المأذنتين وغطت الجزء المثمن الذي ترتكز عليه القبة ورقبتها . (لوحة رقم ٤)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي هود عليه السلام

أُرسل النبي هود عليه السلام الى عاد الذين تميزوا بالضخامة والطول وكان الرجل منهم يضرب الجبل بيده فيهدم منه قطعة (الجزائري ، ٢٠٠٢، صفحة ٩٠). (aljazaeri, 2002, p. 90) وحاول النبي تذكيرهم بقصص الاولين فكذبوه وكفروا به وسألوه أن يأتيهم بالعذاب (الطرفي، ب.ت، صفحة ٦١) . (al- tarfi, n.d., p. 61) وقد استفاد الفنان من قصة النبي هود مع قومه وما جرى عليهم من العذاب الذي تمثل بالريح الباردة والشديدة الهبوب (الطباطبائي، ١٩٩٧، صفحة ٤١٠). (al- tabatabai, 1997, p. 410) التي ارسلها الله عليهم كما جاء في الآيات ٦,٧من سورة الحاقة ((**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**)) . حيث يتضح لنا من خلال اللوحة كيف كان لهذه الريح من القوة التي رفعت القوم الى الاعلى وتطايرت اغطية الرأس التي كانوا يعتمرونها وظهروا بوضعيات تبين لنا عدم قدرتهم على الحفاظ على توازنهم ونشاهد ثلاثة من القوم تتلاعب بهم الريح , بينما نرى المؤمنين من قوم هود وهم ينظرون اليهم وتبدو على بعضهم علامات الدهشة ونرى في وسط المؤمنين رجل وهو رافع يديه للدعاء وهو يرتدي عمامة تظهر منها قلنسوة باللون الاحمر مع جبة مفتوحة من الامام وتحتها ثوب مزين بالعناصر النباتية وتكاد تتشابه الملابس من حيث ارتداء السروال الذي ادخل في الجوارب الطويلة , والقميص أو الثوب الطويل مع استخدام العناصر النباتية في تزينها.(لوحة رقم ٥)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي صالح عليه السلام

جاء ذكر النبي صالح عليه السلام في عدد من السورة كالأعراف من الآية ٧٣ الى الآية ٧٩ وكذلك في سورة هود من الآية ٦١ الى الآية ٦٨ وغيرها من السور ومع ذلك فأن

الفنان لم يتخذ منها موضوعاً للوحته التي ارداد بها ان يوضح قصة النبي صالح عليه السلام وما جرى مع قومه وانما اتخذ من الموروث الروائي وما ورد في الاحاديث النبوية اساساً للوحته فقد ذكر ان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم سأل جبرائيل عن مهلك قوم صالح فأخبره بالحديث الذي جرى بينه وبين قومه وانهم طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من الجبل وبالفعل حدث ما طلبوا منه فأضطرب الجبل وطلع عليهم رأسها من الصدع (العياشي، ١٩٩١، صفحة ٢٥) . (al- ayashi, 1991, p. 25) واستطاع الفنان أن يوظف هذا الحديث وغيره مما ورد في الموروث حول هذه القصة فنشاهد الناقة كيف صورها الفنان وهي خارجة من الصدع في الجبل وهم ينظرون اليها (ابن الاثير، ١٩٨٧، صفحة ٦٨). (ibn al – atheer , 1987, p. 68) ويظهر لنا الفنان الصعوبة التي تلاقيها الناقة في الخروج من الصدع وهذا واضح من خلال حركة القوائم الامامية لها حيث تبدو وهي تحاول الدفع بهما الى الخلف لإخراج باقي جسمها الذي لم يظهره لنا الفنان وابقى القوائم الخلفية وكأنها مازالت داخل الجبل ليجعل اللوحة اكثر واقعية . وتواجه الناقة عند خروجها النبي صالح عليه السلام وهذا واضح من خلال الهالة التي تتوجه من اعلى الكتفين وتظهر بيده عصا طويلة ومن خلفه وعن يمينه أي أعلى اللوحة الرجال السبعين (الجزائري ، ٢٠٠٢، صفحة ٩٨). (aljazaeri, 2002, p. 98) الذين تم اختيارهم لإثبات نبوءة صالح عليه السلام ويظهر منهم عشرة اشخاص. وتبدو عليهم علامات الدهشة وهم يرتدون الملابس الكاملة والتي مر ذكر لأنواعها في اللوحات السابقة. (لوحة رقم ٦).

توظيف الآيات الخاصة بالنبي ابراهيم واسماعيل واسحق عليهم السلام

يعد النبي ابراهيم من أكثر الانبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم واستطاع الفنان ان يوظف عدد من هذه الآيات ليجعلها موضوعاً فنياً تناوله بطريقة استطاع من خلاله شرح موضوع الآية مكنته من شد القارئ وارتباطه باللوحة الفنية , وظهرت قصة النبي ابراهيم واسماعيل وما جرى عليهما من احداث في العديد من اللوحات الفنية التي صورتهم بطرق مختلفة بحسب رؤية الفنان وما تخيله من منظر أوحته له الآية القرآنية ومن بينها موضوع حرق النبي ابراهيم عليه السلام والتي تعد من اكثر الوقائع التي اثرت في حياة المسلمين

واستند الفنان الى القرآن الكريم في تصوير هذا الحدث كما في قوله تعالى في سورة الانبياء الآيات ٦٨,٦٩ ((**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ**)) اضافة الى ما جاء في الموروث الروائي الذي تناول حادثة الحرق والتي تظهر سعة ومخيلة الفنان في تصوير الواقعة .

في هذه اللوحة صور الفنان ابراهيم الخليل عليه السلام وهو جالس على كرسي سداسي الاضلاع وسط الازهار كما جاء في وصفها بأنها روضة خضراء (ابن كثير ، ١٩٩٧، صفحة ٣٣٩). (ibn kathir, 1997, p. 339) وتتوج النبي ابراهيم الهالة وتحيط به النار من جميع الجهات وصورها الفنان على شكل لهب مشابه للهالة التي تحيط برأس النبي ابراهيم عليه السلام , كما يظهر لنا في اللوحة صورة جبرائيل وهو في حالة التحدث مع النبي ابراهيم ولعل الفنان اراد أن يوضح لنا ما دار من حديث بينهما وهو ما ورد في الموروث الروائي حيث يذكر ان جبرائيل سأل ابراهيم هل لديه حاجة فأجابه أما اليك فلا (ابن الاثير، ١٩٨٧، صفحة ٧٦). (ibn al – atheer , 1987, p. 76) واشارت المصادر الى ان الذين ارادوا حرق النبي احتاروا في كيفية القاءه فيها وذلك لشدة النار ويذكر ان هناك شخصاً أشار عليهم بصنع المنجنيق (ابن كثير ، ١٩٩٧، صفحة ٣٣٧) . (ibn kathir, 1997, p. 337) وهي الآلة التي من خلالها تم رمي النبي الى وسط تلك النار وقد صور الفنان هذه المنجنيق ليكون شاهداً على ذلك وتظهر لنا صورته وهو في حالة الانطلاق ويقف خلفه شخص يبدو انه هو الذي قام بالعمل وتظهر عليه الدهشة . وذكرت المصادر ان الملك الذي أراد حرق النبي ابراهيم عليه السلام رغب أن ينظر اليه وهو في النار فطلب من قومه ان يبنوا له صرحاً ليتمكن من المشاهدة , ونلاحظه وهو ينظر من اعلى البناء وقد اعتمر تاجاً على شكل خوذة حرب وزين احد جوانبها بريشة باللون الاسود ويظهر الى جانب الملك رجل تبدو عليه علامات الدهشة من خلال تقاسيم وجهه وشكل الحاجبين. كما ويلاحظ أن اشكال الملابس التي يرتديها الاشخاص والرسوم التي تزينها وكذلك زخرفة الجدار الذي اقيم للملك لغرض النظر الى ابراهيم عليه السلام وهو وسط النار يشابه في زخرفتها للملابس والجدران التي ظهرت في اللوحات السابقة مما يدلل على ان من قام بهذا العمل هو نفس الفنان.(لوحة رقم ٧)

وصوِّر عدد من الفنانين حادثة حرق النبي ابراهيم عليه السلام فلم يقتصر تصويرها على الكتب الدينية بل ظهرت في الكتب الادبية وبأشكال مختلفة من حيث وضع النبي ابراهيم عليه السلام وطريقة وضع الحطب وكذلك وضعية جلوسه داخل النار فنشاهده في بعض اللوحات وهو يجلس مباشرة على النار كما نلاحظ جبرائيل بوضعية تختلف عن اللوحة التي بين ايدينا (جرابر، ٢٠٠٧، صفحة ١٠٨) . (grabber, 2007, p. 108)

وقصة الذبيح من القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وعلى الرغم من عدم اتفاق المؤرخين والمفسرين حول من هو الذبيح اكان اسحق ام اسماعيل عليهما السلام الا ان الاغلب منهم يميل في نهاية التحليل الى اسماعيل عليه السلام (الطبري، ١٩٦٧، الصفحات ٢٧٤-٢٧٥). (al- tabari, 1967, pp. 274-275) ويصور لنا الفنان هذه القصة بشكل واقعي وقد سلما امرهما الى الله تعالى ممتثلين الى امره كما جاء في قوله تعالى في سورة الصافات الآية ١٠٢ ((**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**)) ونلاحظ ذلك الاستسلام والانقياد الى امر الله تعالى من خلال تصوير النبي إسماعيل عليه السلام وهو مشدود الوثاق الى الخلف ويجثو على ركبتيه وفي نفس الوقت ينقلنا الفنان الى الآية ١٠٧ من السورة نفسها ((**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**)) وتبين لنا حالة الفداء من خلال تصوير جبرائيل وهو ينزل حاملاً كبشاً ليفتدي به ابراهيم ولده من الذبح ويمكننا ملاحظة النبي ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام وهما ينظران الى جبرائيل وهو حامل الكبش الذي يعتقد البعض انه الكبش الذي قدمه ابن ادم قرباناً الى الله تعالى (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٢٧٧) . (al- tabari, 1967, p. 277)(لوحة رقم ٨).

كما صور لنا الفنان مولد النبي اسحق عليه السلام مستنداً الى الآيات التي بينت طريقة مولده كما جاء في قوله تعالى في سورة هود الآية ٧١ ((**وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**)) ويظهر في اللوحة عدد من الرجال وهم في وضعيات الجلوس او الوقوف ويرفعون ايديهم بالدعاء احدهم حاسر الرأس والبعض الاخر يرتدي عمامة بيضاء ذات لفات متفاوتة ينسدل منها عذبة او عذبتان , فيما يظهر رجل على

سطح المسجد ليعلن الولادة كما هو واضح من حركاته التي توحي بذلك من خلال وضع اليدين على فمه التي يفهم منها انها مناداة بالمولود الجديد. وقد صور لنا الفنان هؤلاء الرجال وهم يجتمعون امام مسجد كبير وهذا واضح من خلال العناصر العمارية التي امامنا حيث نشاهد مئذنتين ذات بدن اسطواني تتوسطهما شرفة مربعة الشكل وتنتهيان بجوسق على شكل قبة بصلية باللون الازرق المزينة ببعض العناصر النباتية , فيما تتوسط هاتين المئذنتين قبة بصلية باللون الذهبي ومزينة ببعض العناصر النباتية .(لوحة رقم ٩)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي لوط عليه السلام

استطاع الفنان أن يوظف الآيات الخاصة بالنبي لوط وقومه فقد صور لنا الفنان قوم لوط بطريقة حاول ان يبين عظم الفعل الذي جعل منهم يتطايرون في السماء وكأنهم اوراق الاشجار فلم تترك منهم أحداً حيث يمكن ملاحظة الفنان وهو يصور لنا الرجال وهم يتطايرون في السماء اضافة الى ادوات المنزل والحجارة التي ذكرها الله في الآية ٨٢ من سورة هود بقوله تعالى **((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ))**. وصور لنا الفنان طفل وهو نائم في سريره وهو يهوي على رأسه و نعتقد ان هذا الجزء من اللوحة هو الاكثر اثارة فيها. (لوحة رقم ١٠)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي يوسف عليه السلام

وظف الفنان في هذه المخطوطة التي بين ايدينا عدد من الآيات ليصور لنا لوحتين الاولى تتناول رمي النبي يوسف في البئر من قبل اخوته وعثور القافلة عليه ومن ثم استخراجه من البئر وهذا ما اشارت اليه الآية ١٠من سورة يوسف في قوله تعالى **((قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ))** . ونلاحظ في هذه اللوحة رجلان يحاولان اخراج النبي يوسف عليه السلام من البئر احدهما يمسك بيد النبي وهو في وضعية الوقوف ويرتدي عمامة بيضاء وجبة مفتوحة الوسط مزينة بالأزهار الذهبية على الارضية النيلية رفع طرفاها ليعلقهما في حزامه وتظهر لنا بقية الملابس الاخرى ومنها السروال الذي جاء باللون الوردي وكذلك الجوارب الطويلة التي وصلت الى اعلى الركبتين اضافة الى الخف الذي ظهر باللون الاسود , والاخر يرتدي ثوباً

طويلاً باللون الازرق الخالي من النقوش وهو في وضعية البروك يمسك حبلاً وتبدو عليه علامات الشد من جراء محاولة رفعه وهذا واضح من خلال حركة اليدين . بينما صور لنا الفنان الجزء العلوي من النبي يوسف عليه السلام حيث يظهر لنا وهو متوج بالهالة ويعتمر قلنسوة ويرتدي ثوباً باللون الاحمر المزين بالأزهار الذهبية ويمسك بيده اليمنى يد الرجل الواقف بينما يمسك بيده اليسرى الحبل الذي يمسك طرفه الاخر الرجل الجالس في اللوحة , اما الجزء الاسفل من جسد النبي فلم يظهره الفنان وانما حاول ان يبين لنا طريقة اخراجه وهو تعلقه بدلو الماء الذي القته القافلة داخل البئر للحصول على الماء وتظهر في اللوحة خيمة منصوبة وفيها رجلان احدهما يتكئ على فراش أُعد له والاخر بوضعية الوقوف اضافة الى رجل يقف خارج الخيمة , فيما ظهر عدد من الابل خلف الخيمة وكذلك عدد من الحيوانات الاخرى التي اراد الفنان ان يوضح لنا الآية القرآنية التي اشارت الى ان القافلة كانت سبباً في نجاة النبي يوسف عليه السلام .(لوحة رقم ١١)

وعلى الرغم من ان الآيات القرآنية الخاصة بقصة النبي يوسف لم توضح لنا لقاء يوسف بابيه الا ان الفنان حاول ان يرسم لنا صورة عن هذا اللقاء بعد فراق طويل واستفاد من بعض الآيات التي تناولت لقاء يوسف بابيه وما شاهده من رؤيا في طفولته ليجعل منها الفنان لوحة تبين لنا هذا اللقاء حيث نشاهد يوسف وابيه وهما متوجان بالهالة ويحتضنان بعضهما ومن حولهما عدد من الرجال يبلغ عددهم احد عشر رجلاً وهو عدد اخوة يوسف عليه السلام كما جاء في قوله تعالى الآية ٤من السورة نفسها ((**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**)). (لوحة رقم ١٢)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي موسى عليه السلام

في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وظف الفنان عدد من الآيات ليشكل لنا لوحة فنية جمع فيها موسى وأعدائه من خلال الآية ٥٩ في سورة طه بقوله تعالى ((**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**)) حيث نلاحظ الفنان وقد رسم لنا مجموعة من الاشخاص اربعة منهم يرتدون الملابس العربية التي مرَ ذكرها في اللوحات السابقة والخامس يرتدي قلنسوة تخرج منها ذؤابتين تتجهان الى الاعلى لعلهما ريشتان وهم في حالة الدهشة

وهذا واضح من خلال وضعهما احد اصابع الايدي في افواههم . ويظهر موسى عليه السلام بين الاشخاص بتصوير نصفي وتتوجه الهالة الملتهبة وتظهر الى جانبه الايمن رسم رأس امرأة تخرج منها اشعة ذهبية لعله اراد به الشمس أو ان الفنان أراد أن يوضح لنا وقت الحدث الذي أشار اليه القرآن بالضحى وهذه التفاتة جيدة من الفنان في تحديد الوقت.

كما وظف الفنان آيات اخرى توضح لنا الاحداث التي دارت بين موسى عليه السلام والسحرة من خلال قوله تعالى في سورة الاعراف الآيات ١١٥,١١٦, ١١٧. ((**قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ قال أَلۡقُواْ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ**)). اضافة الى ما جاء في قوله تعالى في سورة طه الآيات ٦٥, ٦٦, ٦٩. ((**قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ... وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ**)) . ومن خلال الآيات الواردة نجد أن الفنان كوَن لنا مشهداً فنياً تمثل بلقاء موسى والسحرة واستطاع الفنان أن يوظف هذه الآيات لموضوعه فنجده يصور لنا كيف تحولت عصا موسى الى ثعبان كبير فمثله بصورة تنين واستطاع أن يبين لنا عظمة هذا التنين من خلال محاولته ابتلاع احد السحرة بينما نلاحظ الاخر وهو يجثو تحت التنين , كما صور لنا عدد من السحرة الاخرين بين مذهول وخائف اضافة الى عدد من الحيوانات من بينها فهد واسد وذئب . (لوحة رقم ١٣)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي يونس عليه السلام

وردت في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تحدثت عن النبي يونس عليه السلام مع قومه , واستطاع المصور أن يوظف هذه الآيات ويختار ما يناسب الحدث الذي يصوره في قوله تعالى في سورة الصافات الآيات ١٣٩-١٤٥ ((**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**)) . ففي اللوحة التي بين ايدينا يظهر النبي يونس وهو يحاول الخروج من فم السمكة حيث تظهر لنا صورته

ونرى القسم الاعلى من جسمه بشكل عار تكلله الهالة الملتهبة كما نشاهد جبرائيل وعلى كتفه الايسر ثوباً باللون الازرق مزين ببعض الزهور الذهبية وهو يحاول أن يلتقط النبي ممسكاً بيده اليمنى , أما القسم الاسفل من جسم النبي يونس عليه السلام فيظهر في فم السمكة (حوت) وهنا لابد من الاشارة الى أن الفنان صور لنا الحوت بهيئة سمكة كبيرة ويظهر جلدها ذات قشور بينما في الحقيقة ان الحيتان لا تحتوي على هذا النوع من القشور ولعل الفنان أراد ان يبين لنا ان المكان الذي ظهر فيه النبي يونس عليه السلام هو مكان تكثر فيه الانهار , كما نشاهد الى جانب هذه السمكة الكبيرة اربع اسماك اخرى بأحجام مختلفة تسبح باتجاهات مختلفة . (لوحة رقم ١٤)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي ايوب عليه السلام

تعتبر قصة النبي ايوب عليه السلام من القصص ذات العبر البالغة في التحمل والصبر على البلاء والايمان المطلق بأن كل ما يملكه الانسان من الاولاد والاموال ما هو الا بفضل الله تعالى وان الانسان انما هو موكل بإدارة هذه النعم , لم يبين لنا الفنان الحياة العصيبة التي مرت على النبي ايوب عليه السلام سواء كان على اولاده أو أمواله وحتى جسده الذي وصفه الله بقوله تعالى في سورة الانبياء الآية ٨٣ **((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))**, وانما رسم لنا الصورة المشرقة التي وصفتها الآيات القرآنية في نهاية القصة بعد ان رد الله عليه ماله وأهله كما في قوله تعالى في سورة الانبياء الآية ٨٤ ((**فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ**)).

نلاحظ في لوحة النبي ايوب عليه السلام وهو في حالة جيدة ويرتدي العمامة وتتوجه الهالة الملتهبة وتظلله شجرة العنب الخماسية الاوراق ويجلس أمامه جبرائيل وهو جالس على ركبتيه ويرتدي نوعاً من الثياب باللون الاصفر ويشد وسطه بحزام , كما ان جناحيه في وضعية مختلفة وكأن الفنان اراد ان يبين لنا حالة الهبوط , وتغطي رأسه قلنسوة ويشير بيده اليمنى وكأن هناك حديث يدور بينه وبين النبي عليه السلام , وكذلك صوَر لنا زوجة النبي ايوب وهي تحمل إناء بكلتا يديها وترتدي قطعتين من الملابس القطعة الداخلية باللون الاحمر

والاخرى باللون الاخضر الزيتوني ويغطي رأسها وكتفيها حجاب باللون الابيض يصل الى الكعبين ويبدو أنه من النوع الرقيق لكثرة الطيات. (لوحة رقم ١٥).

توظيف الآيات الخاصة بالنبي سليمان عليه السلام

ورد ذكر النبي سليمان عليه السلام في عدد من السور التي تحكي لنا ما انعم الله عليه من نعم كثيرة منها تسخير الرياح له وتسخير الجن فيعملون ما يشاء , واختار الفنان بعض من هذه الآيات التي تصور لنا النبي سليمان عليه السلام وهو يتوسط مجموعة خاصة من الرجال والنساء وكذلك عدد من الجن فقد صور لنا النبي سليمان وهو متربع على كرسي سداسي الاضلاع باللون الذهبي ويرتفع عن الارض وقد توجته الهالة الملتهبة ويرتدي جبة حمراء بأكمام نصفية مفتوحة الوسط وتحتها ثوب باللون الازرق تزينه الازهار الذهبية وخلفه ملكان أحدهما يرتدي ثوباً أحمر بأكمام نصفية وتحتها أكمام باللون الازرق والاخر يرتدي ثوباً باللون الاصفر بأكمام نصفية وتحتها أكمام باللون الازرق وصور الفنان الملائكة بشكل انثوي ذات شعر طويل فيما صور لنا جناحي الملاكين باللون الازرق والاحمر . ويجلس على يمين النبي سليمان ثلاثة رجال يرتدون العمائم البيضاء وتخرج منه قلنسوة بالوان الاسود والرمادي والازرق على التوالي ويظهر أحدهم وهو بحجم اكبر من الشخصين الاخرين ويبدو أكبر سناً منهما واتبع الفنان تمثيل حجم الاشخاص تبعاً لقربه من النبي سليمان فظهر لنا الشخصان الاخران بحجم أصغر من الشخص الاول . كما يظهر لنا في اللوحة اثنين من الجن أحدهما باللون الاحمر ويرتدي وزرة باللون الازرق والاخر باللون الازرق ويرتدي وزرة باللون الاحمر ويبدوان في اللوحة انهما يحاولان ان يقوما بعمل شيئاً قد كلفا به وكأنه قدر كما في قوله تعالى في سورة سبأ الآية ١٣ ((**يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ**)) . وفي الجهة العليا من اللوحة نشاهد منطقة مرتفعة وخلفها يقف جني باللون الاخضر وكأنه يقدم طبقاً لأحد الملائكة لا يعرف ماهيته , أما الملاك فقد صور بالوجه الانثوي ويرتدي ثوباً باللون الاحمر المزين بالأزهار الذهبية ويعتمر قبة وله جناحان باللون الذهبي والى جانب الملاك يقف سائس للخيل يعتمر قلنسوة حمراء الى جانبه جوادين احدهما

باللون الاسود والاخر باللون الابيض . وقد حاول الفنان ان يجمع اكثر الصفات والنعم من خلال الآية ٣١ من سورة ص((**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَاد**)). (لوحة رقم ١٦)

توظيف الآيات الخاصة بأصحاب الكهف

وظف الفنان الآيات الخاصة في سورة الكهف التي حكت لنا قصة أولئك الفتية فصور لنا عدد من الفتية وهم نيام وكلبهم الى جانبهم ولكون الآيات تختلف في عددهم لقوله تعالى في الآية ٢٢ ((**سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**)) لذلك اختار الفنان احد الارقام التي تبين عددهم ولعل اختياره الرقم سبعة لأنه العدد الاخير في الآية الكريمة ليشمل كل الفتية في اللوحة الفنية . يظهر في اللوحة سبعة منهم بوضعيات مختلفة اربعة منهم اتكأ بعضهم على بعض ليكون جزء من جسم الفتى الاخر وسادة له فيما راح الاخر وقد إتكأ على جدار الكهف ووضع تحته يده اليسرى لتكون وسادة له , بينما نلاحظ اثنان اخران وقد تمددوا على ظهريهما ونشاهد احدهما وقد وضع يديه تحت رأسه لتكون له وسادة بينما الاخر اتخذ من جنب صاحبه وسادة له ووضع احدى يديه على عينيه وأسبل الاخرى الى جانبه . وكان هناك شخص يبدو أن التعب قد أنهكه فأخذته الغفوة وهو جالس وسقطت عمامته وبدى لنا رأسه وهو حليق فيما ظهر لنا كلب الفتية وهو يلف رأسه تحت بطنه ويبدو لنا أنه من نوع الكلاب المستخدمة في الصيد أو ما يعرف بالسلوقي وذلك واضح من خلال شكل الوجه والاذنين وكذلك الذنب الذي يكون بشكل طويل ورفيع . كما صور لنا الفنان عدد من الصخور وكذلك عدد من الاشجار وتظهر لنا السماء باللون الذهبي تزينها مجموعة من الغيوم باللون الازرق , أما ارضية الكهف فقد ظهرت باللون الاسود ولعل هذا اللون يرجع الى تغير لون الفضة وتأكسده في أغلب اللوحات الفنية .(لوحة رقم ١٧)

توظيف الآيات الخاصة بالنبي عيسى والسيدة مريم عليهما السلام

وقد وظَف الفنان المسلم جزءً من الآية ٢٥ في سورة مريم ((**وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً**)) . فالفنان هنا وظف جزءاً من الآية التي تتعلق بالسيدة مريم عليها

السلام اذ نلاحظ أنها قد وقفت تحاول هز جذع النخلة وتظهر السيدة مريم عليها السلام وهي ترتدي رداءاً باللون الاحمر مفتوحاً من الامام ومزيناً بالأزهار باللون الذهبي وقد شدت وسطها بنطاق يبدو أنه من القماش باللون الاخضر فيما بدى هناك ثوب آخر ترتديه يظهر من خلال اليدين التي تبين لون اللباس باللون الاخضر المزين بالأزهار باللون الذهبي ويبدو انها ارتدت السروال وانتعلت حذاء باللون الاسود وغطت رأسها بغطاء الرأس باللون الابيض. وظهرت النخلة بشكل لا يمكن أن نقول عليها انها قريبة من الطبيعة لأن الجذع وسعف النخلة ظهر بشكل بعيد عن الصورة الحقيقية للنخلة حيث استطاع الفنان ان يجسد وضع النخلة وهي بحالة تدل على ضمورها لبيان قدرة الله على امكانية خروج الثمر من هذا الجذع الميت ونلاحظ أن النخلة ظهرت بعذق واحد فقط . ويمكن ملاحظة السيد المسيح عليه السلام على الجانب المقابل وهو في وضعية الاستلقاء على الظهر وقد لف بقطعة من القماش باللون البني الفاتح ويدور حوله شريط من القماش باللون الابيض فيما ظهرت الهالة وهي تحيط بالرأس وبدأت من اسفل الكتفين ويمكن ملاحظة السنة اللهب وهي ترتفع الى ما فوق الرأس واستطاع الفنان توظيف جزءً من آية سابقة وهي الآية ٢٤ ((**فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا**)) يتمثل هذا التوظيف بنهر جاري ظهر باللون الاسود بسبب اسوداد الفضة التي استخدمها الفنان في تلوين النهر (عكاشة ، ١٩٧٧، صفحة ١٥٦). (okasha, islamic religious and arab painting, 1977, p. 156) (لوحة رقم ١٨)

استفاد الفنان من بعض الآيات الخاصة بقتل النبي عيسى عليه السلام في نظر الاعداء كما في الآية ١٥٧ من سورة النساء ((**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**)) وصور لنا الفنان النبي عيسى عليه السلام وهو معلق من رقبته وهو يتدلى على اعمدة المشنقة التي اعدت له وهو مربوط الايدي الى الخلف وهو حاسر الرأس فيما يظهر رجل يشد الحبل بقوة ونلاحظ ارتفاع النبي عيسى عليه السلام عن المقعد المخصص للوقوف عليه . وظهر في اللوحة تجمهر الناس على يمينه وشماله كما نلاحظ في اللوحة من الجهة العليا عدد اخر من الرجال يبلغ عددهم ستة رجال تبدو

عليهم علامات عدم الرضا لهذا العمل وقد صورهم الفنان وكأنهم مختبئين خلف تل مرتفع.(لوحة رقم ١٩)

توظيف الآيات الخاصة بالإسراء والمعراج ومشاهد احوال يوم القيامة

تعد حادثة الاسراء والمعراج من المعجزات التي كرم بها الله نبيه محمد صلى الله عليه واله وسلم وقد ورد على لسان النبي الكريم أحاديث كثيرة من خلال مشاهداته الانبياء ولأحوال الاخرة والتي صورها لنا الفنان مقرونة بآيات قرآنية , وسأقتصر هنا على بعض الآيات التي صورت مشاهدات النبي للسدرة ولبعض الاقوام الذين انزل الله عليهم العذاب بسبب مخالفتهم تعليم الدين ووصايا الانبياء. وقد وصف لنا الرسول الكريم سدرة المنتهى فقال((رفعت لي سدرة المنهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيل يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ياجبريل ما هذان فقال أما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات)) (الالباني، ٢٠٠٠، صفحة ٣٧). (al- albani, 2000, p. 37) وصور لنا الفنان الشجرة كما ورد وصفها فبعض اغصانها من الزبرجد والبعض الاخر من اللؤلؤ ويخرج منها اربعة انهار نشاهدهما باللون الاسود وهم نهرا الفرات والنيل ونهرا الاخرة وهما الكوثر والسلسبيل (عكاشه، ١٩٨٧، صفحة ١٠٢) . (okasha, miraj namah, 1987, p. 102) كما يظهر في اللوحة النبي صلى الله عليه واله وسلم وهو يرتقي على ظهر البراق وفي مواجهته جبرائيل وكأنه يحاول وصف هذه الشجرة كما في قوله تعالى في سورة النجم الآيات ١٣-١٨((**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**)) . (لوحة رقم ٢٠)

وقد وظف الفنان عدد من الآيات التي تتوعد اكلي أموال اليتامى وربطها الفنان بمشاهدة النبي لهؤلاء الاشخاص وهم يتجرعون اشد انواع العذب كما في قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٠ ((**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا**)), ففي هذه اللوحة يظهر لنا النبي وهو يرتقي على ظهر البراق والى جانبه جبرائيل وهو ينظر الى اربعة من الاشخاص وهم ممددون في وسط النيران ويظهر عدد من الملائكة

التي تسكب السوائل الحارقة في افواههم اضافة الى وجود احد الملائكة الذي يحمل بيده هراوة وهو بوجه عبوس وملامح تظهر عليها الغلظة والغرابة (لوحة رقم ٢١ عن معراج نامه).

وهناك حادثتان مهمتان في التاريخ الاسلامي اشار لهما القرآن الكريم واستطاع الفنان أن يوظفهما لغرض توثيقهما , الحادثة الاولى وهي المعروفة بحادثة المباهلة (المجلسي، ١٩٨٣، صفحة ٢٧٧). (al- majlisi, 1983, p. 277) بقوله تعالى في سورة ال عمران الآية ٦١ ((**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**)) التي وردت في العديد من المصادر الاسلامية ومن خلالها استطاع الرسول الكريم ان يرغم اهل نجران بدفع الجزية بعد ان دعوه للمباهلة وحين رأوا الرسول ومعه الامام علي وفاطمة والحسن والحسين (السيوطي، ٢٠٠٣، صفحة ٦٠٦). (al- sayuti, 2003, p. 606) عرفوا انه على حق وانصاعوا له .

وتمكن الفنان من توظيف الآية الخاصة بهذه الحادثة وقد صور الفنان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم واهل بيته وهم فاطمة والامام علي والحسن والحسين عليهم السلام ويظهر النبي وهو يعتمر عمامة كبيرة باللونين الاسود والاخضر ويضع على كتفيه بردة باللون الاخضر وتقف خلفه السيدة فاطمة والى جانبها الامام علي وهو يعتمر عمامة بيضاء قد لف عذبتها على رقبته ويمسك بكلتا يديه على مقبض سيفه المعروف بالفقار ويقف امامهم الامامين الحسن والحسين عليهم السلام , والملفت للنظر في هذه اللوحة ان الهالة التي تميزت بها اللوحات الاسلامية نجدها الان وقد اختفت ولم تظهر على رأس النبي واهل بيته . ويواجه النبي واهل بيته وفد نجران الذي يتكون في هذه اللوحة من ثلاثة اشخاص ويرتدون الملابس العربية المتمثلة بالعمائم والجبة التي تعرف على لبسها وتظهر باللون الاحمر والاخضر والاصفر. (لوحة رقم ٢٢)

والحادثة الثانية التي استفاد الفنان منها ووظفها لتكون موضوعاً هي حادثة التنصيب (المجلسي، ١٩٨٣، الصفحات ٣٨٧-٣٨٨). (al- majlisi, 1983, pp. 387-388)

اي تنصيب الامام علي خليفة للرسول في حجة الوداع من خلال قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٦٧ **((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))** . ففي هذه اللوحة نشاهد الرسول وهو يضع يده اليسرى على كتف الامام علي الايمن ويضع على راسه البردة السوداء التي غطت سائر جسده من الخلف ويقف الى جانبه شخصان لا يمكن أن يكونا الا الخليفة ابو بكر والخليفة عمر بن الخطاب لما تمتعا به من قربهما من النبي وصورهما الفنان وهما يرتديان الملابس العربية وظهر الشخص الاقرب لنا وهو يرتدي جبة باللون الازرق ذات الاكمام المبالغ في حجمها بحيث انها اخفت الايدي ولم يراعي الفنان في هذه اللوحة النسب ولذلك نشاهد هنا ان الشخص القريب لنا ظهر بحجم اصغر من الشخص الاخر الابعد والذي يجب ان يصور بحجم اصغر مراعاة للنسب . أما الامام علي والذي ظهر في هذه اللوحة بمواجهة الرسول وهو يرتدي جبة بأكمام عريضة وعمامة بيضاء التفت عذبتها على صدر ورقبة الامام ويقبض بيده على سيفه , فيما ظهرت السيدة فاطمة وهي تقف الى جانبه بكامل حجابها . والملاحظ في اللوحات التي استعنا بها في مخطوطة البيروني خالية من الهالة التي تحيط برؤوس الاشخاص بعكس المخطوطات واللوحات الاخرى التي كانت الهالة من العناصر الرئيسة فيها .(لوحة رقم ٢٣ عن البيروني)

الاستنتاجات

١- لم يستخدم الفنان المواضيع المنفذة في لوحاته لغرض نشر تعاليم الدين الاسلامي وانما كانت الغاية لتوضيح احداث معينة حدثت واشار لها القرآن الكريم بآيات واستفاد منها لتكون موضوعاً ليشد القارئ الى متابعة القراءة وعدم ترك الموضوع الى ان ينتهي منه.

٢- من خلال اللوحات الفنية نستطيع ان نرسم صورة واضحة عن المجتمع في تلك الفترة من خلال معرفة نوع الملابس والادوات التي ظهرت في اللوحات المصورة وبشكل يكاد يكون قريباً من الواقع الذي يعيشه الفنان .

٣- كانت الهالة احد العناصر المميزة في اغلب المخطوطات واتخذت شكل الهالة الملتهبة الا في مخطوطة الاثار الباقية للبيروني فأن هذا العنصر اختفى وظهر الاشخاص بدون الهالة التي كانت تحيط الرأس في المخطوطات الاخرى .

٤- تبنى الفنان بعض الاحداث التاريخية لتكون موضوعاً مصوراً في لوحة فنية وثق من خلالها الحدث بالكيفية التي تخيلها وعرضها للمتلقي بطريقته .

٥- اغلب الاشخاص الذين ظهروا في اللوحات كانوا ذو سحن غير عربية .

٦- يتضح لنا تأثر الفنان بالفنون الصينية وهذا واضح من خلال تصويرة النبي موسى حيث ظهرت لنا الحية بشكل تنين والذي يظهر في الفن الصيني.

قائمة المصادر والمراجع العربية :

القرآن الكريمal- bukhari , a. m. (2002). *sahih bukhari.* Beirut.

الكتاب المقدس. (١٩٨٦). بيروت: منشورات دار الشروق.

معراج نامه اثر اسلامي مصور (المجلد ١). (١٩٨٧). مصر.

al- albani, m. n.-d. (2000). *israa and miraj* (Vol. 1). Amman.

al- ayashi, a.-n. a.-s.-s. (1991). *interpretation of al- ayashi.* beirut.

al azdi, a. b.-a.-s. (1987). *sunan abi dawood.* Beirut.

al- basha, h. (1959). *islamic painting in the middle ages.* cairo.

al- majlisi, m. b. (1983). *bahar al- anwar* (Vol. 3). Beirut.

al- nishapuri, a. b. (n.d.). *prophets stories.* egypt.

al- sayuti, j.-d. (2003). *al- dur al- manthur fi al- tafsir al- mathur* (Vol. 1). cairo.

al- tabari, a. m. (1967). *history of al- tabari:the history of the apostles and kings* (Vol. 2). egypt: Knowledge House.

al- tabatabai, m. h. (1997). *libra in the interpretation of the quran.* beirut.

al- tarfi, a. a. (n.d.). *prophets stories .*

al-azraqi, a.-w. b. (2003). *makkah news and the effects it contained.* Al-Asadi Library.

aljazaeri, n. (2002). *the light shown in the stories of the prophets and messengers.* Beirut.

farghali, a.-h. m. (2000). *islamic painting , its inception and the position of islam towards it, its origins and schools.* Cairo.

grabber, u. (2007). *miniatures are an introduction to persian painting.* (A. I. Mallah, Trans.) Damascus.

hasan , z. m. (1955). *atlas of islamic arts and pictures.* Beirut.

hassan, z. m. (1981). *china and the arts of islam.* Beirut.

ibn al - atheer , a.-h.-k. m. (1987). *full history* . beirut.

ibn kathir, i.-d.-f. i. (1997). *the beginning and the end.* egypt.

mahrez, j. m. (1962). *islamic pantinng and its schools.* egypt: The Egyptian General Organization for Authorship, Translation, Printing and Publishing.

nishapuri, i. b. (984 Hijri). *prophets stories.*

okasha, t. (1977). *islamic religious and arab painting.* Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

okasha, t. (1987). *miraj namah* (Vol. 1). egypt.

Orient House. (1986). *bible.* beirut.

ابو الحمد محمود فرغلي. (٢٠٠٠). *التصوير الاسلامي نشأته وموقف الاسلام منه واصوله ومدارسه* (المجلد ٢). القاهرة.

ابي اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم النيشابوري . (ب.ت). *قصص الانبياء المسمى بالعرائس.* مصر.

ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ابن الاثير. (١٩٨٧). *الكامل في التاريخ* (الإصدار مج ١، المجلد ١). بيروت.

ابي النصر محمد بن عياش السلمي السمرقندي العياشي. (١٩٩١). *تفسير العياشي* (الإصدار ج٢، المجلد ١). بيروت.

ابي الوليد محمد عبد الله بن احمد الازرقي . (٢٠٠٣). *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار* (المجلد ١). مكتبة الاسدي.

ابي جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٩٦٧). *تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك* (الإصدار ج١، المجلد ٢). مصر: دار المعارف.

ابي داود بن سليمان الاشعث السجستاني الازدي. (١٩٨٧). *سنن ابي داود* (الإصدار ج٥، المجلد ١). بيروت.

ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. (٢٠٠٢). *صحيح البخاري* (المجلد ١). بيروت.

ابي عبد الله بن محمد بن احمد بن مطرف الطرفي. (ب.ت). *قصص الانبياء.*

اسحق بن ابراهيم بن منصور بن خلف النيشابوري. (٩٨٤هـ). *قصص الانبياء.*

اولج جرابر. (٢٠٠٧). *المنمنمات مدخل الى فن التصوير الفارسي.* (عبد الاله الملاح، المترجمون) دمشق.

ثروت عكاشة . (١٩٧٧). *التصوير الاسلامي الديني والعربي* (المجلد ١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ثروت عكاشه. (١٩٨٧). *معراج نامة اثر اسلامي مصور* (المجلد ١). مصر.

جلال الدين السيوطي. (٢٠٠٣). *الدر المنثور في التفسير المأثور* (الإصدار ج٣، المجلد ١). القاهرة.

جمال محمد محرز. (١٩٦٢). *التصوير الاسلامي ومدارسه*. مصر: المؤسسه المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

حسن الباشا . (١٩٥٩). *التصوير الاسلامي في العصور الوسطى*. القاهرة.

زكي محمد حسن. (١٩٨١). *الصين وفنون الاسلام*. بيروت.

زكي محمد حسن . (١٩٥٥). *أطلس الفنون والتصاوير الاسلامية*. بيروت: دار الرائد العربي.

عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير . (١٩٩٧). *البداية والنهاية* (الإصدار ج١، المجلد ١). مصر.

محمد حسين الطباطبائي. (١٩٩٧). *الميزان في تفسير القرآن* (الإصدار ج٢٩). بيروت.

محمد باقر المجلسي. (١٩٨٣). *بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار* (الإصدار ج٢١، المجلد ٣). بيروت.

محمد ناصر الدين الالباني. (٢٠٠٠). *الاسراء والمعراج وذكر احاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها* (المجلد ١). عمان.

نعمة الله الجزائري . (٢٠٠٢). *النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين* (المجلد ٢). بيروت.

References

al- bukhari , a. m. (2002). *sahih bukhari.* Beirut.

al- albani, m. n.-d. (2000). *israa and miraj* (Vol. 1). Amman.

al- ayashi, a.-n. a.-s.-s. (1991). *interpretation of al- ayashi.* beirut.

Al- azdi, a. b.-a.-s. (1987). *sunan abi dawood.* Beirut.

al- basha, h. (1959). *islamic painting in the middle ages.* cairo.

al- majlisi, m. b. (1983). *bahar al- anwar* (Vol. 3). Beirut.

al- nishapuri, a. b. (n.d.). *prophets stories.* egypt.

al- sayuti, j.-d. (2003). *al- dur al- manthur fi al- tafsir al- mathur* (Vol. 1). cairo.

al- tabari, a. m. (1967). *history of al- tabari:the history of the apostles and kings* (Vol. 2). egypt: Knowledge House.

al- tabatabai, m. h. (1997). *libra in the interpretation of the quran.* beirut.

al- tarfi, a. a. (n.d.). *prophets stories* .

al-azraqi, a.-w. b. (2003). *makkah news and the effects it contained.* Al-Asadi Library.

Al-jazaeri, n. (2002). *the light shown in the stories of the prophets and messengers.* Beirut.

farghali, a.-h. m. (2000). *islamic painting , its inception and the position of islam towards it, its origins and schools.* Cairo.

grabber, u. (2007). *miniatures are an introduction to persian painting.* (A. I. Mallah, Trans.) Damascus.

hasan , z. m. (1955). *atlas of islamic arts and pictures.* Beirut.

hassan, z. m. (1981). *china and the arts of islam.* Beirut.

ibn al - atheer , a.-h.-k. m. (1987). *full history* . beirut.

ibn kathir, i.-d.-f. i. (1997). *the beginning and the end.* egypt.

mahrez, j. m. (1962). *islamic pantinng and its schools.* egypt: The Egyptian General Organization for Authorship, Translation, Printing and Publishing.

nishapuri, i. b. (984 Hijri). *prophets stories.*

okasha, t. (1977). *islamic religious and arab painting.* Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

okasha, t. (1987). *miraj namah* (Vol. 1). egypt.

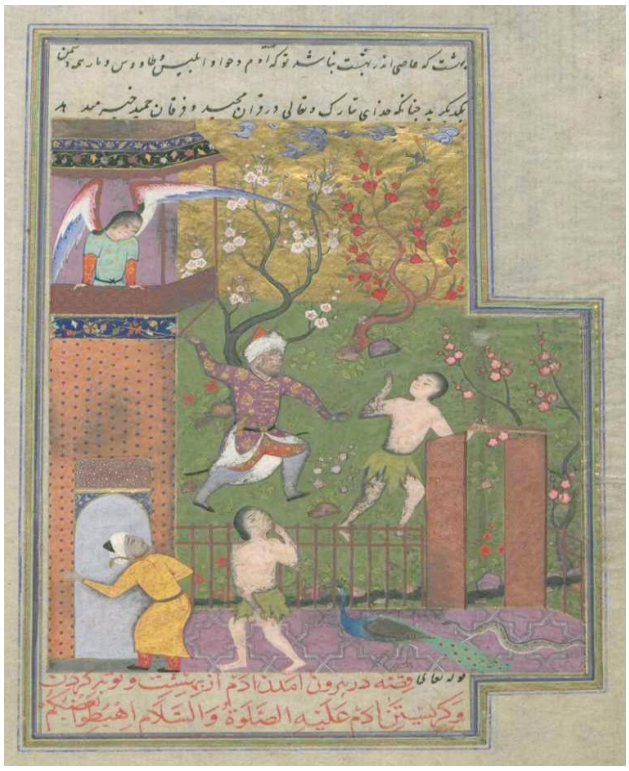

(لوحة رقم –١ – تمثل طرد ادم وحواء)

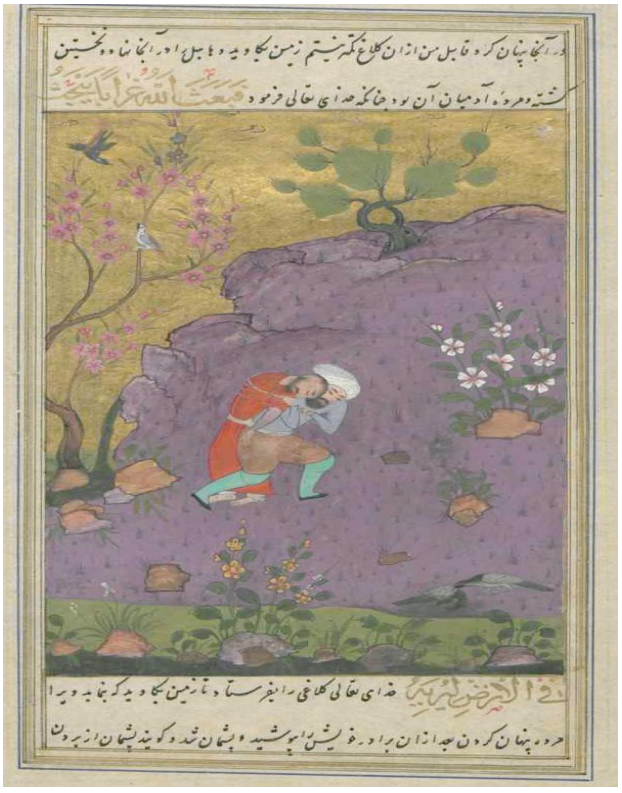

(لوحة رقم –٢– تمثل هابيل وقابيل)

(لوحة رقم- ٣- تمثل النبي نوح)

(لوحة رقم- ٤- تمثل النبي نوح واصحابه في السفينة)

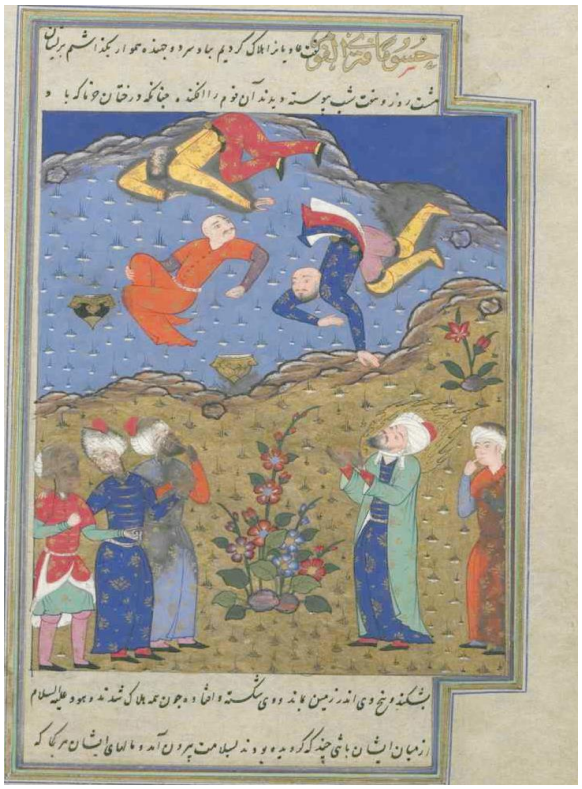

(لوحة رقم- ٥- تمثل النبي هود وقوم عاد)

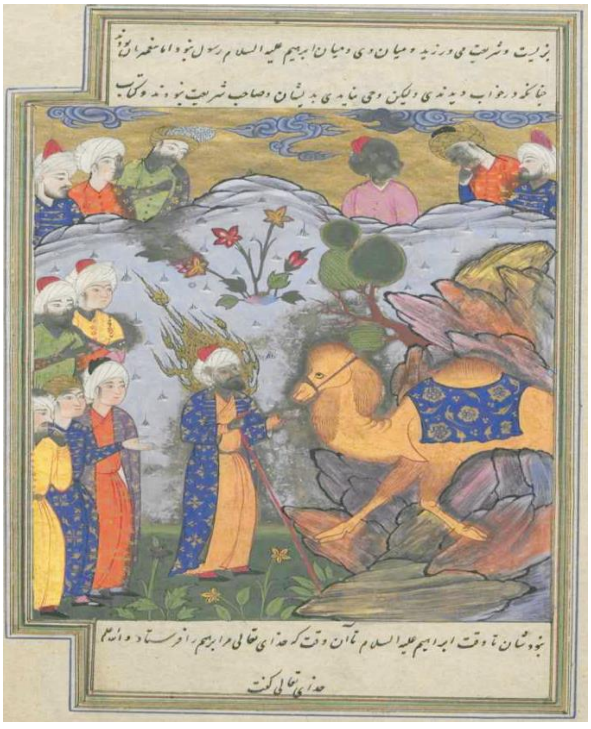

(لوحة رقم -٦- تمثل النبي صالح وناقته)

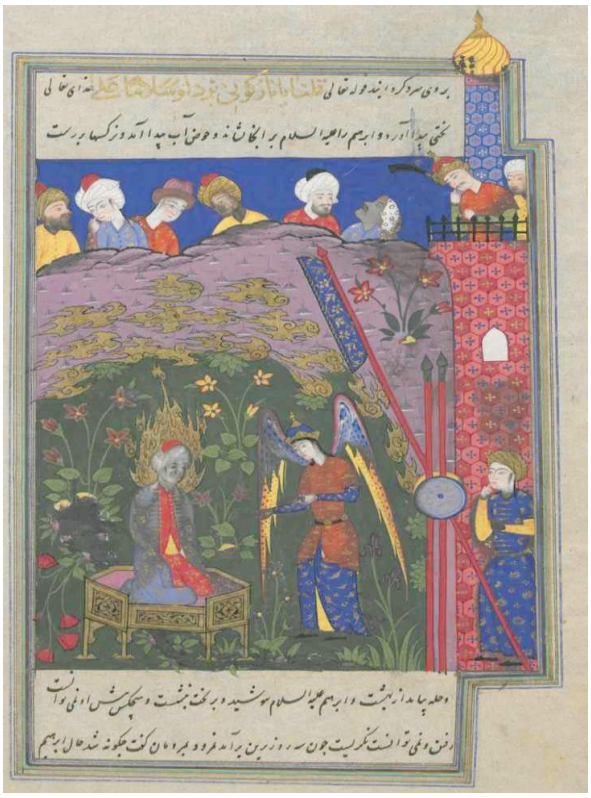

(لوحة رقم- ٧- تمثل النبي ابراهيم)

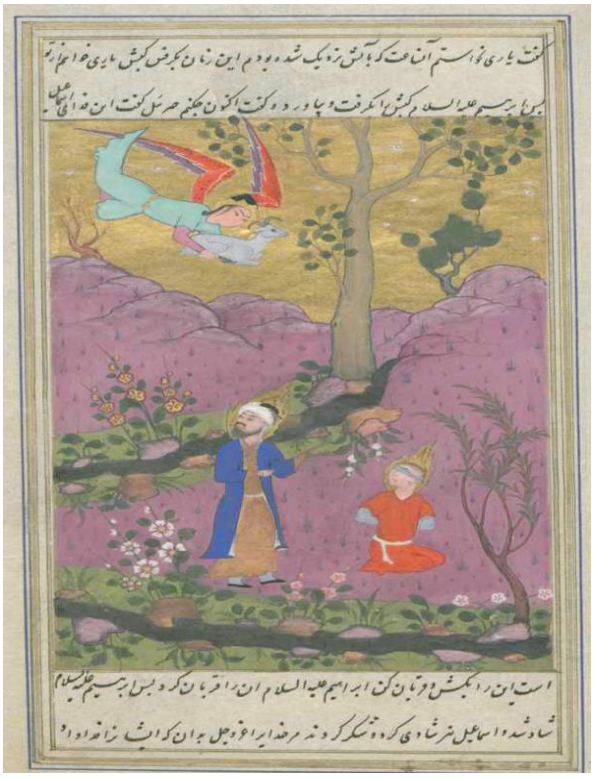

(لوحة رقم -٨- تمثل قصة الفداء)

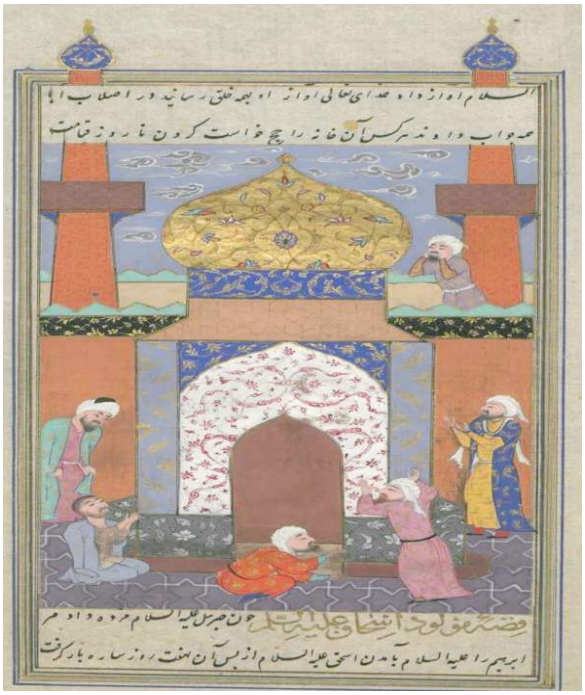

(لوحة رقم- ٩- تمثل مولد النبي اسحق)

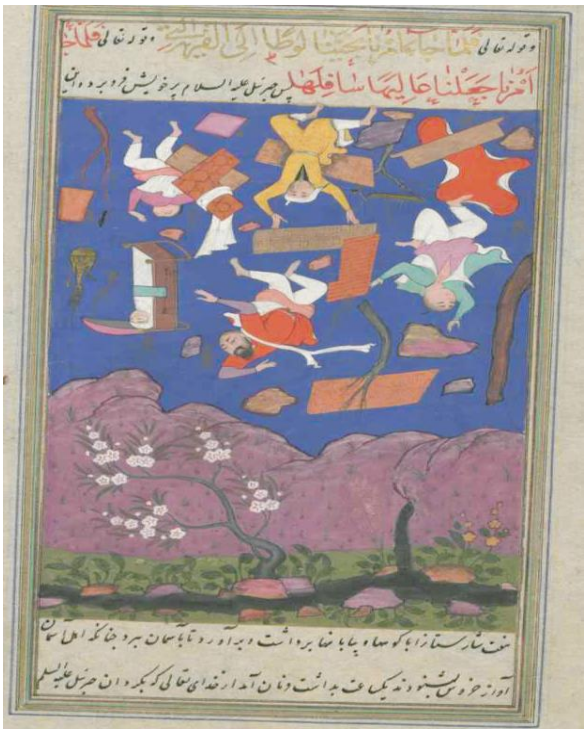

(لوحة رقم- ١٠- تمثل عذاب قوم لوط)

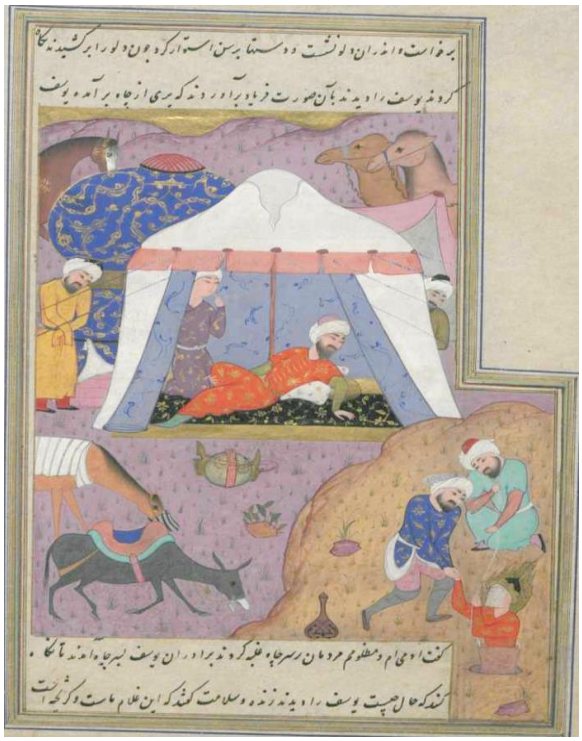

(لوحة رقم –١١– تمثل خروج النبي يوسف من الجب)

(لوحة رقم– ١٢– تمثل لقاء النبي يوسف بالنبي يعقوب)

(لوحة رقم –١٣– تمثل النبي موسى والسحرة)

(لوحة رقم– ١٤– تمثل النبي يونس)

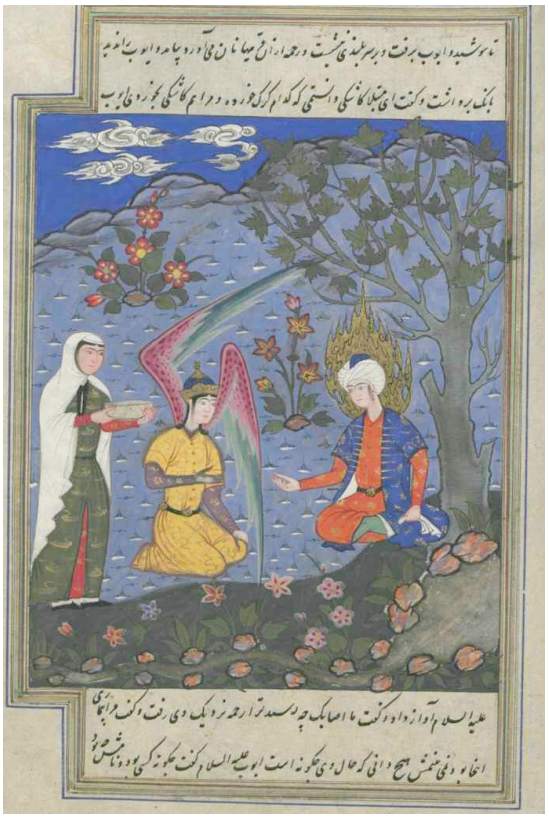

(لوحة رقم- ١٥- تمثل النبي ايوب)

(لوحة رقم- ١٦- تمثل النبي سليمان)

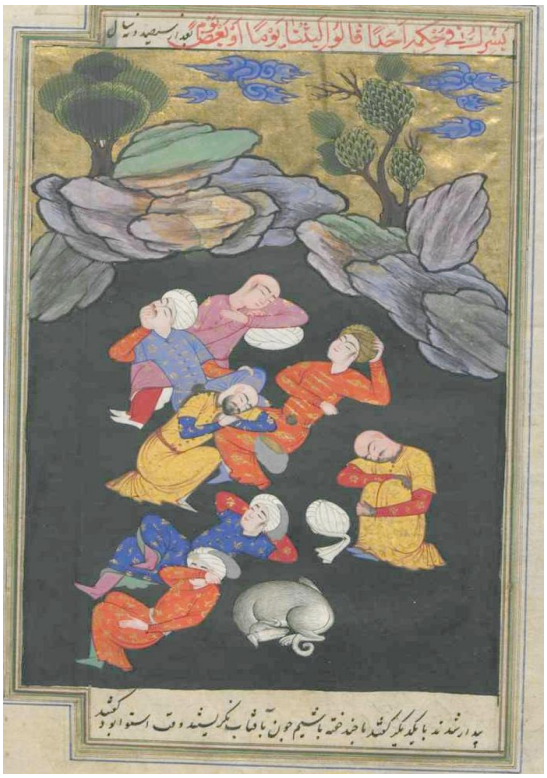

(لوحة رقم –١٧– تمثل اصحاب الكهف)

(لوحة رقم– ١٨– تمثل السيدة مريم عن عكاشه)

(لوحة رقم- ١٩- تمثل النبي عيسى)

(لوحة رقم -٢٠- تمثل النبي محمد عند السدرة عن مخطوطة معراج نامه)

(لوحة رقم –٢١ – تمثل عذاب اكلي اموال اليتيم عن معراج نامه)

(لوحة رقم– ٢٢– تمثل حادثة المباهلة عن مخطوطة البيروني)

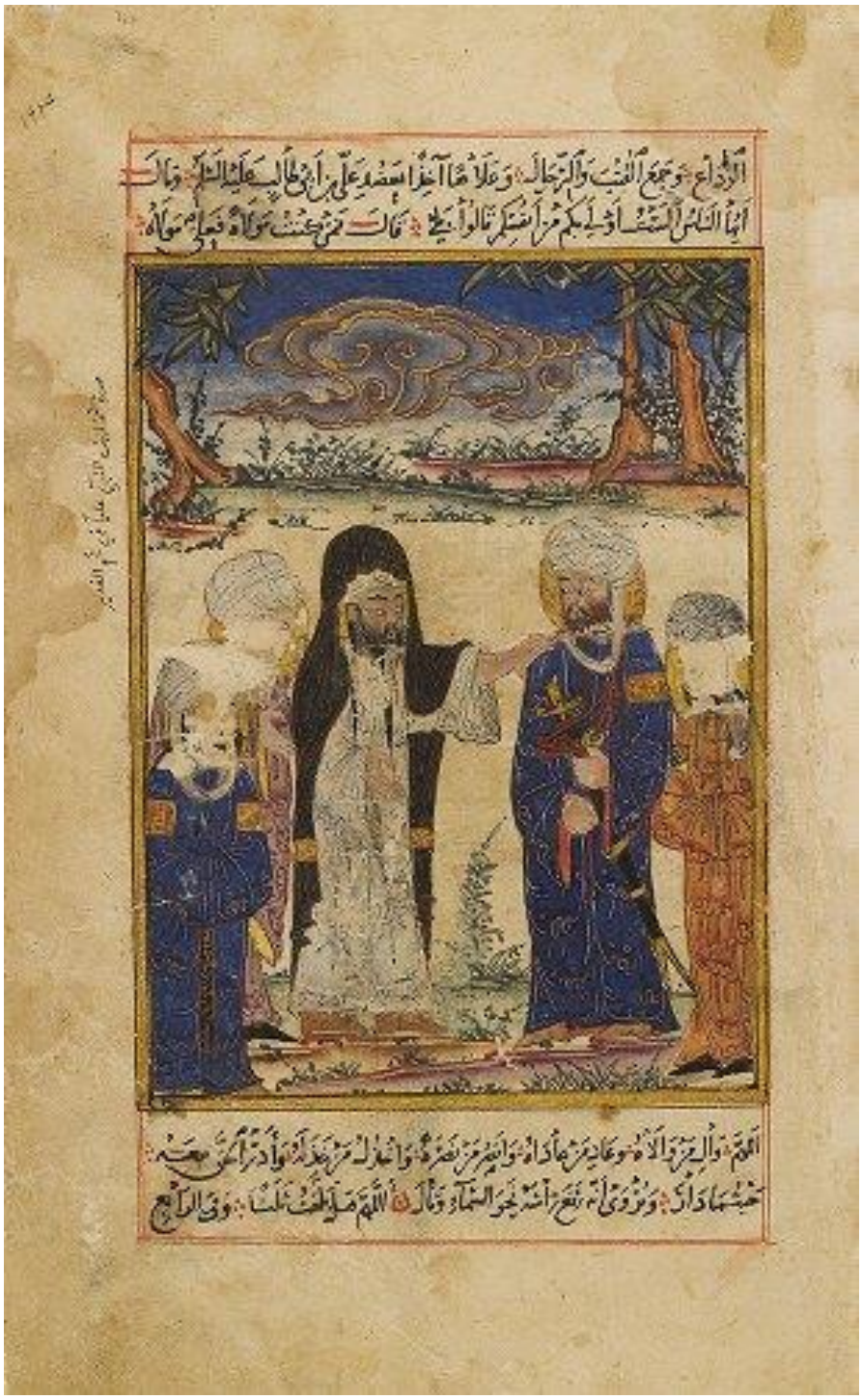

(لوحة رقم –٢٣– تمثل حادثة تنصيب الامام علي عن البيروني)

"دراسة فنية تحليلية لأختام أسطوانية غير مدروسة محفوظة في المتحف العراقي"

أ.د قصي صبحي عباس الجميلي

كلية الآداب /جامعة بغداد

قسم الأثار

دراسة فنية تحليلية لأختام أسطوانية غير مدروسة محفوظة في المتحف العراقي

أ.د قصي صبحي عباس الجميلي

ملخص :

تعد الأختام الأسطوانية من النتاجات الفنية الأصيلة والوثيقة الصلة بحضارة بلاد الرافدين فكانت من سماتها التي دلت على براعة الفنان الرافديني بما يتمتع به من قدرة في نقش مواضيع تعبرعن تفاصيل جوانب متنوعة من حياته جاءت على الأغلب بقطع أسطوانية من الحجر فضلا عن المواد الأخرى كالطين والفخار والعاج وربما المعدن .

إن هذه البراعة بالتأكيد تبين لنا قدرة الفنان الرافديني التي تطورت أبتداء منذ المراحل الأولى التي ترجع فيها الى أبتكار الأختام المنبسطة التي كانت الخطوة بهذا الأتجاه وذلك في حدود الألف السادس وتطورت مهارة وأفكار الفنان وذلك مع تطور بواكير الحياة الأقتصادية أذبان عصر الوركاء(مايقارب ٣٥٠٠-٣١٠٠ق.م) والتي معها برزت الى الوجود الأختام الأسطوانية كوسيلة فنية وقانونية أضفت الصفة الرسمية والمقبولة في المجتمع الرافديني في توثيق وضمان حقوق الأفراد في الوثائق الرسمية على أختلاف هذه الوثائق من عقود(بيع ,شراء ,زواج ,طلاق ,تبني ,أرث وما الى ذلك) وعليه كانت خير وسيلة في حفظ وضمان ملكية الأفراد وصفة قانونية معبرة عن شخصية كل فرد (بمثابة التوقيع أو البصمة) وقد أشارت الدلائل الأثرية كالفخار والأوعية الطينية والصناديق الفخارية التي أستعملت كوسائل لحفظ الغلال والمنتوجات الغذائية وحتى الأشياء الخاصة بملكية الأفراد الى بقايا أثار لطبعات الأختام على فتحات أغطيتها ولم يقتصر الأمر على ذلك وأنما أستعملت الأختام في ختم (دمغ) وتوثيق أبواب المؤسسات المهمة التي أرتبطت بها كالمخازن والأرشيفات .

وعلى كل حال كانت الأختام الأسطوانية بحسب تقنيتها والمواد المصنوعة منها (لاسيما الأحجار) ومواضيعها وميزاتها الفنية خير وسيلة لبيان الأدوار والعصور التاريخية

التي تعود لها فضلا عن القيمة الفنية والتفاصيل التي جاءت بها في مجمل الجوانب الأجتماعية والأقتصادية والسياسية والتاريخية بما تحمله من عناصر زخرفية أو كتابية (كالصيغ التاريخية)التي تمثل دليل تاريخي مهم .

يتضمن هذا البحث دراسة أثناعشر ختما أسطوانيا وهي من الاختام غير المدروسة والمحفوظة في المتحف العراقي(ضمن قرارات المصادرة) فكان الهدف أولا بيان الأدوار الحضارية التي تعود لها وثانيا تحليل مواضيع ومضامين المشاهد والخصائص الفنية التي جاءت بها .

أفرزت دراستي أن ثلاثة أختام تعود الى عصر جمدة نصر وتحمل مزايا الأسلوب الرمزي والهندسي وستة أختام تعود لعصر فجر السلالات حملت في طياتها مشاهد الصراع ومجالس الشراب وجاءت ثلاثة أختام للعصر الأكدي بمضامين مهمة وقد عززت تفاصيل الدراسة بجدول لتفاصيل الأختام مشفوعة بالصور والرسوم التوضيحية.

أختام عصر جمدة نصر مايقارب (٣٠٠٠-٢٩٠٠ق.م) :

١-ختم أسطواني يعود الى عصر جمدة نصر ،موضوع المشهد الفني، يصور حيوان مائي على الأرجح ،مع خطوط متموجة ترمز للمياه ودوائر هندسية،يتضمن مضمون المشهد أبتداء من اليمين، ثلاثة خطوط متموجة مزدوجة عمودية ،وتتكرر هذه الخطوط في وسط الختم ،الذي يمثل حقلين ،أذ نلاحظ في الحقل الأول ثلا ث حيوانات مائية، يقترب شكلها من شكل سلحفاة ،عملت بخطوط مجردة أذ ظهرت الى اليمين على جانبيها دائرتين، والى الخلف سلحفتان ،ينحصر بينهما دائرتين في صف عمودي ،وفي الحقل الثاني في الجانب الأيسر من الختم ،ظهرت سلحفتان بشكل عمودي، تحصر بينهما دائرتين غير مكتملتين تتصلان بخطوط أفقية (ينظر شكل ١) (ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢١٧٤١٨-م ع).

الأسلوب الفني /

صور المشهد الفني بأسلوب تجريدي، يعتمد على أبراز الخطوط الخارجية ،وكذلك الأسلوب الهندسي ،من خلال الخطوط المتموجة والدوائر، وبالحقيقة هذا الأسلوب التقني ،هو أسلوب تميزت به عدد من أختام عصر جمدة نصر، التي تشير الى أستعمال المثقب المدور، الذي يعمل على أبراز الشكل الكروي في نقش عناصر المشهد (الجوراني .منى ماهود مسلم ،٢٠١٧،ص٢٢٧-٢٢٨) .

٢- ختم أسطواني يعود الى عصر جمدة نصر،موضوع المشهد الفني يصور زخرفة نباتية لزهرتين أو وردتين ،يتضمن مضمون المشهد وردتين بشريط أفقي متلاصقتين ومتناسقتين كل منها تتألف من ست بتلات لوزية الشكل وبشكل متداخل،وهناك زخارف بسيطة بشكل نجوم رباعية وهناك مابين الوردتين أشكال غير منتظمة (ينظر شكل ٢)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (١٥٢٠٤٠-م ع).

الأسلوب الفني/

المشهد صور بأسلوب واقعي هندسي، فهو واضح ونلاحظ أيضا التماثل أو التناظر في المشهد (الجوراني.منى ماهود مسلم،٢٠١٧ ،شكل(٣٦) ص٢٣٥).

٣- ختم أسطواني يعود الى عصر جمدة نصر،موضوع المشهد الفني يصور زخرفة هندسية(الشاوي.ناصر عبد الواحد،٢٠٠٤،ص٥) ،قوامها نصف دائرة بهيئة عين، مكونة من ثلاثة حقول زخرفية ،الأول زخرفة نباتية على شكل نبتة ،الثاني قوسين صغيرين،أما الثالث فهو قوس بداخله خطوط أفقية مائلة،على يمين ويسار الدائرة مايشبه الصليب، مكون من أربع مثلثات متقابلة من الرأس ,أي علامة زائد،وفي وسط الختم من الأعلى شكل أسطواني يمتد أفقيا ذو نهايتين مدببة (ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢٣٤٣٩٦-م ع).

الأسلوب الفني/

المشهد صور بأسلوب هندسي تماما، كما نلاحظ التماثل والتناظر في المشهد(رياض.عبد الفتاح،١٩٧٤،ص١٠٣) .

أختام عصر فجر السلالات ما يقارب (٢٨٠٠-٢٤٠٠ق.م):

٤- ختم أسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الأول، مايقارب(٢٨٠٠-٢٧٠٠ق.م) ،موضوع المشهد يصور أثنان من الطيور، في حالة تهيأ للطيران ،ويظهر من شكلهما أقرب الى طائر البط أو الأوز ،وتظهر في المشهد ما يشبه الطيور والنجوم الرباعية،يتضمن مضمون المشهد أثنان من طائر البط أو الأوز، بشكل متناظر ،وهما ناشران جناحيهما ،والساقان طويلان ومنفرجان ،ينتهيان من الأسفل بشكل حرف(V) الأنكليزي المقلوب ،والرقبة طويلة ،ويستدير الرأس الى جهة اليسار ،والبدن عمل بشكل دائرة ،ويظهر مايشبه طير صغير ،بحالة طيران وبشكل متناظر، وزعت بشكل متبادل ،مع طائر البط أو الأوز ،مع وجود نجمان رباعيان ،في وسط ويسار الختم(ينظر شكل ٤)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (١٥٢٠٥٥-م ع) .

الأسلوب الفني /

يقترب الأسلوب من الواقعي ،ويظهر أيضا الأسلوب الهندسي ،المتداخل في تنفيذ شكل البدن والذيل للطائر، فضلا عن النجوم الرباعية(Parrot.A,1956,pl.Lxvi)(Ameit.P.1961,pl.107,).

٥- ختم أسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الثاني، مايقارب (٢٧٠٠-٢٦٠٠ق.م) ،موضوع المشهد الفني ،يصور صراع الحيوانات المفترسة مع الحيوانات البرية،يمثل مضمون المشهد، في وسط الختم أثنين من الأسود الواقفة ،على قوائمهماالخلفية بوضعية التقاطع ،على شكل حرف(X) اللاتيني ،الأسد الذي في جهة اليمين ،يمسك بقوائمه الأمامية برقبة غزال ،واقف أمامه على قوائمه الخلفية،وقد أرتخى رأس الغزال للخلف، نتيجة قبضة الأسد القوية،أما الأسد الذي في جهة اليسار، فقد أمسك بغزال أخر، من رقيته محاولا عضه وأفتراسه،وقد أدار الغزال برأسه للخلف ،ينظر على شكل طير ،عمل بصورة مجردة ،وكأنه فزع من حدث الأفتراس ،نلاحظ بين الأسدين ،عنصر زخرفي هندسي ،على شكل رقم ثمانية(8) الأنكليزي،

في وسط المشهد من الأسفل(ينظر شكل ٥) (ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢٢٥٠٣٧م ع).

الأسلوب الفني /

يجمع المشهد المصور، بين الأسلوب الواقعي ،في تمثيل الأشكال الحيوانية ،وبين الأسلوب الهندسي التجريدي ،كما في شكل الطائر ،وشكل رقم ثمانية الأنكليزي(رشيد.صبحي أنور،١٩٦٩،لوح٧،شكل ٢٣).

٦- ختم أسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الثاني،موضوع المشهد الفني، يصور صراع الحيوانات المفترسة مع الحيوانات البرية،أذ يمثل مضمون المشهد، أثنان من الأسود المفترسة، وهي تهجم على ثلاث حيوانات برية ،تتمثل بالغزلان ،أذ يظهر واضحا في الجانب الأيمن شكل غزال، نفذ بشكل مقلوب الى الأسفل، ونلاحظ القرون الطويلة التي تتجه الى الخلف، وكذلك الأرجل الأمامية ،وبشكل متداخل مع الغزال المقلوب، يظهر خلفه أسد بحالة وقوف، وبشكل جانبي يتجه الى اليسار ،ولكن لاتبدو كل الملامح واضحة، فنلاحظ من الأعلى ،وكأن الأسد ينقض على حيوان ،من الأعلى ملامحه غير واضحة، وهو بوضعية جانبية يتجه يسارا، وفي الجانب الأيسر من الختم ،يظهر الأسد الثاني أيضا بحالة وقوف، ويتجه يسارا تفاصيل جسمه غير واضحة ،فقط الجزء العلوي الذي يظهر فيه فاغر فاه ،لينقض على غزالة ،وهي بحالة وقوف ،وبشكل جانبي يتجه يمينا ،وقد أدارت رأسها لتتفادى فم الأسد المفترس(ينظرشكل٦)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي رقم (١٥١٥٢٨-م ع).

الأسلوب الفني /

الأسلوب الفني للمشهد ،يقترب من الأسلوب الواقعي ،الذي نلاحظه في تنفيذ تفاصيل رأس الأسد ،والعيون واللبدة ،وكذلك حيوان الغزال، الذي يظهر بقرون طويلة تتجه الى الخلف،ونلاحظ هنا الأسلوب الذي أتبعه الفنان في تنفيذ المشهد، وهو أسلوب التداخل

للأشكال مع بعض، وهو قريب من أسلوب التقاطع ،الذي تظهر فيه الحيوانات المتصارعة مع بعض على شكل حرف(S) الأنكليزي، وهو أسلوب تميزت به مشاهد الصراع ،في أختام عصر فجر السلالات الثاني(Frankfort.H,1955.Pl44.No470,)(الجوراني.منى ماهود مسلم،٢٠١٧،شكل ٣٢،ص٢٧٤).

٧- ختم أسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الثاني، موضوع المشهد المصور، يمثل حماية الأنسان للحيوانات البرية من الأسد المفترس،أذ يصور لنا المشهد شخصين، كلاهما عاري وبحالة وقوف ،فالشخص الأول من الجانب الأيمن من الختم ،يظهر بوضعية أمامية وهو عاري، كما نلاحظ ذلك من تمثيل الجهاز التناسلي ،وتشير الملامح المجردة، وهو يحاول سحب وحماية غزال من أرجله الخلفية ،أذ تظهر بصورة مقلوبة للأسفل، ليبعده عن الأسد المفترس، الذي يظهر بوضعية جانبية، يتجه يمينا وقد أدار رأسه الى الخلف، نحو الغزال المقلوب وفي الجانب الأيسر ،نلاحظ شخص بحالة وقوف وبوضعية جانبية ،بأتجاه اليمين وهو يحاول أبعاد أسد مفترس، صور بوضعية وقوف، ويتجه يسارا فالرأس والجسم صورت بوضعية جانبية، ونلاحظ بين الأسد والرجل، حيوان أيضا بصورة مقلوبة للأسفل، والذي يحاول الأنسان(البطل العاري) أنقاذه ،وعند الجانب الأيسر من الختم ،يسحب أيضا غزال من أرجله الخلفية وهو بصورة مقلوبة للأسفل(ينظر شكل٧)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢١٧٤٦٩-م ع) .

الأسلوب الفني /

ان الأسلوب الفني ،الذي صور به المشهد، هو بالحقيقة يقترب من الواقع ،بالنسبة لشكل الأسد الذي مثل بوضعية جانبية، في حالة سير وجانبية بحالة وقوف ،أذ نلاحظ بعض التفاصيل كرأس الأسد ،والعيون واللبدة والأقدام ،في حين نلاحظ أن تمثيل الأشخاص(البطل العاري) وحيوان الغزال ،جاءت بأسلوب تجريدي ،الذي أهتم بأظهار الخطوط الخارجية ،دون التفاصيل الدقيقة،علاوة على ذلك المشهد يوحي بعنصر الحركة ،سواء يالنسبة للأسد وحركة

البطل العاري في حمايته للغزال من الأسد (Franckfort.H,1955,p28) .(Amiet,1961,pl.101)

٨- ختم أسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الثاني ،موضوع المشهد الفني، يصور صراع البطل العاري مع الحيوانات،أذ يمثل مضمون المشهد في وسط الختم البطل العاري واقف بالمنظر الجانبي،له شعر رأس كثيف وقصير،ملامح وجهه واضحة ،جذعه العلوي عاري،على ما يبدو يرتدي وزرة قصيرة فوق الركبة،على جانبيه أيلين، يقفان على قوائمهما الخلفية ،يلتفتان برأسيهما نحو البطل العاري ،الذي يمسكهما من رقبتيهما محاولا السيطرة عليهما ،على جانبي المشهد نلاحظ سعفتين،الختم يعود الى عصر فجر السلالات الثاني،أذ سادت البساطة وأمتازت الأجسام والأشكال بالنحافة والبروز الضئيل عن السطح، بسبب حفر المشهد بصورة غير عميقة (ينظرشكل٨)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢٣٤٤٤٧م ع) .

الأسلوب الفني/

صور المشهد الفني، بأسلوب واقعي في تمثيل عناصر المشهد، ونلاحظ التناظر بين جانبي الختم ،وكان البطل العاري في وسط الختم ،الخط الفاصل بينهما ،أذ جعله الفنان المحور الأساس في المشهد ،الذي لم تغيب عنه عنصر الحركة(رشيد.صبحي،١٩٦٩،ص٤٢).

٩- ختم أسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الثالث، مايقارب (٢٦٠٠-٢٤٠٠ق.م)،موضوع المشهد يصور جلسة شراب، تظهر فيها أمرأة تحتل الجانب الأيسر من الختم، مع أثنين من الخدم،يتضمن مضمون المشهد أمرأة جالسة بوضعية جانبية ،على مقعد بدون مسند ،ويتألف من خطين عريضين ومتقاطعين مكونان أربع مثلثات مزينة بخطوط عمودية، تبدو المرأة بملامح ناعمة، أنف صغير وفم صغير ،وتعتمر غطاء رأس مخروطي ،غير واضح المعالم ولا نعرف أذا كان مزين بقرون ،ولكن الملامح لاتشير الى كونها إلهة، وهذا واضح أيضا من الملابس، فهي تختلف

عن ملابس الألهة، المميزة الطويلة وذات الطيات ،وهنا يظهر ثوب طويل ينتهي من الأسفل بشريط مزين بخطوط عمودية، مع شريطين متقاطعين عند الصدر ،وبقية الملامح غير واضحة للأسف ،تمسك بيدها اليسرى قدح الشراب ،ويدها اليمنى تمتد بجانب الجسم، ومضمومة عند البطن ،وتظهر الأقدام من الأسفل ،ويقف أمامها شخصية بوضعية جانبية ،رأسها مفقود لأن الختم تعرض للكسر، تظهر فقط اليد اليمنى، وهي ممدودة الى الأمام وتمسك قدح الشراب ،واليد اليسرى غير واضحة ،ولكن تبدو مرفوعة للأعلى للتحية ،وتبدو ترتدي ثوب طويل ،ويقف خلفها في الجانب الأيمن من الختم ،شخص بوضعية وقوف أمامية، ترتدي ثوب طويل ،والرأس مفقود ،والأيدي متشابكة عند الصدر ،كجزء من الأحترام للشخصية الرئيسة الجالسة على الكرسي، وفي الجانب الأيمن شريط كتابة (ينظرشكل٩)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢١٧٤٦٦م ع) .

الأسلوب الفني /

صور المشهد بأسلوب واقعي، لجلسة شراب لشخصية مهمة مع خدمها، لكن للأسف الملامح غير واضحة ،ويظهر عنصر الحركة، أيضا في حركة الأيدي والأرجل، وهنا أبرز الفنان الوضعية الأمامية للجسم للشخصية ،التي تقف بأحترام في الجانب الأيمن، في حين ظهرت الشخصيتين الأخريتين بوضع جانبي(أبراهيم.هالة كريم،٢٠١٤، شكل ١٧،ص١٣)

أختام العصر الأكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ق.م) :

١٠- ختم أسطواني يعود الى العصر الأكدي ،موضوع المشهد الفني، يصور صراع الأنسان –الثور مع الأسد ،وصراع البطل العاري مع الأسد،أذ يمثل مضمون المشهد، شخصيتان وهما الأنسان –الثور والبطل العاري، يهاجمان الأسد ،إذ يظهر في الجانب الأيمن ،الأنسان –الثور بحالة وقوف جانبية ،فالجزء العلوي منه الى الجذع ،يمثل أنسان ،فالرأس جانبية ،والجذع الى القدمين ،نلاحظ

ملامح الوجه العين جانبية ،والأنف والفم وبقايا شعر الرأس ،وتظهر اليد اليمنى مرفوعة للأعلى ،وتمسك خنجر بنصل ومقبض مدور ،ليطعن بها الأسد ،بينما تمسك اليد اليسرى،القدم اليمنى الأمامية للأسد ،أما الجذع الجانبي ،وحتى القدمين المفقودة ،فهي تمثل الجزء الخلفي لثور ،أذ نلاحظ بقايا الشعر للثور ،وكذلك الذيل الطويل للخلف، فضلا عن عضو التذكير البارز للأمام، ونلاحظ الأسد الذي يظهر بشكل جانبي، ويتجه يسارا ،وهو بحالة وقوف على أرجله الخلفية ،وتظهر ملامحه التي تبرز الرأس والعيون والفم المفتوح والذيل المرفوع للأعلى .

اما الجزء الثاني من الختم الى اليسار، فتظهر شخصية البطل العاري، وهو يصارع الأسد، وهو بوضعية وقوف جانبية، يتجه يمينا ،وتبرز الملامح الباقية الرأس والأيدي ،وهو يمسك قدما الأسد الأمامية ،بما يشبه الحبل ،الذي يظهر أيضا بوضعية وقوف جانبية، ويتجه يسارا، وهو يماثل الأسد الأول (ينظرشكل١٠)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢٢٥٠٣٧م ع) .

الأسلوب الفني /

يقترب الأسلوب الفني ،من الأسلوب الواقعي ،الذي نلاحظه في أبراز ملامح وتفاصيل الأسد ،في حين لم يهتم الفنان كثيرا في أبراز ملامح الشخصين، الذين صورا بشكل رشيق، ويشير المشهد ،الى الحركة ،سواء في حركة الأيدي والأرجل للشخصين ،وكذلك الأسد ،أيتداء من فمه المفتوح وحركة الأرجل والذيل(Al-Gailani.L 1982,No.25,28) (رشيد.صبحي أنور،الحوري.حياة عبدعلي،١٩٨٢،ص١٧٨)

١١- ختم أسطواني يعود الى العصر الأكدي،موضوع المشهد الفني ،يصور جلسة شراب لشخصية أمرأة مهمة ،ربما تكون أميرة مع خدمها،يتضمن مضمون المشهد ،الشخصية الأساسية التي يتجه صوبها المشهد ،في يمين الختم ،هي أمرأة جالسة بوضع جانبي على كرسي بدون مسند، يبدو مربع الشكل ،ومزين من الداخل بشكلين مستطيلة .

تبدو ملامح شخصية المرأة ،توحي بأنها شخصية مهمة ،فالرأس جانبي ،بأنف كبير وعيون كبيرة لوزية وفم صغير ،وعمل شعر الرأس الذي يلتف من الخلف، بشكل ظفيرة كبيرة ملتوية معقودة ترتفع للأعلى ،وهي ترتدي ثوب طويل ،يغطي الجزء الأيسر من الصدر ،بينما ترك الجزء الأيمن من الكتف عاريا ،وهو مزين من أعلى الصدر، بشريط مائل مزين بخطوط مائلة ،ويصل الثوب الى أعلى القدمين ،وينتهي من الأسفل بشريط يتألف من خطين أفقية، وتحتها خطوط عمودية ،فضلا عن شريط كبير مائل، يزين وسط الثوب ليصل الى الشريط السفلي،تتجه المرأة بوضعية يسارا، ونلاحظ أن الصدر والبطن صورت بوضع أمامي ،في حين أن الرأس وبقية الجسم صور بوضع جانبي، وهي ما يطلق عليها الوضعية المثلى ،التي أستعملها الفنان الرافديني لتوضيح تفاصيل الجسم من الأعلى ،تظهر اليد اليمنى، وهي مثنية نحو الأمام وتمسك قدح اليشراب ،واليد اليسرى مثنية ومضمومة الى أسفل الصدر .

يتقدم صوب المرأة ثلاث من الخادمات، يتجهن يمينا ،وبوضع جانبي ،نلاحظ أن أشكال النساء متشابهة، في تصفيفة الشعر ،التي تشبه شخصية المرأة المهمة ،والعيون اللوزية الكبيرة ،وكذلك الملابس، لكن وضعية اليدين للمرأة، التي تقف أمام الشخصية المهمة ،أذ تظهر يدها اليسرى مثنية ومرفوعة ،صوب المرأة الرئيسة- بوضعية التحية والتقديم، واليد اليمنى مثنية ،ومضمومة الى البطن ،أما الخادمة الثانية ،فتظهر يدها اليسرى مثنية ومضمومة للبطن، واليد اليمنى ممدودة مع الجسم ،وتحمل وعاء الذي يتضمن الشراب على الأرجح ،أما الخادمة الثالثة ،فتظهر أيديهامتشابكة،ومضمومةعندالبطن،كجزءمن الأحترام في مشهد تقديم الخدمة.(ينظرشكل١١)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (١٥٢٠٥٠م ع).

الأسلوب الفني /

صور المشهد بأسلوب واقعي تقريبا، من خلال أبراز الملامح والتفاصيل، بالنسبة للجسم والملابس، لكن نلاحظ الميزة التي أتبعها الفنان ،ونفذها على جميع الشخصيات ،هي العيون الكبيرة بشكل لوزي ،وكذلك محاولة أبراز الحواجب،لكن تمثيل الكف ،غريب بعض الشيء

،ولاسيما بالنسبة للشخصية الرئيسة ،أذ تظهر بشكل أصبعين كبيرة فقط ،وربما هذا يأتي من صعوبة أظهار الكف وهي تمسك القدح .

يتسم المشهد أيضا بعنصر الحركة ،فهو واضح بأتجاه حركة المشهد والأيدي والأرجل، وهذا أعطى حيوية أيضا للمشهد الفني(Porada.E,1956,Pl LXVI) (Collon.D,1982,P74,PL.20,No.42)

١٢- ختم أسطواني يعود الى العصر الأكدي ،موضوع المشهد الفني، يصور شخصية أمرأة مهمة ،جالسة على مقعد ،وتقدم لها أثنتان من النساء التحية،يتضمن مضمون المشهد ،كما هو واضح شخصية أمرأة جالسة ،بشكل جانبي على مقعد بسيط بدون مسند ،وتظهر ملامح الرأس كالشعر الذي يمتد الى خلف الرأس، ويصل للكتف الأيسر، والعيون اللوزية الكبيرة وقد أستقر في وسطها البؤبؤ، والأنف كبير والفم مفتوح قليلا ،فالحنك ضامر والرقبة صغيرة ،ومن الملامح تبدو بأنها ترتدي ثوب طويل ،يصل الى أعلى القدمين ،لاتبدو أية تفاصيل للملابس بالنسبة لهذه الشخصية الرئيسة ،التي يتجه نحوها المشهد ،في الجانب الأيمن ،وكذلك بالنسبة لملابس النساء الأخريات ،ترفع يدها اليمنى ،الممدودة للأمام وهي بموازاة الأنف، وتمسك غصن نباتي صغير، هو صورة لشكل نباتي يشبه السعفة ،ويتكون من ساق رئيس تتفرع منه أربع فروع في كل جانب ،أما يدها اليسرى ،فهي مثنية ومضمومة للبطن .

بالقرب من الشكل النباتي ،شكل زهرة تتألف من دائرة مركزية ولها سبع بتلات ،ويعلو الشكل النباتي من الأعلى، شكل الهلال ،وهو رمز الأله سين(أله القمر) ،وفي جهة اليسار تقف أثنتان من النساء ،كلاهما بوضعية جانبية ،تتجه يسارا وتقدمان التحية لشخصية المرأة الجالسة، فكل منهما ترفع يدها اليسرى، بينما تظهر اليد اليمنى مضمومة للصدر ،والملامح متشابهة تقريبا، فالعيون لوزية كبيرة أقرب الى الشكل المعيني، والأنف كبير والحنك ضامر،الأولى بتصفيفة شعر بسيطة قصيرة، تصل الى أعلى الرقبة ،أما الثانية فهي ذات شعر كثيف متموج ،يصل الى الكتف،ونلاحظ أن كلاهما بوضع جانبي ،يتحه يمينا وكلاهما

بحالة سير، أذ تتقدم القدم اليسرى على القدم اليمنى،ونلاحظ شكل نجمة رباعية هندسية ،وضعت بينهما من الأسفل ،ربما كعنصر زخرفي لملأ الفراغ.

هذا المشهد يحمل بطياته ،نوع من الأحترام والتقدير لشخصية المرأة الجالسة ،على المقعد وهي تحمل بيدها اليمنى ،غصن صغير ،ربما ينطوي المشهد على نوع من المعتقدات، التي ترتبط بزيادة الخصوبة والثروة النباتية. ويأتي المشهد تباركا برمز الأله سين(ينظرشكل١٢)(ختم أسطواني محفوظ في المتحف العراقي (٢١٧٤٢٣م ع) .

الأسلوب الفني /

صور المشهد بأسلوب واقعي تقريبا،فالملامح البشرية للنساء، في هذا المشهد أظهرت التفاصيل الدقيقة ،كتصفيفة الشعر المتنوعة وملامح الوجه، لكن تخلو من تفاصيل الملابس ،التي جاءت بشكل بسيط ،لكن من الملاحظات الفنية هنا ،أن الفنان نفذ العيون بشكل هندسي معيني ،فضلا عن الفم الكبير والحنك الضامر ،ونلاحظ أن شكل الكف، جاءت بشكل بعيد عن الواقع ،فهي تبدو أشبه ب(المقص) ،يتضمن المشهد أيضا عنصر الحركة ،فيبدو من حركة الأيدي والأرجل،وأتجاه المشهد نحوالشخصية الرئيسة، كذلك تضمن المشهدعناصرأيكونغرافية (زخرفية) ،كالهلال (رمز اله القمر) ،والنجمة الرباعية وشكل السعفة والزهرة(الجوراني.منى ماهود مسلم،٢٠١٧،شكل٥٤١،ص٢٤٣) .

References:

1- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM 217418)(Confiscation).
2- See For Comparative :Al juarani.M.M,Nature Scence On Cylinder Seals In Third MillenniumB.C(In The Light Published And Un Published Cylinder Seals),published Thesis ,Baghdad University,2017,Fig17,18,p227-228.
3- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM152040)(Confiscation).
4- See For Comparative :AL jurani.M.M,2017,Fig36,P235.

5- Decorative is expressionism way used for decorative the shapes to give it the beauty element :Al shawi.N.A,"Decorative in Mesopotamia Civiliazation",Al akadimi journal",No34,Baghdad ,2004,p5.
6- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM234396)(Confiscation).
7- Symmetry is one of artistic characteristics which appeared in the ancient arts to find some kind of balance between components of art work to make complete unit and there is two kinds complete parity and half parity .see:Riadh.A,"Configuration in fine arts"Cario,1974.p103.
8- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM152055)(Confiscation).
9- We can comparative the shape bird in this scene with puplished cylinder seals in these references:

Parrot.A,LeTempleDishtae,MissionArcheologique De Mari,Paris, 1956,Pl. LXVI.

Ameit.P,La Glyptique Mesopotamia Archique,Paris,1961,Pl.107.

10- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM225037)(Confiscation).
11- See for comparative:Rashid.S.A,History of Art In Ancient Iraq,(Art of Cylinder Seals), Birut,1969,pl.7,fig23.
12- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM151528)(Confiscation).
13- See for comparative with this cylinder seal these references: Frankfort.H,"Stratified Cylinder Seals From Diyala",OIP,LXXII,Chicago,1955,Pl44.No470.

And Al jurani.M.M,2017,fig32,p274.

14- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM217469)(Confiscation).
15- See for comparative with this cylinder seal these references: Frankfort.H,1955,P28.

Amiet.P,1961,Pl.101.

16- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM34447)(Confiscation).

The conflict of human in ancient mesopotamia with the animals to protect them and to keep them in this life and may be is a"naked hero" is "Gilgamesh" see:MDA,p137.

17- Rashid.S,1969.p42.

18- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM217466)(Confiscation).

19- See for comparative:Ibrahim.H.K,"Religious Subjects in Cylinder Seals From Uruk Period to The End of Sumerian Period ,un published thesis,university of Baghdad ,college of art,archaeology department,2014,fig17,p13.

20- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM225037)(Confiscation).

21- See for comparative: Al-Gailani.L,"Catalogue of The Cylinder Seals From Tell Suliemeh-Hamrin',Sumer,38,1982,No.25,28.

Rashid.S.A,AL Hurri.H.A,Akkadian from Iraqi Museum,Baghdad,1982,p178.

22- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM152050)(Confiscation).

23- We can comparative this cylinder seal with published cylinder seals in these refrence which we can see artistic characteristics hair gualifiers especially for women and design of clothes :

Porada.E,The Collection Of The Pierpont Morgan Library,Corpus Collections,Vol.1,Washington,1948,Pl.39,No.250E.

Collon.D,Cylinder SealsII Akkadian-post Akkadian Ur IIIPeriods Catalogue Of Western Asiatic Seals In The British Museum,London,1982,p74,pl.20,No.42.

24- Unpublished Cylinder Seal From Iraqi Museum No (IM217423)(Confiscation).

25- See for comparative :AL jurani,M.M,2017,fig 541,p243.

التسلسل	الرقم المتحفي	مادة الختم	القياسات	الصناعة	الموضوع	العصر الحضاري
١	٢١٧٤١٨م ع	حجر شمعي	٢,١سمx١,٣سم	تثقيب وقشط وتحزيز	حيوان مائي (سلحافاة)في بيئة مائية	عصر جمدة نصر
٢	١٥٢٠٤٠م ع	حجرمرمرأخضر اللون	٣,٣سمx١,٥سم	قشط وتحزيز	زخرفة نباتية	عصر جمدة نصر
٣	٢٣٤٣٩٦م ع	عاج	٣،٢سمx٢سم	_	زخرفة هندسية	عصر جمدة نصر
٤	١٥٢٠٥٥م ع	حجرديورايت	٢,٥سمx١سم	_	طائران من(البط أو الأوز)معطيور صغيرة	عصر فجر السلالات الأول
٥	م ع	حجر ديورايت أسود	٢سمx٠,٨سم	_	صراع الأسد مع حيوانات برية	عصر فجر السلالات الثاني
٦	١٥١٥٢٨م ع	حجر مرمر بني	٢سمx٠,٩سم	_	صراع الأسد مع حيوانات برية	عصر فجر السلالات الثاني
٧	٢١٧٤٦٩م ع	حجر شمعي	٢سمx١,١سم	_	البطل العاري الحامي للحيوانات من هجوم أسد	عصر فجر السلالات الثاني
٨	٢٣٤٤٤٧م ع	صدف	٣سمx٢,٥سم	_	صراع البطل العاري مع الحيوانات البرية	عصر فجر السلالات الثاني
٩	٢١٧٤٦٦م ع	حجر شمعي	٢,١سمx١,١سم	–	جلسة شراب	عصرفجرالسلالات الثالث
١٠	٢٢٥٠٣٧م ع	حجرمرمرمعرق(أسود مخضر)	٢,٣سمx١,٨سم	_	صراع الأنسان الثوروالأنسان العاري مع الأسد	العصر الأكدي
١١	١٥٢٠٥٠م ع	حجر ديورايت	٢,٣سمx١,٥سم	–	جلسة شراب	العصر الأكدي

١٢	٢١٧٤٢٣م ع	حجر أبيض	٢,١سمx١,١سم	_	مشهد مثول في حضرة شخصية نسائية	العصر الأكدي

الشكل	الصورة	الشكل التوضيحي
١		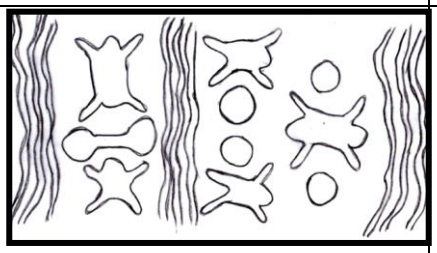
٢		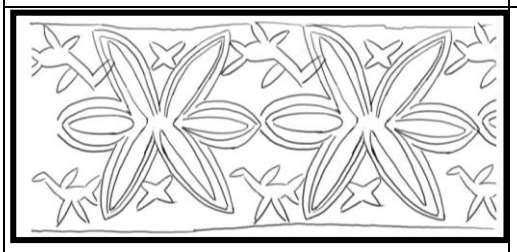
٣		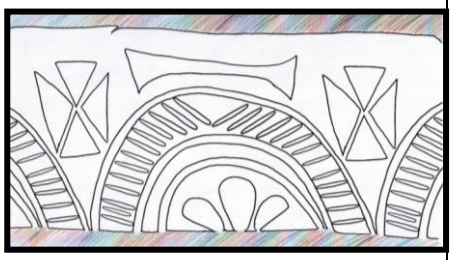
٤		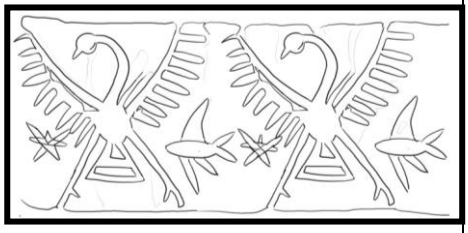

٥		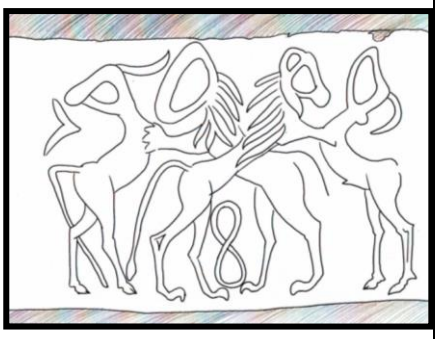
٦		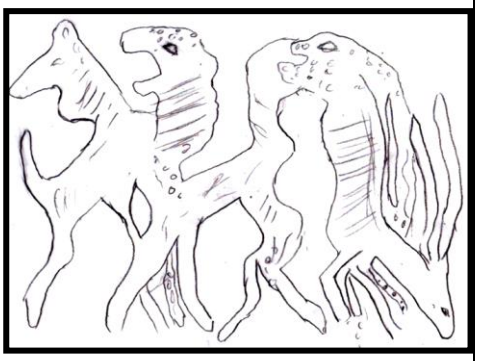
٧		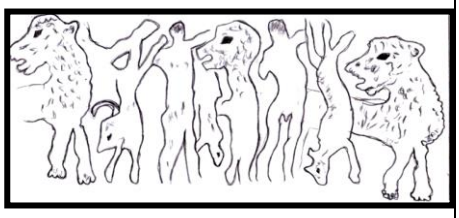
٨		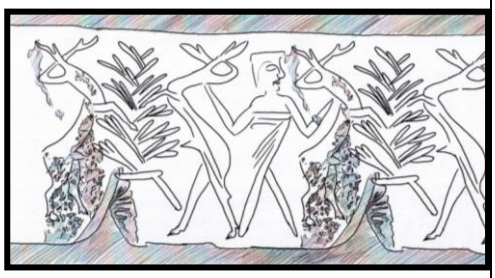

٩		
١٠		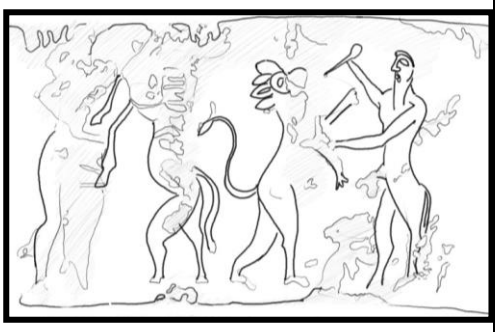
١١		
١٢		

الآراميون في جنوب بلاد وادي الرافدين

أ. د. عدنان حميد طه الويس

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Emel: adnanhameed2007@yahoo.com

07728894904

الآراميون في جنوب بلاد وادي الرافدين

أ. د. عدنان حميد طه الويس

الملخص:

الاراميون أحد الشعوب الجزرية (السامية) التي هاجرت من الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب. يتفق الباحثون على أن اول ذكر مؤكد للأراميين كان في الوثائق الاشورية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم اخلامو على امتداد نهر الفرات, وبعد ان استقروا في مدن اشير اليهم باسم ارامو.

عاش الاراميون في مناطق واسعة من بلاد الشام وشمال غرب العراق. بحدود ١٢٠٠ ق.م، ونتيجة للفراغ السياسي في سوريا ظهر الاراميون كقوة سياسية فعاله في المنطقة، وفي مطلع الاف الأول كان تغلغلهم وضغطهم على شمال وادي الرافدين وبلاد اشور قويا.

اتجهت بعض القبائل الآرامية منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد نحو الجنوب واستقرت على امتداد نهري دجلة والفرات وكان لهم تأثير واضح بحيث أغتصبوا عرش بابل في هذا القرن ونصبوا عليها ملكاً ارامياً .

منذ أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ظهرت العديد من الممالك او الدويلات الارامية واهمها: ارام صوبة وارام بيت رحوب في لبنان، وارام دمشق,حماة،وارباد، شمأل، بيت بجياني، وبيت ادیني في سوريا. وكانت هذه الممالك مستمرة الصراع مع الدول المجاورة وفيما بينها بعض الأحيان.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده وبسبب الحملات الاشورية المستمرة على الدويلات الآرامية هاجر بعض من سكان هذه الدويلات باتجاه جنوب بلاد وادي الرافدين واستقروا مع ابناء جلدتهم الكلديين في مناطق حول بابل وجنوبها حتى الخليج العربي ، واستمر نفوذهما السياسي في تزايد وحالة من المد والجزر في صراعهما مع الاشوريين الى ان تمكن الكلديون ومعهم الاراميون من السيطرة على بابل وحكمها مدة تقارب القرن .

الكلمات المفتاحية: آراميون، وادي الرافدين، كلديون، سوريا، عيلام

The Aramaeans in South Mesopotamia

Prof. Dr. Adnan Hameed Taha Al-Weiss

University Tikrit- College of Education for Human/ History Department

Abstract

Aramaeans are one of the ancient peoples who migrated from Arabian Peninsula to the fertile Crescent, and who were called (Semites) by western scholars . These scholars agreed that Aramaeans were referred to for the first time in Assyrian texts from the fourteenth century B.C. by the name Ahlamu. After their settlement in cities, they were reffered to as Aramu.

Aramaeans lived in large areas of Syria and north-west of Iraq. The change of the political situation in the ancient east around 1200 B.C., which resulted in dislocation and political vacuum in Syria enabled the Aramaeans to appear as an influential element in the political arena. Since the eleventh century B.C. , some Aramaean Tribes migrated to the south along the Euphrates and Tigris . Their political impact was so strong that they usurped the throne of Babylonia. Since the beginning of the tenth century, they established many states or small kingdoms. The most important ones were Zoba and Bet-Rehub in Lebanon, and Damascus, Hamath, Arpad, Sam'al, and Bet-Adini in Syria.

From eighth century onwards because of Assyrian campaigns , some Aramaeans migrated to south Mesopotamia . They settled there with their close relative the Kaldians around Babylon and South of it towards Arabian gulf. The conflict of the Aramaeans and Kaldians against Assyrians in the south was nearly continual till they controlled Babylon and ruled the whole area for nearly a century .

Keywords: Aramaeams, Mesopotamia, Kaldians, Syria, Ilam

البحث:

خلال الربع الاخير من الالف الثاني قبل الميلاد ، تغير الوضع السياسي في الشرق الادنى في صالح الاراميين: سقطت المملكة الميتانية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد،واستولت الدولة الاشورية على بعض مقاطعاتها، وفي حدود عام ١٢٠٠ ق. م. قدم شعب من بحر ايجه فغزا منطقة جنوب شرق أسيا الصغرى وسوريا مما سبب نهاية نفوذ المملكة الحثية والنفوذ المصري في هذه المنطقة ، وهذا ادى الى عدم الاستقرار والى فراغ سياسي في سوريا . في نفس الوقت دخلت أشور فترة ضعف بعد مقتل الملك الاشوري توكولتي نينورتا الاول حوالي ١٢٠٨ ق. م. .

مكن هذا الوضع الاراميين ليظهروا كعنصر مؤثر في المجال السياسي في ذلك الوقت.لذلك التقى بهم الملك الاشوري تكلاثباصر الاول (١١١٦-١٠٩٠ق.م.) مستقرين في منطقة جبل بشري (Grayson , 1981,Para .34) (Luckenbill , 1926 -1927, Para. 239) ، تدمر ، وجبل لبنان (Grayson , 1981,Para .83) (Luckenbill , 1926 -1927, Para. 286-287, 308). ومنذ ما يقارب نهاية حكمه ، ازداد ضغط الاراميين ،الذين كانوا يتجولون في منطقة وسط نهر الفرات وفي غرب هذا الجزء من الفرات ، على بلاد وادي الرافدين وسوريا ومعظم ضغطهم كان باتجاه الشرق . ولذلك أجبر الاراميون أيضاً الاشوريين في هذا الوقت للانسحاب الى جبال كروري(Tadmor ,1958, P.133) (Grayson , 1975,P.189)، الواقعة شمال أشور وشرق أربيل(*).

وفي الوقت الذي كان فيه الاراميون يتقدمون نحو اشور ، أختفى ملك بابل مردوخ-نادن - آخي وحل محله أبنه مردوخ - شافيك - زير (١٠٨٠-١٠٦٨ ق.م.) (Tadmor ,1958, P.133). وهذا يمكن ان يكون نتيجة للغزو الارامي الذي ضايق أشور.

(*) ناقش ساكز الاراء المختلفة بخصوص موقع كوري واستنتج انها تقع شرق أربيل باتجاه شقلاوة (Saggs,1980 , PP 79 ff)

أصبح التاثير السياسي للاراميين قوي جداً الى درجة أن الملك الاشوري أشور – بل – كالا (١٠٨٧–١٠٧٠ ق.م.) والملك البابلي المعاصر له مردوخ – شافيك – زير عقدا اتفاق ودي لصد الخطر المتنامي للاراميين . وذلك بأن ذهب الملك البابلي الى أشور لاقامة اتفاقية دولية لعلاقات صداقة (King, 1907, 2, P.59 ,8) (Grayson , 1975, P.180) (ساكز ، ١٩٩٩، ص١٠٣)(Saggs, 1999, P103) ، لكن هذه المبادرة لم توقف نفوذ الاراميين الذين أغتصبوا عرش بابل بعد هذه المبادرة والارامي أدد –أبال – ادين خلف الملك مردوخ – شافيك – زير في بابل(King, 1907 , 2, P.59 ,8) (Grayson , 1975,P.180). ولضمان امن المقاطعة في الجنوب ، عمل الملك الاشوري أشور – بل – كالا تحالفاً جديداً مع هذا الملك الارامي في بابل وعضد ذلك بالزواج من أبنته . اضافة لذلك ، في عهد هذا الملك الارامي احتلت بعض القبائل الارامية دور كوريكالزو (عكركوف) التي تقع قرب نهر دجلة غرب بغداد (Dupont-Somer 1949, P.22,) (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٣٥) (Dupont-Somer, 2007, P.35) (Brinkman , 1968, P.285) .

سجلت بعض الوثائق المسمارية حالات من الاعتداءات أو الغزوات والشغب لبعض القبائل الارامية خلال عهد الملك البابلي نابو – موكن – أبل (٩٧٩–٩٤٤ ق.م.) (Grayson , 1975, P.137, 5-6, P.138, 15) بحيث لم يستطع هذا الملك الحضور لاقامة مهرجان السنة الجديدة (اكيتو) (ساكز ، ٢٠٠٩، ص١٩٦)(Saggs, 2009, P196) .

دخل الموقف التاريخي للاراميين في القرن التاسع قبل الميلاد في جنوب بلاد وادي الرافدين طوراً جديداً ، بالعكس من ذلك الذي حدث في القرن السابق ، وذلك بأن اتحد الاراميون عسكرياً مع البابليين ضد الاشوريين .وعليه أرسل الملك البابلي نابو – أبال – أدين في عام ٨٧٨ ق.م. قوة من ثلاثة الاف من المقاتلين لمساعدة الاراميين في سوخو الواقعة في منطقة وسط نهر الفرات ضد تقدم الملك الاشوري أشور – ناصر – بال الثاني (٨٨٤–٨٥٩ ق.م.) (Budg 1902, P.351 ,19-20) (Grayson , 1981,Para .577). وفي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد في عهد الملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩–٨٢٤ ق.م.)

أنتشرت الاقوام الكلدية[*] الارامية من جنوب بابل الى انحاء الخليج العربي ، وضمت دويلات صغيرة وهي : بيت دكوري ، بيت أديني ، بيت أموكاني ، بيت شيلاني ، بين شعالي ، بيت ياكين (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ،ص٣٦) (Dupont-Somer, 2007, P.36) (ساكز ، ٢٠٠٩، ص٢٠٠)(Saggs, 2009, P200) . وكذلك اتحدت قبائل ارامية مع البابليين ،الكلديين ، العيلاميين ، والكاشيين في القتال ضد مقاتلي الملك الاشوري شمش – ادد – الخامس (٨٢٤–٨١٠ ق.م.) قرب دور – بابسوكال شرق دجلة (Luckenbill , 1926 -1927, Para. 726).

فيما يخص أصل الكلديين وعلاقتهم بالاراميين ، فاول ذكر للكلديين في جنوب بابل ورد في حوليات الملك الاشوري اشور – ناصربال الثاني (٨٨٣–٨٥٩ ق.م.) بأسم (مات كلدي) mat kaldi (بلاد كلدي) (Luckenbill , 1926 -1927, Para. 470) (Brinkman , 1968, P.260). وقد ذهب الباحثون في اصل الكلديين وفي علاقتهم بالاراميين مذاهب شتى (محمد، ١٩٨٣ ، ص٣٢–٣٤) (Muhammed, 1983, P32-34).

أما فيما يخص علاقتهم بالاراميين فأن الملوك الاشوريين في اغلب الاحيان يذكرون الاراميين الى جانب الكلديين . ولكن رغم ذلك ،وجد الباحثون العلاقة قوية بينهما من حيث الاصل المشترك والتشابه اللغوي الوثيق بين لغتيهما ،ومن حيث تجاورهم وارتباطهم بمصالح مشتركة وعلاقات قوية تعدت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ،وكذلك من حيث عقد الاحلاف والاتحادات السياسية بينهم ضد الاشوريين الى حد أن معظم الحملات الاشورية الى جنوب العراق جاءت لردع الكلديين والاراميين والعرب المتحدين معهم .

هذه العلاقة القوية المتعددة الجوانب بينهما جعلت بعض الباحثين يعدونهم قبيلة واحدة ومن أصل واحد (جواد، ٢٠٠١، ص٢١) (Jawad, 2001, P21)، ولذلك أكثر الباحثين يذكرون الكلديين بما يشير الى صلتهم القوية بالاراميين مثل دوبونت – سومر الذي يذكر أن الكلديين (اقوام يمتون بصلة الى الاراميين) (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٣٦) (Dupont-Somer, 2007, P.36) ومرة اخرى يصفهم بأنهم بنو جلدة الاراميين (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص١٣٠)

[*] استخدم مصطلح (كلدانيون) في الكتابات الاجنبية والعربية وذلك كما ورد الاسم في العهد القديم ، لكن هنا نعتمد الاسم الذي اطلقه الاشوريون عليهم وهو اسم الكلديين وبلادهم كلدو .

(Dupont-Somer, 2007, P.130). كما ذكرهم علي ابو عساف بـ (القبائل الكلدانية الارامية) واعتبر إقامة الدولة البابلية الحديثة انتصاراً للآرامية (أبو عساف ، ١٩٨٨ ، ص٢٠-٢٢) (Abu Assaf, 1988, P20-22) ، وآخرون يصفون ملك بابل الكلدي نبوبلاصر بـ(الارامي الكلدي) ويذكرون الدولة الكلدانية بصيغة (الدولة الكلدانية الآرامية) (أحمد، دون تاريخ، ج١، ص١٣٧) (Ahmad, Without date, 1/137) (سوسة، ١٩٨١، ص٢٠٩) (Susa, 1981, P209) (باقر، ١٩٧٣، ج١، ص١١، ٧٢، ٥٢٥-٥٢٧) (Baqir, 1973, 1, P.11, 72, 525-527) .

باحثون أخرون ، واستناداً لما ورد في العهد القديم ، يرون أن كلدو قبيلة أرامية أو فرع من الاراميين . فقد عرفت هذه القبيلة في العهد القديم بأسم (كاسديم) نسبة الى كاسد بن ناحور أخي ابراهيم الخليل (سفر التكوين ٢٢:٢٢) (Genesis 22:22) ، وبما ان ابراهيم من اسرة ارامية حسب العهد القديم فعليه ان اخيه كاسد يكون ارامياً أيضاً (شمعون، ١٩٨١، ص١٣٦) (Shamuon, 1981, P136).

تشير المصادر الى محاولات الاراميين للاستقرار في شمال بابل والى خلاف حول حقول لمواطنين من بابل وبورسبا . فالاراميون امتلكوا أرض هؤلاء المواطنين بصورة غير قانونية .لكن الملك البابلي أريبا– مردوخ قبل عام ٧٦٠ ق.م.، ورغم علاقة الاراميين الودية مع البابليين ، طردهم بالقوة وأرجع هذه الحقول الى اصحابها الاصليين(Grayson, 1975,P.182-183). وحدث الخلاف مرة ثانية في عهد الملك البابلي التالي نابو – شوم – أشكون الذي أنتهى حكمه عام ٧٤٨ ق.م. وذلك عندما دخل الاراميون مرة ثانية في القتال ليتملكوا الحقول قرب بورسبا (Lambert 1968, P.125 ff).

استقر الاراميون بشكل واسع حول بابل في تجمعات قبلية في عهد الملك الاشوري تجلاثبلصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م.)وقد تغلب هذا الملك على هذه القبائل الارامية فوق مناطق واسعة . حيث كانت مستقرة على امتداد نهر دجلة ، نهر الفرات ، ونهر الكرخا وباتجاه الجنوب حتى شاطيء الخليج العربي وعددها ست وثلاثين قبيلة(- Luckenbill , 1926 1927, I, Para. 788, 805) (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٩٤) (Dupont-Somer, 2007, P.94). وكان بعضها كلدية أهمها قبائل ايتوع (أوتوع) ،روبوع ، حريلو ، فقودو ، ولبدودو(دوبونت–سومر،

٢٠٠٧ ، ص٩٤) (Dupont-Somer, 2007, P.94) . وبعد ان دحرهم هذا الملك الاشوري ، وسع الحدود الاشورية لتشمل هذه المناطق الارامية وعين عليها حكاماً خاضعين له(Brinkman , 1968, P.229-233) . رغم ذلك ، فأن القبائل الارامية في هذه المناطق قاومت القوات الاشورية في العهود اللاحقة بشكل متكرر (Luckenbill , 1926 -1927, Paras. 71, 234, 257, 262, 272-4, 302, 325, 356).

فيما يخص اصل الاراميين المتواجدين حول بابل وفي جنوب بلاد وادي الرافدين فأنهم تواجدوا هناك في المرحلة الاولى منذ بداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد وذلك عندما تحرك الاراميون شرقاً باتجاه البلاد الاشورية وفي نفس الوقت اتجهت بعض قبائلهم نحو الجنوب وانتشرت على امتداد نهر الفرات وأصبح تأثيرهم واضحاً عندما اغتصبوا عرش بابل واصبح الارامي أدد – أبال – أدين ملكاً على بابل .

المرحلة الثانية بدأت بعد القرن التاسع قبل الميلاد وذلك عندما احتل الاشوريون الدويلات الارامية التي ظهرت في اعالي ما بين النهرين وشمال سوريا منذ بداية القرن العاشر قبل الميلاد مثل ارباد ، حماة ، سمأل ، بيت أديني ، بيت بخياني ، لاقي وعندما أجلوا قسماً من سكانها الى بلاد اشور ومن المعقول ان البعض من هؤلاء السكان قد استوطنوا جنوب العراق وتمكنوا فيما بعد من تاسيس دويلة حملت نفس اسم دويلتهم الاصلية (بيت أديني) الواقعة في اعلى ما بين النهرين .

اغتصب مردوخ ابلا ادينا الثاني (مردوخ بلادان في التوراة) عرش المملكة البابلية منذ سنة ٧٢٢ ق.م. وهو زعيم قبيلة بيت ياكين الكلدية القوية ، وقد توصل الى الاستيلاء على عرش بابل بمساعدة ملك عيلام . فقاد الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢٢ –٧٠٥ ق.م.)سنة ٧١٠ ق.م. حملة واسعة النطاق على القبائل الكلدية والارامية المساندة لهذا الغاصب وبطش بها. وقد شملت هذه القبائل ، اضافة الى تلك التي دحرها الملك تجلاثبلصر الثالث والتي ذكرت أعلاه، قبائل اخرى مثل حمرانو ، اوبولو ، روعا وكذلك قبائل كمبولو ، حندارو ، وسوتو في بلاد يدبورو.

طاردها سرجون وتمكن من أخضاع شيوخها وعندما وصل بلاد عيلام لاذ ملكها بالفرار، اما مردوخ ابلا أدينا فألتجأ الى بلاد يدبورو فدخل الملك سرجون الآشوري الى بابل ظافراً ، وفي السنة التالية حاصر الملك سرجون الملك المخلوع مردوخ ابلا أدينا الكلدي في منطقة جبلية محيطة بالخليج العربي فعاد السلام الى ربوع كلدو السفلى وحدود بلاد عيلام (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٩٥) (Dupont-Somer, 2007, P.95) (دوبونت–سومر، ١٩٨٨ ، ص١٢٣–١٢٤) (Dupont-Somer, 1988, P123-124) .

بعد وفاة سرجون سنة ٧٠٥ ق.م. ، ظهر مردوخ ابلا أدينا الكلدي من جديد ودخل كملك الى بابل .ولكن الملك سنحاريب ابن سرجون وخلفه(٧٠٥–٦٨١ ق.م.) وجه سنة ٧٠٣ حملة ضد هذا الملك الكلدي الذي يسانده ملك عيلام والقبائل الكلدية والارامية والعرب . وكان النصر حليف سنحاريب.وفي حينها كان الكلديون يسكنون في المدن البابلية القديمة مثل الوركاء، نفر ، كيش وسبار وغيرها من المدن .

الا ان ذلك لم ينهي أو يوقف نفوذ الاراميين ، ولذلك ظهروا في سنة ٦٩١ ق.م. مع الكلدي شوزابو الذي أعلن العصيان على اشور وكان يسانده في حركته هذه ، وكما هو متوقع ،ملك عيلام والاراميون الذين اجتمعوا حول شوزابو ونزلوا الى المستنقعات وبدأوا العصيان .لكن بعد عامين أي سنة ٦٨٩ ق.م. قام سنحاريب بحملة اسفرت عن استيلائه على بابل فكان من بين المسبيين عناصر كلدية وارامية (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٩٦) (Dupont-Somer, 2007, P.96) (دوبونت–سومر، ١٩٨٨ ، ص١٢٥) (Dupont-Somer, 1988, P125)[*].

استمرت حالات تمرد وعصيان الكلديين والاراميين بمساعدة أو تعاون عيلام معهم . فهكذا نجد الملك اسرحدون (٦٨١–٦٦٩ ق.م.)يتصدى لحركات العصيان التي قادها ابن لمردوخ ابلا أدينا شرق بابل ، وبعد أن هزمه اقام اخاه ملكاً على عرش (مملكة البحر) لما أبداه هذا الاخ من خضوع للملك الاشوري . وفي عهد الملك اشور بانيبال (٦٦٨–٦٢٦ ق.م.) تحزبت قبيلة كمبولو الارامية لملك عيلام الذي احتل كلدو . فما كان على الملك

[*] الجندي في ترجمته يذكر اسم شوازابو على أنه منطقة كلدية بينما البير ابونا يذكره على انه اسم ملك كلدي (ساكز ، ١٩٩٩، ص١٤٦) (Saggs, 1999, P146)

الاشوري الا ان يقود حملة عسكرية ليقاتل هذه القبيلة ويدحرها ويقتاد ابن ملكها الى نينوى ويذبحه مثل الخروف، واما الرؤساء الاخرين فقد نقلهم الى اربيل حيث سلخوا وهم احياء بعد ان قطعت السنتهم (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٩٦–٩٧) (Dupont-Somer, 2007, P.96-97).

وبعد تلك الحملة بقليل في سنة ٦٢٥ق.م. ، ثار ملك بابل شمش – شوم – أوكين ضد أخيه ورئيسه ملك اشور اشور بانيبال بعد ان مهد لذلك بالتحالف مع شعوب بلاد كلدو وبلاد أرام وبلاد البحر ، وعيلام ، والعموريين ، وبلاد العرب . وقد ثبت الكلديون وبنو جلدتهم الاراميون في بلاد بابل رغم الضربات المفجعة التي حلت بهم ، وظلوا غير خاضعين تمام الخضوع متحينين الفرصة الملائمة لتحرير بلادهم من نفوذ الاشوريين ،وعند وفاة الملك الاشوري اشور بانيبال سنة ٦٢٦ ق.م. ، احتل القائد الكلدي نابو بلاصر بلاد بابل واصبح ملكاً عليها . وبعد ان انتزع تدريجياً الاراضي البابلية من أشور ،استولى على العاصمة الاشورية نينوى سنة ٦١٢ ق.م. وذلك بمساعدة والاتفاق مع ألميديين في شمال شرق البلاد الاشورية . فهكذا انهارت الامبراطورية الاشورية وحلت محلها المملكة الكلدية (البابلية الحديثة) والتي استمرت ما يقارب القرن (دوبونت–سومر، ٢٠٠٧ ، ص٩٧–٩٨) (Dupont-Somer, 2007, P.97-98) .

امتزج اراميو بابل في هذه المملكة الجديدة وذابوا فيها .ورغم أن الاراميين فقدوا استقلالهم السياسي في الاماكن الاخرى في القرن السابع والثامن قبل الميلاد على اثر الحملات العسكرية المتكررة للاشوريين عليهم لكنهم لم يتلاشوا كلياً في أي من البلدان بل ظلوا في كل مكان من بلاد وادي الرافدين وسوريا .

اذا فقد الاراميون نفوذهم السياسي فأنهم لم يفقدوا مكانتهم الحضارية يتمثل ذلك بالانتشار الواسع للغة الارامية في دول وبلدان المشرق القديم : في الدولة الاشورية الحديثة ، الدولة البابلية الكلدية الحديثة ، الدولة الفارسية ، واستمر ذلك حتى قبل الاسلام . ويتمثل كذلك بسيادة خطهم الابجدي أصل العديد من الخطوط الابجدية في منطقة المشرق (Dringer , 1962, PP. 140 ff) ، وخبرتهم بأمور التجارة (باقر، ١٩٧٣، ص٤٩٦) (Baqir, 1973, P496).

المصادر :

المصادر العربية:

١. الكتاب المقدس: سفر التكوين .
٢. أبو عساف ، علي (١٩٨٨): **الاراميون** ، سوريا – طرطوس.
٣. أحمد ، علي ياسين (دون تاريخ) "**تكريت في العصر الاشوري الحديث**" ، موسوعة مدينة تكريت، ج١.
٤. باقر، طه (١٩٧٣): **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ، ج١ ، بغداد.
٥. جواد ، حسن فاضل (٢٠٠١): **حكمة الكلدانيين** ، بغداد.
٦. دوبونت– سومر (١٩٨٨): **الاراميون** ، ترجمة ناظم الجندي ، سوريا – طرطوس.
٧. دوبونت –سومر (٢٠٠٧) **الاراميون** ، ترجمة البير ابونا ، بغداد .
٨. ساكز ، هاري (١٩٩٩): **قوة آشور** ، ترجمة عامر سليمان ، بغداد.
٩. ساكز، هاري (٢٠٠٩): البابليون ، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت.
١٠. سوسه، أحمد (١٩٨١): **العرب واليهود في التأريخ**، بغداد.
١١. شمعون ، غريغوريوس صليبا (١٩٨١)" **الممالك الارامية** ، حلب.
١٢. محمد ، حياة ابراهيم (١٩٨٣): **نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤–٥٦٢ ق.م.** ، بغداد .

References:

1- The Bible: Genesis
2- Abu Assaf, Ali (1988): **The Aranaeans**, Syria- Tartus.
3- Ahmed, Ali Yasen (Without date): **Tikrit in the New Assyrian Period**, Encyclopedia Tikrit City Vol. I.
4- Baqir, Taha (1973): **Introduction in the History**, **of Ancient Civilisations**, Vol. I, Baghdad.
5- Dupont-Somer, (2007): **The Arameaens,** Trans. Albert Abona, Baghdad.
6- Dupont-Somer, (1988): **The Arameaens,** Trans. Nadhum Al-Jundi, Syria- Tartus..
7- Jawad, Hasan Ali (2001): **The Kaldiansi Wisedom**, Baghdad.

8- Muhammed, Hayat Ibrahim (1983): **Nabukhud Neser, II** 604-562 B. C. Baghdad.
9- Saggs, H. W. F., (1999): **The Mighty of Assyria**, Trans, Amer Sulayman, Baghdad.
10- Saggs, H. W. F., (2009): **The Babylonions**, Trans, Saied Al-Ghanimi, Beirut.
11- Shamuon, Ghriguryus (1981): **The Aramaean Kingdoms**, Halab.
12- Susa, Ahmed (1981): **Arabs and Jews in the History**, Baghdad**.**

المصادر الأجنبية: Foreign sources

1. Brinkman , J.A. , (1968): **A Politicol History of Post-Kassite Babylonia** 1158-722 B.C. , Rome.
2. Budg , E.A. , (1902): **and King, L.W., The Annals of the Kings of Assyria** , 1 , London.
3. Dringer , D. , (1962): **Writing** , London.
4. Dupont – Sommer , A., (1949): **Les Arameens** .
5. Grayson , A.K. , (1981): **Assyrian Royal Inscriptions** , Rome, 2 .
6. Grayson, (1975): **Assyrian and Babylonian Chronicals** , New York.
7. King, L.W., (1907): **Chronicles Concerning Early Babylonian Kings** ,2 Vols, London, 2,
8. Lambert W.G. , (1968): **Journal of Ancient Oriental Studies**, 88.
9. Luckenbill , (1926-1927): **Ancient Records of Assyria and Babylonia** , 2 vols , Chigacago.
10. Saggs , H.W.F. , (1980): **Iraq** 42.
11. Tadmor H. , (1958) **Journal of Near Eastern Studies** 17.

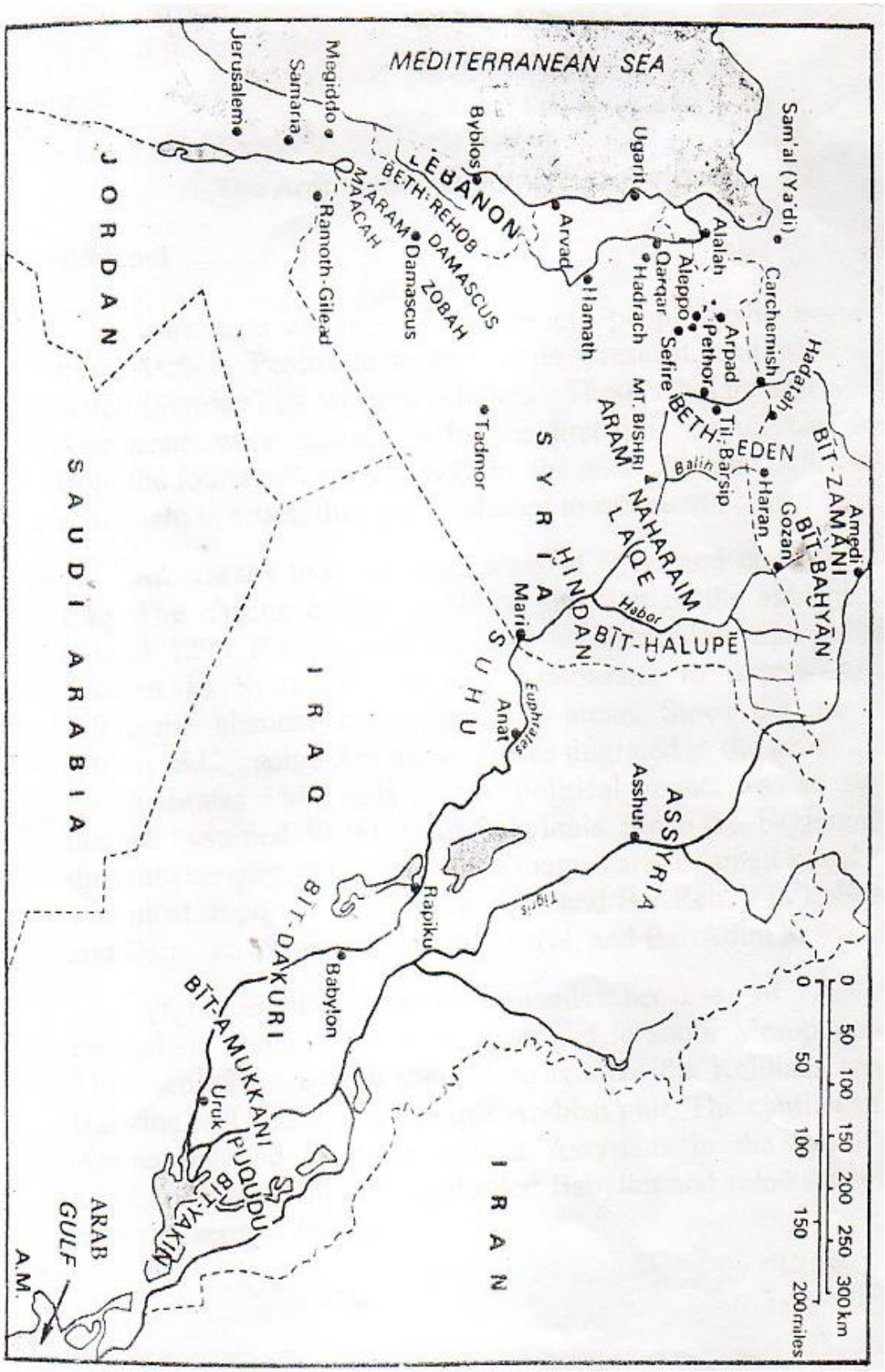
MEDITERRANEAN SEA
Jerusalem
Samaria
Megiddo
Byblos
Ugarit
Arvad
Sam'al (Ya'di)
LEBANON
BETH-REHOB
DAMASCUS
ZOBAH
MAACAH
ARAM
Damascus
Ramoth-Gilead
Hamath
Alalah
Aleppo
Qarqar
Hadrach
Carchemish
Arpad
Pethor
Sefire
Hadatel
BIT-ZAMANI
Amedi
BETH-EDEN
Til-Barsip
Balih
Haran
Gozan
BIT-BAHYAN
MT. BISHRI
ARAM
NAHARAIM
LAQE
Tadmor
SYRIA
HINDAN
Habor
BIT-HALUPE
Mari
SUHU
Euphrates
Anat
Asshur
ASSYRIA
Tigris
Rapiku
BIT-DAKURI
Babylon
BIT-AMUKKANI
Uruk
PUQUDU
BIT-YAKIN
ARAB GULF
A.M.
JORDAN
SAUDI ARABIA
IRAQ
IRAN
0 50 100 150 200 250 300 km
0 50 100 150 200 miles

دور موريتانيا في نزاع الصحراء الغربية
(١٩٧٥-١٩٧٨)
" دراسة تاريخية "

م.د. لمياء صفاء حسن

وزارة التربية: المُديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الثانية

Laymaasfaa@gmail.com

دور موريتانيا في نزاع الصحراء الغربية (١٩٧٥-١٩٧٨)
دراسة تاريخية

م.د. لمياء صفاء حسن

الملخص:

عانتْ دول أفريقيا عبَّر تاريخها الطويل من التقلبات الداخلية والخارجية، لعل أبرزها وقوع جميع تلك الدول تحت وطأة الاستعمار الأجنبي، وتقسيمها إلى مناطق نفوذ فرنسية وإسبانية وبريطانية وبلجيكية، مما أجبرتها على فقدان حريتها واضطهاد شعوبها، أدى هذا الأمر في نهاية المطاف إلى نشوء ترابط بين دول أفريقيا لتحرير أوطانها.

لا شك، أن مشكلة الصحراء الغربية في المغرب العربي تُعد مجرد صورة واحدة من صور التقسيم الاستعماري الذي فرض على الدول العربية الأفريقية، وقد ساعدت الدوائر الاستعمارية على تغذية روح النزاع بين الأطراف العربية، فضلاً عن أثارها على القارة الأفريقية والعلاقات الدولية والاستراتيجية. كما أدت السياسات والمصالح المتناقضة دوراً في أذكاء النزاع بين الأطراف المعنية.

في ضوء ذلك، حظيتْ مسألة النزاع في الصحراء الغربية باهتمامات النظام الموريتاني، إذ اعتمدت في سياستها من ذلك النزاع إلى أساس التاريخ والجغرافية والروابط الاجتماعية. حاول هذا البحث تسليط الضوء إلى من دور موريتنا من نزاع الصحراء الغربية للأعوام (١٩٧٥-١٩٧٨)، إذ قُسم إلى ثلاثة محاور رئيسة، تطرق الأول إلى موقف موريتانيا من قضية الصحراء الغربية حتى عام ١٩٧٥، بينما تناول الثاني دور موريتنا في نزاع الصحراء الغربية، في درس المحور الثالث أثر النزاع في الصحراء الغربية على الواقع الموريتاني، ومدى تأثير ذلك النزاع على الواقع السياسي والإقتصادي.

الكلمات المفتاحية: الصحراء الغربية ، موريتانيا ، البوليساريو

Mauritania's role in the Western Sahara conflict (1975-1978) 'Historical study'

Lecturer D.r Lamia Safa Hassan
The Ministry of Education: The General Directorate of Education in Baghdad / Al-Karkh Second

Abstract:

Throughout its long history, the countries of Africa have suffered from internal and external disruptions, perhaps the most prominent of which is the fall of all these countries under the weight

of foreign colonialism, and their division into French, Spanish, British and Belgian spheres of influence, which forced them to lose their freedom and persecute their peoples, this matter eventually led to the emergence of interdependence between countries Africa to liberate its homelands.

There is no doubt that the problem of Western Sahara in the Maghreb is just one image of the colonial division that was imposed on the Arab-African countries, and the colonial circles helped nurture the spirit of conflict between the Arab parties, as well as its effects on the African continent and international and strategic relations. Contradictory policies and interests have also played a role in fueling conflict between the parties involved.

In light of this, the issue of the conflict in Western Sahara has received the concerns of the Mauritanian regime, as it relied in its policy from that conflict to the basis of history, geography and social ties. This research attempted to shed light on the role of Mauritania from the types of Western Sahara for the years (1975-1978), as it was divided into three main axes. The first dealt with Mauritania's position on the issue of Western Sahara until 1975, while the second dealt with the role of Mauritania in the Western Sahara conflict. The third axis examines the impact of the conflict in Western Sahara on the Mauritanian reality, and the extent of that conflict's impact on the political and economic reality.

Key words: Western Sahara, Mauritania, Polisario

أولاً: موقف موريتانيا من قضية الصحراء الغربية حتى عام ١٩٧٥:

اكتسبتْ الصحراء الغربية أهمية استراتيجية على المستوى الإقليمي والدولي، وبسبب موقعها المُطل على المُحيط الأطلسي منحها أهمية كبيرة ورفع من مكانتها في الساحة الدولية كونها موقع صحراوي بحري، فضلاً عن توسطها بين ثلاثة دول وهي: المغرب التي تحدها من الشمال بحدود(٤٤٥) كم ، وموريتانيا من جهتي الشرق والجنوب بحدود(١٥٧٠) كم ، والجزائر من جهة الشمال الشرقي بحدود(٣٠) كم، وتمتد حدودها على الساحل الأطلسي غرباً ما يُقارب(١٤٠٠) كم، لذا تُعد البوابة الغربية لأفريقيا (شعلان، ٢٠٠٤، ص١٠٦).

تكمُن أهمية الصحراء الغربية لموريتانيا بكونها جزء لا يتجزأ من مجالها الجغرافي والبشري، إذ أسهمتْ العوامل الجغرافية في رسم ملامح المنطقة والتي تتسم بسمات طبيعية، وبما إن أغلب سُكان المنطقة الصحراوية، ولاسيما الوسطى والجنوبية يمثلون امتداداً بشرياً للمجموعة الموريتانية(البيضانية) *، إذ يوجد لهم جذور عرقية وثقافية عميقة داخل الأراضي الموريتانية، منها قبائل ارقبيات وقبائل دليم وتكنه وأهل الشيخ ماء العينين وغيرهم العديد(محمود ، ٢٠٠٦، ص ٣٠).

أدى الاختلاف بين دول الجوار في النواحي الأيديولوجية والتوجهات السياسية إلى حدوث نوع من الشرخ وعدم الاستقرار السياسي في منطقة الصحراء الغربية (مخلف، ١٩٨٥، ص١١٥). لذا، انصبتْ جهود موريتانيا إلى تحرير الصحراء الغربية من الاحتلال الاسباني وعودته إلى الوطن الأُم، الذي اقتطع منها بموجب اتفاقية عقدتْ بين فرنسا وإسبانيا في السابع والعشرون من حزيران ١٩٠٠، تنازلتْ فيها الأولى للحكومة الإسبانية عن المنطقة الممتدة بين الرأس الأبيض وإيفني في إطار التنافس الاستعماري على المغرب الأقصى (مجلة السياسة الدولية، ١٩٧٦، ص٢١٥).

وعقب حصول موريتانيا في الثامن والعشرون من تشرين الثاني ١٩٦٠، على استقلالها بعد نضال طويل؛ أخذتْ الحملة الوطنية التي قادها حزب الشعب الحاكم الموريتاني برئاسة المختار ولد دادا*، بالمطالبة بجميع أجزاء الأراضي الموريتانية، وذلك لتعزيز وحدتها السياسية وتوطيد كيانها وتقوية وترسيخ استقلالها الوطني، اذ اصبحت المطالبة بالصحراء الغربية بعد الاستقلال تشكل مطلب وطني فأتخذت صيغة المطالبة الرسمية في كل المنظمات الاقليمية والدولية التي انضمت اليها(مجلة الاهرام الاقتصادية، ١٩٦٤، ص١٥).

تزامن مع ذلك أصدار الجمعية العامة للأُمم المُتحدة سلسلة من القرارات منها قرار(١٥١٤)، في الرابع عشر من كانون الاول ١٩٦٠، الذي أكدتْ فيه على حق الشعوب والبلدان الخاضعة للاستعمار في تقرير مصيرها، وإدرجت الصحراء الغربية ضمن قائمة المناطق المشمولة بانهاء الاستعمار وإجراء استفتاء لتقرير مصير الدول المستعمرة. (Beslay, 1984, p.178).

فضلاً عن ذلك، أصدرت الجمعية العامة للأُمم المتحدة في السادس عشر من كانون الأول ١٩٦٥، قراراً قضى بدعوة إسبانيا إلى تحرير الصحراء الغربية، وإجراء مفاوضات مع الأطراف المعنية، بعدما أخذتْ تماطل بإجراء الاستفتاء في المنطقة الصحراوية (فتيسي، قوادرية، ٢٠١٩، ص١٨)، لاسّيما بعد اكتشافها للفوسفات عام ١٩٦٣، مما جعلها تتمسك بالسيطرة عليها (المشهداني، ٢٠٠٥، ص٥٧).

رسمتْ موريتانيا سياسة جديدة في ظل هذا القرار، إذ سعتْ إلى كسب ودّ المغرب، بعدما وصلتْ إلى قناعة كاملة بأن التنسيق مع المغرب في حل مشكلة الصحراء أكثر ضمان من غيره، فهو يضمن لموريتانيا حليفاً قوياً، ويفتح لها آفاق في دخول الجامعة العربية، مقابل التنازل عن تحالفها السابق مع الجزائر، والتخلي عن دعمها لجبهة البوليساريو*(Polisario)، بسبب عدم اعترافها بالسيادة الموريتانية، إذ ساعد ذلك إلى تغير مسار السياسة الموريتانية حيال المغرب(الدليمي، ١٩٧٨، ص١٧٦-١٧٧).

توالتْ عملية التنسيق الثنائي في هذا السياق بين المغرب وموريتانيا، إذ نظمتْ المغرب مباحثات سرية حول عملية تقسيم الصحراء الغربية بينها وبين موريتانيا، وتعززتْ تلك المباحثات في مؤتمرالرباط المنعقد في تشرين الأول ١٩٧٤(جريدة الدستور، ١٩٧٧، ص١٤).

بناءً على ذلك الاتفاق نسق البلدين جهودهم الدبلوماسية على مستوى الأُمم المتحدة في رفع قضية الصحراء الغربية، ومعرفة الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية(منى، سومية، ٢٠١٦، ص٣٢).

وفق تلك المُعطيات، أرسلتْ الأُمم المتحدة بعثة لاستطلاع رغبات سكان الصحراء الغربية، وفي الخامس من آب ١٩٧٥، أعلنتْ بعثة الأُمم المتحدة إن غالبية سُكان الصحراء يؤيدون الاستقرار، فلم يمضِ وقت حتى أدلتْ المحكمة برأيها الاستشاري في السادس عشر من تشرين الأول ١٩٧٥، التي أكدت فيه إن بأن الصحراء الغربية لم تكن أرضاً بلا صاحب عندما احتلتها إسبانيا كما تتدعي الأخيرة، وثمة علاقة تأريخية وقانونية تربط بينها وبين المغرب من جهة وموريتانيا من جهة أُخرى(الدليمي، ١٩٧٨، ص٨٤).

كان ذلك القرار بمثابة السند الشرعي، الذي اعتمد عليه المغرب فأنتهز الملك الحسن الثاني *، ظروف إسبانيا الاستثنائية وأعلن في السادس من تشرين الثاني ١٩٧٥، موعد لانطلاق المسيرة الخضراء التي اجتاحتْ الصحراء وأربكتْ حسابات الحكومة الإسبانية (ولد السعد، عبد الحي، ٢٠١٤، ص١٤٩).

رفضتْ إسبانيا سلوك المغرب، وقامتْ بتجنيد أربعة عشر سفينة حربية، اثنين منها مزودة بقاذفات للصواريخ، مع ذلك لم يكن لها تأثير يذكر، لأن الجنرال فرانسيسكو فرانكو* (Francisco Franco)، كان على فراش الموت، دفعتْ تلك الأسباب إلى تغيير موقفها والتفكير في كيفية الخروج من الإقليم بأقل الخسائر الممكنة، فقد دعتْ إلى إجراء استفتاء لسكان الصحراء الغربية حول البقاء ضمن المستعمرات الإسبانية أو الاستقلال، رُفض ذلك المقترح من قِبل المغرب وموريتانيا، وبدأوا بالتخطيط لاقتسام المنطقة الصحراوية بينهما (فتيسي، قوادرية، ٢٠١٩، ص٣٤).

ونتيجة للضغوطات التي كانتْ تواجه إسبانيا مثل مرض فرانكو، ومطالبة المغرب بسبته ومليلة، والأهم إنها أدركتْ إن مصلحتها مصونة مع المغرب وموريتانيا أكثر من الجزائر(المختار، ٢٠١٥، ص٦١). لذا، جرتْ مفاوضات بين الحكومتين المغربية والإسبانية، تباحثا حول الأوضاع المستجدة في الصحراء، وقد انتهتْ تلك المفاوضات باتفاق يقضي بتوقف المسيرة الخضراء، مقابل التخلي عن الصحراء الغربية إلى المغرب وموريتانيا بموجب اتفاقية مدريد التي عقدتْ في الربع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥، تألفتْ تلك الاتفاقية من وثيقة أُطلق عليها اسم(إعلان المبادئ) (غربي، ٢٠١١، ص٥٩-٦٠)، ومن بين الأمور المهم التي نصتْ عليها هي: انسحاب إسبانيا من الصحراء الغربية، وتعيين حاكم موريتاني في منطقة وادي الذهب، وآخر مغربي في الساقية الحمراء(الهادي، ٢٠١١، ص٢٦٤)، كما تضمنتْ الاتفاقية بنود سرية تتعلق بتوزيع ثروات الأقليم، منها أن يكون نصيب إسبانيا من الثروتين السمكية والمعدنية (٥٠%) في حين تتقاسم موريتانيا والمغرب بـ(٥٠%) الباقية (عيتاني، ١٩٧٨، ص٦١)، وذلك ما عدته الجزائر خيانة من الحكومة الموريتانية لها، وتنكراً للعلاقات الطيبة التي كانتْ تربطهما، أما جبهة البوليساريو عدتْ

المعاهدة بمثابة إعلان حرب وبدأتْ في تعبئة قواتها للدفاع عن الإقليم. (الهادي، ٢٠٠١، ص٢٦٤).

ثانياً: دور موريتانيا في نزاع الصحراء الغربية ١٩٧٥-١٩٧٨:

نالتْ موريتانيا نصيبها من تلك الحرب التي بدأت في كانون الأول عام ١٩٧٥، واستمرتْ ثلاثة سنوات متتالية، دارتْ معظم رحى الحرب في أراضيها، لم تحقق اتفاقية مدريد ما كان مؤملاً منها، وهذا ما أنعكس على القضية الصحراوية، إذ شهدتْ تصعيداً خطيراً تمثل في اجتياح القوات العسكرية المغربية مدن ومراكز الساقية الحمراء(محمد، ٢٠٠٦، ص٦١)، ذلك الاجتياح ترك فارغاً سياسياً وأمنياً في المنطقة الجنوبية من الصحراء التي منحتْ لموريتانيا، مما أثار مخاوف الحكومة المغربية، في حين فسرتْ موريتانيا تأخرها في السيطرة على تلك المناطق خوفاً من أن تحصل المجابهة مع الصحراويين، لذلك كان تركيزها على إسعاف المنكوبين في مدينة الكويره الحدودية، ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لوقوعها على مشارف العاصمة الموريتانية، وقربها من خط سكة الحديد التي تنقل عبرها خامات الحديد إلى ميناء نواذبيو لتصديرها إلى الخارج، غير إن الجبهة استغلتْ الفرصة لتقوية مواقفها وجلب الإمدادات الخارجية (الهادي، ٢٠٠١، ص٢٦٤).

دخلتْ موريتانيا حرب الصحراء ليلة ٨-٩ من كانون الأول ١٩٧٥، في معركة عين بنتلي، وهي بعيدة كل البُعد عن الاستعداد للحرب، بقوة لا تزيد عن ثلاثة آلاف جندي، مهمته الدفاع عن دولة مترامية الأطراف مواجه قوة جبهة البوليساريو المدربة تدريباً متميزاً والمُجهزة بالعتاد والمؤهلة لخوض حرب عصابات طويلة الأمد والمدعوة من قوة إقليمية ومجاورة. (ولد شيخنا، ٢٠٠٩، ص٢٤٤).

اتسمتْ المرحلة الأولى من الحرب بالتفوق الموريتاني في معركة(إينال)، إذ حققتْ موريتانيا انتصاراً ساحقاً على جبهة البوليساريوي في العاشر من كانون الأول ١٩٧٥، وأسروا حوالي عشرين من عناصرهم وسيطرتْ على مدينة الكويرة(المختار، ٢٠١٥، ص٢١) . واستمرتْ المعارك إلى التاسع عشر من كانون الأول ١٩٧٥، سيطرتْ فيها القوات الموريتانية على مدينة لاجويرا(مجلة السياسة الدولية، ١٩٧٦، ص٢٢٢)، كما تمكنتْ في الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٧٦، بالسيطرة على مدينة الداخلة، استمرتْ المعارك بين

المقاتلين الصحراويين المرابطين في مدينة(عين بنتلي)، شمال شرقي الصحراء والوحدات الموريتانية التي تحاصرها، وفي التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٧٦، قتل الضابط الموريتاني الرائد (سويدات ولد داد)، لذا، حاولتْ القيادة العسكرية رفع معنويات الجيش فأعلنتْ بعد يوم واحد من مقتل الرائد سويدات، سقوط مدينة الداخلة بيد القوات الموريتانية. (ولد شيخنا، ٢٠٠٩، ص٢٤٤).

سارعتْ جبهة البوليساريو إلى نفي الخبر، وصرحت إن مقاتليها ما زالوا يسيطرون على المدينة، وإن الجيش الموريتاني لن يتمكن من اختراق دفاعاتهم الحصينة، إلا إن توالي وصول التعزيزات الموريتانية وانسحاب بعض عناصر الجبهة لمواجهة القوات المغربية في الجبهة الثانية، ادى لتمكن القوات الموريتانية من فرض سيطرتها على مدينة الداخلة عاصمة الإقليم في التاسع من كانون الثاني ١٩٧٦ (Gaudio, 1978, p. 284)، واتخذتْ الحكومة الموريتانية سلسلة من الإجراءات الإدارية لتأكيد هيمنتها على الإقليم الجديد الذي أصبح يعرف بولاية بترس الغربية، فضلاً عن ذلك أكدتْ الحكومة الموريتانية إن قواتها الأمنية سيطرتْ على منطقة وادي الذهب (Schulman, 1987, p.67).

بيد أن تلك الانتصارات الموريتانية لم تدوم طويلاً، إذ وسعتْ جبهة البوليساريو من نطاق معاركها ضد القوات المغربية والموريتانية، وأعلنتْ في السابع والعشرون من شباط ١٩٧٦، عن قيام الجمهورية الصحراوية كرفض لمشروع تقسيم الصحراء، لتأكيد حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره وإعلان استقلاله(Damis, 1988, p.82).

في غضون ذلك، استكملت جبهة البوليساريو تنظيم وحداتها وأعادتْ تأهيل آلياتها العسكرية، إذ حصلتْ على الكثير من المعدات العسكرية من الجزائر وليبيا وكوبا، بالمقابل، عدتْ موريتانيا إن جبهة البوليساريو من صنع الجزائر، التي اعترفتْ وكرستْ جهودها الدبلوماسية لجمع التأييد الدولي للجمهورية الصحراوية، في إطار علاقاتها الجيدة مع الدول الأفريقية (مسعود، ١٩٩٨، ص٧٠).

من جانبها، أدركتْ جبهة البوليساريو إن فتح جبهتين في آن واحد يضعف من قواتها، فوضعتْ إستراتيجية عسكرية جديدة تقوم على مبدأ التركيز على الحلقة الأضعف في الصراع ذلك وهي موريتانيا، بما إنها دولة صحراوية مكشوفة لها أكثر من(٤٠٠٠) كم^2 حدودي،

وأكثر قواتها متمركزة في المدن الصحراوية، ووسائل اتصالاتها ضعيفة، فضلاً عن تواجد تعاطف كبير مع الصحراويين من بعض قبائل موريتانيا الشمالية، سهلتْ تلك العوامل عمليات الاختراق، والتسلسل داخل الأراضي الموريتانية(حافظ، ١٩٨١، ص٧٨).

استطاع الصحراويين بقيادة مؤسس البوليساريو (الوالي مصطفى السيد ١٩٤٨-١٩٧٦) من تحقيق نجاحات مرضية عن طريق تصدير الأزمة إلى موريتانيا، فقامتْ باستنزاف طاقاتها البشرية والاقتصادية وتحطيم معنويات جنودها، وإثارة الشارع ضد حكومته، كما ارتكزتْ عمليات البوليساريو على ضرب العمق الموريتاني وجعل العاصمة نواكشوط هدفاً ثابتاً ومباشراً للعمليات (الهادي، ٢٠٠١، ص٢٧١).

أطلقتْ الجبهة في الخامس من حزيران ١٩٧٦، قوة عسكرية يبلغ عددها نحو(٨٠٠) مقاتل، تحملهما أكثر من مائة سيارة مدججة بالأسلحة، ركزتْ هجماتها على مدينة أزويران عاصمة تيرس والتي يوجد فيها أكبر مناجم الحديد في موريتانيا، كما استطاعتْ التوغل إلى الجنوب عند منطقة تورين القريبة من مناجم النحاس، وقد خاضتْ الجبهة معارك قوية مع القوات الموريتانية خسرتْ جبهة البوليساربو فيها العشرات من مقاتليها، إذ سقط بعضهم في الميدان، وأُسر البعض الآخر، كما تركتْ ورائها بعض الأسلحة والمعدات، في أثناء ذلك كان الرئيس الوالي مصطفى يقود هجوماً آخر على مدينة أطار عاصمة ولاية آدرار في محاولة للسيطرة على تلك المنطقة الإستراتيجية ولإرباك القوات الموريتانية (الهادي، ٢٠٠١، ص٢٧٢-٢٧٣).

في غضون ذلك، استطاع الوالي مصطفى في التاسع من حزيران ١٩٧٦، فرض حصار على العاصمة نواكشوط، وقد جرتْ معارك في منطقتي أم التونسي وبنشاب إلى الشمال من العاصمة، ردتْ الطائرات الموريتانية بهجوم مضاد استهدف الوحدات الصحراوية التي كانتْ تتقدم إلى الجبهات المكشوفة، أما الوحدات البرية قامتْ بالتحرك من قواعدها في الشمال نحو العاصمة لتداركها قبل أن تسقط بأيدي الصحراويين، وعندما أدرك الرئيس الصحراوي إن قواته شبه محاصرة، وإن التعزيزات الموريتانية مستمرة في الإرسال، أعطى أوامره لقواته بالانسحاب، بينما قام هو بهجوم وهمي لمشاغلة القوات الموريتانية والتغطية على إنسحاب قواته، لكن خطته إنكشفتْ ووقع في كمين القوات الموريتانية، قتل هو

ومساعده الأول القائد لعبيد ولد العروسي في التاسع من حزيران ١٩٧٦، عدتْ موريتانيا ذلك انتصاراً عسكرياً وسياسياً لها. (الكتاب، ١٩٩٨، ص١٠١).

ردتْ الجبهة على ذلك بهجوم على الأراضي الموريتانية في شباط ١٩٧٧، فقد هاجمتْ محطة القطارات الموريتانية التي تبعد نحو(٦٠) ميلاً جنوب مدينة الزويرات وتدمير ثلاثة قاطرات بالصواريخ، كما استطاعوا في الأول من آيار ١٩٧٧، السيطرة على مدينة الزويرات بعد هجوم مكثف اشترك فيه (١٥٠) آلية من من ناقلات الجنود والعربات العسكرية المزودة بمدافع وقاذفات الصواريخ، والذي أسفر عن خسائر جسيمة لمنشآت التعدين وانقطاع سكة الحديد بين مناجم الحديد وميناء نواذبيو الأطلسي (Guadio,1978, p.293-294) فمن الواضح أن جبهة البوليساريو ركزتْ في هجماتها على مدينة الزويرات ومناجم نواذبيو، بهدف إضعاف الاقتصاد الموريتاني الذي يعتمد بشكل رئيس على تصدير خامات الحديد.

نتيجة ذلك، غدتْ موريتانيا في عام ١٩٧٧، في موقع دفاع عن مصالحها الاقتصادية والسياسية، بينما كانتْ قوات جبهة بوليساريو تضيق الخناق على تلك المصالح مستغلة تدهور وضع القوات الموريتاني، مما دفع الرئيس الموريتاني إلى طلب التدخل العسكري المغربي، وكانتْ نقطة الانطلاق لذلك التعاون هو توقيع اتفاقية الدفاع المشترك في الثالث عشر من آيار ١٩٧٧ في الرباط (Lawless, Laila, 1981, p104) وعليه، بدأتْ القوات المغربية تتركز على طول سكة الحديد التي تربط مناجم الحديد في أزويرات بميناء التصدير في نواذبيو(الهادي، ٢٠٠١، ص٢٨٠).

لا شك إن ذلك التحالف قد مكّن الحكومة الموريتانية من الحفاظ مؤقتاً على كيانها، لكن هذا لا يعني إن التحالف المغربي والموريتاني قد كسب الحرب، وذلك بسبب غياب التنسيق بين الوحدات المغربية والموريتانية، وعدم رضا القادة العسكريين الموريتانيين عن الأداء العسكري للمغاربة مما حجم من فاعلية الجيشين، إذ انعكس ذلك جلياً، بهجوم قام به مقاتلو الجبهة الصحراوية في الثالث من تموز ١٩٧٧، على العاصمة نواكشوط واستطاعوا اختراق ضواحي المدينة وضرب مباني القصر الرئاسي. (Lemond, 1977, p.7).

تميزتْ هذه المرحلة في اشتراك الجيش الفرنسي والمغربي إلى جانب القوات الموريتانية في الحرب الدائرة في شمال موريتانيا، إلا إن تدخل فرنسا اقتصر في البداية على

تقديم الأسلحة والمعدات الخفيفة، وإرسال بعض المستشارين العسكريين، وسبب تباطئ الفرنسيين في الدخول المباشر في الحرب، يعود إلى عدم رغبتهم في إثارة غضب الجزائر المؤيدة للصحراويين والتي تعدّ حليفاً استراتيجي وشريك تجاري لفرنسا، والخوف من المجازفة بالجيش الفرنسي في حرب تدور رحاها في عمق الصحراء (Somerville, 1990, p.116).

تغيرتْ سياسة فرنسا بعد الهجمات التي شنتها جبهة البوليساريو على مناجم الحديد في شمال موريتانيا، مستهدفة المهندسين الفرنسيين، إذ قتلتْ اثنين وأسرتْ ثمانية آخرون في الخامس من تشرين الأول ١٩٧٧، كان ذلك السبب المباشر لدخول فرنسا في نزاع الصحراء الغربية دعماً للجيش المغربي والموريتاني، فبادرتْ بإرسال مظليين و(٦٠٠) مستشار عسكري بصنوف الجيش كافة، كما بدأت الطائرات الفرنسية بعملية استطلاع ومسح ضوئي وإطلاق صواريخ للمناطق التابعة للقوات الموريتانية، فضلاً عن الغارات المكثفة التي شنتها طائرات جاكوار الفرنسية المتمركزة في العاصمة السنغالية داكار على الحدات الصحراوية، إذا أستهدفت تجمعات اللاجئين الصحراويين ومقاتلي البوليساريو في تندوف في الثامن عشر من كانون الأول ١٩٧٧، مخلفة عشرات القتلى وآلاف المشردين (Damis, 1979, p.10).

من جانبها صرّحتْ الخارجية الفرنسية في الخامس من آيار ١٩٧٨، "**إن قواتها تقوم بضربات جوية ضد قوات جبهة البوليساريو داخل الحدود الدولية الموريتانية، وليس على الأراضي المتنازعة عليها في الصحراء الغربية**"، مع ذلك إن الدور الفرنسي المتنامي لم يوقف غارات جبهة البوليساريو، إذ انتهجتْ سياسة جديدة تقوم على الهجمات الصغيرة تجنباً للهجوم الجوي الفرنسي، كما كان إحدى إستراتيجيات الجبهة هو حرب استنزاف، التي تصاعدت على سكة حديد زويرات ونواذبيو، واقتحام منشآت تعدين الفوسفات في دوكراع، الذي يرتبط بسير ناقل لميناء العيون، فانخفض إنتاج الفوسفات بشكل كبير، كما أتلفتْ أبراج التحكم بالطاقة، فأضطر الجيش المغربي والموريتاني التخلي عن العديد من المواقع الخارجية، وبدأتْ عملية الانسحاب التدريجي لتعزيز دفاعات المدن المهمة(الدليمي، ١٩٧٨، ص ١٩٨).

أصبحتْ موريتانيا في تلك المرحلة تواجه حرب عصابات تتسبب في إضعاف مواردها الاقتصادية، فضلاً عن التدهور في الأوضاع الداخلية التي تركتْ أثر كبير في المجتمع الموريتاني، ولاسيما ظهور بعض التيارات الوطنية المعارضة لسياسة الرئيس المختار، وخوفهم من ثقل التواجد المغربي على الأراضي الموريتانية، لتحقيق الحلم الملكي في بناء المغرب الكبير والسيطرة على موريتانيا، مما أوجدتْ تصدعاً في الوحدة الوطنية، أقضتْ تلك الحرب مضجع النظام الموريتاني وأدتْ إلى إنهاء حُكم الرئيس المختار ولد داده (صبور، ٢٠٠٦، ص١٤١).

ثالثاً: أثر النزاع في الصحراء الغربية على الواقع الموريتاني:

ألقتْ الحرب في الصحراء الغربية بظلالها على الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الموريتاني، إذ لم يقتصر تأثيرها على الجانب العسكري فحسب (ولد السعد،عبد الحي، ٢٠١٤، ص٣٠)، لا سيما إن موريتانيا تُعد دولة ناشئة عانتْ من أزمات اقتصادية ونقص حاد في الكفاءات البشرية (Trubisethniest, 1992, p151). فقد أكد وزير الاقتصاد الموريتاني سيد ولد الشيخ عبد الله في بداية الحرب، إذا كانتْ هناك دولة في العالم ليستْ على استعداد لخوض حرب فإنها موريتانيا، لأن جهودنا انصبتْ بعد الاستقلال على المشاريع التنموية، ولم يكن التسليح يهمها إلا بدرجة ثانية (Trubisethniest, 1992, 153).

كانتْ إحدى أسباب التدهور في الأوضاع الداخلية هو زيادة الإنفاق العسكري، مع اشتداد الضغط العسكري الصحراوي كان على موريتانيا أن تتخذ إجراءات فعّالة لإنقاذ الموقف فسنتْ قانون التجنيد الإجباري، وحولتْ(٦٠%) من ميزانية الدولة إلى الجيش، فلم تعدّ القطاعات الإنتاجية تحظى بعناية تذكر (المختار، ٢٠١٥، ص١١٠-١١١).

وعقب ضم مدينة تيرس الغربية بموريتانيا عام ١٩٧٦، إنشئ فيها المصرف الوطني الموريتاني، كان من مهامه منح بطاقات استيراد وتصدير لبعض الشخصيات المتنفذة، سمحت تلك البطاقة لحامليها من استيراد ما يعادل(١٩٨,٠٠٠) أوقية شهرياً بالعملات الأجنبية، مما يكلف المصرف الموريتاني خسارة قدرها(١٢%) عن كل بطاقة أي أنها كانت

بمثابة محرقة للاقتصاد الموريتاني، فضلاً عن رواتب عمال ولاية تيرس الغربية أُضيفتْ إلى أعباء الميزانية الموريتانية (الهادي، ٢٠٠١، ص٢٧١).

وثمة تداعيات مالية أُخرى، أثرت بشكل مُباشر في المشروعات الاقتصادية، إذ أغلقتْ الشركة الموريتانية لاستغلال الحديد والنحاس أبوابها، أما القطاع المعدني الذي يُمثل الشريان الرئيس للاقتصاد الموريتاني، فاصبحت بتراجع كبير في قيمة الصادرات، إذ انخفضتْ صادرات النحاس في عام ١٩٧٧، بفعل أزمة الصلب في أوربا، وزيادة هجمات مقاتلي الجبهة الصحراوية على سكك الحديد في أزويرات ونواذيبو، مما ادى إلى مغادرة الخبراء خوفاً من الحرب، فضلاً عن تناقص في الثروة الحيوانية التي فقدتْ أكثر من ثلاثة أرباعها، كما تأثرتْ المشروعات الزراعية في البلاد جراء الحرب، وانعكس ذلك سلباً على الوضع المعيشي للشعب الموريتاني(الهادي، ٢٠٠١، ص٢٩٢).

أما على مستوى السياسة الخارجية، فقد تأثرتْ العلاقات الموريتانية الجزائرية بعد اتفاقية مدريد، التي رأتْ فيها الجزائر إساءة موريتانية وتنكراً للعلاقات التي تربط بين البلدين، أما علاقتها مع ليبيا لم تصل إلى مرحلة القطيعة، إلَّا إنَّها ساءتْ بشكل واضح، لاسّيما بعد اخفاق مشروعات ليبيا لحل النزاع (الدليمي، ١٩٧٨، ص١٩٨-١٩٩) .

تركتْ تلك الأوضاع الداخلية والخارجية آثاراً كبيرة في المجتمع الموريتاني، مما أضطر الرئيس المختار إلى عقد مؤتمر استثنائي في الخامس والعشرون من كانون الثاني ١٩٧٨، لاتخاذ قرارات سياسية واقتصادية عكستْ خطورة وصعوبة الوضع الداخلي من جراء الحرب، بيد إن تلك الإجراءات لم تحل دون تغير نظام الحكم، إذ استغلتْ المعارضة العسكرية ذلك الوضع(الدليمي، ١٩٧٨،ص ١٩٩) .، الذي سبب في انقلاب عسكري في العاشر من تموز ١٩٧٨، وتسنم العقيد (المصطفى ولد محمد السالك ١٩٣٦-٢٠٢١) رئاسة الحكومة، إذ تميز عهده بالبحث عن السلام والخروج من الحرب بأقل خسائر ممكنة، بعد الإطاحة بنظام الرئيس المختار(رحيمي، ٢٠٠٥، ص٨٣).

نتيجة ذلك، أعلنتْ جبهة البوليساريو وقف إطلاق النار ضد القوات الموريتانية، على أثر ذلك انعقد مؤتمر البوليساريو ما بين(٢٥-٢٨ أيلول ١٩٧٨)، وكانتْ من أهم توصياتها مطالبته موريتانيا بالاعتراف بالسيادة الجبهة الصحراوية على حدودها المعترف بها دولياً،

واسترجاع المناطق المحتلة من قبل موريتانيا مع انسحاب الجيش إلى حدود موريتانيا، وبموجب ذلك المؤتمر انسحبت القوات الموريتانية من الجزء الذي احتلته بموجب اتفاقية مدريد، وأعلنتْ موقف الحياد في قضية الصحراء الغربية. (مبارك، ٢٠١٦، ص ١٣٧).

الخاتمــة:

تُعد قضية الصحراء الغربية من أعقد المشكلات التي واجهتْ الدول الأفريقية، وأصبحتْ محل نزاع بين أطراف متعددة، كان سببها توقيع اتفاقية مدريد التي أقرتْ بموجبها تقسيم الصحراء الغربية بين المغرب وموريتانيا على أثر انسحاب إسبانيا، جاءتْ تلك الاتفاقية عكس توقعات وتطلعات الشعب الصحراوي والظروف التي وقع فيها الاتفاق، إن تلك الاتفاقية جاءتْ متعارضة مع قرارات الأُمم المتحدة، ومن ثم عدّها اتفاقية غير شرعية من منظور القانون الدولي، تلك الاتفاقية كانتْ مرآة عاكسة للصراعات على خلفية الدعم الجزائري لجبهة البوليساريو والتدخل الفرنسي والتحالف المغربي الموريتاني، إلا إن موريتانيا عدت الحلقة الأضعف في سلسلة أطراف النزاع حول الصحراء الغربية.

ويبدو أن ثمة تخطيطاً خفياً متفقاً عليه خارج حدود الصحراء الغربية لانهاك الأطراف العربية في مجموعة متتالية من المصادمات العسكرية الاستنزافية، إذ أتى ضم موريتانيا لأجزاء من الصحراء الغربية بمزيد من الفقر والضعف، وبدلاً من أن تتحول هذه الخطوة إلى نصر سياسي لها تحولت إلى عبء سياسي وعسكري واقتصادي فادح.

تسببْ ذلك النزاع في نخر جسم موريتانيا السياسي ورهلتْ في قوتها الاقتصادية والعسكري والاجتماعي، كانتْ السبب المباشر للانقلاب ١٩٧٨، للتخلص من حرب الصحراء، فقد أدرك المسؤولين الموريتانيين بأن بلادهم يمكن بسهولة أن "تبتلع" في خضم اجتياح جبهة البوليساريو للمنطقة، وكان من الطبيعي ان يدخل حكام نواكشوط في مفاوضات مع الجبهة انتهت بأبرام اتفاقية الجزائر في آب ١٩٧٩، التي انهت الوجود الموريتاني في الصحراء الغربية.

هوامش البحث:

* المجموعة الموريتانية البيضانية :- هم شعب افرزه اندماج العرب والبربر في الصحراء يتحدثون اللهجة العربية(الحسانية)، ويسكنون في موريتانيا والصحراء الغربية، جنوب المغرب ومدينة تيندوف في الجزائر وفي شمال جمهورية مالي.

انظر، المختار ، الداهية ولد محمد فال ، (٢٠١٥) ، موريتانيا وقضية الصحراء من الحرب إلى الحياد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص٦١.

* المختار ولد داده :- مناضل سياسي ورئيس أسبق للجمهورية الموريتانية الإسلامية، ولد المختار ولد داده ٢٥ كانون الاول ١٩٢٤في الجنوب الموريتاني، أتم دراسته الثانوية في موريتانيا، دخل مدرسة الترجمة، أكمل دراسته العُليا في فرنسا، درس الحقوق في باريس ومارس المحاماة، وفي عام ١٩٥٧، مثّل موريتانيا في برلمان أفريقيا الغربية، وفي عام ١٩٥٩، انتخب نائب الجمعية الوطنية الفرنسية، وكان أول رئيس لها تمكن من الحفاظ على استقلال موريتانيا وغم مطالبته المغرب بضمها إليه، أطاحتْ بنظامه في العاشر من تموز ١٩٧٨، إثر إنقلاب عسكري أفرضتْ عليه الإقامة الجبرية، وفي آب ١٩٧٩، أُفرج عنه وسُمِحَ لهُ بالإقامة في فرنسا.انظر : عبد الوهاب الكيالي، (١٩٩٤) ، موسوعة السياسة ج٦، المؤسسة العربية للدراسات ،بيروت ، ص١٢٨ .

* البوليساريو : هو اختصار باللغة الأسبانية للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، التي أُسست في العشر من آيار ١٩٧٣، وسعتْ لاستقلال الصحراء الغربية.انظر :

Ahmed Baba Miske, Front Polisario, I me d'unpeuple, Pararis, 1978;

محمد صادق صبور، (٢٠٠٦) ، مناطق الصراع في أفريقيا، دار الأمين للنشر، مصر، ص١٣٧.

* الملك الحسن الثاني بن محمد بن يوسف : - تمتد أصوله للأسرة العلوية، ولد في الرباط عام ١٩٢٩، حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من معهد الرباط، وفي عام ١٩٥٦، عُيّن رئيساً للأركان الجيش الملكي وقائد عام، وفي العام التالي أصبح ولياً للعهد، وعُيّن رئيساً للوزراء في عام ١٩٦٠، وعندما توفي والده الملك محمد الخامس عام ١٩٦١، أصبح ملكاً للبلاد واستمر في البلاد حتى وفاته في الثالث والعشرين من تموز ١٩٩٩. انظر : الخفافي ،هدى حسين ، (٢٠٠٥) ،الحسن الثاني ودوره السياسي في المملكة المغربية حتى عام ١٩٧٩، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية ، ص ١٢-٢٩؛ روم لاند، الحسن الثاني ملك المغرب، ترجمة بنجمان الداودي، الرباط المطبعة الملكية، د.ت، ص٣٠-٣١.

* فرانشسيكو فرانكو : – قائد أسباني ولد عام ١٨٩٢، تخرج من مدرسة المشاة عام ١٩١٠، قاد انقلاب عسكري عام ١٩٣٦، وعلى أثره لقب بـ(القائد الأعلى)، وفي عامر ١٩٤٨، أعاد النظام الملكي في إسبانيا وأصبح وصيه على العرش، توفى عام ١٩٧٥.انظر:

The New Encyclopedia Britannica,Vol. 4, 15 Edition , London , 2003, P.932.

الكيالي ،عبد الوهاب ، ج٤، المصدر السابق، ص٥٣٠.

المصادر

اولا: الكتب

١- المختار، الداهية ولد محمد فال، (٢٠١٥) ،موريتانيا وقضية الصحراء من الحرب إلى الحياد، الدار العربية للعلوم، بيروت.

٢- لاند ، روم ، (د.ت) ، الحسن الثاني ملك المغرب، ترجمة بنجمان الداودي، المطبعة الملكية ،الرباط .

٣- ولد شيخنا ، سيد أعمر ، (٢٠٠٩) ،موريتانيا المعاصرة، شهادات ووثائق، دار الفكر للنشر، نواكشوط، .

٤- حافظ ، صلاح الدين ، (١٩٨١) ،حزب البوليساريو، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت .

٥- تراي ،طارق مبروك ، (٢٠٠٤) ،عقبات تطبيق حق تقرير المصير في الصحراء الغربية، دار غيداء للنشر، عمان .

٦- مسعود ، طاهر ،(١٩٩٨) ،نزاع الصحراء الغربية بين المغرب والبوليزاريو، دار المختار للنشر، دمشق .

٧- عيتاني، ليلى بديع ، (١٩٧٨) ،البوليزاريو قائد وثورة، دار المسيرة، بيروت.

٨- ولدالسعد ،محمد المختار وعبد الحي ،محمد ، ت(٢٠١٤)تجربة التحول الديمقراطي في موريتانيا – السياق – الوقائع – آفاق المستقبل، أبو ظبي، مركز الدراسات الإستراتيجية، ط٢.

٩- صبور، محمد صادق ، (٢٠٠٦) ،مناطق الصراع في أفريقيا، دار الأمين للنشر, مصر.
١٠- الكتاب ،مصطفى ومحمد بادي، (١٩٩٨)النزاع على الصحراء الغربية بين حق القوة وقوة الحق، دار المختار للنشر،دمشق.
١١- بن غربي، ميلود ، (٢٠١١) ،موقف الجزائر من نزاع الصحراء الغربية في أطار المتغيرات والتحديات الوطنية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر.

ثانيا: البحوث والمجلات

١- شعلان ، جاسم ،(٢٠١١) ،مشكلة الصحراء الغربية وانعكاسها على مستقبل الأمن القومي العربي، مجلة جامعة بابل، العدد(٤) ، مج(١٩).
٢- محمود ،سيد ، (٢٠٠٥) ، قضية الصحراء الغربية مراحل التطور ١٩٩٠-٢٠٠٢، مجلة آفاق أفريقية، العدد(١٠)، السنة الثالثة .
٣- مجلة الأهرام الاقتصادي، (١٩٦٤) ،القاهرة، العدد(١)، تشرين الثاني.
٤- مجلة السياسة الدولية، (ابريل١٩٧٦)حرب الصحراء في المغرب العربي، (ملف وثائقي)، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد(٤٤) .
٥- مخلف ، هادي أحمد ، (١٩٨٥) , ا لمقومات الجيوستراتيجية للوطن العربي، مجلة آفاق عربية، العدد(٥) .

ثالثا: الرسائل والاطاريح

١- مبارك ،أيوب السايح ، (٢٠١٦)ا لاستقرار السياسي في موريتانيا وانعكاساته على السياسة الخارجية تجاه دول المغرب العربي، ٢٠٠٥-٢٠١٠، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة الحاج الحضر.
٢- فتيسي ،خديجة و قوادرية ،خولة ،(٢٠١٩) ،تأثير قضية الصحراء الغربية على العلاقات الجزائرية- المغربية ١٩٧٥-٢٠٠٠، رسالة ماجستير , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,قسم التاريخ ، جامعة ٨ماي، الجزائر.

٣- منى ، زان و سومية ، زورقي ، (٢٠١٦) ، أزمة الصحراء الغربية جذورها ودور هيئة الأُمم المتحدة ١٩٧٥-٢٠٠٣، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،جامعة الجيلالي بونعامه بخميس مليانه، الجزائر .

٤- الدليمي، عادل خليل ، (١٩٧٨) ، مشكلة الصحراء الغربية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد .

٥- محمد، عمرون ،(٢٠٠٦) ، تطور نزاع الصحراء الغربية من الانسحاب الأسباني إلى مخطط بيكر الثاني ١٩٧٥-٢٠٠٥، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر.

٦- الهادي، محمد المختار بن سيد محمد ، (٢٠٠١) ، التطورات السياسية في موريتانيا(١٩٦١-١٩٧٨)، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد .

٧- المشهداني ،منى جلال عواد ،(٢٠٠٥) ، النظام السياسي الموريتاني، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد .

٨- رحيمي، مونيه ، (٢٠٠٥) ،نزاع الصحراء الغربية في إطار السياسة الخارجية الأمريكية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم القانونية، جامعة محمد الخامس .

٩- الخفاجي، هدى حسين ،(٢٠٠٥) ، الحسن الثاني ودوره السياسي في المملكة المغربية حتى عام ١٩٧٩، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

Translated References

First: Books:

1-Al-Mukhtar, Al-Dahyia Wild Muhammad Fall, (2015), Mauritania and the Desert issue from war to neutrality, Arab Science House, Beirut

2-Land, Rom, (A.D), Hassan II of Morocco, translated by Benjamin Daoudi, the Royal Press, Al-Rabat.

3- Wild Sheikhna, Sayed Omar, (2009), Contemporary Mauritania, Testimonials and Documents, Dar Al Fikr Publishing, Nouakchott.,

4-Hafez, Salah al-Din, (1981), Polisario Party, House of Unity for Printing and Publishing, Beirut.
5-Trey, Tariq Mabrouk, (2004), Obstacles to implementing the right to self-determination in Western Sahara, Ghaidaa Publishing House, Amman
6-Masoud, Taher, (1998), The Western Sahara Conflict between Morocco and the Polisario, Dar Al-Mukhtar for Publishing, Damascus.
7-Itani, Leila Badie, (1978), The Polisario, Leader and Revolution, Dar Al Masirah, Beirut.
8-Weldal-Saad, Muhammad Al-Mukhtar and Abdel-Hay, Muhammad, T. (2014) The Experience of Democratic Transition in Mauritania - Context - Facts - Future Prospects, Abu Dhabi, Center for Strategic Studies, 2nd Edition.
9-Sabour, Muhammad Sadiq, (2006), Conflict Areas in Africa, Al-Amin Publishing House, Egypt.
10-The Book, Mustafa and Muhammad Badi, (1998) The Conflict over the Western Sahara between the Right to Power and the Power of Right, Al-Mukhtar Publishing House, Damascus.
11-Ben Gharbi, Miloud, (2011), Algeria's position on the Western Desert conflict in the context of national changes and challenges, the Treasures of Wisdom Foundation, Algeria.

Second: Researches and Journals

1-Shaalan, Jasim, (2011), The Problem of Western Desert and its Reflection on the Future of Arab National Security, Babylon University Journal, No. (4), Journal (19).
2- Mahmoud, Sayed, (2005), Western Desert issue, stages of development 1990-2002, Afaq Afriqiyah magazine, No. (10), third year
3-Economic Pyramids Journal, 1964, Cairo, No (1) November.
4-International Policy Journal, (April 1976), Desert War in Arabic Morocco, (Documental File) Cairo, Al-Ahram Institution, No (44).
5- Mukalaf, Hadi Ahmed, (1985), Geostrategic Elements of Arabic Nation, Arabic Horizontal Journal, No (5).

Third: Thesis

1-Mubarak, Ayoub Al-Sayeh (2016), Political Stability in Mauritania and its reflect on external policy towards Arabic Morocco Countries, 2005-2010, Master Thesis, Political Science college, Al-Haj Hadar University.

2- Ftisi, Khadyja and Quadryia, Kahwla, (2019), The Effect of western desert on Algerian - Moroccan Relations - 1975-2000, master thesis, social and inhumanity college of science, history dept. 8 may, Algeria.

3- Muna, Zan and Somyia, Razouki, (2016), Eastern Desert Crisis its roots and the role of United Nations Affairs 1975-2003, Master Thesis, social and inhumanity college of science, History Dept., Algerian University, Bona'ma Baqmees, Algeria.

4- Al-Dulymi, Adeel Khaleel, (1978), The Eastern Desert Problem, Master Thesis (Unpublished) , College of Political Science, University of Baghdad.

5- Muhammad, Amron, (2006), the development of Easter Desert conflict from Spanish withdrawal to Second Baker Plan 1975-2005, Master Thesis, Political Science college, University of Algeria.

6- Al-Hadi, Muhammad Al-Mukhtal Bin Sayed Muhammad (2001), Political Development in Mauritania, Master Thesis, (un published), College of Arts, University of Baghdad.

7- Al-Mashhdani, Muna Jlal Awad, (2005), Mauritania Political Regime, Mater Thesis, (un published) College of Political Science, University of Baghdad.

8- Rahimi, Mounyah, (2005), Eastern Desert Conflict in Frame of External American Policy, Thesis of Doctorate, College of Law Science, Fifth Muhammad University

9- Al-Khfaji, Husa Hussein, (2005), Al-Hasan II and his political role in Moroccan Kingdom till 1979, master thesis, (un published thesis), College of Education, Al-Mustansryia University.

رابعا: المصادر الاجنبية

1-John Damis, Escalation in the west Sahara, in middle East International, 20 July, 1979.

2- Francois Beslay, Les Raguebates delapaix Francaise au Front Polisario, L'Harm attan, Paris, 1984.

3 -Marchesin, Trubisethniest Pouvoir enmauvitaine, Paris, 1992

4-Ahmed Baba Miske, Front Polisario, I me d'unpeuple, Pararis, 1978.

5-Attilio Gaudio, LeDessier de Mauritanie Novelle Ed Latines, Paris, 1978 .

6-Jeffery Mr.Schulman, Wars of Liberation and International Systemi Western Sahara- a case in point "In Irving Leonard Markovits Ed, Studies in Power and class in Africa", NewYork, 1987.

7-John Damis, Conflict in North-west Africa: The western Sahara Dispute, Californing, 1988,.

8-Attilio Guadio, LeDeossier du Sahara Occudental, Nouvelle Ed Latines, Paris, 1978,.

9-Lawless and Laila Monahaned, War and Refugees The western Sahara Conflict, NewYork, 1987.

8-LeMond, Paris, du 4 July,1977 10-Keith Somerville, Foreign Military International in Africa, London, 1990,.

خامسا : الموسوعات العربية والاجنبية

١- الكيالي ، عبد الوهاب ،(١٩٩٤|) ، موسوعة السياسة ج٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

.

2- The New Encyclopedia Britannica,Vol. 4, 15 Edition , London , 2003

Fifth Translated Encyclopedia

Fifth: Al-Gaily, Abdul Wahab, (1994), Political Encyclopedia , Vol. 6, Arabic Establishment of Studies and Publications, Beirut

كوكب حفني ناصف (١٩٠٥- ١٩٩٩)
أول طبيبة جراحة مصرية
- دراسة تاريخية -

أ.م . وفاء خالد خلف

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

قسم التاريخ

كوكب حفني ناصف (١٩٠٥- ١٩٩٩) أول طبيبة جراحة مصرية
- دراسة تاريخية -

أ.م . وفاء خالد خلف

الخلاصة

حصلت على منحة دراسية لدراسة الطب في انكلترا عام ١٩٢٢ من خلال بعثة ضمت أول خمس طالبات يدرسن الطب هناك. وعند عودتها في عام ١٩٣٢ تعلمت الجراحة على يد الدكتور نجيب باشا محفوظ لتصبح أول جراحة مصرية. عملت كوكب طبيبة في مستشفى كتشنر لمدة ٣٠ عام، وكانت أول من تولت رئاسة المستشفى بعد تغير اسمه الى مستشفى شبرا العام. وكانت اول من تتقلد منصب (حكيمباشي) من المصريات. أسست اول مدرسة للتمريض في مصر وهي أول امرأة تنضم لعضوية نقابة الأطباء.

أفنت حياتها بهذه المهنة الانسانية الى ان توفت رحمها الله في ايلول عام ١٩٩٩.

Absitricacher

In 1922, She received a scholarship to study medicine in Britain, together with five other female students. Upon her return in 1932, She was taught surgery by D.Naguib pasha Mahfuz, to become the first female surgeon in Egypt. She was hired at Kitchener's charity hospital, worked there for 30 years and become its first director after its name was changed to General hospital in shubra and was the first Egyptian female chief physician. She also founded the first nursing school and was first female physician to join the syndicate of medical doctors. She is dead in 1999.

المقدمة

استطاعت المرأة دخول العديد من المجالات التي كانت مقتصرة فقط على الرجال، وايضاً في الوقت الذي لم يكن مُتاح حق التعليم للمرأة.

تمتعت كوكب حفني ناصف بحظ وفير وذلك بسبب نشأتها الأسرية التعليمية إذ حرص والدها على تعليم اولاده وحصلت أختها الكبرى على الشهادة الابتدائية كأول فتاة

تحقق ذلك، وهو ما انعكس بطبيعة الحال على الأخت الصغرى وهي كوكب. إذ شجعها والدها على اكمال دراستها وهو ما حدث بالفعل، واصبحت الفرصة سانحة لها اذ حصلت على منحة لدراسة الطب وذلك عام ١٩٢٢، واستطاعت ان تتعلم الجراحة لتصبح فيما بعد اول جراحة في مصر. ثم عادت وانضمت لمستشفى كتشنر في مصر والتي تحولت فيما بعد الى مستشفى جامعي مصري. وحصلت كوكب على لقب حكيمباشي وكذلك انضمت لعضوية نقابة الأطباء واستطاعت انشاء اول مدرسة للتمريض. وبذلك تكون هذه السيدة الفاضلة مناراً ونموذجاً للمرأة المتعلمة التي مثلت المجتمع بأكمله وليس نصفه.

ولادتها ونشأتها

ولدت كوكب حفني ناصف[١] في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٥[٢]، في حي الجمالية بالقاهرة، نشأت في عائلة مصرية من الطبقة المتوسطة وكانت أصغر الاخوة والاخوات، اهتمت هذه الأسرة بتعليم كل ابنائها وبناتها[٣].

أثر والدها عليها

الأب وُصف بأنه مُحباً للعلم، لأنه يعتبر ان حب المعرفة هو مفتاح الشخصية، فهو خريج الأزهر الذي عمل مدرساً في مدرسة المكفوفين، وانتدب للتدريس في مدرسة الحقوق، ثم عمل قاضياً، ثم مفتشاً للتعليم، وشارك في تأسيس الكثير من الهيئات التعليمية وكان من مؤسسي الجامعة المصرية[٤]. كان للأب اثراً بالغاً على بناته وأبنائه، وتحديداً كوكب وملك، وهي الأخت الكبرى لكوكب في اسرة مكونة من تسعة أفراد، الأب والام وثلاث بنات اكبرهن مَلك (١٨٨٦- ١٩١٨)، ثم حنيفة (١٨٩٨- ١٩٧٣) وكوكب (١٩٠٥- ١٩٩٩)، وأربعة اولاد، جلال الدين (١٨٨٩- ١٩٦٠) ومجد الدين (١٨٩١- ١٩٧٨) وعصام الدين (١٩٠٠- ١٩٧٠) وصلاح الدين (١٩٠٢- ١٩٧٧)، تقلدوا جميعهم أعلى المناصب[٥].

عُرف حفني ناصف شاعراً وحسن القول وطيب الكلمة، ورثى محمد عبده[٦] وكذلك الشاعر الكبير حافظ ابراهيم، وكتب قصيدة عندما احيل على التقاعد اذ يقول[٧]:

برزت في سحر البيان شابيه فيه مفرقي
فقضيت عمري والبلاغة سابقاً لم الحق

فـات الكثيـر مـن الحيـاة وقــل منهــا مــا تبقــى

أما عن الأم، فهي بالطبع تقدر قيمة العلم رغم عدم التحاقها بالمدارس، لكنها تعلمت في البيت واشبعت حبها للمعرفة والقراءة[٨].

وتذكر كوكب اهتمام والدتها بمعرفة اخبار الناس والمجتمع والسياسة وبراعتها في حل المسائل الحسابية المعقدة دون ان تلجأ الى الورقة والقلم، قائلة: "كانت تحب التعليم وتشجع عليه وفي ايامها لم تكن المدارس موجودة ، ولكن تعليمها جاء عن طريق زوجها الذي علمها القراءة والكتابة حتى اصبحت تستطيع قراءة الجرائد ومتابعة الأخبار التي تجري في البلاد وتخبر بها سكان منطقتها "[٩].

وكما للأم والاب دور فعال في تكوين شخصية كوكب، كان للاخوات دور مهم في نشأتها، خاصة شقيقتها باحثة البادية ملك حفني، والتي لعبت دوراً في نشأتها وتلقينها الشعر والاخلاق الحميدة، وهو ما تحدثت عنه كوكب مؤكدة ان الحزن اصاب جموع الناس عند وفاتها. تقول كوكب عن شقيقتها: "ملك عايشة طول عمرها، وانا قعدت في انكلترا (١٢) سنة صورتها كانت قدامي، مش على انها راحت، انما على انها موجودة، ملك خلقتني قبل ما تموت وعملت مني حاجة بعد ما ماتت ربتني في الحالتين لأنها هي علمتني.. كانت بتعلمني الشعر، انا اعرف شعر عربي كثير قوي بسببها، وهي الي علمتهولي قبل وفاتها"[١٠]. وقد كانت اختها (رحمها الله) مؤلفة للعديد من الكتب[١١].

مما لاشك فيه تبدو حياة كوكب حفني ناصف خليطاً بين السياسة والعلم والادب وهو شيء ليس غريباً اذ كان للأدب والاخوة والاخت دوراً كبيراً في هذه الناحية اذ كانت ميول والدها ازهرية وطنية ومن المقاومين للاحتلال، وهو رجل القانون والشاعر العظيم، وهذا الأمر الذي ساعد على توسع مداركها السياسية اضافة الى وجود شقيقها جلال الدين ومجد الدين اللذين كانا من تيارات الحركة الطلابية المصرية[١٢] خلال ثورة ١٩١٩[١٣].

دراستها ودورها في ثورة ١٩١٩

ألحقها والدها بالمدرسة السنية، وهي من اوائل مدارس البنات في مصر[١٤]، واستمرت بها فترة، الا انها فصلت منها عام ١٩١٩،بسبب مشاركة المرأة في ثورة ١٩١٩، حيث كانت اول مظاهر هذه المشاركة هذه المظاهرة النسائية التي قامت بها السيدات يوم ١٦ آذار (مارس) من اجل التعبير والتأييد للثورة واحتجاجهن على نفي زعيم الأمة سعد زغلول [١٥].

ثم قامت صفية زغلول[١٦] بقيادة مظاهرة للمرأة المصرية لمساندة الثورة الوطنية واحتجاجاً على نفي زوجها سعد زغلول وسقوط عدد من الشهيدات أمثال: حميدة خليل وفاطمة محمود وغيرها.

شاركت المراءة المصرية في الثورة ، وخرجت الى جانب الرجل ، كما عملت على قطع اسلاك الهاتف ، والعبث بقضبان سكة الحديد من اجل عرقلة حركة القطارات للقوات البريطانية وضحت بنفسها حتى استشهدت[١٧] كما ذكرنا .

وكما ذكرنا تم فصلها وذلك من خلال مشاركتها في مظاهرة ضد الاحتلال الانكليزي، ودعت زميلاتها كذلك للمشاركة، وكانت منيرة روفائيل ابرز زميلاتها، مع مجموعة من الطالبات الأخريات بإشعال الاحتجاجات داخل مدرستها ومدرسة البنين كذلك ، وأدى هذا الى قيام ناظرة المدرسة الانكليزية (المدرسة السنية) بطردها من المدرسة وهي مس (هاردينج) وكانت تصفها بزعيمة المشاغبات، وفصلها من المدرسة لمدة عام مع زميلاتها، وعلى اثر هذا الحادث تقول كوكب عن دورها في الثورة: "دخلت السنية وشاركت في ثورة ١٩١٩، وانا متحمسة للثورة لدرجة اشغلت المدرسة كلها اربع سنين، وكانت برفقتي منيرة روفائيل، وبعض البنات، واحدثنا مشاغبات بالمدرسة وكذلك على مدارس الصبيان، لكن الناظرة المدرسة مس (هاردينج) قد اخبرت المخابرات عن هذا الاضراب لهذا اتخذت الحكومة قرار فصلنا عن المدرسة "[١٨].

مما لا شك فيه تبدو حياة كوكب حفني ناصف خليطاً بين السياسة والعلم والادب ، وهو شيء ليس غريباً أذ كان للأب والاخوة والاخت دوراً كبيراً في هذه الناحية ، إذ كانت

ميول والدها ازهرية وطنية ومن المقاومين للأحتلال ، وهو رجل القانون والشاعر العظيم ، وهو الامر الذي ساعد على توسع مداركها السياسية اضافة الى وجود شقيقيها جلال الدين ومجد الدين اللذين كانا من قيادات الحركة الطلابية المصرية خلال ثورة ١٩١٩ [١٩]

بعد انتهاء مدة الفصل ، رغبت كوكب في الالتحاق بمدرسة الحلمية الجديدة الحكومية، رغم وجود قانون يحظر التحاق اي فرد بمدرسة حكومية في ظل فصله من اخرى، ولاقت الكثير من العداء من مس (هاردينج) التي اتهمتها بالعداء ضد الانكليز، لكنها تمكنت من الالتحاق بمدرسة الحلمية[٢٠].

بعد مشاركتها وعدد من زميلاتها في مظاهرات الثورة ضد الاحتلال الانكليزي، لكنها واصلت بعد ذلك تعليمها المدرسي في مدرسة الحلمية، حتى حصلت على منحة دراسية في لندن لدراسة الطب[٢١]، وكانت من بين خمس مصريات فقط نلن هذه الفرصة، وكانت ابرزهن (هيلانه سيد اروس). ويبدو انها ما كانت ان تحقق حلمها لولا وجود والدتها والتي اهتمت بمتابعة ابنائها لاسيما بعد وفاة الأب، وقد شجعت والدة كوكب ابنتها للسفر في هذه البعثة والتي استغرقت عشر سنوات[٢٢].

كما كان لاختها ملك حفني ناصف والمعروفة بـ(باحثة البادية) دوراً كبيراً في قوة شخصيتها وتأثيرها الواضح عليها، لكونها شاعرة واختها الكبرى[٢٣].

بعثة الطب بعد الإقالة

جاءت أول خطوة في تحقيق حلم كوكب، حينما تم ترشيحها لبعثة كتشنر[٢٤] للبنات في الطب للحصول على الشهادة التوجيهية ودراسة الطب في لندن. ورغم تصدي الناظرة لها، فقد تمكنت من السفر في عام ١٩٢٢ نظراً لمساندة بعض الشخصيات المصرية العامة لها كما جاء في حديثها، فحصلت على التوجيهية الانكليزية والتحقت بكلية الطب وعملت في مستشفى راهبات، ورغبت كوكب في التخصص بامراض النساء والولادة، وبالتالي طالبت بنقلها الى مدينة دبلن بايرلندا نظراً لتوافر كلية متخصصة في امراض النساء والولادة هناك، ومكثت بدبلن لمدة عام وحازت على دبلوم في هذا التخصص[٢٥].

تم الاحتفال بأولى الخريجات وذلك في شباط (فبراير) ١٩٣٢ وكان هناك عدد كبير من اعلام وعظماء مصر لحضور حفل الاحتفال فكانت ضمن الدفعة الاولى للخريجات كوكب حفني ناصف وكانت قد اعتذرت وذلك بسبب وجودها بالصعيد[٢٦].

وقد تعلمت كوكب الجراحة على يد الدكتور (نجيب محفوظ)[٢٧] وهو استاذ طب النساء والولادة بمدرسة الطب بالقصر العيني، ورائد علم امراض النساء والولادة في مصر والعالم العربي والغربي، والذي سمح لها باقامة سبع عمليات في يوم واحد[٢٨]. وعملت في بداية مشوارها الطبي في مستشفى كتشنر الانكليزي (شبرا العام حالياً)[٢٩]، وبعد ان اثبتت كفائة تقلدت منصب (حكيمباشي) بعد ان كان قاصراً على الانكليزيات ، واستمرت بالعمل فيه على امل ان ترى هذا المستشفى مصرياً، وحتى بعد اعلان بريطانيا دخول الحرب العالمية الثانية واستقالة عدد من العاملين والعاملات فيه وبالفعل تحول فيما بعد الى مستشفى جامعي مصري، ثم خضع لإشراف وزارة الصحة في عام ١٩٦٤[٣٠].

هي أول امرأة تنضم لعضوية نقابة الأطباء، واستمرت في ممارسة مهنة الطب لأكثر من ثلاثين عاماً.

حياتها الأسرية:

تزوجت كوكب في سن السابعة والثلاثين من احد الأطباء المصريين وهو حسن مدكور، واستمرت في وظيفتها حتى تقاعدت عام ١٩٦٥، حصلت على دكتوراه امراض النساء والولادة من جامعة دبلن[٣١]، وقد كتبت السفارة الألمانية بالقاهرة عنها: "أول سيدة تمارس الطب في الجراحة وتدرس التمريض في مصر.. أول مصرية تتقلد منصب حكيمباشي عام ١٩٦٢.. أسست أول مدرسة للتمريض في مصر.. أول طبيبة تجري عمليات الولادة القيصرية في مصر.." [٣٢].

السفر للسعودية:

في عام ١٩٣٨، طالبها عميد الطب علي باشا ابراهيم بالذهاب الى السعودية، بناءً على طلب الملك عبد العزيز آل سعود[٣٣]، لتعمل في السعودية كطبيبة لحريم الملك وهو الأمر الذي يوضح السمعة العالية والطيبة التي حظيت بها هذه الدكتورة. عادت الى مصر

عام ١٩٤١، واستأنفت عملها رغم استقالة عدد من العاملين بالمستشفى بعد اعلان بريطانيا دخول الحرب، وكان حلمها ان تتحول لمستشفى حكومي[٣٤]، وبالتدريج انشئت ، وكانت كوكب اول فتاة تمارس مهنة الطب في مصر، وكانت هناك عدة عوامل ساعدت في الظهور هو الدعوة لحقوق المرأة في التعليم ومساواتها بالرجل في مجال الحقوق والعمل، وبلغت حداً اكثر جرأة عندما تناول مفكرو عصر النهضة وكُتّاب المسرح في اواخر القرن التاسع عشر قضية المرأة[٣٥].

تعد كوكب اول طبيبة نقابية مصرية في نقابة الأطباء واول طبيبة تجري عمليات الولادة القيصرية في مصر، وقد اسست اول مدرسة للتمريض في مصر[٣٦].

كما ذكرنا تحولت المستشفى الى حكومية ، وأصبح هناك ممرضات مصريات مدربات جيداً ثم تحول لمستشفى جامعي ونالت كوكب منصب الطبيبة في قسم الاطفال في الاسبتاليا ولها عدة مقالات في هذا الشأن[٣٧].

وفي عام ١٩٦٤ اصبح المستشفى تحت اشراف وزارة الصحة كما ذكرنا سابقاً.

كرّم الرئيس انور السادات[٣٨] كوكب حفني وحصلت على جائزة الدولة التقديرية في العلوم والفنون تقديراً لجهودها في مجال الطب، كما كرمتها السيدة هدى شعراوي[٣٩] مع عدد من الرائدات المصريات في المجالات المختلفة، مثل سهير القلماوي، اول امرأة تخرجت من كلية الآداب، ولطيفة النادي، اول امرأة تقود طائرة[٤٠].

استمرت كوكب حفني ناصف في وظيفتها حتى تقاعدت عام ١٩٦٥، وعمرها ٥٣ عاماً، وتفرغت لتربية احفادها[٤١].

وفاتها:

توفيت كوكب حفني في ٤/ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٩٩ بعد حياة مليئة بالعلم والعمل والعطاء، وبعد هذا العطاء تحققت امنيتها عندما قالت: "اتمنى ان يتذكرني الناس كطبيبة، الطب هو صنعني ومن علمني"[٤٢].

الخاتمة

رائدة من الرائدات المصريات في تاريخ مصر، أفنت حياتها في خدمة مجتمعها من خلال مهنة الطب، وهي بذلك تكون قد تفردت بهذه المهنة بعدما كانت حكراً على الرجل، وبذلك كانت قد فتحت الباب واسعاً امام الأجيال التي جاءت من بعدها، وقدمت لهُنّ خدمة ملموسة بعد ان حملت على كاهلها متاعب حرب الدخول الاول، وأزالت عنهن هذا العبء، من خلال حياتها يمكننا ان نخلص ببعض النقاط ابرزها:

١- حظيت كوكب بحظ وافر من اسرتها لاسيما والدها والذي كان يدرك قيمة التعليم، والذي كان حريصاً على ان تحصل ابنته على التعليم في وقت يمكن ان يوصف بعصر الظلام بالنسبة للفتيات.

٢- لها حس وطني هي واخوانها وهو ما ظهر من خلال مظاهرات عام ١٩١٩ ضد الانكليز.

٣- اثبتت جدارتها كطبيبة ناشئة وبعد ان اثبتت تفوقها وكفاءتها بالعمل اصبحت أول مصرية تتقلد منصب (حكيمباشي) بعد ان كان هذا الأمر مقتصراً على الانكليزيات.

٤- استمرت في ممارسة الطب لأكثر من ٣٠ سنة، وخلال مسيرتها فقد كرمت من قبل الدولة تقديراً لجهودها خلال مسيرتها.

هوامش البحث

(١) حفني ناصف (١٨٥٥- ١٩١٩): هو محمد الحفني بن محمد اسماعيل خليل ناصف، ولد في ١٦ ديسمبر ١٨٥٥ ببركة الحج، من اعلام مدينة القليوبية، توفي والده وهو مازال جنيناً في بطن امه، فكفله خاله وجدته لأبيه، التحق بكتاب القرية لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، أعاد حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشر من عمره، التحق بالأزهر لتحصيل العلم وظل به من سنة ١٨٦٩ حتى ١٨٧٩. وقد اصيب باكتئاب بعد وفاة ابنته ملك اذ انها توفيت شابة في عام ١٩١٨، وبعد عام من رحيلها رحل هو الآخر للرفيق الأعلى . ينظر : ويكيبيديا، حفني ناصف، ص١، Wikipedia.org. p.1.

(٢) هشام نصر، نساء ضد التيار ورائدات العمل النسائي في مصر، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، القاهرة، ٢٠٠١، ص٤٨.

(٣) أنيس منصور، موسوعة المرأة عبر العصور، شركة نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص١٤٨.

(٤) انشئت جامعة القاهرة عام ١٩٠٨ باسم (الجامعة المصرية) من قبل أفراد الشعب الذين تبرعوا لها بالمال. وابتدأت بكلية الآداب التي استوفدت بعض العلماء الغربيين للتدريس بها، وفي عام ١٩٢٥ ضمت الجامعة الأهلية الى الحكومية وادمجت فيها مدرستا الطب والحقوق. وأسست كلية جديدة للعلوم. وفي عام ١٩٣٥ تم إدماج مدارس الهندسة والزراعة والتجارة العليا ثم الطب البيطري في الجامعة. كان للجامعة مطبعة تطبع بحوث الأساتذة والمجلات العلمية للكليات. لها فروع بالخرطوم ضمت كلية الآداب وأخرى للحقوق. ينظر: دائرة معارف الشعب، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٨٧، بحث لخليل صابات ج٤، ص٦٢؛ الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، بيروت، ص ٦٠٥- ٦٠٦.

(٥) هدى الصده، وعماد ابو غازي، مسيرة المرأة المصرية علامات ومواقف، ط٢، مطابع الشرطة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٨٤؛ أمير محمد، ستات البلد (كوكب حفني ناصف)، ص١؛
eritage.weladelbalad.com, p.1؛ كوكب حنفي ناصف، wlahqwogohokhra .com.p1.

(٦) محمد عبده (١٨٤٥-١٩٠٥) : من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة وكبار الدعاة الى التجديد والإصلاح في العالم الاسلامي ، ولد بحملة نقسر محافظة البحيرة ، حفظ القرآن الكريم ثم التحق بعدها بطنطا ، وبعدها قصد الازهر حيث اتجاه الى دراسة العلوم الطبيعية والتاريخية الى جانب الدراسات الاسلامية ، التقى بجمال الدين الافغاني والذي شاركه الراي بضرورة محاربة الاستعمار والطغيان في البلاد الاسلامية عام ١٨٨٩، اذن له بالعودة لمصر واشتغل بالقضاء ، الى ان اصبح مفتياً للديار المصرية واستمر يشغل هذا المنصب حتى وفاته . ينظر : جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق ، ج١، القاهرة ، ١٩١٠ ؛ عثمان امين رائد ، الفكر المصري محمد عبده ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

(٧) ست الستات (كوكب حفني ناصف) https//Nlahawohohokhra.com. حفني ناصف، حياة اللغة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٥٨.

(٨) ملك حفني ناصف، هدى الصدى واخر ، المصدر السابق ، ص١١.

(٩) مقابلة مع كوكب من قبل مؤسسة المرأة والذاكرة، ١٢ يناير ١٩٩٨، ص١.

(١٠) اميرة محمد، ستات البلد (كوكب حفني ناصف)، ١٩ ابريل/ ٢٠١٩، ص١؛ .eritage.weledelbalad.com.p4

(١١) للتعرف على اسلوب ملك في الكتابة ينظر: ملك حفني ناصف، النسائيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

(١٢) منى إمام، كوكب حفني ناصف رائدة الطب في مصر، مقال في جريدة اخبار اليومم، ص١؛ m.akbharelyo.com. p.1

(١٣) ثورة ١٩١٩ : قادها سعد زغلول، حدثت نتيجة تذمر الشعب المصري من النفوذ البريطاني وتغلغله في شؤون الدولة وفرض الحماية واعلان الاحكام العرفية، بدأت الثورة يوم ٩ مارس (آذار) ١٩١٩، واستمرت حتى عام ١٩٢٢، وبدأت نتائجها تتبلور عام ١٩٢٣، بإعلان الدستور والبرلمان. للتفصيل ينظر: عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩، القاهرة، ١٩٥٥، ج١، ص١٨؛ جلال يحيى وآخرون، الوفد المصري (١٩١٩- ١٩٥٢)، القاهرة، ١٩٨٤، ص٨٨-٩٠.

(١٤) للتعرف اكثر على المدارس التي انشأها الخديوي اسماعيل ينظر: علي ابراهيم عبدة، مصر وافريقيا في العصر الحديث، المكتبة التاريخية، القاهرة، دار القلم، ص٣١-٣٣؛ امين سامي باشا، تقويم النيل، المجلد الاول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦، ص٣٨، ص٥٠.

(١٥) سعد زغلول: سياسي مصري ورجل دولة كبير، ولد عام ١٨٦٠، حصل على الليسانس في الحقوق، عمل في جريدة (الوقائع المصرية) عمل في وزارة الداخلية، شغل منصب وزير المعارف سنة ١٩٠٦ والعدلية سنة ١٩١١، الف الوفد برئاسته سنة ١٩١٨، ونفي الى مالطا وادى ذلك الى تفجير ثورة ١٩١٩، ثم نُفي الى سيشل في سنة ١٩٢١، وعاد الى مصر في سنة ١٩٢٣، فاز بانتخابات ١٩٢٤ فألف وزارته الوحيدة، استقال في نهاية السنة المذكورة ليكتفي بمنصب رئيس مجلس النواب حتى وفاته في آب (اغسطس) ١٩٢٧، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، المصدر السابق ، ص٩٨١؛ للمزيد ينظر: سعد زغلول سيرة وتحية، بلا.ت، القاهرة، ص٢٧؛ سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية، القاهرة، بلا، ص٢٥٩.

(١٦) صفية زغلول : ولدت عام ١٨٧٨ ، ولدها مصطفى فهمي باشا كان من اوائل رؤساء الوزراء في مصر ، تزوجت من سعد زغلول وعاصرته في عمله السيسي والثوري ، اطلق عليها لقب (ام المصريين) لمواقفها من اجل المطالبة بالاستقلال عام ١٩١٩ ، ودعت سيدات مصر لمقاطعة

البضائع الانكليزية . توفيت عام ١٩٤٦ . ينظر : احمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية ، ترجمة هديل شرف واخرون ، دار الجماهير للصحافة ، القاهرة ، ص٦٦.

(١٧) عبد الرحمن الرافعي ، في اعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ ، مؤسسة دار الشعب للطبع ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٢١١ ؛ درية شفيق ، المراءة المصرية من الفراعنة الى اليوم ، مطبعة مصر ، (القاهرة ، د.ت) ، ص١١٩.

(١٨) أحمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص٩١؛ منى إمام، كوكب حفني ناصف رائدة الطب في مصر، ص١، مقال في جريدة اخبار اليوم. M.akbharelyom.com.

(١٩) منى امام ، كوكب حفني ناصف رائدة الطب في مصر ، مقال في جريدة أخبار اليوم ، ص١ . M.akbharelyom.com

(٢٠) انيس منصور، موسوعة المرأة عبر العصور، ص١٤٨؛ بوابة اخبار اليوم، اليوم العالمي للمرأة كوكب حفني ناصف رائدة الطب في مصر، ٢٠١٩، ص١. https://m.akhbarelyom.com.

(٢١) هشام نصر، نساء ضد التيار ورائدات العمل النسائي في مصر، القاهرة، د.ت، ص١٢٠.

(٢٢) انيس منصور، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٢٣) هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، ط١، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠١٨، ص٤٨٨.

(٢٤) كتشنر: هو راشيد هيربورت كتشنر: ولد في سنة ١٨٥٠ بايرلندا، درس في المدرسة الهندسية الملكية، عمل في مصر واصبح سردار الجيش المصري، ارسل للسودان، ليكون القائد العام للجيش البريطاني الذي أعاد احتلال السودان، بعد ذلك اصبح المعتمد البريطاني في مصر (١٩١١- ١٩١٤)، توفي سنة ١٩١٦. ينظر:Every Man's, Encyclopedia, London, p.500؛ محمود ابو القاسم حاج حمد، السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل، مصر، ١٩٨٠، ص٥١؛ وفاء وليد حسين العزاوي، اللورد كتشنر ودوره السياسي والعسكري في مصر والسودان (١٨٩٦- ١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية ٢٠٠٥، ص٥-١٥.

(٢٥)هشام نصر، نساء ضد التيار ورائدات العمل النساء في مصر، ص٤٨؛ سلمى محمد، كوكب حفني اول جراحة مصرية، جريدة الوفد، ٢٦ نوفمبر ٢٠١٧، https:m.alwafd.news؛ هشام نصر، نساء ضد التيار ورائدات العمل النساء في مصر، ص٤٨.

(٢٦) هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، ص٤٨٨.

(٢٧) هو نجيب باشا ميخائيل محفوظ ولد في المنصورة في ٥/ يناير/ ١٨٨٢، وهو استاذ طب النساء والولادة بمدرسة الطب العيني وهو رائد علم امراض الناء والولادة في مصر والعالم العربي زوجته السيدة فائقة عزمي، انجبت له ولداً وحيداً، توفي في ٢٥ تموز ١٩٧٤ عن عمر يناهز الـ ٩٢ عاماً. سُمي باسمه احد الأطفال الذين شارك في ولادته بعد ولادة عسيرة وهو الذي اصبح فيما بعد اديب نوبل (نجيب محفوظ). انيس منصور، المصدر السابق، ص١٤٧

(٢٨) انيس منصور، المصدر السابق، ص١٤٨؛ احمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ص٩١.

(٢٩) محمود عبد الوارث، قصة اول جراحة مصرية، المصري لايت، ٦/ ايلول/ ٢٠١٧، ص١. .Lite.almasryalyoum.com

(٣٠) للتعرف على واقع مصر خلال الحرب العالمية الثانية ينظر : أياد عايش محمد الكبيسي ، التطورات السياسية والاقتصادية في مصر خلال الحرب العالمية الثانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الانبار ، ٢٠٠٩م ؛ ويكيبيديا، كوكب حفني ناصف، ص١، wikipidia, .https//genderiyya.xyt.p1

(٣١) ويكيبيديا، كوكب حفني ناصف، ص١.

(٣٢) أحمد رجائي، المصدر السابق، ص٩١؛ حنان عبد الهادي، السفارة الألمانية تحتفي بكوكب حفني ناصف في يوم المرأة العالمي، ٨/ آذار/ ٢٠٢٠، ص١، ttps//ww.vetagat.com. p1.

(٣٣) الملك عبد العزيز آل سعود: (١٨٧٦- ١٩٥٣) ملك المملكة العربية السعودية الأولى، تمكن في عام ١٩٠٠ من الاستيلاء على الرياض وضم المناطق المجاورة لها. قضى على دولة الهاشميين بقيادة الملك حسين بن علي وابنه علي بن الحسين في الحجاز عام ١٩٢٥. واعلن في عام ١٩٢٣ قيام المملكة العربية السعودية. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة القاهرة، ج١، ص٨٣٦.

(٣٤) كوكب حفني ناصف، https://wlahaygohokhra.com.

(٣٥) وطفاء حمادي، سقوط المحرمات ملامح نسوية عربية في النقد المسرحي، دار الساقي، القاهرة، ٢٠١٧، ص٢٠٠.

(٣٦) أحمد رجائي، المصدر السابق، ص٦١؛ المرأة والذاكرة (كوكب حفني ناصف)، ١٩١٥، ص١.

(٣٧) كوكب حفني ناصف، مقال بعنوان (تأثير صحة الأم في صحة الطفل)، ج٤، المجلد ٩٠، جريدة المقتطف، ص٦٧، ١/نيسان/ ١٩٣٧، العدد٤.

(٣٨) أنور السادات: ولد في ٢٥ كانون الأول ١٩١٨ في محافظة المنوفية، التحق بالمدرسة الحربية في العباسية ورقي الى رتبة ضابط عام ١٩٣٨، وعين في قسم المواصلات السلكية واللاسلكية، وبعد الحرب العالمية الثانية دخل الى مجال السياسة، وفي تشرين الاول القى البريطانيون القبض عليه بتهمة التعاون مع الالمان لكنه تمكن من الهرب، أحد الضباط الذين شكلوا المجلس الثوري، وفي يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢ كان هو المسؤول عن احتلال مبنى الاذاعة، وفي ١٨ كانون الاول عام ١٩٦٢ عين نائباً لرئيس الجمهورية وانتخب في عام ١٩٦٨ عضواً في اللجنة المركزية التابعة للاتحاد الاشتراكي، عين في عام ١٩٦٩ نائباً لرئيس الجمهورية للمرة الثانية، وبعد وفاة جمال عبد الناصر تولى منصب رئاسة الجمهورية، تم اغتياله بحادثة المنصة الشهيرة عام ١٩٨١. للمزيد ينظر: انور السادات، البحث عن الذات (قصة حياتي)، ط٣، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٩.

(٣٩) هدى الشعراوي: (١٨٧٩- ١٩٤٧) كريمة محمد سلطان باشا أول رئيس مجلس نيابي في مصر، عاشت في القاهرة، أسست الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣ وهو اتحاد يطالب بحقوق المرأة انشئت مدرسة ومشغلاً مهنياً لتعليم البنات مجاناً، وأسست دار العلاج مجاناً ومثلت المرأة المصرية طوال ربع قرن في المؤتمرات الدولية، وكانت اول من رفع الحجاب في القاهرة عام ١٩٢٣، اسست الاتحاد النسائي العربي عام ١٩٤٧ وطالبت بمساواة الجنسين في التعليم وفي الحقوق النيابية كما طالبت بتعديل قانون الطلاق وتعدد ا لزوجات وحضانة الاولاد. ينظر: لمعي مطبعي، موسوعة رجال ونساء من مصر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٤٥- ١٥٣؛ سارة صبار حمود عبود الحمزاوي، هدى شعراوي رائدة حركة التغيير في واقع المرأة العربية (١٩٤٧- ١٩٧٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ص٢٠١٥، ص١٥.

(٤٠) هدى الصدى وعماد ابو غازي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٤١) هدى الصدة وعماد ابو غازي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٤٢) ويكيبيديا، كوكب حفني ناصف، ص١، https://wiki.genderiyya.xyt.

المصادر

١- أحمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية ، ترجمة : هديل شرف واخرون ، دار الجمهورية للصحافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٢- أمين سامي باشا، تقويم النيل، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦.

٣- أنور السادات، البحث عن الذات (قصة حياتي)، ط٣، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٩.

٤- أنيس منصور، موسوعة المرأة عبر العصور، شركة نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.

٥- بنات النيل ولقطات من حركات نسائية (١٩٠٠- ١٩٦٠)، القاهرة، كتاب معرب، ٢٠٠١.

٦- جلال يحيى وآخرون، الوفد المصري (١٩١٩- ١٩٥٢)، القاهرة، ١٩٨٤.

٧- حفني ناصف، حياة اللغة العربية، مكتبة الثقافة العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢.

٨- دريـة شـفيق ، المـراءة المصـرية مـن الفراعنـة الـى اليـوم ، مطبعـة مصـر ، (القاهرة ، د.ت).

٩- عبد الرحمن الرافعي ، في اعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ ، مؤسسة دار الشعب للطبع ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

١٠- عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩، القاهرة، ١٩٥٥، ج١.

١١- علي ابراهيم عبدة، مصر وافريقيا في العصر الحديث، المكتبة التاريخية، القاهرة، دار القلم.

١٢- كوكب حفني ناصف، مقال بعنوان (تأثير صحة الام في صحة الطفل)، ج٤، المجلد ٩، جريدة المقتطف، ١ نيسان ١٩٣٧، العدد الرابع.

١٣- لمعي مطيعي، موسوعة رجال ونساء من مصر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٤- محمود ابو القاسم حاج حمد، السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل، مصر، ١٩٨٠.

١٥- ملك حفني ناصف، النسائيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

١٦- هدى الصدى وعماد ابو غازي، مسيرة المرأة المصرية علامات ومواقف، ط٢، مطابع الشرطة، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٧- هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، ط١، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠١٨.

١٨- هشام نصر، نساء ضد التيار ورائدات العمل النسائي في مصر، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، القاهرة ٢٠٠١.

١٩- وطفاء حمادي، سقوط المحرمات ملامح نسوية عربية في النقد المسرحي، دار الساقي، القاهرة، ٢٠١٧.

الرسائل والاطاريح :

٢٠- اياد عايش محمد الكبيسي، التطورات السياسية والاقتصادية في مصر خلال الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير غير منشودة، كلية الآداب، جامعة الانبار، ٢٠٠٩.

٢١- سارة صبار حماد عبودي الحمزاوي، هدى شعراوي، رائدة حركة التغيير في واقع المرأة (١٩٤٧- ١٩٧٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٥.

٢٢- وفاء وليد حسين العزاوي، اللورد كتشر ودوره السياسي والعسكري في مصر والسودان (١٨٩٦- ١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥.

الموسوعات :

٢٣- دائر معارف الشعب، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٨٧، بحث لخليل صابات، ج٤.

٢٤- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة القاهرة، القاهرة .

٢٥- الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، بيروت.

الانترنت

٢٦- اميرة محمد، ستات البلد (كوكب حفني ناصف)، ٩ ابريل ٢٠١٩، .eritage.weladelbala.com

٢٧- بوابة اخبار اليوم، اليوم العالمي للمرأة، كوكب حفني ناصف رائدة الطب في مصر، ٢٠١٩. .m.akbharelyom.com

٢٨- حنان عبد الهادي والسفارة الالمانية تحتفي بكوكب حفني ناصف في يوم المرأة العالمي، ١٨ آذار ٢٠٢٠. .https//www.vetogate.com

٢٩- ست الستات (كوكب حفني ناصف) .https//wlahawogohokhra.com

٣٠- سلمى محمد، كوكب حفني اول جراحة مصرية، جريدة الوفد في ٢٦ نوفمبر ٢٠١٧، .https//m.alwafd.news

٣١- محمود عبد الوارث، قصة اول جراحة مصرية، المصري لايت في ٦ أيلول ٢٠١٧، .Lite.almasryalyoum.com

٣٢- مقابلة مع كوكب من قبل مؤسسة المرأة والذاكرة، ١٢ يناير ١٩٩٨.

٣٣- منى إمام، كوكب حفني ناصف رائدة الطب في مصر، مقال في جريدة اخبار اليوم، .m.akbharelyom.com

٣٤- ويكيبديا، كوكب حفني ناصف، .https//wikipidia.genderiyya.xyz

٣٥- ويكيبيديا، حفني ناصف Wikipedia.org.

مجالس المناظرات وأثرها خلال العصر الأموي

(٤١هـ ـ ١٣٢هـ | ٦٦١م ـ ٧٥٠ م)

Debate Boards and their Impact During the Umayyad Era

(41 AH - 132 AH | 661 AD - 750 AD)

أ.د.قصي أسعد عبد الحميد

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

Dr .Qusayasaad@gmail.com

Prof. Dr.Qusay As'aad Abdul Hameed

Al Mustansiriya Center for Arabic and International Studies

Department of Historical Studies

مجالس المناظرات وأثرها خلال العصر الأموي
(٤١هـ - ١٣٢هـ | ٦٦١م - ٧٥٠ م)

أ.د.قصي أسعد عبد الحميد

(خلاصة البحث)

يتبين من خلال نماذج مجالس المناظرات في العصر الأموي التي أوردتها مصادر الكتب التاريخية والأدبية أن موضوعاتها كانت متنوعة وشاملة في مجالات الحياة الإنسانية ، وانها مرآة العصر ومعيار تطوره ، و لها أثر في الرأي العام في المجتمع الإسلامي بعد اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية ، فضلاً عن زيادة أفاق بعض الخلفاء الامويين من خلال استخدامهم تلك المناظرات كوسيلة لتخفيف العداء بينهم وبين الحركات المعارضة للخلافة الاموية .

وكشفت هذه المناظرات ايضاً الأسس الرصينة التي بُنيت عليها ركائز الحضارة العربية والإسلامية ، والتي تصدت وقاومت هجمات أعداء العروبة والإسلام من الفرس والبيزنطيين خلال حقبة العصور الوسطى .

Abstract

It is evident through the models of debate boards in the Umayyad era reported by the sources of historical and literary books that their topics were varied and comprehensive in the fields of human life, and that they are the mirror of the times and the criterion of its development, and have an impact on public opinion in Islamic society after the expansion of the Arab Islamic state, as well as an increase Some of the Umayyad caliphs woke up by using these debates as a means of reducing the hostility between them and the movements opposing the Umayyad Caliphate.

These debates also revealed the solid foundations upon which the pillars of Arab and Islamic civilization were built, which

responded to and resisted the attacks of the enemies of Arabism and Islam from the Persians and Byzantines during the Middle Ages.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه النجباء الميامين ومن تبعهم واقتفى اثرهم إلى يوم الدين .

تُعد دراسة مجالس المناظرات التي كانت تعقد في مجالس خلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي (٤١هـ ـ ١٣٢هـ | ٦٦١م ـ ٧٥٠م) من الموضوعات ذات فائدة كبيرة في معرفة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والأدبية والاجتماعية ، وهذا الأمر يساعد في رسم صورة كاملة عن طبيعة الحياة في المجتمع العربي والإسلامي في تلك الحقبة الزمنية ، والتي جعلت المجتمع قادراً على التحرك والانفتاح ، وما كان يعتلج في صدورهم من رؤى وأفكار ومشاكل وطموحات .

أن الغاية من دراسة هذا الموضوع الواسع في جوانبه هو الرغبة في التعرف على طبيعة هذه المناظرات والقاء نظرة على تراث الفكر العربي والإسلامي ، وعلى الرغم من وفرة المادة التاريخية التي حملتها كتب المؤرخين القدامى ، نجد هناك بعض الروايات المتناقضة لابد من التدقيق والتحري عنها للاقتراب من الحقيقة التاريخية .

أعتمد البحث على العديد من المصادر الأولية منها ، كتاب الطبقات الكبرى لمؤلفه محمد بن سعد المتوفى سنة (٢٣٠هـ | ٨٤٥ م) ، وكتاب البيان والتبيين لمؤلفه عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ | ٨٦٨ م) ، وكتاب التاريخ الكبير لمؤلفه إسماعيل بن إبراهيم المتوفى سنة (٢٥٦هـ | ٨٦٩ م) ، وكتاب سيرة عمر بن عبد العزيز لمؤلفه أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة (٢٥٧هـ | ٨٧٠ م) ، وكتاب المعارف لمؤلفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦هـ | ٨٨٩ م) ، وكتاب فتوح البلدان لمؤلفه أحمد بن

يحيى البلاذري المتوفى سنة (٢٧٩هـ | ٨٩٢ م) ، وكتاب الكامل في اللغة والأدب لمؤلفه محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ | ٨٩٩ م) ، وكتاب العقد لفريد لمؤلفه (أحمد بن محمد بن عبد ربه المتوفى سنة (٣٢٨هـ | ٩٤٠ م) ، وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لمؤلفه علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ | ٩٥٨ م) ، وغيرها من المصادر التاريخية الأخرى .

أما أهم المراجع الثانوية التي انتفع البحث منها ، كتاب الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية لمؤلفه محمد ضياء الدين الريس ، وكتاب التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري لمؤلفه صالح أحمد العلي ، وكتاب جمهرة خطب العرب لمؤلفه أحمد زكي صفوت ، وكتاب تاريخ العلوم عند العرب لمؤلفه أحمد سعيد الدمرداش ، وكتاب ضحى الإسلام لمؤلفه أحمد أمين ، وكتاب العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والفكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول لمؤلفته جهادية القرغولي ، وكتاب الفكر السياسي عند ابي الحسن الماوردي لمؤلفه أحمد مبارك البغدادي ، وغيرها من كتب المراجع الثانوية الأخرى .

وأخيراً أسأل الله تبارك وتعالى التوفيق لخدمة التاريخ العربي الإسلامي .

المعنى اللغوي والاصطلاحي للمناظرة .

المناظرة لغة : " مصدر نظر ، والتناظر التراوض في الأمر ، والنظير المثل في كل شيء " (ابن منظور ، ٢٠٠٠ م ، ج ١٤ ، ص ٢٩١) ، " ناظره مناظره ، صار نظيراً له ، وفلاناً بفلان جعله نظيره ، فلاناً جادله ، وتناظرا في الأمر تراوضا " (الفيروز آبادي ، السنة بلا ، ج ٣ ، ص ٥٤) ، والمناظرة " ... المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرة ... " (ابن منظور ، ٢٠٠٠ م ، ج ١٤ ، ص٢٩١) .

أما المناظرة اصطلاحاً ، هي تبادل الكلام والآراء المتعارضة في موضوع ما يثير جدل بعض الموضوعات السياسية والأدبية ، فالمناظرة مباحثة ومجادلة ومراوضة بين طرفين أو أكثر حول مسألة معينة أو قضية محددة يراد من ورائها ، إثبات أو تبيان حقيقة

هذه المسألة عن طريق الحوار بين الطرفين ، والمجيء بأدلة وحجج دامغة لتقوية وجهة نظر كل من المتناظرين ، كما تدخل المناظرة ضمن مسميات أخرى ألا أنها تعطي معنى واحداً منها ، المباحثة والمفاخرة والمنافسة وغيرها (وهبة ، ١٩٧٤ م ، ص ١٠١) .

شروط المناظرة .

من الشروط التي وضعت في المناظرات العامة هي إذا " اجتمع متكلمان ، فقال أحدهما: هل للك في المناظرة ؟ فقال : على شرائط ، أن لا تغضب ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى ليلاً ، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك ألا جوزت تأويل مثلها على مذهبي ، وعلى أن تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلاً منا يعي مناظرته على أن الحق والرشد غايته " (الاصبهاني ، ١٩٦١ م ، ج ١ ، ص ٧٨).

(نماذج من مجالس المناظرات)

أولاً | المناظرات السياسية الخاصة بالخلافة الإسلامية .

شهدت حقبة العصر الاموي في الدولة العربية الإسلامية انقسام النظام السياسي إلى مستويين ، المستوى الأول يتصل بالمثل السياسي التي تفرضها متطلبات الشرع الإسلامي ، بينما المستوى الثاني يتصل بمعطيات الواقع السياسي التي فرضتها ظروف ذلك العصر ، حيث تحول نظام الخلافة الإسلامية من نظام يقوم على الاجماع والشورى لانتخاب خليفة المسلمين كما في العصر الراشدي (١١هـ ـ ٤٠هـ | ٦٣٢م ـ ٦٦١م) إلى نظام قائم على التوارث العائلي للخلافة الإسلامية خلال العصر الأموي (البغدادي ، ١٩٨٤ م ، ص ٧ ، ص ٨) .

وبذلك كان قيام الخلافة الاموية موضع خلاف بين المسلمين منهم المؤيد ، ومنهم المعارض ، أما المؤيدون فمنهم من بايع بقلبه وايمانه ، بينما بايع البعض الأخر مكرهاً أو متماشياً مع الوضع الراهن أو سعياً وراء منافع شخصية ، أما هؤلاء الذين بايعوا عن ايمان وعقيدة ، فقد رأوا في خلافة بني أمية خلافة الدين والنظام ، ورأوا أنه ما دام الحسن بن علي

(رضى الله عنهما) قد تنازل عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان ، فقد أصبحت خلافته أمراً محتوماً ، فعليهم السمع والطاعة له ، واحترام أجماع الأمة (الماوردي ، السنة بلا ، ص ١٥) ، عملاً بالآية الكريمة (سورة النساء ، الآية ٥٩)،قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾، ويعدون بيعة معاوية بن ابي سفيان صحيحة ، وأن معاوية خليفة وليس ملكاً ، لأن تسليم الحسن بن علي (رضى الله عنهما) له بالخلافة " عقد منه له " (ابن العربي ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٩٩) .

وبجانب هذه الفئة ، توجد فئة أخرى دفعتها الرهبة إلى بيعة معاوية تحت الاكراه ، وقد وردت في أحدى الروايات أن رجلاً حضر لبيعة معاوية فقال : " والله يا معاوية اني لأبايعك وأني لكاره لك ، فيقول بايع فأن الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً ، ويأبى الأخر فيقول : أعوذ بالله من شر نفسك " (اليعقوبي ، السنة بلا ، ج ٢ ، ص ٢١٦) ، في حين كانت مناظرة الصحابي الجليل أبو موسى الاشعري (رضى الله عنه) في بيعة معاوية بن ابي سفيان في بداية توليه الخلافة قائلاً : " إذا سلمنا عليك بالأمر فنحن المؤمنون وانت أمير المؤمنين ، فعند ذلك قال معاوية : أمدد يدك أبا موسى ، وبعد ذلك بايع معاوية " (ابن عساكر ، السنة بلا ، ج ٣٢ ، ص ٩٧) .

ومن الروايات التاريخية في مجلس الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (٦٥هـ ـ ٨٦هـ | ٦٨٥ م ـ ٧٠٥ م) ، إذ قال لأبنه الوليد وكان ولي عهده : " يا بني أعلم أنه ليس بين السلطان وبين من يملك الرعية أو تملكه ألا حرفان : حزم وتوان " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ١ ، ص ٥٩) .

ثانياً | المناظرات الاقتصادية

١ ـ القطائع .

هي : " كل ارض كان لها ساكن في قديم الدهر فانقرضوا حتى لم يبقى بها أحد فحكمها إلى الإمام " (ابن قدامة ، ١٩٨١ م ، ص ٢١٥) ، وقد منح خلفاء بني أمية

قطائع الأراضي إلى بعض ولاتهم وقادتهم بقصد ضمان ولائهم ، أو تقديراً لما كانوا يبذلونه من جهود في إدارة الأقاليم التابعة لدولة العربية الإسلامية (الريس ، ١٩٦٩ م ، ص ٥٣)، أو منح بعض الشعراء تلك القطائع جوائز لهم وتكريماً من الخليفة لمدح الشاعر له كأقطاع الخليفة عبد الملك بن مروان لكثير الشاعر ، أو لغاية في نفس الخليفة كأن يمدحه أو يكف اذاه ، مثلما فعل الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ ـ ٩٩هـ | ٧١٥ م ـ ٧١٧ م) ، لما أقطع أبو دهبل الشاعر ، قطيعة حاذان في اليمن وعندما أعترض جلسائه على هذا الاجراء " قالوا : كيف اقطعته ؟ قال : أردت أن أميته وأميت ذكره بها " ، لأنه استفز الخليفة سليمان بأبيات شعر هجا بها بني أمية (الاصفهاني ، ١٩٨٦ م ، ج ٧ ، ص ٢٥٧) .

ومن الجدير بالذكر أن مناظرة دارت في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان مع رجلين اختصما إليه ، أحدهما منح أرضاً ثم عطلها ، فجاء أخر وأحياها ، فقال : " ما أرى أحداً أحق بهذه الأرض من أمير المؤمنين " ، فالتفت الخليفة إلى الفقيه عروة بن الزبير يستطلع رأيه فقال له : ما تقول ؟ قال : أقول أن أبعد الثلاثة من هذه الأرض أمير المؤمنين ، فسأله لماذا ؟ فأوضح له ابن الزبير لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال : " العباد عباد الله والبلاد بلاد الله ومن أحيا أرضاً ميتة فهي له " (ابن أدم ، ١٣٤٧هـ ، ص ٩١).

كما حدثت مناظرة في مجلس الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ ـ ١٠١هـ | ٧١٧ م ـ ٧٢٠ م) ، بين روح بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وبين جماعة من المسلمين أدعوا أن روحاً أغتصب حوانيت لهم في حمص ، بينما أشار روح إلى السجل الذي كتبه له ابيه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، إلا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أبطل حجة وبينة روح بقوله: " وما يغني عنك سجل الوليد و الحوانيت حوانيتهم ، قد قامت لهم البينة عليها ، خل لهم حوانيتهم " ، ولم يقتصر الخليفة عمر بن عبد العزيز على رد قطائع بني أمية بل أخرج ما كان في يده من قطائع وردها إلى المسلمين (ابن عبد الحكم ، السنة بلا ، ص ٦٠ ، ص ٦١) .

أما ردود فعل الأمراء الأمويين تجاه ما قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز من تغيرات جوهرية بشأن القطائع ، حيث اجتمعوا لدى الخليفة عمر وناظروه في أمرهم فقالوا : "

إنك أجلبت بيت مال المسلمين ، وأفقرت بني ابيك ، فيما ترد من هذه المظالم ، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، وأشتغل أنت وشأنك وأعمل بما رأيت ، قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ، قال : ولكني لا أرى ذلك " (ابن عبد الحكم ، السنة بلا ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨)

٢ـ النقود .

قام الخليفة الأموي معاوية بن ابي سفيان بضرب الدنانير ، ويبدو انها لم تكن مقبولة عند الناس ، حيث " ضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثاله متقلداً سيفاً ، فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند . فجاء به معاوية ورماه به ، وقال : يا معاوية إنا وجدنا ضربك شر ضرب" (المقريزي ، ١٩٦٧ م ، ص ٩) .

بينما كانت العملات النقدية المتداولة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الدينار البيزنطي ، والدرهم الساساني (الدمرداش ، ١٩٧٧ م ، ص ٣١) ، وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان كثير العلم جيد الرأي (المبرد ، ١٩٨٩ م ، ج ٢ ، ص ١٧٤) ، و قد أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان في عملية تعريب النقود وسكها ، وذلك من خلال المناظرة التي جرت في مجلس الخليفة عبد الملك ، إذ قال خالد بن يزيد : " يا أمير المؤمنين أن العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون انهم يجدون في كتبهم أن أطول الخلفاء عمراً من قدس الله تعالى في الدرهم " (المقريزي ، ١٩٦٧ م ، ص ١١) ، ثم قال : " ليفرغ روعك ، حرم دنانيرهم ، وأضرب للناس سككاً ، ولا تعفهم مما يكرهون " ، وقد استحسن الخليفة عبد الملك بن مروان رأي خالد بن يزيد وأقتنع بما أشار عليه فقال : " فرجتها ، فرج الله عنك " (ابن قتيبة ، ١٩٢٥ م ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، ص ١٩٩) .

كذلك استشار الخليفة عبد الملك بن مروان كاتبه قبيصة بن ذؤيب الذي حاوره وحثه على تعريب النقود وقال : " جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ، أترك الكتابة على القراطيس بحالها ، وأضرب لنفسك دنانير يعينك الله بها من دنانيرهم " (السيوطي ، ١٩٧٤ م ، ص ١٣٨) ، بينما ذكر أن الذي أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب النقود هو محمد الباقر بن علي بن الحسين (رضى الله عنهم) (البيهقي ، ١٩٦١ م ، ج ٢ ، ص ٢٣٥)

، ومهما يكن من تعدد الروايات فيمن أشار بضرب النقود العربية ، إذ كان الخليفة عبد الملك بن مروان يستشير أكثر من شخص واحد في اتخاذ القرارات في قيادة الدولة العربية الإسلامية .

أما في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقد دارت مناظرة في مجلسه عند طلب أحد الحاضرين إعادة ضرب النقود معللاً ذلك بقوله : " هذه الدراهم البيض ، فيها كتاب الله تعالى يقلبها اليهودي والنصراني ، والجنب والحائض ، فأن رأيت أن تأمر بمحوها " ، ألا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رفض ذلك وأجابهم " أردت أن تحتج علينا الأمم ، أن غيرنا توحيد ربنا ، وأسم نبينا صلى الله عليه وسلم " (المقريزي ، ١٩٦٧ م ، ص ١٦) .

٣ ـ العطاء .

المقصود بالعطاء أو الرزق هو مقدار المال الذي يأخذه كل واحد من الجند في مدة معينة لقاء خدمته في الجيش ، وأن كلمة عطاء مرادفة لكلمة الرزق ، وكان المسلمون يمنحون عطاء في الغزوات والحروب ، كما توزع عليهم الغنائم (البلاذري ، ١٩٥٦ م ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٩) ، ثم أصبح العطاء من الضرورات في الميزانية الإسلامية (القرغولي ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٤) .

شهد العصر الأموي العديد من المناظرات الخاصة بالعطاء منها مناظرة حدثت في مجلس الخليفة معاوية بن ابي سفيان حيث ضمت وجوه بني تميم ، حيث زاد الخليفة معاوية في عطاء الاحنف بن قيس و جارية بن قدامة ، وفضلهم على الحتات بن يزيد المجاشعي فقال له معاتباً : " فضحتني في بني تميم ، أما حسبي بصحيح يا أمير المؤمنين فضلت من كان عليك على من كان لك ، قال : إني اشتريت دينهم ، قال : ومني فأشترِ ديني ، فألحقه بهما " (البلاذري ، ١٩٧٤ م ، ج ١ ، ص ٢٣٢) .

ومن المناظرات التي نوقشت في مجلس الخلفاء الأمويين عطاء الموالي المسلمين من غير العرب ، إذ لم تضع الدولة العربية الإسلامية مع بداية عصر الخلافة الأموية عطاء الموالي على قدم المساواة مع العرب (العلي ، ١٩٨٩ م ، ص ٩٨) ، حيث يروى أن محمد

بن الحنفية حضر يوماً مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان وطلب منه أن يفرض العطاء لولده و خاصته ومواليه " فأجابه عبد الملك إلى ذلك كله وتعسر عليه في الموالي ، وألح عليه محمد ، ففرض لهم فقصر بهم ، فكلمه فرفع في فرائضهم" (ابن سعد ، السنة بلا ، ج ٥ ، ص ٨٣) ، يتضح مما جاء أن الموالي لا يفرض لهم العطاء ألا في ظروف خاصة .

وهذا ما تؤكده المناظرة التي حدثت بين مشيخة من قبيلة قريش فرض لهم الخليفة سليمان بن عبد الملك أربعة الاف فريضة استثنى منها حلفائهم ومواليهم ، فأجمعت تلك المشيخة رأيهم على منح الأربعة الاف فريضة لحلفائهم ومواليهم بقولهم : " إنك فرضت لنا أربعة الاف فريضة و تدخل علينا منها حليفاً ولا مولى فرأينا أن نكافئك ونجعلها في حلفائنا ومواليا مَمنْ اخف عليك مؤنة منهم ، ففرض أربعة الاف فريضة أخرى . " (اليعقوبي ، السنة بلا ، ج ٢ ، ص ٢٩٨) .

بينما يمنح العطاء للجند الإسلامي والمرابطين على حدود الدولة العربية الإسلامية ، وحدثت مناظرة بين رجل من بني حارثة ، اسقط اسمه من ديوان الجند وبين الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ ـ ١٢٥هـ | ٧٢٤ م ـ ٧٤٣ م) ، حاول الحارثي من خلالها اقناع الخليفة هشام في إعادة تسجيل اسمه في العطاء لا سيما وانه اصبح في سن لا تؤهله للقيام بأي عمل أخر ، لكن دون فائدة حيث قال له الخليفة هشام : " والله لا أفرض حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة " (الاصفهاني ، ١٩٨٦ م ، ج ١١ ، ص ١٩٣) .

ثالثاً | المناظرات الاجتماعية .

أن التطور الذي شهده المجتمع العربي والإسلامي خلال العصر الأموي كان تطوراً طبيعياً املته الظروف الجديدة التي أحاطت بالدولة العربية الإسلامية من اتساع وثراء وتنوع في بنيته الاجتماعية ، ومن المناظرات التي تخص الناحية الاجتماعية منها :

١ـ الملابس .

صارت من التقاليد المتعارف عليها خلال حضور مجلس الخلفاء الامويين ، وجوب التأنق في المظهر الخارجي وارتداء افضل الملابس ، واظهرت الروايات امتعاض الخليفة

معاوية بن ابي سفيان واستهجانه بملابس النخار بن اوس العذري ، الذي حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب يبدو انها كانت رثه ، ألا أن النخار رد على استهجان الخليفة بلباقة وذكاء ، معرباً له إن ذات الانسان وما تنطوي عليها من قيم هي المعيار لا الأمور الكمالية بقوله : " يا أمير المؤمنين أن العباءة لا تكلمك ، انما يكلمك من فيها " (الجاحظ ، ٢٠٠٠ م ، ج ١ ، ص ١٣٢).

وعندما سُئل الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية عن جبة الخز التي يرتديها من قبل الحاضرين في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان ، ربما أرادوا بذلك الإشارة إلى اسرافه ، اجابهم : " إنما ألبس لهؤلاء " وأشار إلى الخليفة (الذهبي ، ١٩٩٢ م ، ج ٤ ، ص ٤٩٦) .

أن اقبال الخلفاء والأمراء الأمويون على الترف والتأنق في الملابس ، يمكن أن نستثني منه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حيث كان يرتدي الملابس البسيطة ، المتواضعة بعدما كان يرتدي الملابس الفاخرة الغالية الثمن ، وهذا ما نستشفه من الحوار الذي دار بينه وبين رجل كان الخليفة أوصاه أن يشتري له كساء بثمانية دراهم ، وعندما جاء به وضع عمر يده عليه وقال : " ما الينه ! واعجبه ، فضحك الرجل الذي اشتراه ، فقال عمر : اني لأحسبنك أحمق ، أتضحك من غير شيء ؟ قال : ما ذاك بي ولكنك أمرتني قبل ولايتك أن أشتري مطرف خز فاشتريت لك مطرفاً بثمانمائة درهم فعجبت ، فوضعت يدك عليه فقلت ما أخشنه ! وأنت اليوم تستلين كساء بثمانية دراهم فعجبت من ذلك وأضحكني ، ما أحسب رجلاً يبتاع كساءً بثمانمائة درهم يخاف الله عز وجل " (ابن عبد الحكم ، السنة بلا ، ص ٥٠) .

يتبين من خلال ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرتدي مثلما يرتدي الخلفاء الأمويون ، قبل وصوله إلى الخلافة وبعد ما أصبح خليفة ترك هذه الملابس المترفة ، وأخذ يرتدي الملابس البسيطة من حيث الصنع والنوع (الذهبي ، ١٩٩٢ م ، ج ٥ ، ص ١٣٥).

٢ ـ الطعام .

إشارة الروايات التاريخية إلى اكثار الخليفة معاوية بن ابي سفيان في عدد وجبات طعامه ربما يعود إلى النصيحة التي نصحه بها والي الكوفة المغيرة بن شعبة (ابن قتيبة ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٩٥) ، عندما شكا إليه معاوية قلة طعامه خلال محاورات دارت بينهما ، إذ قال له المغيرة : " أكثر من الألوان ، وكل من كل لون ولو لقمة ، فأن ذلك أذا اجتمع كثيرة نفع " ، وبعد أن رأى الخليفة معاوية أن ذلك أفاده ، إذ قال : " قد جربنا ما قلت فوجدناه موافقاً " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ٦ ، ص ٢٩٧) .

ومن الجدير بالذكر أن طعام الخليفة كان يراقب من قبل الطبيب الذي يشرف على الخليفة، إذ ينصح الطبيب بالطعام الذي يأكله الخليفة ، أما الطعام الذي لا يلائم الخليفة فيمنعه ، وهذا ما نجده من خلال المناظرة التي دارت بين الخليفة معاوية وطبيبه النصراني ، ومروان بن الحكم ، إذ هيأ مروان طعاماً فأكثره وجوده ، " فلما حضر الغداء جاء متطبب نصراني لمعاوية فوقف ، وجعل أذا اتى لون قال : كل يا أمير المؤمنين من هذا ، واذا اتى لون ظن أنه لا يوافقه ، قال : لا تأكل من هذا " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ٣ ، ص ٤٦٥) .

ويروى أن أعرابياً حضر سفرة الخليفة سليمان بن عبد الملك ، " فجعل يمر إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي ، فقال : من اجدب انتجع ، فشق ذلك على سليمان ، فقال للحاجب : أذا خرج عنا فلا يُعد الينا ... " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ٣، ص ٤٨٧) .

وكان بعض الخلفاء الامويين يجدون في مجالسهم فرصة لتجاذب اطراف الحديث عن أصناف الطعام وأجوده وأطعمه ، فيذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان سأل أعرابياً وفد عليه عن ألذ طعام تناوله فأجابه : " بكرة سمنه ، معتبط غير ضمنه ، في قدور رذمه ، شفار خدمه ، غداة شبمه ، فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطيبت " (الجاحظ ، ٢٠٠٠ م ، ج ١ ، ص ١٧٥) .

رابعاً | المناظرات الأدبية والعلمية .

١ ـ الشعر .

اتخذ الشعر من بعض عامة الناس وسيلة لتوصيل شكواهم وتظلمهم إلى الخلفاء الأمويين وولاتهم ، إذ تقدم شاب إلى مجلس الخليفة معاوية بن ابي سفيان وانشد ابيات شعر اشتكى ظلماً لحق به من قبل أحد الولاة الذي غصب أبنة عمه وتزوجها ، وعندما فرغ من شعره طلب منه معاوية أن يسمي له الوالي الذي تسبب بهذا الضرر ، فأخبره بأنه والي المدينة المنورة مروان بن الحكم ، فأستشاط معاوية غضباً ثم قال لجلسائه : " أنا لله وأنا إليه راجعون أعتدى والله مروان بن الحكم ضراراً في حدود الدين ، و احسراً في حرم المسلمين ... " ثم أمر برد المظالم عنه (ابن قيم الجوزية ، ١٩٧٩ م ، ص ١٢ ـ ص ١٥) .

ومن شغف الخليفة عبد الملك بن مروان بالشعر ، إذ كان يدعو الشعراء للتنافس فيما بينهم من أجل حث قريحتهم على الأبداع ، ويروى حضور الشعراء الفرزدق وجرير والأخطل في مجلس الخليفة عبد الملك ليتباروا في قصائدهم ، وفي خضم ذلك نعس الخليفة فأنتهزها فرصة للمناظرة فيما بينهم فقال : " من وصف نعاساً شعراً ، وتمثل نصيباً فيه ، ويحسن التمثيل فهذه الوصيفة له .

فقال الفرزدق :

رماه الكرى في الرأس حتى كأنه أميم جلاميد تركن به وقرا

فقال : شدختني ويلك يا فرزدق .

فقال جرير :

رماه الكرى في الرأس حتى كأنه يرى في سواد الليل فسله سفرا

فقال : ويلك تركتني مجنوناً ، ثم قال : يا أخطل فقل . فقال :

رماه الكرى في الرأس حتى كأنه نديم تروى بين ندمائه خمرا

فقال : أحسنت " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ٥ ، ص ٣٧٥) .

ويروى أن شعراء الغزل عمر بن ابي ربيعة و كثير عزة و جميل بن معمر ، قد اجتمعوا بباب الخليفة عبد الملك بن مروان فأذن لهم فدخلوا ، فقال : " أنشدوني أرق ما قلتم في الغوانِ ، فأنشده جميل بن معمر :

حلفتُ يميناً يا بثينةُ صادقاً فأن كنتُ فيها كاذباً فعميتُ

أذا كان جلدُ غير جلدك مسنى وباشرني دون الشّعار شربتُ

ولو أنَّ راقي الموت يَرقى جنازتي بمطعنها في الناطقين حَييتُ .

وانشده كثير عزة :

بأبي وأمي أنت من مظلومةٍ طبنِ العدو لها فَغير حالها .

وانشده ابن ابي ربيعة المخزومي القريشي :

ألا ليت قبري يوم تُقضَ منيتي بتلك التي ما بين عينيك والفم

ألا ليت أم الفضل كانت قرينتي هنا أو هنا في جنة أو جهنم .

فقال عبد الملك لحاجبه : اعطِ كل واحد منهم الفين ، واعط صاحبي جهنم عشرة " (القالي ، السنة بلا ، ص ٦٦ ـ ص ٦٧) .

٢ ـ اللغة العربية .

كانت حروف المعجم مجال البحث في مجالس خلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي منهم ، مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان والتي وضحها التابعي المحدث سويد بن غفلة (الاصبهاني ، ١٩٣٣ م ، ج ٤ ، ص ١٢١) بعد أن طلب الخليفة عبد الملك بن مروان وقوله " أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليّ ما يتمناه؟ فقام إليه سويد بن غفلة فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ، قال : هات ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ، ذكر ، رقبة ، زند ،

ساق ، شفة ، صدر ، ضلع ، طحال ، ظهر ، عين ، غبب ، فم ، قفا ، كف ، لسان ، منخر ، نغنوغ ، هامة ، وجه ، يد ، وهذه أخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين .

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين، فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال ؟ ، قال : أصلح الله الأمير أنا أقولها ثلاثاً ، فقال : هات ولك ما تتمناه ، فأبتدأ يقول : أنف ، اسنان ، أذن ... يمين ، يسار ، يافوخ " ، فأكرمه عبد الملك على ذلك وبالغ في الإحسان إليه (العاملي ، ١٢٨٨ هـ ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، ص ٣٧٦) .

٣ ـ الخطابة .

تعددت نماذج الروايات التاريخية في مجالس الخطابة منها ، مبايعة خلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، ويذكر أن رجل من قبائل الازد قام في مجلس الخليفة معاوية بن ابي سفيان قائلا : " أنت أمير المؤمنين ، فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد، فمن ابى هذا فهذا ، وأخذ بقائم سيفه فسله ، فقال له معاوية : أقعد فأنت من أخطب الناس" (المسعودي ، ١٩٧٨ م ، ج٣ ، ص ٣٧) .

بينما كانت خطبة امرأة ابي الأسود الدؤلي في مجلس الخليفة معاوية بن ابي سفيان ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب إذ قالت : " السلام عليك يا أمير المؤمنين أن الله جعلك خليفة في البلاد ورقيباً في العباد ، يستقي بك المطر ، ويستنبت بك الشجر وتؤلف بك الاهواء،... لقد ألجأني اليك يا أمير المؤمنين أمرُ ضاق عليّ فيه الهم ، وتفاقم عليّ فيه المخرج ... " ، وعرضت القضية التي تريد لها حلاً أمام معاوية ، وقد أعجب بكلامها إذ قال : " سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع " (صفوت ، ١٩٣٧ م ، ج ٣ ، ص ٣٩٦) .

ومن الجدير بالذكر أن الأعراب كانت تتقدم بالخطابة إلى مجلس الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥هـ ـ ١٢٥هـ | ٧٢٤ م ـ ٧٤٣ م) كل عام ، فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، " فقام إعرابي فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير

المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، فلأن نحبك خير من أن نبغضك ، فأعطاه فأجزل له " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ٢ ، ص ٤٣٧) .

٤ ـ علم الجغرافية .

كان لعلم الجغرافية نصيباً في مجالس خلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، ومن تلك المناظرات العلمية التي تبين إلى تقدم العرب ومعرفتهم بالرياح والجهات التي تهب إليها قال الخليفة عبد الملك بن مروان للفقيه عامر الشعبي (أمين ، ١٩٨٨ م ، ج ٢ ، ص ٧٩) : من أين تهب الرياح ؟ قال : لا علم لي يا أمير المؤمنين ، قال عبد الملك : أما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش إلى مطلع الشمس ، واما مهب الصبا فمن مطلع الشمس إلى مطلع سهيل ، وأما الجنوب فمن مطلع سهيل إلى مغرب الشمس ، وأما الدَّبور فمن مغرب الشمس إلى مطلع بنات نعش " (المسعودي ، ١٩٧٨ م ، ج ٣ ، ص ٣٠٠) .

٥ ـ علم الكلام .

" هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفون في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنَّة ، وسر هذه العقائد هو التوحيد ... " (ابن خلدون ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٩٠) ، وبذلك يكون الكلام قد وجد للذود عن العقائد ، ولكن المتكلمين كان أكثر خوضهم في استخراج متناقضات الخصوم (التكريتي ، ١٩٨٥ م ، ج ٨ ، ص ٣٤١) .

وقد شهدت مجالس مناظرات خلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي بالعديد من مناظرات في علم الكلام منها ، مناظرة الخليفة عبد الملك بن مروان مع أحد الخارجين عن طاعة الخلافة الأموية ، " ذكروا أن عبد الملك بن مروان اتى برجل منهم ، فبحثه ، فرأى منه ما شاء فهماً وعلماً ، ثم بحثه ، فرأى ما شاء أدباً ودهياً ، فرغب فيه ، واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه ، فراه مستبصراً محققاً ، فزاده في الاستدعاء ، فقال له : لتغنك الأولى عن الثانية ، وقد قلت فسمعت ، فاسمع أقل، قال له : قل ، فجعل يُبسط له

من قول ، ويزين له مذهبهم بلسان طلقِ ، والفاظ بينة ، ومعان قريبة، فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته : لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم ، وانى أولى بالجهاد منهم ، ثم رجعت إلى ما ثبت الله عليّ من الحجة ، وقرر في قلبي من الحق فقلت له : لله الآخرة والدنيا ، وقد سلطني الله في الدنيا ، ومكن لنا فيها ، وأراك لست تجيب بالقول ، والله لأقتلنك ان لم تطع ، ... فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله ... " (المبرد ، السنة بلا ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥٠) .

٦ ـ المواعظ الدينية والأمور الشرعية .

حفلت مجالس المناظرات لخلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الاموي بالعديد من المواعظ الدينية والأمور الشرعية منها ، مناظرة الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ ـ ٩٩هـ | ٧١٥ م ـ ٧١٧ م) ، الذي كان يتقبل الوعظ والنصيحة وهذا ما نلمسه من خلال المناظرة التي حدثت بين الخليفة سليمان وأعرابي ، كان قد دخل عليه وقال : " سأكلمك بلسان حاد تأدية لحق الله تعالى وحق إمامتك انه قد إكتنفك رجال اساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ... ، قال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين ، أقول الكلام لك لا عليك " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ٣ ، ص ١٥٩) .

بينما كان المحدث والفقيه الإمام الزُهري (ابن خياط ، ١٩٦٧ م ، ج ٢ ، ص ٥٢٨) لا يتهاون في فتاواه مع الخلفاء الأمويين ، فقد دخل على الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : " ما حديث يحدثنا به أهل الشام ، يحدثوننا أن الله اذا أسترعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات ، قال : باطل يا أمير المؤمنين ، انبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي ؟ قال : بل نبي خليفة ، قال : فأن الله تعالى يقول لنبيه داود: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ چ (سورة ص ، الآية ٢٦) ، فهذا وعد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ، قال : أن الناس ليغوونا عن ديننا " (ابن عبد ربه ، ١٩٨٦ م ، ج ١ ، ص ٨٧) .

٧ ـ البلدان .

قال الخليفة الأموي معاوية بن ابي سفيان لصعصعة بن صوحان : " يا أبن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها ، فأخبرني عن أهل البصرة ، قال : البصرة واسطة العرب ، ومنتهى الشرف والسؤدد ، وهم أهل الخطط في أول الدهر وأخره ... ، قال فأخبرني عن أهل الكوفة ، قال : قبة الإسلام ، وذروة الكلام ، ومظان ذوي الأعلام ... ، قال فأخبرني عن أهل الحجاز ، قال : أسرع الناس إلى الفتنة ، وأضعفهم عنها ، وأقلهم غناء فيها ، غير أن لهم ثباتاً في الدين ، وتمسكاً بعروة اليقين ... ، قال فأخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقه الحمية بالتعصب لقومك ، قال : والله ما أنا عنهم براض ، ولكني أقول فيهم وعليهم ، هم والله أعلام الليل ، وأذناب في الدين والميل ، خوارج الدين ، برازخ اليقين ... " (صفوت ، ١٩٣٧ م ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ص ١٤٩) .

٨ ـ الأنساب .

كانت الأنساب من ضمن المعارف التي حفلت بها مجالس مناظرات خلفاء الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي منها ، مناظرة الخليفة معاوية بن ابي سفيان لوفد أهل العراق وكان فيهم من الرؤساء النسابين والمحدثين دغفل بن حنظلة الشيباني (الجاحظ ، ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ص ١٧٠) ، إذ قال له : " يا دغفل أخبرني عن ابني نزار ربيعة ومضر، أيهما كان أعز جاهلية وعالمية ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مضر بن نزار كان أعز جاهلية وعالمية ، قال معاوية : وأي مضر كان أعز ؟ قال : بنو النضير بن كنانة ، كانوا أكثر العرب أمجاداً ، وأرفعهم عماداً ، وأعظمهم رماداً ، قال : فأي بني كنانة كان بعدهم أعز ؟ قال : بنو مالك بن كنانة ، كانوا يعلون من ساماهم ويكفون من ناواهم ويصدقون من عاداهم ، قال : فمن بعدهم ؟ قال : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ... " ، وعند انتهاء معاوية من مناظرته ، قال له: " أنتَ والله يا دغفل أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب " (القالي ، السنة بلا ، ص ٢٦) .

(ثبت المصادر والمراجع)

القرآن الكريم .

أولا | المصادر الأولية .

ابن أدم ، يحيى بن سليمان (ت ٢٠٣هـ | ٨١٨ م) ، ١٣٤٧هـ ، الخراج ، صححه وشرحه أحمد محمد شافع ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت .

الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ | ١٠٣٩ م) ، ١٩٣٣ م ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

الأصبهاني ، حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ | ١١٠٨ م) ، ١٩٦١ م ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت .

الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ | ٩٦٧ م) ، ١٩٨٦ م ، الأغاني ، تحقيق علي مهنا و سمير جابر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ | ٨٩٢ م) ، ١٩٥٦ م ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ؛ ١٩٧٤ م ، أنساب الأشراف ، ط ١ ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت .

البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت ٤٥٨هـ | ١٠٦٦ م) ، ١٩٦١ م ، المحاسن والمساوئ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة .

الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ | ٨٦٩ م) ، ٢٠٠٠ م ، البيان والتبين ، تحقيق درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ؛ ونسخة أخرى ، ١٩٦٨ م ، البيان والتبين ، تحقيق فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للطباعة ، بيروت .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ | ١٤٠٦ م) ، ١٩٨٨ م ، مقدمة ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

السلطان الأكبر) ، تحقيق حجر عاصي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ؛ ونسخة أخرى ، السنة بلا ، مقدمة ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠هـ | ٨٥٤ م) . ١٩٦٧ م ، تاريخ خليفة بن خياط ، ط ١ ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ، النجف .

الذهبي ، أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ | ١٣٤٨ م) ، ١٩٩٢ م ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوط و محمد نعيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

ابن سعد ، محمد بن منيع (٢٣٠هـ | ٨٤٥ م) ، السنة بلا ، الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر للطباعة ، بيروت .

السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي يكر (ت ٩١١هـ | ١٥٠٥ م) ، ١٩٧٤ م ، تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت .

ابن عبد الحكم ، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ | ٨٧١ م) ، السنة بلا ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، شرح وتعليق أحمد عبيد ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ | ٩٤٠ م) ، ١٩٨٦ م ، العقد الفريد ، ط ١ ، تحقيق خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

ابن العربي ، محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ | ١١٤٨ م) ، ١٤٠٧ هـ ، العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ط ٢ ، تحقيق محمد جميل ، دار الجيل ، بيروت .

ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ | ١١٧٥ م) ، السنة بلا ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق مركز التراث للأبحاث العلمية ، بيروت .

العاملي ، بهاء الدين محمد بن علي (ت ١٠٠٩هـ | ١٢٩٤ م) ، ١٣٨٨هـ ، الكشكول تحقيق طاهر أحمد الراوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ | ١٤١٤ م) ، السنة بلا ، القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، المؤسسة العربية للطباعة ، بيروت .

القالي ، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ | ٩٦٩ م) ، السنة بلا ، الامالي ، تحقيق محمد عبد الجواد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ | ٨٨٩ م) ، ١٩٦٠م ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ؛ ١٩٢٥ م ، عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت

ابن قدامة ، قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ | ٩٣٩ م) ، ١٩٨١ م ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (ت ٧٥١هـ | ١٣٥١ م) ، السنة بلا ، أخبار النساء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

الماوردي ، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ | ١٠٥٨ م) ، السنة بلا ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة .

المبرد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ | ٨٩٩ م) ، ١٩٨٩ م ، الكامل في اللغة والأدب ، ط ٢ ، تحقيق تغاريد بيضون و نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ ونسخة أخرى ، السنة بلا ، الكامل في اللغة والأدب ، دار الفكر ، بيروت .

المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ | ٩٥٨ م) ، ١٩٧٨ م ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، بيروت .

المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ | ١٤٤٥ م) ، ١٩٦٧ م ، النقود الإسلامية (شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف .

ابن منظور ، محمد بن ابي مكرم (ت ٧١١هـ | ١٣١١ م) ، ٢٠٠٠ م ، لسان العرب المحيط ، ط ١ ، دار صادر للطباعة ، بيروت .

اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب (ت ٢٨٤هـ | ٨٩٨ م) ، السنة بلا ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر للطباعة ، بيروت .

ثانياً | المراجع الثانوية .

أمين ، أحمد ، ١٩٨٨ م ، ضحى الإسلام ، ط ١ ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة .

البغدادي ، أحمد مبارك ، ١٩٨٤ م ، الفكر السياسي عند ابي الحسن الماوردي ، مؤسسة الشراع ، الكويت .

التكريتي ، ناجي ، و بشار عواد و ياسين خليل ، ١٩٨٥ م ، حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد .

الدمرداش ، أحمد سعيد ، ١٩٧٧ م ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة .

الريس ، محمد ضياء الدين ، ١٩٦٩ م ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة .

صفوت ، أحمد زكي ، ١٩٣٧ م ، جمهرة خطب العرب ، ط ١ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة

عاشور ، سعيد عبد الفتاح و أحمد مختار العبادي و سعد زغلول عبد الحميد ، ١٩٨٦ م ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ط ٢ ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت .

العلي ، صالح أحمد ، ١٩٨٩ م ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، بغداد .

القرغولي ، جهادية ، ١٩٨٦ م ، العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والفكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد .

وهبة ، مجدي ، ١٩٧٤ م ، معجم مصطلحات الأدب ، دار الفكر ، بيروت .

List of Sources and references

The Holy Quran .

First –Sources :

Ibn Adaim , Yahya bin celluman (d . 203 AH | 818 AD) , 1347 AH , Al Korag , Studied by Mohammed Shafic , publisher Diar Al Mariefa , Beirut .

Al asbueiny , Ahmed bin Abdul Alhah (d . 430 A H | 1039 AD) . 1933 , Halluit al awlaaq and tabkat asfeic , publisher Al sadda , Cairo .

Al asbueiny , Hassan bin Mohammed (d . 502 AH | 1108 AD) , 1961 , Mohtrit Al adbaiq and Mhwait al sharak , publisher Diar Al hait , Beirut

Al Asfaueiny , Abo frag Ali bin Hassan (d . 356 A H | 967 AD) , 1986 , a Al Aqaany , Diar Al Torith Al Ariabe , Beirut .

Al Bauqiey , Asmmail bin Abriham (d . 256 AH | 869 AD) , 1958 , Bag hostoiry , Daiet Mareif , Hadier Abaad .

Al – Balathiri , Ahmad bin Yahya (d . 279 AH | 892 AD) , 1956 , Fattouh Albuldan , studied by Salah Din al munajjid , Al nahda Almasriya Library , Cairo .

Al BihIeqe , AbrIham bin Mohammed (d .458 AH | 1066 AD) , 1961 , Mahsen and worng , studied by Mohammed Abo Al Fathal Abriham , publisher Al nahda , Cairo .

Al gahuth , Amiro bin baher (d . 255AH | 868 AD) , 2000 , Al buin and TabIen , Studied by Drwaish gewIdey , Beirut .

Bin Habban , abo Hatim Mohammed (d . 354 AH | 965 AD) , 1980 , Al thqat , Diart Mariff , Hiadder Abadd .

Ibn Khaldun , Abdul Rahman (d . 808 AH | 1405 AD) , 1988 , MoKaddimat Abn Khaldun (Al Ibarwa diwan almubtada was allkhabar in Ayam alarab wa alajam was albarbar ma walahum min alsultan aladhum) , Stutied by Hajar Asi , Dar wa maktabat Al Hilal , Beirut .

Ibn Kalkan , Ahmad bin Mohammad (d . 681 AH | 1281 AD) , 1948 , wafit Al ayin , Studies by Mohammad Mahiy Al Din , publisher Al naha , Cairo .

Ibn Khayyat , Khalifa (d . 240 AH | 854 AD) , 1967 , Tareekh Khalifa bin Khayat , Studies by Akram Thai , publisher Al adab , Al Njafa .

Al – Thahabi , Mohammad bin Ahmed (d . 748 AH | 1374 AD) , 1981 , Aalam Alnobalaa , Studies by Shoaib Arnaout , Hussein Al Assad , Al- Resala Foundation , Beirut .

Al – Razi , Mohammad bin Abi Bakr (d . 666 AH | 1268 AD) , 1981 , Mokhtar Al – Sahah , Dar Al- Kitab Al – Arabi , Beirut .

Ibn Saad , Mohammed bin Maiee (d . 230 AH | 844 AD) , No year , Altabaqat Al Kubra , Studies by Ali Mohammed , Al – Khanji Library , Cairo .

Al – Suyti , Abdul Rahman bin Abi Bakr (d . 911 AH | 1505 AD) , 1952 , Tareekh AlKulafa , Studies by Mohammed Mohieldin , Alsada press , Cairo .

Ibn Abdul Hakam , Mohammed bin Abdullah (d . 257 AH | 889 AD) , 1984 , Siat Omar bin Abdul Aziz , Aalam Alkutob , Beirut .

Ibn Abd Rabia , Ahmad bin Mohammed (d . 328 AH | 940 AD) , 1986 , Al koaad Al Fariad , Studies by Kaill Shriff Al din , Makabat Al Haill , Beirut .

Ibn Al Arabie , Mohammad bin Abdullah (d . 543 AH | 1148 AD) , 1407 AH , Al awasam min Al qusam , Studied by Mohammad Jamal , Dar Al Jail , Beirut .

Ibn Asaker , Ali bin Hassan (d . 571 AH | 1175 AD) , 1992 , Tareekh Dimshq , studied by Trath sentifice center , Dar Ahaiq Al Trath Al Arabie , Beirut .

Al Fairoz Abady , Mjad Alden Mohammad (d . 817 AH | 1414 AD) , No Year , published Arbian Instution , Beirut .

Al Quly , Asamiel bin AlQusam (d . 356 AH | 969 AD) , No Year , Al Amilay , Studied by Mohammad Abdul Al Jowad , Dar Al Kitab , Cairo .

Ibn Qutaiba , Abdullah bin Muslim (d . 276 AH | 889 A D) , 1960 , Al Marief , Studied by Tharwat Okasha , Dar Al Kutab press , Cairo ; 1925 , Aouin Al Aqaber , Dar Katub Alarabe , Beirut .

Ibn Qudaamah , Qudaamah bin Jafar (d . 328 AH | 939 AD) , 1981 , Al – Khraaj wa Sinat Ah Kaatba , explain and comment Mohammad Hussein Zubaidi , published Al Raheed , Bagdad .

Ibn Qayyimal al Jawziyyah , Mohammad bin abi bakr (d . 751 AH | 1350 AD) , No Year , AQuaber Alnasua studied by NaZar Ratha , Dar Katab msaraI , Cairo .

Al Morady , Ali bin Mohammad (d . 450 AH | 1058 AD) , No Year , Al Ahakam Al celtaina , published Al babaiy Al haliby , Cairo .

Al Mobrad , Mohammad bin yazad (d . 285 AH | 899 AD) , 1989 , Al Kammail fe al laqe and adab , studied by Taqrad Bathon , Dar Katab , Beirut .

Al Masoudi , Ali bin Hussein (d . 346 AH | 957 AD) , 1958 , Morooj Althaab was Madin Alijawhar , studied by Mohammad Mohy el Din Abdel Hahmid , Al Saada press , Cairo .

Al Maqrizi , Ahmed bin Ali (d . 845 AH | 1441 AD) , 1967 , Al Noquid Al aslamia , studied by Baher Alom , Al Mkataba Al hadriaa , Najaf .

Ibn Manzoor , Mhammad bin Abi Makram (d . 711 AH | 1311 AD) , No Year , Lisan Alarab Almoheet , Dar Lisan Alarab , Beirut .

Al yacoubi , Ahmed bin Abi Yacoub (d . 284 AH | 897 AD) , 1882 , Tareekh Alyacoubi , Brill press , Leiden .

Second References :

Amian , Ahmad ,1988 , Thaiha Alislam , published Nahtha Al Ariaba , Cairo .

Al- bagdadey , Ahmad Maibric , 1984 , Al Faker Al cIascie and abi Al Hassan Al Mourdy , Dar Al shroic , Kowait .

Al – Ticriety , Najie , 1985, Htharit Al Iraq , Dar Al Haria press , Bagdad.

Al – dmairdish , Ahmad Siaaid , 1977 , Senices History in Arab , Dar Marffa , Cairo .

Al –riess , Mohammad Thaiya Aldain , 1969 , Al Korije , Dar al Katab Al masra , Cairo .

Safout , Ahmad zake , 1937 , Gamahart Quitb Al Arab , Al Babaie Al Haliby , Cairo .

Ashouir , Saaed Abdul Fatah ,Ahamd Moqtar Al Abady , Saad Zaqlol , 1986 , Taraic Al hathra Islimic Arbia , Dar that Al salicil , Kowait .

Al –Ali , Salh Ahmad , 1989 , Al Tinthamat Al agtmaia wa Aqtadya fe Iraq , Dar Al talae , Baghdad .

Qria coly , Gehadia , 1986 , Al aqlia Al Arabia , Dar Shoin al thaqifa , Baghdad .

Wahaba , MJdy K 1974 , Dar Al Faker , Beirut .

الأوسمة والأنواط العراقية في العهد الجمهوري الاول (١٩٥٨- ١٩٦٣)

علي صالح عبد الحسن عيسى

ا.د. إنعام مهدي علي السلمان

قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة بغداد/ العراق

ali.s.abdulhasan@gmail.com

الأوسمة والأنواط العراقية في العهد الجمهوري الاول (١٩٥٨- ١٩٦٣)

علي صالح عبد الحسن عيسى

ا.د. إنعام مهدي علي السلمان

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

إن هذا البحث الموسوم بـ(الأوسمة والانواط العراقية في العهد الجمهوري الأول ١٩٥٨- ١٩٦٣), يأتي ضمن الدراسات التي تسلط الضوء على دراسة الرموز السيادية الوطنية في العراق بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨, إذ تعتبر الأوسمة والانواط من أهم الرموز السيادية الوطنية التي كانت تمنحها الحكومات على الصعيد العسكري والمدني, ومنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١, عملت الحكومات المتعاقبة على الاهتمام بموضوع الأوسمة والانواط وحاولت ان تمنحها لمستحقيها في مناسبات مختلفة, الا ان بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حصل تغيير كبير في الرموز السيادية كافة, فضلا عن الأوسمة والانواط التي لحقها التغيير كذلك.

ولأجل تسليط الاضواء عن تفاصيل الموضوع ولأهميته, لذا بات من الضروري بيان اهم ما شهدته هذه الرموز السيادية من تطورات مصاحبة لها اثناء التغيير.

وقد تضمن البحث على مقدمة ومبحث وخاتمه ثم ثبت المصادر, إذ عزز البحث بمعلومات ميسرة عن القوانين والانظمة التي شرعتها, كذلك أهم التغيرات التي طرأت على الأوسمة والانواط في العهد الجمهوري الأول.

Iraqi medals and medals in the first republican era (1958-1963)

Ali Saleh Abdul Hassan Issa prof. Dr. Inaam Mahdi Ali Al Salman.

Department of history , college of arts , university of Baghdad, Iraq.

Abstract:

This research marked by Iraqi medals and medals in the first republican era, 1958- 1963, is among the studies that shed light on the after revolution of joly14,1958,as medals and medals are considered among the most important national symbol that were granted by governments at the level Since the establishment of the modern Iraqi state in 1921, successive governments have worked to pay attention to the issue of medals and medals and tried to give them to those who deserve them on various occasions, but after the July 14, 1958 revolution, a major change took place in all medals and medals that change followed As well.

The research included an introduction, a discussion and a conclusion, and then it was proven to the easy information on the laws and regulations that it enacted, as well as the most important changes that occurred in the medals and medals in the first republican era.

بمناسبة الذكرى الاولى لانبثاق ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ واحياء لذكراها, استحدث وسام رفيع هو الوسام الجمهوري (وسام ١٤ تموز ١٩٥٨), ووضعت لائحة قانون للوسام برقم (٨٦) لسنة ١٩٥٩[١].

تلي كتاب وزارة الدفاع المرقم (د/٤٢/٣٥٥/١٨٥٩) في ٢٣ ايار ١٩٥٩ ومرفقه لائحة قانون الوسام الجمهوري في مجلس الوزراء, وبعد المداولة وافق مجلس الوزراء على القانون والنظام[٢]. و صدر قانون الوسام الجمهوري في ٣٠ ايار ١٩٥٩, إذ جاء في **المادة الاولى:**

يستحدث وسام باسم الوسام الجمهوري (وسام ١٤ تموز ١٩٥٨) ويُعد ارفع وسام في الجمهورية العراقية ويكون على درجتين أعلاهما الأولى. وأكدت المادة الثانية- أن يمنح هذا الوسام وترفع درجته ويسترد من حامله بقرار من مجلس الوزراء وبمرسوم جمهوري. واشارت المادة الثالثة – إلى أن يعين بنظام خاص شكل الوسام ونوعه و اوصافه والوان شرائطه وكيفية حمله وكل ما يتعلق بمنحه وحيازته. كما نوهت المادة الرابعة ان ينفذ القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[٣]. وعزمت المادة الخامسة الوزراء بتنفيذ القانون. وقد صادق عليه رئيس و أعضاء مجلس السيادة[٤], محمد نجيب الربيعي[٥], وخالد النقشبندي[٦], ورئيس الوزراء عبد الكريم قاسم.

واستنادا إلى المادة الثالثة من قانون الوسام الجمهوري (وسام ١٤ تموز١٩٥٨) رقم (٨٦) لسنة ١٩٥٩, وبناء على ما عرضه وزير الدفاع ووافق عليه مجلس الوزراء صدر **النظام رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٩** الخاص بالقانون, إذ نص النظام في مادته الاولى على استحداث نظام باسم الوسام الجمهوري (وسام ١٤ تموز١٩٥٨) بدرجتين وعلى نوعين عسكري ومدني. أما المادة الثانية فقرة فنصت على – أ- يتكون الوسام في درجتيه ونوعيه من شعار (الجمهورية العراقية)[٧] بألوانه الطبيعية تحتضنه سعفتان بلون اخضر فاتح وتتقاطعان عند اسفل الشعار على شكل ربطة يكتب تحتها كلمة (الوسام الجمهوري) بالخط الكوفي. وفي اعلى الوسام اكليل مسطح ذو حلقة تربط الوسام بالشريط. تحيط بالشعار للوسام من الدرجة الاولى رصيعة ذهبية اللون على شكل نجم مثمن ذي نتوءات خمسة بين كل رأس واخر. يثبت على وجه الرصيعة الخلفي نجم مثمن مسطح في منتصفه دائرة بيضاء بقطر ٣سم ويكتب بالخط الكوفي على القسم العلوي منها (الجمهورية العراقية). وعلى القسم السفلي منها (١٣٧٧ هـ) وفي منتصف الرصيعة دائرة أخرى بقطر(٧٥ر١)سم يكتب عليها كلمة (الشعب) التي يحتضنها في القسم السفلي الايسر منها سيف عربي والايمن منها خنجر كردي وشعلة ١٤ تموز زخرف مجسم بيضوي الشكل وفي وسط الزخرف مثلث متساوي الاضلاع

كتب بداخله الحرف (ج) بالخط الكوفي رمزا لقوة الجيش واندماجه بالشعب, وحدد قطر الزخرف على درجتين الاولى والثانية.

ب- يكون شريط الوسام بنوعيه حريريا بعرض($٣\frac{1}{2}$)سم يقسم الى الاقسام والالوان الآتية:

ذهبي اللون من الجانبين بعرض(٥ر٠)سم يليهما الأحمر العاتك (قرميدي اللون) بعرض (٥ر٠) من الجانبين يليهما الأبيض من الداخل وعلى الجانبين بعرض(٢ر٠) سم ويليهما الأسود بعرض(٢٥ر٠)سم من الجانبين . ويليهما الأزرق السماوي بعرض (٥ر٠)سم في الوسط .

جـ - يميز الوسام العسكري عن المدني بوجود سيفين متقاطعين داخل الاكليل العسكري .

وقد تضمنت المادة الثالثة الاتي:

أ- يعلق الوسام من الدرجة الاولى في اسفل الرقبة بشريطه الموصوف الذي يشكل ربطة حول الرقبة طول ضلعها (٢٠)سم .

ب- يعلق الوسام من الدرجة الثانية على الجهة اليسرى من الصدر بشريطه الموصوف وبطول($٤\frac{1}{2}$)سم .

واكدت المادة الرابعة أن يحمل هذا الوسام في الاعياد والاحتفالات الرسمية وفي أي وقت آخر يقرره مجلس الوزراء[٨].

الزمت المادة الخامسة من النظام الاشخاص الذين يحملون الوسام فأشارت الى ان يمنح الوسام وترفع درجته لمن يقوم بخدمة نافعة وجليلة للجمهورية العراقية ويشترط في منح الدرجة الاولى منه وفي الترفيع إليها أن يكون نفع الخدمة عاما وبارزا وممتازا وان يكون الممنوح قد تبوء مناصب عليا في الجمهورية العراقية او قام بخدمات ممتازة من ابناء الشعب كما يمنح للأجانب تقديرا لمكانتهم الممتازة .

وحددت المادة السادسة أعداد الاشخاص الذين يمنحون الوسام الجمهوري, اذ حدد العدد بثلاثمائة وخمسين شخصا للوسام من الدرجة الاولى, وسبعمائة شخص للوسام من الدرجة الثانية, وتقسم الأعداد مناصفة بين العسكريين والمدنيين, وأن لا يتجاوز ما يمنح للأجانب منه ثلث العدد المعين .

اما المادة السابعة فتضمنت استرداد الوسام ممن اتى عملا ينافي الاخلاص للجمهورية العراقية او يزرى بالشرف او يسقط الحيثية او في الحالات الاخرى التي يقررها مجلس الوزراء .

ولم تغفل المادة الثامنة موضوع امكانية فقدان الوسام فأشارت إلى ذلك: اذ فقد الوسام يجوز لحامله أن يحصل على إذن من مجلس الوزراء للحصول على الوسام بدله لقاء ثمن تكلفته, وإذا رفعت درجته فيسترد الوسام الاصغر درجة, وتقرر تنفيذ هذا النظام من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[٩] .

صنع وسام الجمهورية في (Arthus Bertrand) في باريس, وبعض القطع في (Huguenin) وهو من تصميم الفنان جواد سليم, وجرى الغاء قانون الوسام الجمهوري رقم (٨٦) لسنة ١٩٥٩ (وسام ١٤ تموز١٩٥٨), بموجب المادة (٣٣) – أولا– أ – من قانون الاوسمة والانواط رقم (٩٥) لسنة ١٩٨٢, والمادة (٣٣) – ثانيا – أ – من قانون الاوسمة والانواط رقم (٩٥) لسنة ١٩٨٥[١٠] .

– قانون وسام الرافدين رقم (٨٧) لسنة ١٩٥٩:

جاء في مسودة اللائحة الاسباب الموجبة لوضع هذا القانون " **بالنظر الى القضاء على العهد المباد وحلول العهد الجمهوري الزاهر بنتيجة ثورة ١٤ تموز الخالدة فقد اقتضى ازالة معالم ذلك العهد واثاره . وعلى هذا الاساس وجب الغاء قانون وسام الرافدين رقم (٢٩) لسنة ١٩٢٧ وعليه صيغت هذه اللائحة بما يتلائم وشعارات العهد الجمهوري الخالد** "[١١] .

إذ تلي كتاب وزارة الدفاع المرقم (د/ ٤٢/ ١١/ ١٨٦٠) في ٢٢ ايار ١٩٥٩, ومرفقه لائحة قانون ولائحة نظام وسام الرافدين, وبعد المداولة وافق مجلس الوزراء على القانون والنظام(١٢).

صدر القانون في ٣٠ ايار ١٩٥٩, وجاء في **المادة الاولى** – يستحدث وسام باسم وسام الرافدين بثلاث درجات. أما المادة الثانية فنصت على أن يمنح هذا الوسام وترفع درجته ويسترد من حامله بقرار من مجلس الوزراء وبمرسوم جمهوري . وجاء في المادة الثالثة – يعين بنظام شكل الوسام ونوعه ودرجاته والوان شرائطه وكيفية واوقات حمله وكل ما يتعلق بطريقة منحه وحيازته . اما المادة الرابعة فنصت – يلغى قانون وسام الرافدين المرقم (٢٩) لسنة ١٩٢٧ والانظمة الصادرة بموجبه, وتضمنت المادة الخامسة تنفيذه كما ألزمت المادة السادسة الوزراء بتطبيقه, وقد وضع القانون وسام الرافدين ذي العدد (٢٨) لسنة ١٩٥٩ وقد جاء في مادته الاولى(١٣):

يكون الوسام على نوعين عسكري ومدني, أما المادة الثانية فتضمنت أن يتألف وسام الرافدين في جميع درجاته وأنواعه من معدن الفضة ذات عيار (٨٠٠) مطلي بلون ذهبي ومن نجم مثمن(١٤) ذي وجهين وبلون أحمر من وسط وجهه الظاهر دائرة بيضاء مكتوب بالخط الكوفي على قسمها العلوي (الجمهورية العراقية) وعلى قسمها السفلي (حب الوطن من الايمان) ويحيط بهذه الدائرة دائرة محيطها مسنن مخرم بأنصاف الدوائر وأنصاف اقطارها أخضر والزركشة التي بين انصاف الدوائر بيضاء وفي داخل الدائرة الاولى دائرة اخرى زرقاء عليها (النسر العربي), وفي وجه الوسام الخلفي دائرة بيضاء مكتوب بالخط الكوفي على قسمها العلوي (الشعب) وعلى قسمها السفلي (١٣٧٧هـ) وفي داخل هذه الدائرة دائرة أخرى زرقاء اللون مكتوب عليها بالخط الكوفي أيضا (الرافدين) ويربط هذا النجم في أعلاه بإكليل مسطح معلق بشريط احمر متماوج بعرض ($٣\frac{1}{2}$)سم من ضمنه وفي طرفيه خطان اسودان بعرض(٢٥ر٠)سم مع خط أسود بعرض(٥ر٠)سم في وسطه.

وحددت المادة الثالثة أ- يعلق الوسام من الدرجة الاولى بوشاح عريض من الحرير في لون الشريط وخطوطه وبعرض عشرة سنتمترات معقود مؤخره على شكل وردة يعلق بها الوسام الموصوف في المادة الثانية من النظام على أن يثبت في القسم الاعلى من الفخذ الأيسر ويمر الوشاح المذكور في الكتف الأيمن متوجها نحو الجنب الأيسر ويكون لهذه الدرجة رصيعة ذهبية من ثماني شعب مسطحة ومزركشة يرتكز على منتصفها وجه الوسام خاليا من أوصاف وجه الخلفي الموصوف في المادة الثانية وتوضع هذه الرصيعة على أسفل الصدر من الجهة اليسرى(١٥).

ب – يعلق الوسام من الدرجة الثانية بشريطه الموصوف حول الرقبة بشكل ربطة طول ضلعها (٢٥)سم .

جـ – يعلق الوسام من الدرجة الثالثة, والذي يكون اصغر حجما من الدرجة الثانية بشريطه الموصوف بطول لا يزيد على($٤\frac{1}{2}$)سم على الجهة اليسرى من الصدر .

د- يعلق الوسام من الدرجة الرابعة بشريطه الموصوف بطول($٤\frac{1}{2}$)سم على الجهة اليسرى من الصدر ويكون حجمه بحجم الوسام من الدرجة الثالثة ويتميز عنه بلون اكليله الفضي .

هـ – يعلق الوسام من الدرجة الخامسة, الذي يكون حجمه بحجم الوسام من الدرجة الرابعة بشريطه الموصوف بطول($٤\frac{1}{2}$)على الجهة اليسرى من الصدر, وتتميز هذه الدرجة على الدرجات الباقية بمعدنها الفضي غير المطلي باللون الذهبي .

وحددت المادة الرابعة وضع شارات التميز على شريط الاوسمة التي يحملها العسكريون فقط وهي على النحو الآتي:

أ- الدرجة الاولى – سعفة مذهبة بطول سم واحد توضع افقيا في منتصف الشريط .

ب – الدرجة الثانية – نجمة خماسية مذهبة صغيرة توضع في منتصف الشريط .

جـ – الدرجة الثالثة – دائرة بشكل وردة من نفس شريط الوسام مرتكزة على قصب ذهبي وتوضع في منتصف الشريط .

د – الدرجة الرابعة – دائرة بشكل وردة من نفس قماش الشريط من دون قصب وتوضع في منتصف الشريط .

هـ – الدرجة الخامسة– خال من كل تمييز وحددت المادة الخامسة المناسبات التي يحمل فيها وسام الرافدين, وهي الاعياد والاحتفالات الرسمية وفي أي وقت آخر يقرره مجلس الوزراء(١٦).

أما المادة السادسة فحددت الفئات التي يمنح لها الوسام, إذ تضمنت: يمنح الوسام وترفع درجته لمن يقوم بخدمة نافعة وجليلة للجمهورية العراقية, ويشترط في منح الدرجة الاولى منه وفي الترفيع إليها أن يكون نفع الخدمة عاما, وبارزا وان يكون الممنوح له قد تبوأ مناصب عليا في الجمهورية العراقية, أو قام بأعمال بارزة من ابناء الشعب, كما يمنح للأجانب تقديرا لمكانتهم ولوحدات القوات المسلحة, التي تقوم بأعمال مشرفة في اثناء الحركات الفعلية أو في الحرب .

وثبتت المادة السابعة اعداد الذين يمنحون الوسام, فأكدت أن يتجاوز عدد أصحاب الاوسمة من الدرجة الاولى (٧٥٠) شخصاً, ومن الدرجة الثانية (١٠٠) شخص, ومن الدرجة الثالثة (٢٠٠٠) شخص, ولم يحدد عدد الذين يمنحون الوسام من الدرجتين الرابعة والخامسة, وتقسم الأعداد مناصفة بين العسكرين والوحدات وبين المدنيين, وأن لا يتجاوز ما يمنح للأجانب من الوسام ثلث العدد المبين في المادة(١٧) .

وتضمنت المادة الثامنة يسترد الوسام ممن أتى عملا ينافي الاخلاص للجمهورية العراقية أو يزرى بالشرف أو يسقط الحيثية أو في الحالات الاخرى التي يقررها مجلس الوزراء. اما المادة التاسعة– فأشارت إلى: أ– إذا رفعت درجة الوسام فيسترد الوسام الأصغر درجة .

ب- إذا فقد الوسام يجوز لحامله ان يحصل على إذن من مجلس الوزراء للحصول على وسام بدله لقاء ثمن كلفته .

والغت المادة العاشرة- يلغى نظام وسام الرافدين المرقم (١٤) لسنة ١٩٢٨ وتعديلاته[١٨], وقد الغيت المادة الاولى والثانية والثالثة والسادسة من النظام بموجب النظام رقم (٣٧) لسنة ١٩٦٥, الصادر في ١٤ آب ١٩٦٥[١٩].

- قانون احداث أنواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨- ١٩٤٩ .

جاء في ديباجة لائحة القانون "**بالنظر الى انتقال العراق من العهد الملكي المباد الى العهد الجمهوري الزاهر نتيجة ثورة ١٤ تموز الخالدة فقد وجب ازالة معالم ذلك العهد واثاره وعلى هذا الاساس يلغى قانون احداث نوطي الشجاعة والخدمة الفعلية رقم (٣٤) لسنة ١٩٢٦ ووضعت بدله هذه اللائحة بما يتلاءم وشعارات العهد الجمهوري الزاهر, تحت اسم قانون احداث انوط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩ رقم (٨٨) ١٩٥٩**"[٢٠], إذ وافق مجلس الوزراء على كتاب وزارة الدفاع ذي العدد ١٨٦١/٨٠/٤٢ مكرر, و د/٢٥٦/٤٢/ ١٨٥٧ مكرر, و د/٢٥٧/٤٢/ ١٨٥٨ المؤرخ بـ ٢٢ آيار ١٩٥٩, ومرفقها لائحة قانون احداث انواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨- ١٩٤٩ في ٢٣ ايار ١٩٥٩[٢١], وأصدر في ٣٠ ايار ١٩٥٩ وقد جاء في المادة الاولى منه:-

يسمى هذا القانون قانون احداث أنواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨- ١٩٤٩, أما المادة الثانية فقد نصت على أن تستحدث أنواط أربعة باسم نوط الشجاعة ونوط الخدمة العامة ونوط حركات مايس ١٩٤١ وحرب ١٩٤٨-١٩٤٩ وتعين أشكالها وألوان شرائطها وكيفية حملها بأنظمة خاصة, وحددت المادة الثالثة ان لمجلس الوزراء استحداث أنواط أخرى عند

الاقتضاء بانظمة خاصة, أما المادة الرابعة فتضمنت بأن يمنح نوط الشجاعة للعسكريين والمدنيين ممن يبدون شجاعة فائقة في الحركات الفعلية او الحرب .

ووفقا للمادة الخامسة فان نوط الخدمة العامة يمنح للعسكريين والمدنيين الذين يشتركون في حركات عسكرية يقدرها وزير الدفاع وفي الحرب[٢٢], واكدت أن الانواط تمنح بقرار من مجلس الوزراء وبمرسوم جمهوري .

وبينت المادة السابعة أن يتقدم نوطا الشجاعة والخدمة العامة في حملها على الانواط الاخرى, ويليهما نوط حركات مايس ١٩٤١ ونوط حرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩ ونوط الانقاذ (الفيضان) ١٩٥٤ .

وألغت المادة الثامنة قانون أحداث نوطي الشجاعة والخدمة الفعلية رقم (٣٤) لسنة ١٩٢٦ والانظمة الصادرة بموجبه والغاء القانون الانواط العراقية رقم (٣٩) لسنة ١٩٤٩ والانظمة الصادرة بموجبه, والزمت المادة التاسعة تنفيذ القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية [٢٣], وقد عدل هذا القانون بموجب النظام رقم (٧٨) لسنة ١٩٦٩.

- نظام نوط الشجاعة رقم (٢٩) لسنة ١٩٥٩.

تنفيذا للمادة الثانية من قانون احداث انواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩ وضع نوط الشجاعة رقم (٢٩) لسنة ١٩٥٩ وعلى النحو الآتي[٢٤]:

المادة الاولى- يستحدث نوط باسم (نوط الشجاعة) .

المادة الثانية- يتألف النوط وشريطه مما يأتي :

أ- النوط – نجم مثمن نحاسي اللون بقطر (٤) سم داخله نجم مثمن آخر ذو رؤوس مشعة في داخل النجم سيفان متقاطعان ذهبيا اللون يمس القبضتان والذؤابتان محيط الدائرة وفي أعلى السيفين المتقاطعين مثلث بلون أحمر عاتك متساوي الاضلاع طول ضلعه (١)سم .

ترتكز قاعدته على حدى السيفين من الداخل ويتصل رأس المثلث بمحيط الدائرة من الاعلى وفي داخل المثلث تكتب كلمة الشعب التي يحتضنها في القسم السفلي الايسر منها سيف عربي. والايمن منها خنجر كردي وتعلوها شعلة (١٤ تموز) ويتكون من الشعب والسيف والخنجر وشعلة ١٤ تموز زخرف مجسم بيضوي الشكل وفي وسط الزخرف مثلث متساوي الاضلاع كتب بداخله الحرف (ج) بالخط الكوفي رمزا لقوة الجيش واندماجه بالشعب .

ب- الشريط – شقة من الحرير طولها عقدة ونصف العقدة وعرضها عقدة وعشر العقدة مقسمة إلى ثلاثة اقسام متساوية الأسود من الجانبين والأحمر العنابي في الوسط واذا ناله شخص اكثر من مرة توضع نجمة خماسية نحاسية اللون لماعة حجم (٣) ملم على الشريط ويزداد عدد النجمات نجمة واحدة لكل مرة يتكرر فيها الإنعام بالنوط .

المادة الثالثة- يعلق نوط الشجاعة على الجانب الأيسر من الصدر ويلي الاوسمة العراقية ويتقدم على الانواط الاخرى, وألغت المادة الرابعة- نظام تنفيذ قانون احداث نوطي الشجاعة والخدمة الفعلية العامة رقم (٢) لسنة ١٩٢٧ وتعديلاته, وألزمت المادة الخامسة بتنفيذ النظام من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[٢٥].

- نظام نوط الخدمة العامة رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٩ .

تنفيذا للمادة الثانية من قانون احداث أنواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩ وضع نظام انواط الشجاعة والخدمة العامة رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٩ في ٢٤ ايار ١٩٥٩

وجاء في مواده الاتي[٢٦]:

المادة الاولى- يستحدث نوط باسم (نوط الخدمة العامة) .

المادة الثانية- أ- النوط – قرص من شبه بقطر عقدة وربع عقدة وبسمك ١ من ١٦ من العقدة في القسم الاسفل منه هلال مفتوح من الاعلى والقرص موضوع على بندقيتين بحيث تبرز فوهتاهما من أعلى القرص واخمصاهما من أسفله .

ونقطة التقاطع الموهومة واقعة في مركز دائرة القرص . وفي أعلى القرص شعاع من أسنةَ رماح يتألف من تسعة اسنة وترتكز قاعدته على محيط القرص وتتصل قمته بعروة الشريط . ويكتب على وجه القرص الواحد في وسط الاكليل (الخدمة العامة) وعلى الوجه الآخر تاريخ أحداث النوط بالسنة الهجرية وبالخط الكوفي (١٣٤٤ هـ)[٢٧] .

ب – الشريط – شقة من الحرير طولها عقدة ونصف وعرضها عقدة وربع ولون ربعي الشقة الجانبين اخضر ولون نصفها الوسطي أبيض, وإذا ناله شخص اكثر من مرة توضع نجمة خماسية نحاسية اللون غير لماعة حجم ٣ملم عل الشريط ويزداد عدد النجمات نجمة واحدة لكل مرة يتكرر فيها الانعام بالنوط .

المادة الثالثة– يعلق نوط الخدمة العامة بعد نوط الشجاعة على الصدر الايسر.

المادة الرابعة – يلغى نظام تنفيذ قانون احداث نوطي الشجاعة والخدمة الفعلية العامة رقم (٢) لسنة ١٩٢٧ وتعديلاته, والزمت المادتان الخامسة والسادسة تنفيذ النظام من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية وتطبيقه من قبل الوزراء[٢٨].

– **نظام نوط حركات مايس سنة ١٩٤١ رقم (٣١) لسنة ١٩٥٩** .وضع هذا النظام في الرابع والعشرين من شهر ايار ١٩٥٩, استنادا للمادة الثانية من قانون استحداث أنواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين ١٩٤٨–١٩٤٩, وقد أشارت المادة الاولى الى استحداثه, أما المادة الثانية فحددت اوصاف النوط من نجم وشريط وهي على النحو الآتي[٢٩]:

أ– النجم – مثمن بلون أحمرعاتك (قرميدي اللون) بقطر ٤سم بداخله قرص برونزي اللون بقطر ٣سم مرسوم في داخله خريطة دجلة والفرات وروافدهما وبحيرة الحبانية وجنود بوضع القتال والنفير .

ب – الشريط – حريري متماوج طولة ٥ر٤سم وعرضه ٣سم . ويقسم إلى خمسة أقسام متساوية, في الجانبين الأخضر ويليهما الأصفر وفي الوسط الأزرق .

وحددت المادة الثالثة الاشخاص من الذين يمنحون النوط وهم الضباط والائمة ونواب الضباط وضباط الصف والجنود وطلبة الكليات والمدارس العسكرية الذين كانوا في خدمة الجيش خلال المدة من ٢ مايس ١٩٤١ لغاية ٣٠ مايس ١٩٤١, ولكل من ساهم في هذه الحركات من المدنيين, على أن ينفذ من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

- نظام نوط حرب فلسطين لسنة ١٩٤٨-١٩٤٩ رقم (٣٢) لسنة ١٩٥٩ .

وضع أيضا استنادا الى المادة الثانية من قانون استحداث انواط الشجاعة والخدمة العامة وحركات مايس ١٩٤١ وحرب فلسطين, وقد حددت المواد اوصاف النوط[٣٠], وهي على النحو الآتي:

أ- القرص: يكون القرص فضي اللون وبقطر (٤)سم . مرسوم في وسطه نجم مثلث بلون أحمر ناري ورؤوسه على شكل لهيب ذهبي اللون وبداخله خريطة فلسطين باللون الأسود تحتوي على قبة الصخرة باللون البيض والازرق وبجنبهما جندي عراقي في وضع التهيؤ باتجاه البحر وكلمة (عائدون) بالخط الكوفي. تنحصر كتابتها ما بين القطرين الشاقولي والافقي للنجم المثمن وفي القسم الكائن أسفل الحربة, وبظهر القرص كلمة (الجمهورية العراقية) بالخط الكوفي.

ب- الشريط: حريري طوله(٥ر٤) سم وعرضه (٣)سم مقسم إلى خمسة أقسام متساوية في الجانبين الأسود ويليهما الأخضر وفي الوسط الأحمر الناري .

وحددت المادة الثالثة من النظام بانه بعد استعادة فلسطين تضاف وتجري التبدلات الآتية على القرص والشريط:

أ- القرص- تكتب كلمة (عدنا) في ظهر القرص وتحت كلمة الجمهورية العراقية .

ب- الشريط- يبدل اللون الأسود باللون الأبيض ويبدل اللون الاحمر باللون الازرق السماوي .

اما الفئات المشمولة بالنوط, فقد حددتها المادة الرابعة (أ) يمنح لكل من اشترك في حرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩ من العسكريين والمدنيين .

ب- ولكل ضابط في خدمة الجيش من خريجي الكلية العسكرية .

جـ - ولكل من يتخرج في الكليات العسكرية ويستمر في خدمة الجيش .

د- ولكل من يسهم من العسكريين والمدنيين في استعادة فلسطين وتحريرها .

أما المادة الخامسة فأشارت إلى الزام النظام بتنفيذه من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[٣١] .

- قانون استحداث رمز ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ رقم (١٠١) لسنة ١٩٥٩.

استحدث قانون (رمز ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) رقم (١٠١) لسنة ١٩٥٩, في ٢١ حزيران ١٩٥٩, وصدر في ٢٤ من الشهر نفسه, وقد نصت مادته الاولى على استحداث شارة ترمز إلى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨, أما المادة الثانية فتشير إلى أن هذه الشارة التي سميت بالرمز حلت محل التاج في الرتب العسكرية للقوات المسلحة ولضباط القوات البرية والبحرية والجوية المبينة اشكالها في المخططات بنظام (شارات رتب ضباط الجيش رقم ٢ لسنة ١٩٤٢) وبالإحجام التي يقررها وزير الدفاع وفي أي محل آخر ورد في القوانين والأنظمة الأخرى[٣٢].

وقد وصفت المادة الثالثة الرمز بأنه يتألف " **من كلمة الشعب يحتضنها في القسم السفلي الايسر منها سيف عربي والايمن منها خنجر كردي وتعلوها شعلة ١٤ تموز التي يستمد منها الشعب قوة انطلاقه والتي ترمز الى الحرية التي استردها الشعب في يوم ١٤ تموز ١٩٥٨, ويتكون من كلمة الشعب والسيف والخنجر وشعلة ١٤ تموز زخرف مجسم بيضوي الشكل, وفي وسط الزخرف مثلث متساوي الاضلاع بداخله الحرف (ج) بالخط الكوفي رمزا لقوة الجيش واندماجه بقوة الشعب** "[٣٣].

وقد تناولت المادة الخامسة الملحق (أ) و الملحق (ب) والجدول الملحق (ج) التي اشارت اليها المادة الخامسة من القانون نفسه شكل الرمز وقياساته ونسب ابعاده .

ومن أهان الرمز أو اتى بأي عمل يمس بكرامته فيعاقب بما نصت عليه المادة السادسة من هذا القانون بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بغرامة لا تزيد على مائة دينار .

- قانون الاوسمة والهدايا الاجنبية رقم (٣٢) لسنة ١٩٦١ .

كانت رؤية حكومة الثورة أنه من الضروري تشريع قانون جديد يحل محل قانون الاوسمة الاجنبية رقم (١٩) لسنة ١٩٢٢ وذيله رقم (٦١) لسنة ١٩٣٦ و (١٣) لسنة ١٩٣٧, مع النص فيه على أحكام تتعلق بالمنح والهدايا الاجنبية نظرا لعدم وجود تشريع ينظمها, فوضعت لائحة قانون الاوسمة والهدايا الاجنبية رقم (٣٢) لسنة ١٩٦١, التي روعي فيها أن يكون الوزير المسؤول عن تنفيذ القسم المتعلق بالأوسمة الاجنبية من القانون هو وزير الخارجية لكون الموضوع أقرب إلى اختصاصه, أما القسم المتعلق بالمنح والهدايا الاجنبية فقد جعل الوزير المسؤول عن تنفيذه هو وزير الداخلية لعلاقة الموضوع بأمور تخص شؤون الامن[٣٤], وقد نصت **المادة الاولى**[٣٥] :

على العراقي الممنوح وساما من دولة اجنبية أن يطلب الموافقة على حملة من الحكومة العراقية . واما **المادة الثانية** فقد اشارت الى ان حامل الوسام الاجنبي يجب أن يقوم بتقديم طلب إذن إلى وزارة الخارجية مزودا إياها بالوثائق المؤيدة له, وهي بدورها تعرضها على مجلس الوزراء ليقرر السماح بحمل الوسام او عدمه . وفي حالة الموافقة يستصدر مرسوما جمهوريا بحمل الوسام, وتقوم الوزارة بتوجيه كتاب بذلك الى من منح له الوسام مصحوبا بصورة من المرسوم. اما **المادة الثالثة** فقد اجازت حمل العراقي للوسام الاجنبي في الاحوال الاتية:

١- بحضور رئيس الدولة المانحة للوسام أو من هو بمقامه أو رئيس حكومتها.

٢- في الحفلات التي تقام في مساكن سفراء الدولة المانحة للوسام أو مفوضيها أو قناصلها المقيمين في الجمهورية العراقية او خارجها .

٣- إذا كان يعمل في جيش الدولة المانحة أو رسولا من الحكومة العراقية خلال اقامته في البلد الاجنبي .

٤- في الحفلات الرسمية وشبه الرسمية التي لها علاقة بالدولة مانحة الوسام سواء اقيمت في العراق او في بلد الدولة مانحة الوسام .

أما المادة الرابعة فأشارت إلى أنه يتبع في حمل الوسام الاجنبي نظامه الخاص المرعى في الدولة الاجنبية, وتركت المادة الخامسة لمجلس الوزراء قرار إنهاء الاذن الصادر بحمل الوسام الاجنبي, ويقترن هذا القرار بمرسوم جمهوري. كما لا يجوز استعمال الالقاب الملحقة بالوسام الاجنبي أو الرتبة الاجنبية كما نصت **المادة السادسة** ولوكان منحها قد وقع قبل نفاذ هذ القانون سواء استعملت في داخل العراق أو خارجه .

واستثنت المادة السابعة من احكام المادة السادسة الالقاب الفخرية العلمية التي تمنحها الجامعات الاجنبية, وحددت المادة الثامنة أن: ١ – على كل موظف او مستخدم في دائرة رسمية أو شبه رسمية وعضو في المجالس الرسمية أو المصالح المؤسسة بقوانين خاصة تقدم له منحة أو هدية من أي جهة اجنبية بصفته الرسمية ان يخبر وزارة الداخلية بواسطة مرجعه المختص للحصول على الاذن بقبول المنحة أو الهدية .

٢- كل عراقي قدمت له منحة أو هدية من حكومة أجنبية ان يحصل على الأذن بقبول المنحة من وزير الداخلية .

والزمت المادة التاسعة كل من تقدم له منحة أو هدية أجنبية من المشمولين بأحكام هذا القانون أن يقبلها للمجاملة على ان يخبر السلطة الادارية أن كان داخل العراق او الممثلية العراقية ان كان في خارجه خلال ثلاثة أشهر من تاريخ تسلمها, ووفقا للمادة العاشرة يستثنى من أحكام المادتين الثامنة والتاسعة المنح العينية التي

لا تتجاوز قيمتها عشرين دينارا أو الهدايا ذات الطبع الرمزي[٣٦], وطبقا للمادة الحادية عشرة في حالة رفض وزير الداخلية الاذن بقبول الهدية تؤخذ من الشخص الممنوحة له وتعطى الى جهة علمية او خيرية, والزمت المادة الثانية عشرة كل عراقي خالف الاحكام المتعلقة بالأوسمة الاجنبية أو الألقاب المنصوص عليها في هذا القانون يعاقب بحرمانه من حمل الوسام الاجنبي وبغرامة لا تتجاوز مائة دينار, أما المادة الثالثة عشرة فتضمنت أن يعاقب كل من خالف الاحكام المتعلقة بالمنح من هذا القانون يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة واحدة او بغرامة لا تتجاوز ثلاثمائة دينار مع مصادرة المنحة وفي حالة التصرف بها يضمن المخالف قيمتها, و يلغى قانون الاوسمة الاجنبية رقم (١٩) لسنة ١٩٢٢ وذيلاه رقم (٦١) لسنة ١٩٣٦ و(١٣) لسنة ١٩٣٧, كما صرحت **المادة السادسة عشرة**[٣٧]. على أن ينفذ القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[٣٨].

- نظام نوط الشرطة رقم (٢٢) لسنة ١٩٦١ .

صدر في ١٣ تموز ١٩٦١, استنادا إلى فقرة (د) من المادة (٣٧)من قانون خدمة الشرطة وانضباطها رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٣, وقد نصت المادة الاولى من النظام على أن يكون نوط الشرطة على درجتين (الدرجة الاولى للخدمة الممتازة و الدرجة الثانية للخدمة العامة), أما **المادة الثانية** فقد اعطت اوصاف نوط الشرطة من الدرجة الاولى للخدمة الممتازة على النحو الآتي[٣٩]:

١- كوكب من فضة ذو ثمانية أشعة سمكه (١)ملم وقطره (٤)سم تحيط به سعفتان متقاطعتان من الاسفل وترتفع بين الشعاعين العلويين للكوكب شعلة ارتفاعها سنتمتر واحد ونصف سنتمتر وعرض تقاطع الشعلة بالكواكب (٣)ملم وقطر حاشية موقد الشعلة $\frac{1}{2}$ سم ويكون في وسط الكوكب دائرة قطرها (٢)سم نقش في داخلها كلمة (الرمز) يحيط بها اطار أبيض عرضه (٣)ملم .

٢- يعلق الكوكب بشريط من الحرير النيلي الغامق المتماوج عرضه (٣ و $\frac{1}{2}$)سم ذو حاشيتين بيضاويين عرض كل منهما($\frac{1}{2}$)سم في وسطه ثلاثة خطوط بيض عرض كل منها (٢)ملم وبين كل خط واخر (٣ملم) .

٣- يربط الشريط بالكوكب بحلقة معدنية مستديرة الشكل قطرها سنتمتر واحد تسند إلى رأس الشعلة من الاعلى .

٤- يكتب على وجه الكوكب الخلفي نوط الشرطة للخدمة الممتازة مع اسم ورتبة من منح له وتاريخ منح النوط بالتقويم الهجري والميلادي بالأرقام وبالخط الكوفي .

أما **المادة الثالثة** فقد أعطت أوصاف نوط الشرطة من الدرجة الثانية للخدمة العامة وعلى النحو الآتي[٤٠] :

١- كوكب من نحاس ذو ثمانية اشعة سمكه (١)ملم وقطره (٤)ملم و $\frac{1}{2}$ سم في وسطه دائرة قطرها سنتمتران منقوش فيها كلمة الرمز يحيط بها اطار نحاسي عرضه (٢)ملم.

٢- يعلق الكوكب بشريط من الحرير الاحمر المتماوج عرضه ثلاثة سنتمترات ونصف سنتمتر في وسطه خط أحمر عرضه مليمتر واحد له حاشيتان حمراوان عرض كل منهما نصف سنتمتر .

٣- يربط الشريط بالكوكب بحلقة معدنية مستديرة الشكل قطرها سنتمتر واحد ومليمتران تمر من رأس الشعاع الاعلى .

٤- يكتب على وجه الكوكب الخلفي نوط الشرطة للخدمة العامة مع اسم ورتبه من منح له وتاريخ منح النوط بالتقويم الهجري والميلادي بالارقام وبالخط الكوفي .

المادة الرابعة -١- يرفع مدير الشرطة العام توصية إلى وزير الداخلية بمنح نوط الشرطة من الدرجتين الاولى والثانية الى الذين يؤدون خدمات بارزة أو شجاعة فائقة في الحركات الفعلية أو في انجاز واجباتهم من الشرطة .

٢- يمنح نوط الشرطة بدرجتيه بمرسوم جمهوري بناء على اقتراح وزير الداخلية .

٣- يمنح نوط الشرطة بدرجتيه للأشخاص الاخرين الذين يؤدون مساعدات قيمة أو خدمات جليلة لقوات الشرطة .

٤- ترفع درجة النوط ويسترد من حامله بمرسوم جمهوري بناء على اقتراح وزير الداخلية.

المادة الخامسة – يعلق النوط بدرجتيه على الصدر من الجهة اليسرى ويتبع في اوقات حمله احكام القوانين والانظمة الخاصة بالأوسمة العراقية .

المادة السادسة- يلغى نظام نوط الشرطة رقم (٤٣) لسنة ١٩٥٢ وتعديله[٤١], وينفذ النظام من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[٤٢] .

الخاتمة

توصل البحث إلى عدة نتائج منها:

اتبعت الوزارات المتعاقبة على حكم العراق سياسة ناجحة في ما يخص رموز السيادة الوطنية, ففي ما يخص موضوع الاوسمة والانواط, اولت عناية خاصة في هذا المجال اذ ما تتبعنا الموضوع بعناية ولنجد هناك اهتماما خاصا بجميع الرموز السيادية, فضلا عن تطور التشريعات والانظمة الخاصة بها شيئا فشيئا, لما يكون للأوسمة والانواط من تأثير في الحياة الاجتماعية, فبعد قيام الجمهورية العراقية زادت الدعوات الى الغاء كل ماهو له صلة بالنظام الملكي, ورغم ذلك إلا ان سياسة الوزارات في هذا الجانب كانت ناجحة عمليا ولم تترك مناسبة وحدث الا واصدرت فيه رمزا ممثلا عن ذلك.

المصادر

(١) المجموعة الدائمة للقوانين والانظمة لسنة ١٩٥٩, بغداد, ١٩٦٠, ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) ديوان رئاسة الوزراء, قرارات مجلس الوزراء, ٢٣ ايار ١٩٥٩ .

(٣) الوقائع العراقية, العدد ١٧٦, ٣٠ ايار ١٩٥٩ .

(٤) مجلس السيادة: أعلن عن تشكيله في صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨, ليقوم بمهام رئاسة الدولة والحكومة الجديدة, وذلك خلافا لرغبة اكثرية اعضاء اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار والذين رغبوا في تشكيل مجلس قيادة الثورة , وقد ضم مجلس السيادة: الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيسا وعضوية كل من : خالد النقشبندي, محمد مهدي كبة, وقد حل المجلس عقبة الاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣, للمزيد يُنظر: بيان رقم (١) صادر من القائد العام للقوات المسلحة, محمود فهمي درويش, دليل الجمهورية لسنة ١٩٦٠, ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٥) محمد نجيب الربيعي(١٩٠٤-١٩٦٤) رئيس مجلس السيادة (١٩٥٨-١٩٦٣), ولد في بغداد ١٩٠٤, التحق بالكلية العسكرية سنة ١٩٢٧, ثم بكلية الاركان العراقية ثم بكلية الاركان في قونيا , تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة فريق ركن اواخر عام ١٩٥٧, للمزيد يُنظر: حنا بطاطو, المصدر السابق, ج٣, ص١٢٢ .

(٦) خالد عبد الغفار النقشبندي (١٩١٥-١٩٦٣) احد اعضاء مجلس السيادة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من مواليد محافظة الموصل, تخرج من الكلية العسكرية سنة ١٩٢٧, وفي كلية الاركان سنة ١٩٤٥, درس الحقوق مابين عامي (١٩٤٦-١٩٥٠) احيل إلى التقاعد سنة ١٩٥٢ وفي سنة ١٩٥٣ اصبح قائمقام قضاء كويسنجق, وفي سنة ١٩٥٤ اصبح قائمقام قضاء حلبجة و وفي سنة ١٩٥٧ اصبح متصرفا على اربيل, وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اصبح عضوا في مجلس السيادة حتى وفاته, للمزيد يُنظر: المصدر نفسه, ص ١٢٤.

(٧) للمزيد انظر قانون (شعار الجمهورية العراقية رقم (٥٧) لسنة ١٩٥٩), ص ٥٩.

(٨) الوقائع العراقية, العدد١٧٦, في٣٠ ايار ١٩٥٩.

(٩) القوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, المصدر السابق, ص٣-٤.

(١٠) أحمد غازي السامرائي, تاريخ الاوسمة والانواط العراقية, ص ١٤٢,.

(١١) المجموعة الدائمة للقوانين والانظمة, ص٢٦١.

(١٢) مجلس الوزراء, قرارات مجلس الوزراء, ٢٣ ايار ١٩٥٩.

(١٣) مجلس الوزراء, قرارات مجلس الوزراء, ٢٣ ايار ١٩٥٩.

(١٤) من الجدير بالذكر جرى تغير النجمة ذات السبعة شعب في الوسام الملكي بنجم مثمن يمثل النجم العربي الذي يستعمل في الريازة العربية .

(١٥) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص٧.

(١٦) المصدر نفسه , ص٨.

(١٧) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية , ص٩.

(١٨) الوقائع العراقية, العدد ١٧٦, ٣٠ ايار ١٩٥٩.

(١٩) أحمد غازي السامرائي, تاريخ الاوسمة والانواط العراقية, ص ١٤٧-١٤٩.

(٢٠) المجموعة الدائمة للقوانين, بغداد, ١٩٦٠, ص٢٦٤.

(٢١) مجلس الوزراء, قرارات مجلس الوزراء,٢٣ ايار ١٩٥٩.

(٢٢) المجموعة الدائمة للقوانين, المصدر السابق, ص٢٦٢؛ قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص١١.

(٢٣) الوقائع العراقية, العدد ١٧٦, ٣٠ ايار ١٩٥٩.

(٢٤) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص١٢.

(٢٥) المصدر نفسه, ص١٣.

(٢٦) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص١٤.

(٢٧) التاريخ ليس تاريخ احداث النوط , وانما تاريخ احداث النوط لأول مرة في عهد الملك فيصل الاول سنة ١٩٢٦ وتساوي ١٣٤٤هـ. للمزيد يُنظر: أحمد غازي السامرائي, تاريخ الاوسمة والانواط العراقية, ص١٦٤.

(٢٨) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, المصدر السابق, ص١٥.

(٢٩) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص١٦.

(٣٠) المصدر نفسه, ص ١٧.

(٣١) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص١٨.

(٣٢) المجموعة الدائمة للقوانين, ص ٣٦١.

(٣٣) المجموعة الدائمة للقوانين, ص٣٥٩.

(٣٤) المصدر نفسه, ص ١١٣.

(٣٥) المصدر نفسه, ص١١٠.

(٣٦) قوانين وانظمة الاوسمة والانواط العراقية, ص١١١.

(٣٧) كامل السامرائي, المجموعة الدائمة للقوانين والانظمة العراقية, بغداد, ١٩٦٢, ص١١٢.

(٣٨) الوقائع العراقية, العدد ٥٠٨, ٦ نيسان ١٩٦١.

(٣٩) مجموعة القوانين والانظمة لسنة ١٩٦١, ص٩٠.

(٤٠) مجموعة القوانين والانظمة لسنة ١٩٦١, ص٩١.

(٤١) مجموعة القوانين والانظمة لسنة ١٩٦١, ص٩٢.

(٤٢) مجموعة القوانين والانظمة لسنة ١٩٦١, ص٩٢.

(٤٣) الوقائع العراقية, العدد٥٤٩, ١٣ تموز ١٩٦١.

المؤسسات التعليمية المتخصصة في خراسان في العصر السلجوقي

(٤٢٩- ٥٥٨هـ/١٠٣٧-١١٦٢م)

م.د.علاء حبيب عبد

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بابل

البريد الالكتروني : laa310486@gmail.com

رقم الهاتف : ٠٧٨٠١٥٧٨٤١١

المؤسسات التعليمية المتخصصة في خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩- ٥٥٨هـ/١٠٣٧-١١٦٢م)

م.د. علاء حبيب عبد

الملخص

تعد خراسان ملتقى العلماء من اقطاب العالم الاسلامي ، لوجود عوامل ساعدت على هذه الاهمية ، ومنها الامن و الامان ، وتوفر الاموال ، والظروف الملائمة للابداع الفكري ,

يعد الوزير نظام الملك من أشهر وزراء السلاجقة اهتماماً ببناء المدارس ، التي سميت باسمه (المدارس النظامية).

نشأت عدة مؤسسات تعليمية في خراسان، وهي دور العلماء ، والمساجد ، والمدارس ، والروابط، وغيرها .

أختصت هذه المؤسسات التعليمية بدراسة احد المذاهب الاسلامية كالشافعية ، والمالكية ، والحنفية .

وأختصت أيضاً بدراسة فرع من فروع المعرفة كالحديث ، أو علم الكلام ، أو اللغة، غيرها من العلوم .

الكلمات الدالة : (خراسان ، السياسة ، مدارس، مساجد)

Specialized educational instituions in Khurasan in the Seljuk era - 558 A.H /1037-1162 A.C) 429(

ABSTRACT

Khorasan is considered a meeting place for scholars from among the poles of the lslamic world , due to the presence of factors that helped this importance , including security and safety , availability of funds, and appropiate conditions for intellectual creativity.

Minister Nizam alMulk is considered one of the most famous Seljuk ministers interested in building schools , which were named after him (regular schools).

Several educational institutios have been established in Khorasan, which are the houses of scholars ,mosques ,schools, linkags , and others.

These educational institutions specialized in studying one of the lslamic schools,such as Shafi'i, Maliki, and Hanafl schools.

lt also specialized in studying a branch of knowledge such as hadith,theology, language, and other sciences.

Key words : (Khorasan, politics, schools , mosques)

المقدمة

كان لإنتشار الاسلام في بلاد المشرق أثره في تقدم الحركة الفكرية فيها، حيث حثت آيات القرآن الكريم على العلم والتعلم .

وكانت الرحلة في طلب العلم من عوامل ازدهار الحركة العلمية، ولكون أمة الأسلام أمة واحدة لا فرق فيها بين عربي وأعجمي، فكان انتقال المسلم في الولايات الإسلامية سواء من الطلاب أو من العلماء، وأدى ذلك الى زيادة التحصيل، واتصال العلماء، بعضهم ببعض وتبادل المعرفة بينهم.

تُعد خراسان من أهم المراكز العلمية في المشرق الاسلامي ، وقد تطورت فيها الحركة الفكرية ، على الرغم من إضطراب الاوضاع السياسية التي شهدتها خراسان إبان السيطرة السلجوقية عليها .

وساعدت عدة عوامل على إنعاش الحركة العلمية في إقليم خراسان أبان سيطرة السلاجقة عليها ، منها ميل الكثير من السلاطين والأمراء و الوزراء لتشجيع العلم والعلماء ، على الرغم من أن أغلب هؤلاء غير متحضرين .

وكانت الحركة التعليمية في حالة نشطة مستمرة ، فأنتشرت المراكز العلمية بكثرة في خراسان ، وساعد على هذا إهتمام السلاطين و الامراء و الوزراء في بناء المدارس العلمية التي إنتشرت في المدن الخراسانية .

الهدف من هذا البحث التعرف على أهم المؤسسات التعليمية التي أُنشت في خراسان ، ومعرفة العلوم التي أختصت بها ، والمذاهب التي اعتمدتها في دراسة هذه العلوم.

وقسم البحث على مقدمة ومبحثين : تناول الاول منه: التسمية والموقع الجغرافي لخراسان والحالة السياسية السائدة في خراسان .

وتناول المبحث الثاني المؤسسات التعليمية في خراسان وهي: دور العلماء ، والمساجد ، والمدارس ، والربط ، و غيرها .

اعتمد الباحث على عدة مصادر ومنها : كتاب(المسالك والممالك) للاصطخري (ت٣٤٦/٩٥١م)، وكتاب(المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابو) للصيرفيني (ت٦٤١ /١٢٤٣م)، وكتاب(سير اعلام النبلاء) للذهبي (ت٧٤٨/١٣٤٧م)، وعلى عدة مراجع ومنها: كتاب(ارباع خراسان) للحديثي ، وكتاب (تاريخ التربية الاسلامية) لشلبي ، وغيرها.

المبحث الاول

التسمية:

أُختلف في أصل تسمية خراسان، وقيل في تفسير المصطلح الكثير منها:

نُسبة إلى خراسان بن عالم بن سام بن نوح (عليه السلام)(ابن الفقيه ،١٣٠٢هـ، ص٦٠١) ، وذكر البعض أنها نسبة الى المعنى (خر) معناها (كُلْ) أما (سان) فتعني (سهل) أو (بلا تعب) وبهذا تصبح (كُل بلا تعب)(البكري ، بلات ،ج٢،ص٤٨٩).

واتفقت أغلب الآراء على إن معنى خراسان، (خر) تعني (الشمس)، بالفارسية، وأما (اسان) فهي موضع الشيء ومكانه فيصبح المعنى (مكان الشمس)، أو(مطلع الشمس)(السمعاني ،١٩٦٢م، ج٥،ص٧٠).

وأطلق على خراسان أيضاً (خراسان والمشرق) وبشكل مختصر(المشرق)(الطبري ،١٣٨٧هـ ، ج٦، ص٢٠٠).

وكانت العرب تعني في التعبير الجغرافي (الأراضي الشرقية، الشرق) لإيران، ويقال لها (خراسان وما وراء النهر) أي ما وراء نهر جيحون(١)(ياقوت الحموي ، ١٩٩٥م، ج٢، ص١٩٦) في شرقيه الذي اضيف الى خراسان بما يضمه من إقاليم ومدن في المفهوم الأداري(لسترنج ،١٩٥٤م ، ص٤٢٣- ٤٢٤) .

و قد قسمت خراسان الى أربعة أرباع هي:

- الربع الاول / إيران شهر- وهي نيسابور.

- الربع الثاني/ مرو الشاهجان
- الربع الثالث/ بلخ وهراة
- الربع الرابع/ ما وراء النهر (الحديثي ، ١٩٩٠م ، ص١٥)

الموقع:

حُدد موقع خراسان، فقيل يحيط بها من شرقيها نواحي سجستان وبلد الهند ، وغربيها مفازة الغزية ونواحي جرجان(٢)(ابن عبد الحق،١٤١٢ هـ ،ج ١ ، ص٣٢٣) ، وشماليها ما وراء النهر وشيء من بلد الترك يسير على ظهر الخُتل(٣) (ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٣٤٦) ، وجنوبيها مفازة فارس وقومس، وضم خوارزم(٤)(القزويني ،بلا ت ، ص ٥٢٥) الى ما وراء النهر لأن مدينتها وراء النهر وهي أقرب الى بخارى(٥)(ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٣٥٣) منها الى مدن خراسان (الاصطخري ، ٢٠٠٤م، ص١٣٣).

الاحوال السياسية:

كانت خراسان عرضةً إلى عمليات من السلب والنهب قبل دخول السلاجقة(٦)(الحسيني ،١٩٨٦م، ص٣٣) إليها فعلياً ، فقد تعرضت أغلب مدنها إلى هجمات نفذتها بعض جماعات الفرسان من السلاجقة التركمان ، التي أستقرت في بلاد ماوراء النهر في سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) ، وكانوا كثيري العدد ولديهم المال الوفير ويعتمدون على الخيول في رحيلهم من جهة الى أخرى (الراوندي ، ١٩٦٠م ، ص ١٥٤).

وقاد إسرائيل أكبر أبناء سلجوق هجرة السلاجقة بعد أبيه ، حيث أتجه نحو خراسان(إقبال ، ١٩٩٠م، ص٢٢٨) .

خاض السلاجقة مواجهات مع الغزنويين(٧)(المسعودي ، ١٩٨٢م، ج١ ،ص١٣٣) الذين كانوا يحكمون خراسان ومن أشهرها معركة سرخس(٨)(ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ٨)، والتي أنتهت بأنتصار السلاجقة ، فأشتدت قبضتهم على خراسان(الراوندي ، ص ١٥٨) .

أتجه طغرلبك(٩)(ابن العمراني ، ٢٠٠١م ، ص ٣١٠) الى نيسابور و دخلها سنة (٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م)، و جلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي(١٠)(الذهبي ،١٤٢٢هـ، ج١٣ ، ص ١٧٨) ،

ولقب نفسه بالسلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد(الراوندي ، ص ١٥٨) ، و أمر بضرب النقود باسمه ، وأعلن قيام دولته في خراسان(إقبال ،١٩٩٠م، ص ٢٣٠) .

وكان قيام هذه الدولة في خراسان دافعاً لمسعود للثأر من هزيمته في سرخس ، فأستعد بجيش قوي وخاض قرب داندنقان(١١)(ابو الفداء ، تقويم ، بلات ، ص٤٥٩) معركة هُزم فيها مسعود الغزنوي ، وهرب تاركاً خزانته وأمتعته مفضلاً الفرار والنجاة(الراوندي ، ص ١٦٣) .

ومن أجل أضفاء الشرعية لحكم طغرلبك على خراسان ، أتصل بالخليفة العباسي القائم بأمر الله(١٢)(السيوطي،٢٠٠٤م،ص٣٠١) (٤٢٢- ٤٦٧ هـ/١٠٣٠- ١٠٧٤م) ، فأرسل له الخليفة الخلع السلطانية مع كتاب تفويض بحكم البلاد(البنداري ،١٩٦٤م، ص ٩).

وباشر طغرلبك مهامه كحاكم على أشهر مدينة في خراسان وأعظمها مكانة سياسية وعلمية وهي نيسابور ، بعد أن استقرت الأمور فيها ، حيث خصص يومين في الأسبوع للنظر في المظالم ، ووجه أخاه جفري بك داود لفتح بعض المدن وأهمها سرخس التي استولى عليها(أبن الاثير ،١٩٩٧م، ج٨ ، ص١٩).

ولم تأت نهاية سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) إلا وقد أحكم السلاجقة السيطرة على جميع بلاد خراسان(الكرديزي ،١٩٨٢م ، ج١ ، ص٣٠٧ ، ٣٠٩) .

ولم يتوانى الغزنويين عن خراسان ، حيث قام الأمير مودود بن مسعود الغزنوي في سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) بمحاولة لاستردادها ولكنه فشل في ذلك بعد أن أنهزم جيشه ورد على أعقابه من قبل السلطان ألب أرسلان(١٣)(ابن الوردي ، ١٩٩٦م ، ج١ ،ص ٣٥٨) السلجوقي (ابن الاثير، ج٨ ،ص٤٣) .

و توفي طغرلبك في سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) الذي مد نفوذه إلى بغداد وخُطب له فيها ولخلفاؤه من بعده(ابن الجوزي ، ١٩٩٢م،ج٨،ص٢٣٣) , وترك اكبر وأقوى دولة في المشرق الإسلامي , ضمت خراسان , ومعظم مدن المشرق الاسلامي وخاطبه الخليفة العباسي بسلطان المشرق والمغرب(الصلابي ،٢٠٠٦م،ص٤٦) .

وفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) توفي السلطان ألب أرسلان ، وتولى ملكشاه(١٤) (أبو الفداء،المختصر، بلات،ج٢،ص٣٥٠،٣١٧) الحكم ، الذي دانت له أقاليم خراسان وبلاد ماوراء النهر (الراوندي ،ص ١٩١) ، ونقش أسمه على السكه في مملكته(فامبري ، بلات،ص١٣٨) .

توفي السلطان ملكشاه في سنة(٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) ، وتولى أبنه الصغير محمود السلطنه لمدة سنة واحدة و توفي سنة (٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣م)(البنداري ، ص٨١) ، وتولى من بعده أخيه بركياروق(١٥)((الصفدي،٢٠٠٠م،ج١٠،ص٧٦) الذي أتجه نحو خراسان لمحاربة عمه أرسلان أرغون في سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٢ م) فُقتل أرسلان وتملك بركياروق(السيوطي، ص ٤-٥) ، وتولى أخيه سنجر (١٦) (ابن خلكان ، ١٩٩٤م،ج٢،ص٤٢٧) خراسان من قبل بركياروق(الراوندي ، ص٢٢١) .

ولم يبقى بركياروق في السلطنة طويلاً حيث توفي سنة (٤٩٢هـ/١١٠٥م) ، وتولى أخيه محمد بن ملكشاه(١٧) (ابن خلكان ،١٩٩٤م، ج٥،ص ٧١) السلطنة(الراوندي ، ص ٢٣٤) ، وأزدادت قوة سنجر وأستقر له حكم خراسان(ابن الاثير ،ج٩،ص١٠) .

لكن المرض أصاب السلطان محمد بن ملكشاه وتوفي سنة (٥١١هـ/١١١٧م)(البنداري ، ص١١٣) ، وتولى من بعده أبنه محمود ، وحدث خلاف بينه و بين سنجر أدى الى معركة سنة (٥١٢ هـ/ ١١١٨م) أنهزم فيها السلطان محمود(الحسيني ،١٩٨٦م، ص١٧٩) .

بعد هذه الهزيمه أنقسم السلاجقة الى قسمين : (سلاجقة خراسان) وسلطانهم سنجر ، و(سلاجقة العراق) وسلطانهم محمود الذي أقر بتبعيته الى السلطان سنجر الذي دانت له بلاد المشرق الاسلامي وبلاد العراق ، ولقب بسلطان السلاجقة الاعظم، و ضُربت له السكه في جميع الاقاليم ومدنها(الخالدي ، ١٩٩٦،ص٢٥) .

و بدأت مرحلة جديدة من الصراعات ، ففي سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) نفذ آتسز ملك خوارزميين(١٨)(الجويني ، بلات، م١، ح٢، ص٢٥٠- ٢٥٧) فكرة كانت تراوده باستمرار وهي ضم خراسان إلى خوارزم , فقصد مدينة سرخس , ومنها إلى مرو وانتهى إلى نيسابور , وقطع الخطبة للسلطان سنجر السلجوقي , واستباح المدينة وسلب ونهب ، ثم قفل عائداً إلى بلاده(ابن الاثير ، ج٩،ص١١٥) .

هاجم الغز خراسان في سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) ودخلوها عنوة(ابن الاثير ، ج٩ ،ص١٢٨) ، ولم يكن باستطاعة السلطان سنجر التغلب عليهم أو صدهم ، وانتهى الأمر بأسره مع جماعة من الأمراء ، واستولى الغز على بلاد خراسان فأكثروا فيها الفساد ، واسترقوا النساء والأطفال ، وقتلوا العلماء وخربوا المساجد والمدارس التي تغص بالسكان في خراسان ، وذكر ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) نصاً عما جرى بقوله : " وولوا على نيسابور والياً فقسى على الناس كثيراً وعسفهم وضربهم ، وعلق في الأسواق ثلاث غرائر (١٩)(قلعجي ، ١٩٨٨م،ص٣٢٩) ، وقال : أريد ملء هذه ذهباً ، فثار عليه العامة وقتلوه ومن معه ، فركب الغز ودخلوا خراسان ونهبوها نهباً مجحفاً ، وجعلوها قاعاً صفصفاً (ابن الاثير،ج٩،ص٢٠٠) .

تمكن سنجر من الهرب سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م)(ابن الاثير، ج٨،ص٤٧) ، وأثرت هزيمته وأسره على نفسيته وتوفي سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م،)(ابن كثير ،١٩٨٨م،ج١٢،ص٢٥٥) ، وكانت وفاته بداية نهاية الدولة السلجوقية في خراسان ، وجاء من بعده أبن أخته محمود خان الذي أتسم بالضعف أمام الغز (ابن الاثير، ج٩،ص٤١٦).

وتمكن الخوارزميين من السيطرة على غرب خراسان ، الى أن تمكنوا من طرد محمود خان آخر سلاجقة خراسان وسمل عينيه في سنة (٥٥٨ هـ/ ١١٦٢م)(فامبري، ص١٤٩-١٥٠) .

المبحث الثاني

أهتمَ السلاطين والامراء و الوزراء السلاجقة بالحركة التعليمية في خراسان ، لذلك أولواً أهتماماً بالغاً بأنشاء مراكز للتعليم .

دور العلماء :

تُعد دور الكتّاب من أول أماكن تعليم الصبيان القراءة والكتابة، فكانوا يتدرجون في تعلم القراءة والكتابة، وصولاً الى دراسة علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف، وعلوم اللغة، وكذا تهذيبهم وأرشادهم وغرس الاخلاق الفاضلة في نفوسهم(البلاذري،١٩٧٤م،ج١٠،ص٣٤٣)

وكانت هناك كتاتيب لتعليم الاناث ، ومن أشهر من تولت هذه المهمة الشيخة أم الخير فاطمه بنت زعبل النيسابورية (ت٥٣٣هـ/ ١١٣١م) (الذهبي،١٩٩٩م،ج٢،ص٥٣٨).

وتُعتمد طريقة تعليم الصبيان في بلاد المشرق كلها على التلقين(ابن جبير،بلات،ص٢٢٠) ، وكان العمر المناسب لتعليم الصبيان هي ست سنوات، وفي ذلك ذكر ابن سينا قائلاً: "واذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب إن يقدم الى المؤدب والمعلم"(ابن سينا ،بلات،ج١،ص٢٢٠) .

وقد أنتشرت الكتاتيب في كل مدن خراسان وقراها ، وكُثرت حتى أصبحت من معالم الحركة العلمية وكانت تتخذ من بيوت المعلمين ، أو في ركن من أركان المساجد أو مُلحقه بها لتعم الفائدة(البيهقي،١٩٤٦م،ص٣).

ومن أشهر كتّاب في خراسان أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل (ت ٥١٠هـ/١١١٦م) الذي سلّم الى المكتب و قرأ القرآن(الصيرفيني،بلات،ص٥٤٢) .

واتخذ بعض أولياء الامور لابنائهم معلمين أو مؤدبين في منازلهم ، ومن أشهر المعلمين في خراسان في عهد السلاجقة المؤدب أبو جعفر الشاماني محمد بن محمد (ت ٤٧٤هـ/١٠٨١م) الذي تخرج على يديه الكثير من المعلمين و المؤدبين في نيسابور(الصيرفيني، ص٦٥) .

المسجد :

يُعد المسجد من أوليات أهتمام المسلمين بالجانب العمراني لما له من وظائف متعددة، فضلا عن كونه مؤسسة دينية حيث تقام فيه العبادات، و أيضاً يعد داراً للقضاء، وتجمعاً للجيوش(شلبي،١٩٧٣م،ص١٠٢) ، وأصبح ليكون مؤسسة تعليمية، تُدرس فيه علوم القرآن، والحديث ، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، والتاريخ ، وغيرها من المعارف(حسن،١٩٩٦م،ج٤،ص٤٢١) .

وقد أورد لنا البلدانيين عدد المساجد في هذا الإقليم ، فقد ذكر الاصطخري أن في مدينة مرو وحدها ثلاثة مساجد جامعة ، أدت دوراً دينياً وعلمياً كبيراً ، وهذه المساجد هي مسجد القلعة، والمسجد العتيق، والمسجد الجديد(الاصطخري، ص٢٥٨-٢٥٩) .

في حين ذكر لنا ياقوت الحموي نصاً مفاده : " أنه أُقيم في مدينة مرو جامعان أحدهما للحنفية، والآخر للشافعية "(ياقوت الحموي،ج٥،ص١١٤).

وأكد المقدسي وجود مائه وعشرين مسجداً جامعاً منتشرة في رساتيق نيسابور، وغيرها(المقدسي،١٩٩١م،ص٣١٧) .

وأغلب مساجد خراسان تقع بالقرب من الأسواق الكبيرة في المدن، وقد ذُكر مسجد يقع في بلدة داندانقان ، و يُنسب إلى أبي السري منصور بن عمار بن كثير السلمي الواعظ الداندانقاني(ياقوت الحموي،ج٤،ص٣٧٨) .

أما عن مدينة نيسابور فقد اشتهرت بمساجدها الكبيرة الواسعة والمشهورة على مستوى إقليم خراسان ، ومن أشهر هذه المساجد مسجد الذهلي نسبة إلى إمام الحديث في خراسان المفتي أبي زكريا يحيى بن محمد بن يحيى عبد الله الذهلي (ت٢١٧هـ/٨٨٠م) ، الذي اشتهر بعقده مجالس خاصة للإملاء ، ومن الجدير بالذكر أن الذهلي كان احد العلماء الذين رحلوا إلى بغداد وتتلمذ على يد علمائها وحدث بها(معروف ،١٩٧٦م،ج١،ص١٦٣-١٦٤)

ويعد مسجد المنبر من اشهر المساجد في نيسابور، و الذي اتسم بسعة حجمه ، وهو مكون من أربع رحبات(الاصطخري،ص٢٥٤) ، وظل دور هذا المسجد بمثابة منارة علمية لمئات السنين ومنهلاً للعديد من العلماء ، فقد شهد فيه حلقات علمية سنين عدة(المقدسي،ص٣١٦) ، ومن أبرز علماء خراسان العالم أبو الحسن الاسماعيلي السراج (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) الذي أتخذ من هذا المسجد مكاناً للتدريس ، وأيضاً أتخذ من بعد صلاة الجمعه مجلساً للتذكير و الوعظ(الصيرفيني،ص١١١) .

وكذلك كان للامام شاهفور بن محمد الاسفراييني (ت٥٠٦هـ/ ١١١٢م) مجلسه في المسجد الذي كان للإملاء ، وحضره كبار الائمه والعلماء(الصيرفيني، ص٢٧٤) .

وكان للمسجد الجامع في مدينة هراة مكانة متميزة التي عُهد بها ، إذ أمَّه الكثير من المسلمين والعلماء(الادريسي،١٤٠٩هـ ، ج١ ، ص٤٧٠) ، و ذكر الاصطخري: " أنه لم يكن في مساجد خراسان أعمر بالناس على الدوام من مسجد هراة "(الاصطخري، ص٢٦٥) ، ومن أشهر من تولى التعليم فيه الشيخ أبو الفضل بن محمد بن إسماعيل الهروي (ت٥٣٤هـ/١١١٣م) وكان يملي الحديث(الذهبي،١٩٩٩م ،ج٢،ص٥٥٣) .

و أشار اليعقوبي الى مساجد مدينة بلخ فذكر أن : " مدينة بلخ وحدها كان فيها سبع وأربعون منبراً في مدن ليست بالعظام (اليعقوبي،١٤٢٢هـ ، ص١١٧) ، ومن أشهر من تولى التدريس فيها الشيخ أبو بكر محمد البلخي (ت ٥٤٧هـ / ١١٨٤م) (ابن الجوزي، ج٣،ص١٥٠).

وأُنشأ الجامع الاقدم في مرو ، ومن أشهر من تولى التعليم فيه الشيخ أبو طاهر محمد بن عبد الله المروزي (ت٥٤٨ هـ/١١٥٦م) وكان يتولى أملاء الحديث فيه(الذهبي، بلات، ج٤ ، ص ١٣١٢) .

وكان التدريس يتم على شكل حلقات من الطلبة ينتظمون حول أستاذهم، الذي يجلس عند أحد أركان المسجد الجامع(حماده،١٩٨١م، ص٨٣) .

وكانت للمجالس العلمية التي تُعقد في الجوامع وفي مجالس الحكام ، أو منازل العلماء وحوانيت الوراقين دوراً كبيراً في أثراء الحركة العلمية في خراسان .

و تقام في هذه المجالس العلمية المناظرات التي ساعدت على إزدهار الحياة العلمية، لأن العلماء كانوا يحرصون في مجلس المناظرة على بحث الموضوع المعروض للمناقشة بحثاً عميقاً حتى يظهر العالم أمام كبار رجال الدولة والعلماء بمظهر لائق يكسبه مكانة مرموقة بين أهل العلم، وبالتالي تؤدي هذه الخلافات في الرأي بين العلماء إلى اثراء الحركة الفكرية وازدهارها، كما شجعت العلماء على مواصلة البحث، والدرس، واعداد انفسهم اعداداً جيداً في مجالس المناظرة(عبد الرؤوف،٢٠٠١م،ص١٧٩-١٨٠).

و يُعد مجلس الوزير محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)من أشهر المجالس العلمية في خراسان ، والذي كان كاتباً ويحترم الفقهاء(ابن خلكان،ج٣،ص١٣٨) ، وخزانته مشهورة بكثرة الكتب النفيسة فيها(ادريس ،١٩٨٥م،ص٢٦٢) .

في حين يُعد مجلس أبو سهل محمد بن الامام جمال الاسلام الموفق هبة الله البسطامي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) مجمعاً للعلماء ، وملتقى الائمه الحنفية، و الشافعية يتناظرون في محاسن كل فريق منهماً(السبكي،بلات،ج٣،ص٣٩٠) .

واشتهر مجلس أبو نصر الحسين بن أحمد بن علي بن الحسن البيهقي (ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م) بأنه ملجأً للغرباء والعلماء ، يأتونه من بقاع الارض ، لاقامة المناظرات و المناقشات العلمية ، واستمر مجلسه ومناضراته لعدة سنوات(السمعاني،التحبير،١٩٧٥م،ج١،ص٢٢٢) .

وأختص مجلس الشيخ محمد بن أبي المظفر السمعاني (ت ٥١٠ هـ/ ١١١٧م) في مرو بالحديث(البغدادي،١٩٩٠م،ج٢،ص٨٣).

المدارس :

وعندما أزداد اقبال الناس على هذه العلوم اثر تشجيع الامراء لطلاب العلم والعلماء وتكريمهم، أدى ذلك الى عدم أتساع المساجد المخصصة للدراسة، فضلا عن حدوث فوضى وضجيج وتشويش على المصلين في صلاتهم وعبادتهم، من هنا بدأ إنشاء المدارس العلمية المختلفة في العالم الاسلامي، وخُصصت لها الاموال وعُين فيها التدريسيين وكانت تتوافر فيها خدمات لهم(شلبي،ص١١٣-١١٤) .

ويُعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بداية ظهور المدارس، وفي ذلك ذكر المقدسي قائلاً: "واممت في المساجد وذكرت في الجوامع، واختلفت إلى المدارس" (المقدسي،ج٢،ص٤٤).

شهدت أغلب مدن المشرق الاسلامي ظهور عدد من المدارس فيها ، وقد خُصصت لدراسة العلوم المختلفة وكلها إهتمت بطلابها من حيث توفير المستلزمات الضرورية لهم .

و اشتهرت مدارس مرو ان اغلبها تدرس الفقه الحنفي ولكل طالب فيها وظيفة (المقدسي،ج٢،ص٣١٠) ، وفي نيسابور مدارس تمتاز باعتدالها(المقدسي،ج٢،ص٣١٥).

وفي بلخ مدارس للعلوم المختلفة ومقامات للطلاب، والارزاق جارية على من اراد شيئا من ذاك(الحميري،١٩٨٠م ، ص٩٦).

و أُنشئت في خراسان عدة مدارس تعود إلى عهد ما قبل نشأة النظاميات التي أنشأها نظام الملك(٢٠) الطوسي (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) (القزويني،١٩٨٧م،ج٢،ص٤١٩) وخاصةً في مدينة نيسابور(معروف ،مدارس،١٩٧٣م،ص٢٥) ، وذكر المقريزي أن : " أول من حفظ عنه أنه

بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور(المقريزي،١٤١٨هـ، ج٤ ، ص١٩٩) ، وبهذا خطت المدارس التي أُنشئت في المشرق الإسلامي عموماً وفي خراسان بشكل خاص خطوات سريعة وأوسع مما كانت عليه في المدن الإسلامية الأخرى حتى انتهت في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري .

ومن أهم مميزات المدارس التي بنيت قبل النظاميات أنها كانت أحادية المذهب ، و أن بعضها اتخذ لسكن المدرسين والطلبة وفي بعض الأحيان ينزلها العلماء والطارئون(معروف،مدارس ،ص١١١-١١٣) ، ونظراً لكثرة تلك المدارس حتى سميت بأسماء منشئيها.

ومن أشهر هذه المدارس مدرسة حسان القرشي التي بناها أبو الوليد حسان بن محمد القرشي النيسابوري (ت ٣٤٩هـ/٩٦٠م) والتي أختصت بمذهب الشافعية(الحسيني،بلات،ص٧٢) ، والمدرسة البيهقية والتي بناها أبو الحسن علي بن الحسين البيهقي (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) في سكة سيار نيسابور(الصيرفيني،ص٤١٣) ، ومدرسة أبي إسحاق الاسفراييني في نيسابور والتي بناها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاسفراييني (ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) والتي أشتهرت بدارسة علم الكلام ، و الفقه، والاصول(الاسنوي،١٩٨١م،ج١،ص٥٩) .

وتُعد المدارس التي بناها نظام الملك في المشرق الاسلامي ، ومنها المدرسة النظامية في نيسابور في حدود سنة (٤٥٠ هـ/١٠٥٨م)، وفي بلخ ، وآمل ، وهراة ، ومرو(ابن الجوزي ،ج٨،ص٢٤٦) ، من أشهر المدارس الاسلامية في المشرق الاسلامي ، وذلك لكثرة عدد طلابها وعدد العلماء من مدرسيها وخريجها(معروف ،علماء،١٩٧٣م،ص٤١-٦٠) .

ونُسبت هذه المدارس الى نظام الملك لانه سعى في أنشائها وخطط لها وأوقف عليها الأوقاف الواسعة واختار لها الأكفاء من الأساتذة ، فكان من الطبيعي أن تنسب إليه دون السلاجقة (محبوبه ، ١٩٩٩م،ص٣٥٣) ، وذلك لان سلاطين وامراء السلاجقة لا يعرفون القراءة والكتابة حتى بعد حكمهم بلاد فارس أكثر من مائة عام(الروذراوري، ١٩١٦م، ص٣) .

عين نظام الملك العالم أبو المعالي الجويني امام الحرمين (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) مدّرساً في المدرسة النظامية في نيسابور ومقيماً فيها قرابة ثلاثين سنة ، وكان يصل عدد طلابه في اليوم الواحد الى ثلاثمائه من العلماء و الطلبه(ابن عساكر،١٩٧٨م،ص٢٨٠) .

وفي هراة بنى نظام الملك المدرسة النظامية ، وتولى الشيخ أبو بكر الشاشي (ت ٤٨٥ هـ/١١٠١م) التدريس فيها(السبكي،بلات ،ج٣،ص٧٩) .

أما في بلخ فقد بنى نظام الملك مدرسة نظامية ، وعهد الى أبي القاسم عبد الله بن طاهر بن محمد التميمي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) بالتدريس فيها(السبكي،ج٥،ص٦٣) .

وفي مدينة مرو بنى المدرسة النظامية وتولى الشيخ أبو المظفر المسعاني (ت٤٨٩هـ/١٠٩٦م) التدريس فيها(السبكي،ج٤،ص٩٨) .

وكانت هناك عدة دوافع دفعت نظام الملك إلى تأسيس هذه المدارس هو نشر المذهب الشافعي , والتنافس بين المذاهب الذي كان سائرة في القرن الرابع والخامس الهجريين ، و الحد من انتشار المذهب الإسماعيلي (٢١) (الالوسي، ٢٠٠٨م،ص٧٢) في المشرق الإسلامي(ابن الاثير،ج٦،ص٢٧٦) .

وأخذت المدارس تختص بدراسة معينة ، أو مذهب معين ، فظهرت المدارس الشافعية في خراسان في العصر السلجوقي بشكل كبير ، ومن أشهر هذه المدارس مدرسة أبي علي الدقاق التي بناها العالم أبي علي الحسن بن علي الدقاق (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)(اليافعي،١٩٧٠م، ج٣،ص١٧) ، وأستمر العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري(ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) بأدارتها بعد وفاة أبو علي الدقاق(السبكي،ج٥،ص٢٢٥) .

ومدرسة الصابونية التي ترجع الى أبو عثمان الصابوني (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م)(الصيرفيني،ص٢٩٩) ، ومدرسة المشطى التي أنشأت سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) في نيسابور(السبكي،ج٥،ص٣١١) ، ومدرسةالاستراباذي التي بناها أبو سعد إسماعيل بن علي الاستراباذي (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)(الصيرفيني،ص١٣٨).

ومن المدارس التي أختصت بمذهب الحنفية في خراسان المدرسة الصاعدية التي بناها أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد (ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) (الصيرفيني،ص٢٧٧) ، و المدرسة

الناصحية التي أسسها ناصح الدولة أبو محمد عبد الله بن الحسين (ت٤٤٧هـ/١٠٥٥م) شيخ الحنفيه في وقته(الصيرفيني،ص١٦٩) ، ومدرسة الصندلي التي تنسب الى أبي الحسن بن علي بن الحسن الصندلي (ت ٤٨٤هـ/١٠٩١م)(القرشي،بلات، ج١،ص٣٥٨).

وظهرت مدارس للمالكية في خراسان ومن أشهرها مدرسة القطان التي تنسب الى أبي أسحاق إبراهيم بن محمود بن حمزة المالكي(النيسابوري،١٩٢٠م،ص٤٠) .

وأختصت بعض المدارس بالحديث ومنها مدرسة العراقي التي أنشأت على يد القاضي أبو علي محمد بن إسماعيل بن محمد الطوسي المعروف بالعراقي (ت٤٥٩هـ/١٠٦٦م)(الصيرفيني،ص٥٤) ، ومدرسة الجاجرحي التي أنشأت سنة (٤٩٧هـ/١١٠٣م) في نيسابور ، ومدرسة الامير أبي نصر بن أبي الخير التي بنيت في سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)(معروف،مدارس ،ص٦٠).

الربط :

أتخذ من الربط(٢٢) (الزمخشري،١٩٩٨م،ج١،ص٣٣١) مكاناً للدراسة نظراً لتوافر الكتب ووجود العلماء فيها وأصبحت هذه الربط أماكن ثقافية وذلك لقراءة الكتب وسماعها وتجمع العلماء فيه(علي،١٩٨٦م،ص٦٠٠-٦٠٣) ، و أصبح لها أهمية للدور الجهادي والثقافي والاجتماعي ، فوجودها على طرق المواصلات يجعلها مكاناً لحماية الطرق من جانب وملاذاً للعلماء والتجار وطلاب العلم يلجؤون إليها في أثناء تنقلاتهم بين البلدان من جانب إلى أخر ، كما كانت أيضا مكاناً لتجهيز نقلة البريد بين مختلف العالم الإسلامي ، فضلاً عن دورها الجهادي في سبيل الله ومحاربة الكفار(الطاهر،١٩٩٤م،ص١٧٢)

وأنشات في خراسان العديد من الأربطة من قبل الأمراء وكبار علمائها ، ، فقد تجاوز عدد الربط في بلاد ما وراء النهر زهاء العشرة الألف رباطاً بسبب موقعها على الحدود الشرقية للدولة الإسلامية في مواجهة العدو الأمر الذي يتطلب استعداد دائم للقتال(الاصطخري،ص٢٩٠)

ومن أشهر من بنى الربط أبو الفتح مسعود بن سهل بن حمك النيسابوري (ت٤٧٣هـ/١٠٨٠م) الذي سكن مدينة مرو وكان من أصحاب الثروة والمال ، وقام ببناء

الرباطات والمساجد والكثير من أعمال الخير(السمعاني،١٩٦٢م،ج٤،ص٢٥٣) ، وكذلك اهتم شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي (ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) ببناء عدد من الربط والخانات في المفاوز والصحاري(ابن الجوزي،ج٩،ص١٢٨) .

الخانقاهات:

وهناك من أتخذ من الخانقاهات(٢٣)(غربال ،١٩٦٥م، مج١،ص٧٥٠) في خراسان مركزاً للتعلم ، فقد بنى العالم ابن حبان البستي خانقاه في نيسابور ونُسب إليه وعُقد فيه مجالس علمية يُلقي فيه دروسه ، إذ عُد هذا العالم أحد أوعية العلم لغة وحديثاً وفقهاً ووعظاً في خراسان ، وهو أحد الراحلين إلى الآفاق فقد ألقى دروسه في شتى بلاد العالم الإسلامي منها خراسان والشام والعراق ومصر والجزيرة العربية(ابن قاضي شهبه،١٩٨٧م،ج١،ص١٣٣) ، ومن أشهر العلماء الذين اشتهر في خراسان بلقب الخانقاهي هو أبو العباس الخانقاهي من أهل سرخس ، كان زاهداً ورعاً يقرئ الناس القرآن(ابن الاثير ،بلات،ج١،ص٤١٥).

البيمارستان :

وأتخذت البيمارستان وتعني (المشفى) في خراسان مكاناً للتدريس طلبة الطب ، بالأضافة لمهمتها الرئيسة وهي دار لشفاء المرضى ، فقد أهتم الامراء و الولاة بها بشكل كبير فوفروا لها كل الامكانات المادية و المعنوية من أطباء و أدويه ، وكان لبعض العلماء والفضلاء والوزراء دوراً مهماً في بناء وتشييد البيمارستانات(علي، ١٩٧٨م،ص٢٢١) ، منها على سبيل المثال بيمارستان العالم الخركوشي العالم الزاهد نسبة إلى إحدى سكك مدينة نيسابور ، إذ بنى هذا البيمارستان ووقف عله الوقوف الكثيرة(ياقوت الحموي،ج٣،ص٣٦١) ، وكذلك فعل الوزير نظام الملك (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) إذ كان له دور فاعل في بناء البيمارستانات إلى جانب دورة في بناء المدارس وخاصة في مدينة نيسابور(نظام الملك،٢٠٠٧م،ص٧٥) .

وأشتهر من أهل خراسان الكثير من العلماء ممن عمل بمهنة الطب منهم الحكيم عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن أبي صادق النيسابوري (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ولقب

بأبقراط الثاني ، طبيب فاضل بارع كثير الدراية بالصناعة الطبية اجتمع بالشيخ الرئيس(ابن ابي أصيبعه،بلات،ج٢،ص٢٢) .

و كان لمدرسة جند يسابور(ياقوت الحموي، ج٢،ص١٧٠) المشهورة دوراً كبيراً في إنعاش البيمارستنات في المشرق الإسلامي ومنها خراسان لما كانت ترفده هذه المدرسة من أطباء أكفاء إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي ومنها خراسان(باقر،١٩٨٠م،ص١٨٣) .

نظام التدريس :

ويتم وفق أنظمة معينة ، فقد كان يتم أختيار المدرسين وفق أختبارات معينة تعتمد على الخبرة العلمية والذكاء والفطنة والشخصية القوية التي تؤهله لهذه المهمة(أمين،١٩٦٢م،مج١٠،ص٢٣٨-٢٤٠) .

أما المنهج المعتمد في هذه المؤسسات العلمية فتعتمد على مرجعية مؤسسيها ، فأن كان على المذهب الشافعي فيتم دراسة تفسير القرآن الكريم والحديث والفقه على المذهب الشافعي ، وهكذا بالنسبة للمذاهب الاخرى(أمين، بلات، ص٢٢٧) ، وكانت اللغة العربية هي لغة الدراسة في المدارس النظامية(أحمد،١٩٨١م،ص٦٢) .

وكان وقت الدراسة يبدأ من الصباح وحتى قُبيل صلاة الظهر ، ثم تستأنف الدراسة بعد ذلك وحتى صلاة المغرب ، وكان الطلبة ينتظمون حول أستاذهم على شكل دائرة ، وكان للطلبة الحق في أختيار أستاذهم الذي وجب عليهم أحترامه ، ويعتمد التدريس على ثلاثة طرق :هي السماع ،والاملاء ، والاجازة(أحمد،ص٦٣) .

أما مدة الدراسة فهي غير محددة وتعتمد على مدى أجتهاد الطالب وإستيعابه للمادة ، وعلى حكم الاستاذ على طلابه في فهمهم لدروسه ، وكانت أقصى مدة للدراسة في المدرسة النظامية في نيسابور أربع سنوات(طلس، ١٩٥٧م،ص٢٦) .

وكانت المدارس سكن الطلبة ، وخاصة النظامية منها ، وينفقون عليهم(جواد،١٩٥٣،ج٢،مج٩،ص٣٢١) .

وبعد أكمال الطالب مدة الدراسة يُحتفى به ويُقام له حفلاً كبيراً ، يُكرم به ، ويُمنح له شهادة التخرج وهي (الاجازة) [٢٤](الفياض،١٩٦٧م،ص٣٦) بالمادة التي درسها و أختص بها ، و أحياناً يمنح أكثر من إجازة اذا تعددت لديه المواد التي درسها(جواد، ج٢،مج٩،ص٧٥) .

الخاتمة

تُعد خراسان ملتقى العلماء من أقطاب العالم الاسلامي لوجود الامان والاموال ، فضلاً عن المراكز العلمية الكثيرة التي بناها العلماء والتي سميت بإسمائهم ، بالاضافة الى أنتشار المذاهب العلمية التي ساعدت على أزدهار المناظرات العلمية وتأليف الكتب .

ويُعد الوزير نظام الملك من أشهر وزراء السلاجقة إهتماماً ببناء المدارس التي سميت بإسمه (المدارس النظامية) .

ومن المؤسسات التعليمية التي ظهرت في خراسان هي دور العلماء ، والمساجد ، والمدارس ، والروابط ، والخانقاهات ، و البيمارستانات .

وأختصت هذه المؤسسات التعليمية بدراسة أحد المذاهب الاسلامية ، فكان للمذاهب الشافعية، والمالكية ، والحنفية وجودها في المدن الخرسانية بفضل هذه المؤسسات التعليمية ، فضلاً عن اختصاص بعضها بدراسة فرعاً من فروع العلوم كالحديث ، أو علم الكلام ، أو اللغة وغيرها من المعارف .

المصادر

- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ،(١٩٩٧م) ، الكامل في التاريخ، مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد،(بلا ت) ، اللباب في تهذيب الانساب ، مطبعة دار صادر، بيروت .
- الإدريسي ، محمد بن حمد بن عبد الله بن أدريس ،(١٤٠٩ هـ)، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مطبعة عالم الكتب ، بيروت .

- الاسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم (١٩٨١م) ، طبقات الشافعية ، مطبعة دار االعلوم ، بلام.
- الاصطخري، أبوإسحاق إبراهيم بن محمد،(٢٠٠٤م)، المسالك والممالك ، مطبعة دار صادر، بيروت.
- ابن أبي اصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس،(بلات)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت.
- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز،(بلات)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، مطبعة عالم الكتب، بيروت.
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر،(١٩٧٤م)، أنساب الأشراف، مطبعة موسسة الأعلمي، بلام.
- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي بن محمد ،(١٩٦٤م)، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة دار الآفاق الجديدة ، بغداد.
- البيهقي ، أبو الحسن علي بن زيد،(١٩٤٦)، تاريخ حكماء الاسلام ، مطبعة الترقي ، دمشق.
- ابن جبير، محمد بن احمد الكناني ، (بلات) ، رحلة ابن جبير، مطبعة دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ابن الجوزي ,أبوالفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي،(١٩٩٢م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت .
- الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد ،(بلات)، تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي)، مطبعة دار الملاح، بلام.
- الحسيني، أبو الحسن علي بن ابي الفوارس ،(١٩٨٦م)، زبدة التواريخ في اخبار الامراء وملوك السلاجقة، مطبعة دار اقرأ للنشر، بيروت.
- الحسيني ، أبو بكر بن هدايه الله ،(بلات)، طبقات الشافعية ، مطبعة دار القلم ، بيروت.

- الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله ،(١٩٨٠م) ، الروض المعطارفي خبر الاقطار، مطبعة دار السراج ، بيروت .
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم،(١٩٩٤م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، مطبعة دار صادر، بيروت.
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد،(بلات)، تذكرة الحفاظ ، مطبعة دار أحياء التراث العربي ، بلام.
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (١٩٩٩م)، تهذيب سير أعلام النبلاء ، مطبعة دار صادر ، بيروت.
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد،(١٤٢٢هـ)، سير اعلام النبلاء ، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الروذراوري ، أبو شجاع محمد بن الحسن،(١٩١٦م)، ذيل تجارب الامم ، مطبعة التمدن ، القاهرة .
- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،(١٩٩٨م)، أساس البلاغة ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.
- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي،(بلات)، طبقات الشافعية الكبرى ، مطبعة دار أحياء الكتب العربية ، بلام.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور،(١٩٦٢م)، الانساب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور،(١٩٧٥م)، التحبير في المعجم الكبير ، مطبعة الارشاد ، بغداد.
- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، (بلات)، القانون في الطب، بلا مطبعة، بلام.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(٢٠٠٤م)، تاريخ الخلفاء، مطبعة مكتبة نزار مصطفى، بلام.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك ،(٢٠٠٠م)، الوافي بالوفيات، مطبعة دار إحياء التراث، بيروت .
- الصيرفيني ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد،(بلات)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، مطبعة المكتبة التجارية ، مكه المكرمه.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(١٣٨٧ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة دار التراث، بيروت .
- ابن عبد الحق، عبد المؤمن البغدادي،(١٤١٢هـ)، مراصد الأطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، مطبعة دار الجبل، بيروت.
- أبن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ،(١٩٧٨م)، تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري ، مطبعة دار الفكر ، دمشق.
- أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد،(بلات)، تقويم البلدان ، مط دار صادر ، بيروت .
- أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد،(بلات)، المختصر في أخبار البشر، مطبعة الحسينية المصرية، القاهرة.
- ابن الفقيه، ، أبو بكر أحمد بن محمد،(١٣٠٢ هـ)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن .
- ابن قاضي شهبة ، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر، (١٩٨٧م)، طبقات الشافعية ، ، مؤسسة دارة الندوة الجديدة للطباعة والنشر ، بيروت .
- القرشي ، محي الدين أبو محمد عبد القادر،(بلات)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، مطبعة حيدر آباد ، الدكن.
- القزويني،، زكريا بن محمد بن محمود ،(بلات)، آثار البلاد وأخبار العباد، مطبعة دار صادر، بيروت.

- القزويني، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم،(١٩٨٧م)، التدوين في اخبار قزوين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي،(١٩٨٨م)، البداية والنهاية، مطبعة دار احياء التراث العربي، بلام.
- الكرديزي ، أبو سعد عبد الحي من الضحاك،(١٩٨٢م)، زين الأخبار، بلا مطبعة، القاهرة .
- المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين،(١٩٨٢م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بلا مطبعة ، بلام.
- المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري،(١٩٩١م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة مكتبة مدبولي، القاهرة.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر،(١٤١٨هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.
- نظام الملك ، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق،(٢٠٠٧م)، سير الملوك أو سياست نامه ، مطبعة دار المناهل، بيروت.
- النيسابوري ، أحمد بن محمد بن الحسن،(١٩٢٠م)، تلخيص تاريخ نيسابور الحاكم ، مطبعة دار أبن سيناء ، طهران.
- ابن الوردي،عمر بن مظفر بن عمر بن محمد،(١٩٩٦م)، تاريخ أبن الوردي ، بلا مطبعة ، بيروت.
- اليافعي ، أبو محمد عبد الله أسعد بن علي،(١٩٧٠م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة مؤسسة الاعلمي ، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي،(١٩٩٥م)، معجم البلدان، مطبعة دار صادر، بيروت.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر،(١٤٢٢ هـ)، البلدان، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع

- أحمد ، منير الدين ،(١٩٨١م)، تاريخ التعليم عند المسلمين و المكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ، مطبعة دار المريخ ، الرياض .
- إدريس ، محمد محمود،(١٩٨٥م)، تاريخ العراق والمشرق الاسلامي في العصر السلجوقي الاول ، مطبعة مكتبة نهضة الشرق ، القاهره.
- إقبال ، عباس ،(١٩٩٠م)، تاريخ أيران بعد الاسلام من الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، مطبعة دار الثقافة ، القاهرة .
- الالوسي ، محمود شكري ، (٢٠٠٨م)، السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة وهو مختصر لكتاب الصواعق المحرقة لاخوان الشياطين و الزندقة لمؤلفه نصير الدين محمد ، مطبعة الامام البخاري ، القاهرة .
- أمين ، حسين،(بلات)، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد.
- أمين ، حسين،(١٩٦٢م)، المدرسة النظامية من مظاهر الحضارة الاسلامية ببغداد ، مجلة كلية التربية ، بغداد.
- باقر ، طه ،(١٩٨٠م)، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد.
- البغدادي ، إسماعيل باشا بن محمد،(١٩٩٠م)، هدية العارفين ، مطبعة دار الفكر ، بيروت.
- جواد ، مصطفى ،(١٩٥٣م)، المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة سومر ، بغداد.
- الحديثي، قحطان عبد الستار،(١٩٩٠م)،ارباع خراسان، مطبعة دار الحكمة، البصرة.
- حسن، حسن إبراهيم،(١٩٩٦م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- حماده، محمد ماهر،(١٩٨١م)، المكتبات في الاسلام، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيرت.
- الخالدي ، فاضل ،(١٩٦٩م)، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال الفرن الخامس الهجري ، مطبعة دار الاديب ، بغداد.

- شلبي، احمد،(١٩٧٣م)، تاريخ التربية الاسلامية، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الصلابي , علي محمد محمد،(٢٠٠٦م)، دولة السلاجقة وبروز مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.
- الطاهر ، عبد الباري،(١٩٩٤م)، خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام ، مطبعة الشروق ، مصر.
- طلس ، محمد أسعد،(١٩٥٧م)، التربية والتعليم في الإسلام ، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت.
- عبد الرؤوف، عصام،(٢٠٠١م)، تاريخ الفكر الاسلامي ، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة.
- العفيفي، محمد صادق،(١٩٧٧م)، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مطبعة مكتبة الخانجي، القاهرة.
- علي ، سعد إسماعيل،(١٩٧٨م)، معاهد التربية الإسلامية ، مطبعة دار الفكر العربي للنشر ، القاهرة.
- غربال ، محمد شفيق،(١٩٦٥م)،الموسوعة العربية الميسرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
- فامبري ، ارمينيوس،(بلات)، تاريخ بخارى منذ القدم العصور حتى العصر الحاضر ، مطبعة المؤسسة المصرية ، القاهرة .
- الفياض، عبد الله،(١٩٦٧م)،الاجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الارشاد، بغداد.
- قلعجي , محمد رواس وحامد صادق قنيبي،(١٩٨٨م)، معجم لغة الفقهاء، مطبعة دار النفائس، بلام.
- لسترنج،، كي،(١٩٥٤م)، بلدان الخلافة الشرقية، مطبعة الرابطة، بغداد.

- محبوبة ، عبد الهادي محمد رضا،(١٩٩٩م)، نظام الملك ، مطبعة الدار العربية اللبنانية ، بيروت .
- معروف ، ناجي ،(١٩٧٦م)، عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في خراسان ، مطبعة دار الحرية ، بغداد .
- معروف ، ناجي ،(١٩٧٣م)،علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي ، بلا مطبعة ، بغداد .
- معروف ، ناجي ،(١٩٧٣م)، مدارس قبل النظامية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- ولبر، دونالد،(١٩٨٥م)،أيران ماضيها و حاضرها ، مطبعة دار الكتاب اللباني ، بيروت .

Sources

Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad, (1997 CE), al-Kamil fi al-tishrikh, Dar al-Kitaab al-Arabi Press, Beirut.

Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad, (Without T), al-Labab fi Tahdheeb al-Anab, Dar Sader Press, Beirut.

Al-Idrisi, Muhammad bin Hamad bin Abdullah bin Idris, (1409 AH), Nuzhat al-Mushtaq in penetrating the horizons, Alam al-Kutub Press, Beirut.

Al-Asnawi, Jamal al-Din Abd al-Rahim (1981 AD), Tabaqat al-Shafi'i, Dar al-Uloom Press, Plame.

Al-Astakhri, Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad, (2004 AD), Al-Masalik and Kingdoms, Dar Sader Press, Beirut.

Ibn Abi Usaybah, Ahmad ibn al-Qasim bin Caliph bin Yunus, (Platt), Uyun al-Anbaa fi Tabaqat al-Taba'ib, Dar al-Hayat Library Press, Beirut.

Al-Bakri, Abu Abdullah bin Abdul Aziz, (Platt), Dictionary of What I Ask about Names of Countries and Places, Alam Al-Kutub Press, Beirut.
Al-Baladhari, Abu Al-Abbas Ahmad bin Yahya bin Jaber, (1974 AD), Ansab Al-Ashraf , Al-Alamy Foundation Press, Blam.
Al-Bindari, Qawam al-Din al-Fath bin Ali bin Muhammad, (1964 CE), History of the Seljuk State, Dar Al-Horizons New Press, Baghdad.
Al-Bayhaqi, Abu Al-Hassan Ali Bin Zaid, (1946), History of the Elders of Islam, Al-Tarqi Press, Damascus.
Ibn Jubair, Muhammad Ibn Ahmad Al-Kinani, (Platt), The Journey of Ibn Jubayr, Al-Hilal House Press and Library, Beirut.
Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Jamal al-Din Abd al-Rahman bin Ali, (1992 CE), The Regular in the History of Nations and Kings, Dar al-Kutub al-Ilmiyya Press, Beirut.
Al-Juwayni, Ala al-Din Ata Malak bin Baha al-Din Muhammad bin Muhammad, (Plat), History of the Conqueror of the World (Jahangshai), Dar al-Mallah Press, Plam.
Al-Husseini, Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Fawares, (1986 AD), Butter of the Tariqis in Akhbar Al-Seljuk Princes and Kings, Dar Iqra Publishing Press, Beirut.
Al-Husseini, Abu Bakr Bin Hadayah Allah, (Platt), Tabaqat Al-Shafi'i, Dar Al-Qalam Press, Beirut.
Al-Hamiri, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah, (1980 AD), Al-Rawd Al-Moatar in The News of Countries, Dar Al-Sarraj Press, Beirut
Ibn Khallkan, Abu al-Abbas Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim, (1994 AD), The Deaths of Notables and the News of the People of Time, Dar Sader Press, Beirut.
Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed, (Plat), The Preservation Ticket, House of Revival of the Arab Heritage, Plam.
Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed (1999 AD), Refinement of the Biographies of the Nobles' flags, Dar Sader Press, Beirut.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad, (1422 AH), Biography of the Flags of the Nobles, The Resala Foundation Press, Beirut.
Al-Rudhawari, Abu Shuja Muhammad Ibn Al-Hassan, (1916 AD), The Tails of the Experiences of Nations, Urbanization Press, Cairo.
Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, (1998 AD), Asas alBalaghah, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya Press, Beirut.
Al-Sobky, Taj al-Din Abu Nasr Abd al-Wahhab bin Ali, (Plat), Tabaqat al-Shafi'i al-Kabir, Dar Hayyat al-Kutub al-Arabiyya, Plam.
Al-Samaani, Abu Saad Abdul Karim bin Muhammad bin Mansour, (1962 AD), Al-Ansab, Ottoman Encyclopedia Council Press, Hyderabad.
Al-Samaani, Abu Saad Abdul-Karim bin Muhammad bin Mansour, (1975 AD), Inking in the Great Dictionary, Al-Irshad Press, Baghdad.
Ibn Sina, Al-Hussein Bin Abdullah, (Platt), Law in Medicine, without a printing press, Blame.
Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr, (2004 AD), History of the Caliphs, Nizar Mustafa Library Press, Balam.
Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil Bin Ibak, (2000 AD), Al-Wafi of the Deaths, House of Revival of Heritage Press, Beirut.
Al-Serafini, Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad, (Platt), chosen from the book "The Context of the History of Nishapur", The Commercial Library Press, Makkah.
Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir, (1387 AH), The History of the Apostles and Kings, Dar Al Turath Press, Beirut.
Ibn Abd al-Haq, Abd al-Mu'min al-Baghdadi, (1412 AH), Observatories of the Observatory of Names of Places and Bekaa, Dar al-Jabal Press, Beirut.
Ibn Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hasan ibn Heba Allah al-Dimashqi, (1978 AD), it was revealed that al-Muftrifi's lies about

what was attributed to Imam Abi al-Hasan al-Ash'ari, Dar al-Fikr Press, Damascus.
Abu al-Feda, Imad al-Din Ismail bin Muhammad, (Platt), Calendar of Countries, Mt Sader House, Beirut.
Abu Al-Feda, Imad al-Din Ismail bin Muhammad, (Platt), al-Muqtasar fi Akhbar al-Bishr, Al-Husayniya Egyptian Press, Cairo.
Ibn al-Faqih, Abu Bakr Ahmad Ibn Muhammad, (1302 AH), the summary of Kitab al-Buldan, Braille Press, Leiden.
Ibn Qadi Shahba, Abu Bakr Ahmed bin Muhammad bin Omar (1987 AD), Tabaqat al-Shafi'i, The New Darat al-Nadwah Foundation for Printing and Publishing, Beirut.
Al-Qurashi, Mohiuddin Abu Muhammad Abdul Qadir, (Platt), the luminous jewels in the tap layers, Hyderabad Press, the Deck.
Al-Qazwini ,, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud, (Platt), Antiquities of the Country and News of the People, Dar Sader Press, Beirut.
Al-Qazwini, Abd al-Karim bin Muhammad bin Abd al-Karim, (1987 AD), Blogging in Akhbar Qazvin, Dar al-Kutub al-Ilmiyya .Press, Beirut
Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail bin Omar al-Qurashi, (1988 AD), The Beginning and the End, Dar Revival of the Arab Heritage, Plam.
Al-Kurdizi, Abu Saad Abdel-Hay from Al-Dahak, (1982 AD), Zain Al-Akhbar, without a printing press, Cairo.
Al-Masoudi, Abu Al-Hassan Ali Bin Al-Hussein, (1982 AD), Mourouj Al-Dahab and Ma'aden Al-Jawhar, without printing, Blam.
Al-Maqdisi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Bashari, (1991 AD), Best of Taqsim in Knowledge of Regions, Madbouly Library Press, Cairo.
Al-Maqrizi, Ahmad bin Ali bin Abdul Qadir, (1418 AH), Exhortations and Consideration by Mentioning Plans and Archeology, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Press, Beirut.

Nizam Al-Malek, Abu Ali Al-Hassan Bin Ali Bin Ishaq, (2007 .AD), Biographies of Kings or Namah, Dar Al-Manahil Press, Beirut. Siyasat

Al-Nisaburi, Ahmad Ibn Muhammad Ibn Al-Hasan, (1920 AD), Summarizing the History of Nishapur Al-Hakim, Dar Ibn Sina Press, Tehran.

Ibn al-Wardi, Omar bin Muzaffar bin Omar bin Muhammad, (1996 AD), Tarikh Ibn al-Wardi, without a printing press, Beirut.

Al-Yafei, Abu Muhammad Abdullah As'ad Bin Ali, (1970 AD), Mirror of Ginan and the lesson of awakening in knowing what are considered accidents of time, Al-Annan Foundation Press, Beirut.

Yaqut al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah al-Roumi, (1995), Mujam al-Buldan, Dar Sader Press, Beirut.

Al-Yaqoubi, Ahmad bin Ishaq bin Jaafar, (1422 AH), Al-Balad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Press, Beirut.

References

Ahmad, Munir Al-Din, (1981 AD), History of Education among Muslims and the Social Status of their Scholars up to the Fifth Hijri Century, Dar Al Marikh Press, Riyadh.

Idris, Muhammad Mahmoud, (1985 AD), History of Iraq and the Islamic Mashreq in the First Seljuk Era, Renaissance of the East Library Press, Cairo.

Iqbal, Abbas, (1990 AD), The History of Iran after Islam from the Tahirid State to the End of the Qajar State, Dar Al Thaqafa Press, Cairo.

Al-Alusi, Mahmoud Shukri, (2008 AD), The Bright Swords and the Abbreviation of Burning Thunderbolts, which is an abbreviation of the Book of Burning Thunderbolts for the Brothers of the Devils and Heresy by Nasir al-Din Muhammad, Imam Bukhari Library Press, Cairo.

Amin, Hussein, (Platt), History of Iraq in the Seljuk Era, Al-Irshad Press, Baghdad

Amin, Hussein, (1962 AD), The Nizamiyya School of Islamic Civilization in Baghdad, Journal of the College of Education, Baghdad.
Baqer, Taha, (1980 AD), A Brief History of Science and Knowledge in Ancient Civilizations and Arab-Islamic Civilization, Baghdad University Press, Baghdad.
Al-Baghdadi, Ismail Pasha bin Muhammad, (1990 AD), the gift of al-Arefin, Dar Al-Fikr Press, Beirut.
Jawad, Mustafa, (1953 AD), The Nizamiyya School in Baghdad, Sumer Magazine, Baghdad.
Al-Hadithi, Qahtan Abd al-Sattar, (1990 AD), Arbaa Khurasan, Dar Al-Hikma Press, Basra.
Hassan, Hassan Ibrahim, (1996 AD), History of Political, Religious, Cultural and Social Islam, The Egyptian Renaissance Library Press, Cairo.
Hamada, Muhammad Maher, (1981 AD), Libraries in Islam, Al-Risala Foundation Press, Burt.
Al-Khalidi, Fadel, (1969 AD), Political Life and Governance Systems in Iraq during the Fifth Hijri Century, Dar Al-Adeeb Press, Baghdad.
Shalabi, Ahmed, (1973 AD), History of Islamic Education, Egyptian Renaissance Library Press, Cairo.
Al-Sallabi, Ali Muhammad Muhammad, (2006 AD), The State of the Seljuks and the Emergence of an Islamic Project to Resist the Underground Infiltration and the Crusader Invasion, Dar Al Marifa Press for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.
Al-Taher, Abd al-Bari, (1994 AD), Khorasan and Beyond the River, a country that lit up the world with Islam, Al-Shorouk Press, Egypt.
Talas, Muhammad Asaad, (1957 AD), Education in Islam, Dar Al-Alam for Millions Press, Beirut.
Abd Al-Raouf, Essam, (2001 AD), History of Islamic Thought, Dar Al-Fikr Al-Arabi Press, Cairo.

Al-Afifi, Muhammad Sadiq, (1977 AD), The Development of Scientific Thought among Muslims, Al-Khanji Library Press, Cairo.
Ali, Saad Ismail, (1978 AD), Institutes of Islamic Education, Arab Thought House Press for Publishing, Cairo.
Ghorbal, Muhammad Shafiq, (1965 AD), The Facilitated Arabic Encyclopedia, the National House for Printing and Publishing, Cairo.
Vambri, Arminius, (Platt), History of Bukhara from Antiquity to the Present Era, Egyptian Foundation Press, Cairo.
Al-Fayyad, Abdullah, (1967 AD), Academic Vacations for Muslims, Al-Irshad Press, Baghdad.
Qalaji, Muhammad Rawas and Hamid Sadiq Quneibi, (1988 AD), The Dictionary of the Language of the Jurists, Dar Al Nafaes Press, Belam.
Lestring ,, K., (1954 AD), Countries of the Eastern Caliphate, League Press, Baghdad.
Mahboubeh, Abd al-Hadi Muhammad Reda, (1999 AD), Nizam al-Malik, Lebanese Arab House Press, Beirut.
Marouf, Naji (1976 AD), The Arabism of Scholars Attributed to the Foreign Countries in Khurasan, Freedom House Press, Baghdad.
Maarouf, Naji, (1973 AD), Scholars of Nizams and Schools of the Islamic East, without a printing press, Baghdad.
Maarouf, Naji, (1973 AD), Pre-Nizamiyya Schools, Iraqi Academic Complex Press, Baghdad.
Welber, Donald, (1985 AD), Iran, its past and present, Lebanese . Book House Press, Beirut

هوامش :

(١) نهر جيحون: اسم اعجمي، سمي به لاجتياحه الارضين، واسم جيحون بالفارسية هارون، ويقال له: نهر بلخ لانه يمر بأعمالها وهو اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان، فنسبه الناس اليها، وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الالفاظ.

(٢)جرجان: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان .

(٣)الختل: كورة واسعة كثيرة المدن، منهم من ينسبها الى بلخ وذلك خطأ لأنها خلف جيحون واضافتها الى هيطل وهو ما وراء النهر اوجب.

(٤)خوارزم: اقليم يحده من الشمال والغرب بلاد الترك الغزيه، وخراسان من الجنوب ومن الشرق بلاد ما وراء النهر.

(٥)بخارى: من اعظم مدن ما وراء النهر واجلها بينها وبين نهر جيحون يومان.

(٦)السلاجقة: فرع من القبائل الغز التركية، عرفوا بالسلاجقة نسبة الى جدهم سلجوق بن دقاق احد زعماء هذه القبائل وقد هجروا بلادهم الى بلاد ما وراء نهر جيحون في خراسان، واعتنقوا الاسلام ثم بدأوا بالزحف نحو عمق العالم الاسلامي.

(٧)الغز : طائفة من الترك كانوا يستقرون في المناطق الممتدة من بحر الخزر إلى أواسط مجرى نهر سيحون , كانوا نصارى , والغز لهم مدينة مبنية من الحجارة والخشب والقصب , ولهم بيت عبادة ، ولهم تجارات إلى الهند والصين , ملبوسهم الكتان والفراء , ومأكلهم لحم الغنم في بلادهم ، يستخرج الحجر الأبيض والحجر الأحمر .

(٨)سرخس : مدينة كبيرة بين نيسابور و مرو في وسط الطريق .

(٩)طغرلبك : ركن الدولة أبوطالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق اول سلاطين الدولة السلجوقية، توفي بالري سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م).

(١٠)مسعود الغزنوي : بن محمود بن سبكتين .

(١١)داندنقان : وهي مدينة في خراسان ، وهي أكثر المدن حريراً .

(١٢)القائم بأمر الله: أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، ولد سنة(٣٩١هـ/ ١٠٠٠م)، وتولى الخلافة سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م)، وكان ولياً للعهد في عهد ابيه القادر بالله وهو من لقبه القائم بأمر الله. في عهده تمرد البساسيري، ودخل السلاجقة بغداد، توفي سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م).

(١٣)ألب أرسلان: أبوشجاع محمد بن جغفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة وهو ابن اخ السلطان طغرلبك، ولد سنة (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م). وحكم سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، وقتل سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م).

(١٤)ملكشاه: أبوالفتح محمد بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ولد سنة(٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م)، تولى السلطنه سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) بعد وفاة والده الب ارسلان، وصلت املاكه من حدود الصين الى آخر الشام، توفي في اصفهان سنة(٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م).

[١٥] بركياروق: أبوالمظفر ركن الدولة بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب شهاب الدولة، تولى السلطنه بعد ابيه سنة(٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وتوفي ببروجرد سنة(٤٩٨هـ/١١٠٤م).

[١٦] سنجر: أبو الحارث بن ملكشاه بن الب ارسلان، ولد سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، استقل بالحكم سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)، وخطب في العراقين، واذربيجان، واران، والشام، وديار بكر، والحرمين، وتوفي سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م).

[١٧] محمد بن ملكشاه: بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ولد سنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)، تولى السلطنة سنة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م)، وتوفي سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م).

[١٨] الخوارزم: نسبة الى إقليم خوارزم ، و مؤسس هذه الاسرة نوشتكين وكان تركياً خدم الدولة السلجوقية وحصل على لقب (طشت دار) وتميزوا بثقافة فارسية وعربية، تأسست الدولة الخوارزمية سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، واستمرت حتى سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣١م).

[١٩] غرائر : مفردة غرر وهي القربة .

[٢٠] نظام الملك الطوسي : أبوعلي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي، ولد سنة (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) في احدى قرى طوس، وزر لكل من السلطان الب ارسلان ومن بعده ملكشاه، له ابناء عدة اصبحوا وزراء للسلاطين السلاجقة، قتل على يد الباطنية سنة(٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م).

[٢١] المذهب الاسماعيلي : وهم الذين يزعمون إن الامام بعد جعفر ولده اسماعيل ، وكان أكبر أولاده ، وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وافترقوا ثمان فرق .

[٢٢] الربط : مفردها رباط وتعني ملازمة الثغر المعرض للعدو للذود عنه.

[٢٣] الخانقاهات: وهي كلمة فارسية تطلق على البيوت التي تشيد لإيواء المتصوفين الذين يختلفون إليها لغرض العبادة والتزهد كما كانت تستغل أحياناً من قبل طلبة العلم إذ كانوا يسكنونها لتصبح مجمعاً للذكر والوعظ .

[٢٤] الاجازة : الاذن والرخصة كان يمنحها الشيوخ لمن يبيحوا له الرواية عنهم.

نصوص بابلية قديمة غير منشورة من مدينة لاكابا في المتحف العراقي

د.ئــارام جلال حسن الهموندي

مدرس في قسم الآثار- كلية الاداب جامعة صلاح الدين- أربيل

aram.hassan@su.edu.krd

Unpublished Old Babylonian Texts from city of Lagaba in the Iraqi Museum

Dr. Aram Jalal Hassan Al-Hamawandi
Lecturer at Archeology Department- college of Arts
University of Salahaddin-Erbil

نصوص بابلية قديمة غير منشورة من مدينة لاكابا في المتحف العراقي

د.ئــارام جلال حسن الهموندي

The study of ancient Mesopotamia languages and reading their cuneiform tablets have a great importance in learning about the ancient history of Mesopotamia and the civilization achievements that were made in this important part of the ancient world, especially in the ancient Babylonian period.

This research included a study of three unpublished cuneiform tablets form city of Lagaba preserved in the Iraqi Museum dating back to the ancient Babylonian period, specifically to the days of the reign of King Samsu-iluna (1749-1712 BC). As it indicated by its own date formulas. The first one is list of spent and return barley for the Šamaš-naṣir. while the second one is receipted barley and beer, finally third one is a list of personal names.

All the Tablets safe in the Iraqi museum, however All of this tablets backing to the city of Lagaba, which is undiscovered until now, but from the cuneiform tablets information refers that city was located North Babylonian and not far from Kutha (Tell- Ibrahim).All tablets were came by illegal way, that's why we cannot founds place city of Lagaba. One of the most important features that confirms its return to a city of Lagaba is: Style of writing cuneiform signs, type of the mud and shape of tablets, economic contexts, finally the personal names.

The city of Lagaba had important economic relations with the other cities of the ancient Babylonian period, the most important of which were the city of Babylon, Kutha, Kish, Isin, Sippar, Baya, Dilany, and Rabequm, through a network of water channels that were the reason for the prosperity of such cities.

الخلاصة :

تعد دراسة لغات بلاد الرافدين القديمة وقراءة نصوصها المسمارية ذات أهمية كبيرة في التعرف على تاريخ بلاد الرافدين القديم وعلى المنجزات الحضارية الرائدة التي تحققت في هذا الجزء المهم من العالم القديم وخاصة في العصر البابلي القديم.

لقد تضمن البحث دراسة لثلاثة نصوص مسمارية غير منشورة محفوظة في المتحف العراقي ترجع الى مدينة لاكابا من العصر البابلي القديم، و تحديدا الى أيام حكم الملك سمسو–ايلونا (١٧٤٩–١٧١٢ق.م) ، كما أظهرت ذلك من خلال دراسة الصيغ التاريخية لهذه النصوص، يتكون النص الاول من قائمة عائدات و استهلاكات شعير لشخص يدعى شمش –ناصر، في حين النص الثاني وصل باستهلاك كمية من الشعير والبيرة، و اخيرا النص الرابع عبارة عن قائمة بأسماء أعلام .

جميع هذه النصوص مصادرة أي نصوص مجهولة الموقع لأنها لم تأتي عن طريق التنقيبات وانما جاءت الى المتحف العراقي اما من قبل اشخاص حصلوا عليها عن طريق النبش او نصوص مسروقة ومهربة واسترجعت من قبل الهيئة العامة للآثار، و ترجع تاريخ مصادرة هذه النصوص الى منتصف القرن العشرين.

ان نصوص هذه الدراسة تعود الى مدينة لاكابا(Lagaba) والتي لم تكتشف موقها الى الآن، ويعتد انها كانت تقع بين مدينتي بابل و مدينة كوثا على ان لا تكون بعيدة جداً عن كوثا .

ومما يؤكد عائدية نصوص هذه الدراسة الى مدينة لاكابا هو اسلوب كتابة العلامات المسمارية التي تميزت بها نصوص مدينة لاكابا، فضلا عن نوعية الطينة و شكل النص المسماري، مضامين النصوص، واخيرا أ سماء الاعلام الواردة في هذه النصوص هي نفسه التي وجدت في مجموعة النصوص العائدة الى مدينة لاكابا.

كانت مدينة لاكابا تربطها علاقات اقتصادية مهمة مع مدن العصر البابلي القديم واهمها مدينة بابل ، كوثا ، كيش ، ايسن ، سبار ، بايا ، ديلاني ، و رابيقوم عن طريق شبكة من القنوات المائية التي كانت سبباً في ازدهار مثل تلك المدن.

جدول بالنصوص المنشورة في هذا البحث وذلك حسب تسلسل دراستها

تسلسل النصوص	الرقم المتحفي	القياسات			محتوى الرقيم	الملاحظات
		طول /سم	عرض/ سم	سمك / سم		
١	IM.62938	7.6	4.7	٢.٣	قائمة عائدات و وصرفيات شعير	مؤرخ
٢	IM. 62866	٧.٢	٥.١	٢.٢	وصل صرفيات و استلام كمية من الشعير والبيرة	غيرمؤرخ
٣	٦٢٩٩١	10.1	4.8	2.2	قائمة اسماء اشخاص	مؤرخ

No.1 (IM. 62938)

Obv.

qa–ti še–[um ^{d}Ša]maš(^{d}UTU)–na– ṣir

ša i–na ITU AB.E_3.A U_4–17–KAM

ša MU NIG_2–BABBAR–ra $ZIZKUR_2$–ra

il–la–qi_2–a–am

5– 3 ŠE GUR ka–li–ša in–ne–zi–ib

1 (PI) 3 (BAN_2) ši–am–šu ḫa–ri–ṣu

2 (GUR) 3(PI) 3(BAN_2) i–na GIŠ.BAN_2 ra–ma–ni–šu

im–ma– aḫ–ra–am–ma

2 (GUR) 1(PI) 1 (BAN_2) i–na GIŠ.BAN ₂ra–ba–tum_3

10– i–na ma–ki–ni– ši

iš-ta-an-ni-ma

a-na E_2-ni DIḪI$_2^{i-tu}$

Low.ed.

70 (GUR) 1(PI) 3 (BAN_2) še-um i-na ŠU.TUM

Rev.

i-na E_2 im-tu-u_2

15- ŠE GUR ^{d}Šamaš(^{d}UTU)-na- ṣir

ša i-na ITU AB.E_3.A U_4-17-KAM

2 (PI) 1 (BAN_2) [x-ban] il-la-qe_2-a-am

[ITU] AB.E_3.A U_4-17-KAM

[M]U NIG_2-BABBAR-ra ZIZKUR_2-ra

[m]e-[t]e [a-ki-t]um

الترجمة :

قائمة شعير شمش- ناصر

من اجل اليوم السابع عشر من شهر كانون الثاني

سنة اهداء الهدية النقية ... والصلاة ... (وهي السنة ٢٧ من حكم الملك سمسو-ايلونا)

العائدة لي (اي الشعير التي اعيدت الي)

٥- ٣ كور شعير (التي) تُركَ كليةً.

١ (بانو) ٣ (سوتو) شعيره بالمضبوط

٢ (كور) ٣(بان) ٣(سوتو) في المقياس نفسه

تسلَمت

٢ (كور) ١(بان) ١(سوتو) في المقياس الكبيرة . او (المقياس الرئيسية)

١٠- في مكانها

غيرت

بالقرب من بيتنا

٣/٢ (كور) ١ (بانو) ٣(سوتو) شعير الى المخزن

١٥- في استهلاكات البيت .

كور شعير شمش-ناصر

من اجل اليوم السابع عشر من شهر كانون الثاني

٢ (بانو) ١ (سوتو)... استلمته لي

من اجل اليوم السابع عشر من شهر كانون الثاني

سنة (اهداء) البضائع النقية ... والصلاة.

والشارة الخاصة بعيد اكيتو .

وهو صيغة مختصرة للسنة السابعة والعشرين من حكم الملك سمسو – ايلونا.

المعنى العام

قائمة عائدات و استهلاكات شعير لشخص يدعى شمش-ناصر لليوم ١٧ من شهر كانون الثاني في السنة السابعة والعشرون ن حكم الملك سمسو-ايلونا.

شرح المفردات :

١- qa2-ti: مفردة أكدية هنا تاتي بمعني " قائمة " ، ينظر : -

الجبوري،(٢٠١٠) ، ص٤٧٠.

še–um : كلمة سومرية دخيلة الى اللغة الأكدية (še'u) بمعنى (الشعير). ينظر:
CAD, Š II, p.345

٢- **ITU** :مفردة سومرية ترادفها باللغة الأكدية" warḫu " وتعني " شهر ". ينظر :

NG, 3, p.125 ; ASJ 2, 007 10:rev.2

$AB.E_3.A$: مصطلح سومري ترادفها باللغة الأكدية "ṭebētum " بمعنى شهر " كانون الثاني" . ينظر:

الهموندي ،(٢٠٢٠)، ص٤٣.

$NIG_2.BABBAR_2.RA$: مصطلح سومري مركب أصله ($NIG_2.BABBAR_2$. AK) وتعني " الشيء الأبيض ، الكنز النظيف ، البضائع البهيّة " حيث أن :
NIG_2: مفردة سومرية يرادفها بالأكدية (būšu) ، بمعنى " شيء ، ممتلكات ، كنز ". حول ذلك ينظر :

ARN, 45:9 ; CAD, B, p.353:b

$BABBAR_2$: مفردة سومرية تقابله في الأكدية (peṣû) بمعنى (بيضاء ، نقي ، نظيف)،حول ذلك ينظر :

CDA, p.273:a ; MAD 4, 41:3 ; BIN 8, 295:1 ; SAOC 44, 47:6

AK: أداة اضافة سومرية. ينظر :

SL, p.16

$SIZKUR_2$.RA: ان أصل الكلمة هو " $SIZKUR_2$.AK " وهو مصطلح سومري يأتي بمعاني مختلف منها بمعنى "قربان، ذبيحة" يرادفه بالأكدية (niqû) ينظر:

AbZ, p.170, no.438

فضلا عن انه تأتي بمعنى (الصلاة) و يرادفه في الأكدية (karābu). ينظر:

CAD, K, p.192

il–la–qe_2–a–am : فعل مضارع من حالة N من المصدر (leqû) بمعنى (ياخذ) ولكن مع لاحقة (am) الفينتف تعكس المعنى باتجاه المتكلم ، وهكذا تكون المعنى (يعيده له) . ينظر :

CAD , L, p.147 ; CT 2, No.43:16

٥- ka–li–ša : كلمة أكدية بمعنى (الكل ، الكلّي ، المجموع) . للمزيد ينظر :

CDA, p.142

in–ni–zi–ib : فعل ماضي من صيغة (N) من المصدر (ezēbu) للشخص الثالث المفرد المذكر ، بمعنى (تُرِكَ) ، ينظر .

CAD, E, p.426

6- ḫa–ri–ṣu : كلمة اكدية تأتي بمعنى (بالضبط ، مظبوط) . ينظر:

CAD, Ḫ, p.103 ; CT 4, no.43a:5 ;

٧- **$GIŠ.BAN_2$**: مصطلح سومري يرادفه بالاكدية "sūtu" و تعني" بمقياس تام ومضمون". ينظر :

EDUBBA 1, p.52, 22:6 ; SLB 1/ 3 ,p. 73:13 ; AbB 1 ,71:5 ,p.56 ;

ra–ma–ni–šu : كلمة اكدية ، ، من المصدر (Ramanu) بمعنى (نفس)، والـ والـ(šu) ضمير شخص الثالث المفرد المذكر (هو) و كله تعنى (نفسه). للمزيد ينظر : الجبوري ، (٢٠١٠) ، ص٤٨٣.

٨- im–ma– aḫ–ra–am–ma فعل ماضي من حالة (N) من المصدر (maḫāru) للشخص بمعنى (تسلم) والـ(am) فينتف والـ(ma) توكيدية و كله تعنى (استلم). ينظر.

CT 16, no.36:8 ; CAD, M 1, p. 52

١٠- ma–ki–ni–ši: كلمة أكدية اصله من المصدر (makkānu) حيث يتكون من (makin) بمعنى (مكان) و الـ(ši) ضمير متصل للشخص الثالث المفرد المؤنث ، وهكذا فان الكلمة كله تعنى (مكانها) . ينظر:
الجبوري، (٢٠١٠) ، ص٣١٦.

CAD, M 1, p.131.

١١- iš–ta–an–ni–ma : فعل مضارع من الحالة (Gt) من المصدر (šanû) / بمعنى (يغير) و والـ(ma) توكيدية وكله تعني (يغير، يبدل). ينظر:

CAD, Š1, p. 407.

١٢- $DIḪI_2^{i–tu}$: كلمة سومرية تقابله في الاكدية (ṭeḫûtu) بمعنى (بالقرب). ينظر:

CAD, Ṭ, p. 83.

١٣- ŠU.TUM : مصطلح سومري تقابله في الأكدية (šutummu) ، بمعنى (المخزن ، مستودع) . ينظر:
الجبوري، (٢٠١٦) ، ص ٩٥٨.

$im–tu–u_2$: كلمة أكدية من المصدر (imṭū) بمعنى (استهلاكات). ينظر:

CDA, p.129.

: MU NIG_2-BABBAR-ra $ZIZKUR_2$-ra/ [m]e-[t]e [a-ki-t]um

صيغة مختصرة للسنة السابعة والعشرون من حكم الملك سمسو-ايلونا . للمزيد حول هذه الصيغة ينظر

Year-Names, p.220.

الهموندي ، (٢٠٢٠) ، ص١٦١.

No.2 IM.62866

Ob.

[xx] ŠE a-na Ku-pu-[rum]

[xx] mār šub-ba-[x]

2/3 KAŠ 1(BAN_2) 9 $SILA_3$ ŠE im-ti

2 (PI) 2 (BAN_2) KAŠ

5- ^{m}Ištar-is-qu_2-tu-

ma-aḫ-ra-at

الترجمة :

(.....) شعير الى كوبوروم

(.....) مار-شوب-با -.....

٣/٢ بيرة ١(سوتو) ٩ سيلا شعير استهلاكات

٢ (بانو) ٢(سوتو) بيرة

٥- عشتار-اسقوتو

استلمت .

الترجمة العامة

وصل باستهلاك كمية من الشعير والبيرة ، فضلا عن استلام كمية من البيرة من قبل عشتار اسقُتو. النص غير مؤرخ .

شرح المفردات

٣- KAŠ : كلمة سومرية تقابلها في الأكدية (šikaru) ، بمعنى (بيرة ، الجعة) . ينظر:

الجبوري،(٢٠١٦)، ص ٥٧٠

فاضل، (٢٠٠٧)، ص٤٧

٦- ma-aḫ-ra-at : فعل دائم "stative" للشخص الثالث المفرد المؤنث من صيغة "G" من المصدر "maḫāru"، بمعنى " استلمت ". ينظر :

CAD, M1, p.64 ; AbB, vol.14, no.220:11

No. ٣(IM.62991)

Obv.

$^{m}IR_3$-da-ia

^{m}idin-^{d}En-[zu]

$^{m}I_3$-li_2-um-ma-ti

^{m}idin-^{d}Nannar (^{d}ŠEŠ.KI)

5- $^{m\,d}$En-zu -ba-ni

^{md}Ištar-[ni]-ši

^{m}Nu-le-[tum]

$^{m}IR_3$-^{d}EN. ZU DUMU Tab-ba-[wi-dim]

^{m}me–er–si$_2$–ki

^{md}EN.ZU–di–ku$_5$

^{m}Ḫa–ri–bi–da!–ki!

^{m}IR$_3$–^{d}MAR.TU

^{m}A–ḫ[u– ši –na]

^{md}EN.ZU–ma–gir DUMU I–ni–⸢ib⸣–[ši]–na

^{m}⸤^{d}EN.ZU⸥–a–ḫa–am

Low.edg

^{md}EN.ZU–i–din–n[am]

^{md}EN.ZU–re–me–ni DUMU Ṣil$_2$–li$_2$–[x]

Rev.

^{md}EN.ZU–re–me–ni

DUMU ^{d}UTU–ga–mil

^{md}⸤EN.ZU⸥–a–ḫa–[am]

XXXXXXXXXXXXXXXXX (about 8 lines are broken)

ITU [SIG$_4$].A U$_4$ 14 KAM

MU ALAN ^{giš}TUKUL SIG$_3$–GE

الترجمة :

ورداياً

ادن –سين

ايلي –اماماتي

ادن–ننار

٥– سين –باني

عشتار–نيشي

نوليتوم

ورد–سين ابن طابا–ويدم

ميرسيكي

١٠– سين–ديكو

خاريبي–داكي

ورد–مارتو

أخوشينا

سين –ماكر ابن انيبشينا

١٥– سين –اخام

سين–اديننام

سين–ريميني ابن صيلي .....

سين–ريميني

ابن شمش جميل

سين اخام

.....(حوالي ثمانية اسطر مفقودة)

٢٠– اليوم ١٤ من شهر حزيران

سنة ضرب التمثال بالسلاح

الترجمة العامة

قائمة باسماء عمال ، والنص مؤرخ باليوم الرابع عشر من شهر حزيران من السنة الخامسة والعشرين من حكم الملك سمسوايلونا.

شرح المفردات

٨– **DUMU** : مفردة سومرية تقابله بالأكدية "mārum " بمعنى " ابن " . ينظر:
الهموندي : (٢٠٢٠)، مجلد ٥ ، ص٢٧٤.

٢٠– **SIG_4.A** : شهر حزيران وهو الشهر الثالث في التقويم البابلي و تقابله بالأكدية "simanum". ينظر:
الهموندي،(٢٠١٧)، ط١ ، ص١١٤.

٢١– **ALAN**: كلمة سومرية و يرادفها بالأكدية (ṣalmum)وتعني (تمثال). ينظر :

CAD, Ṣ, p.78:b ; MSL14 ,p.102, 845:1 ; MAD 3, p.244 ;

ملاحظة : ان كلمة (ALAN) السومرية يمكن ان تقرأ (ALAM) والتي تعطي نفس المعنى ايضا. حول ذلك ينظر:

ITT 1, 1081:11 ; BCT 2, 71:rev.5 ; UTI 6, 3650:2

^{giš}TUKUL : مفردة سومرية تعني (سلاح) و يرادفها بالأكدية (kakkum) ينظر :

CAD, k, p.50:a ; ARM 7 , 119:3 ; JESHO 44, p. 285. ; JCS 28, p.221, 44:2

SIG_3.GE: مصطلح سومري يرادفه بالأكدية (maḫāṣum) بمعنى (ضرب). ينظر :

CAD, M1, p.72 ; MDA, p.135, no.295 ;

ملاحظة : ان العلامة السومرية " SÌG " تقرأ ايضا بـ"SÀG" والتي تعطي نفس المعنى. وحول ذلك ينظر:

ITT 2, 3820:2 ; UET 3, 985:2 ; SL, p. 231

استنساخان النصوص

IM.62938		
obv.	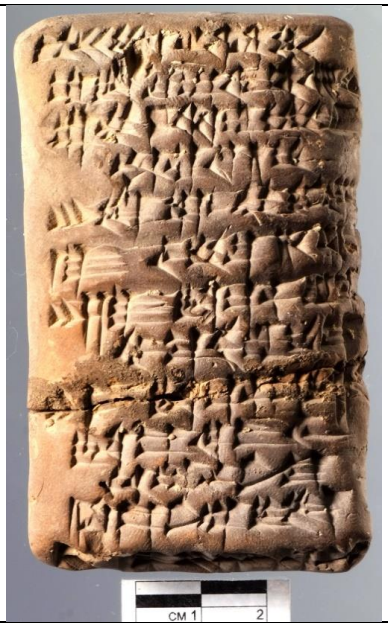	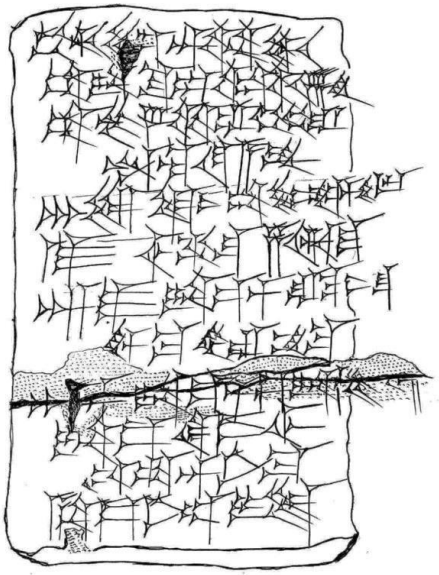
Lo.Edg.		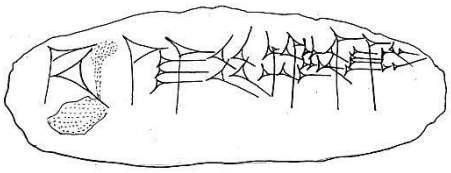
Rev.		

IM.62866

Ob.		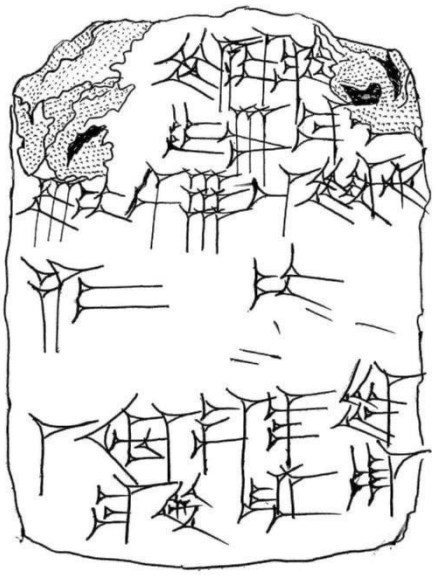
Rev.	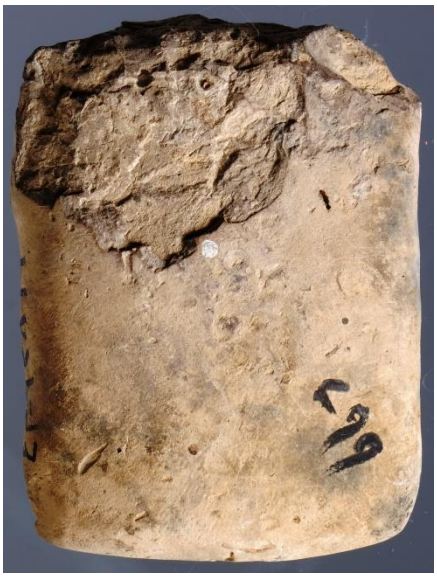	

IM.62991		
Obv.		
Lo.edg.		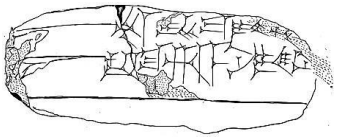
Rev.		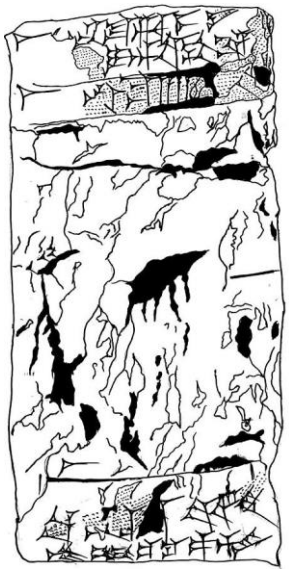

قائمة المصادر والمراجع العربية

١. فاضل ، أحمد ميسر،(٢٠٠٧)، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم– مدينة لارسا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ،

٢. الهموندي، آرام جلال حسن ، (٢٠١٧)، نصوص مسمارية غير منشورة من مدينة بيكاسي في العصر البابلي القديم، ط١ ، دمشق .

٣. ..... : (٢٠٢٠)، عقود قرض غير منشورة من مدينة لاكابا من العصر البابلي القديم، مجلة آثار الرافدين، مجلد ٥ ، جامعة الموصل .

٤. .....: (٢٠٢٠)، نصوص مسمارية غير منشورة من مدينة لاكابا من العصر البابلي القديم في المتحف العراقي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، أربيل .

٥. الجبوري ، علي ياسين ، (٢٠١٠)، قاموس الأكدية العربية ، أبوظبي .

٦. .....، (٢٠١٦)، قاموس اللغة السومرية– الأكدية –العربية ، ابوظبي ،

المصادر الاجنبية

1. Black, J & Others. (1999-2000) " A Concise Dictionary of Akkadian " (Wiesbaden)., **CDA**
2. Borger ,R.: (1981), " Assyrisch – Babylonische Zeichenliste ", (Germany) **AbZ** .
3. Bottéro,J:(1957), Texts Économiques et Administratifs, (Paris), **ARM7**
4. Civil, M., & Othors: (1979) Ea a=nâqu, Aa a=nâqu, with their Forerunners and related texts, (Roma), **MSL14**
5. Çig, M. & Others : (1993), Altbabylonische Rechtsurkunden aus Nippur, (Istanbul). **ARN**
6. Falkenstein,A.: (1957) DieNeusumerischen Gerischts Urkunden, (München). **NG3**
7. Foxvog, A. D. : (1976), “Text and Fragments”, (USA), **JCS 28**

8. Gelb, I. J & Others, (1956f). The Chicago Assyrian Dictionary, Chicago, **CAD**
9. ---------: (1957), Glossary of Old Akkadian, (Chicago), **MAD3**
10. ---------: (1970), Sargonic Texts in the Louvre Museum, (Chicago), **MAD4**
11. Genouillac, H.: (1910-11), Textes de l'epoque d'Agadé et de l'epoque d'Ur, (paris), **ITT2**
12. Gomi,T.: (1980), Neo-Sumerian Administrative Tablets in the British Museum, I, (Hiroshima), **ASJ 2**
13. Hackman,G.: (1958), Sumerian and Akkadian Administrative Texts from Predynastic times to End of the Akkad dynasty, (USA), **BIN 8**
14. Halloran, J.: (2006),Sumerian Lexicon, (USA), **SL**
15. Horsnell, M.J.A. :(1999), The Year- Names of the First Dynasty of Babylon: with a Catalogue of the Year-Names from Sumuabum to Samsuiluna (diss., University of Toronto). **Year-Names**
16. Kraus, F.: (1964), Briefe aus dem British Museum (CT43 und 44), (Leiden), **AbB** 1.
17. Labat,R.: (1976), Manuel D'épigraphie Akkadienne, (Paris) **MDA**
18. Landsberger, B.: (1937), "Die Serie ana ittišu", (Roma), **MSL 1**
19. Leemens, W. F.: (1960), Legal and Administrative Documents of the Time of Hammurabi and Samsu-iluna ", (Leiden). **SLB1/3**
20. Legrain, L.: (1947), Business Document of the Third Dynasty of Ur, (London), **UET 3**
21. Muhammad, A.: (1985), Old Babylonian Cunieform texts from the Hamrin Basin (Tell Haddad), (Baghdad), **E.DUBBA 1**
22. Pinches, T.G.: (1896), Cuneiform Texts from Babylonian Tablets, &c. in the British Museum, (London), **CT2**
23. Roth, M.: (2001), "Reading Mesopotamian Law Cases PBS 5 100: A Question of Filiation", (Leiden), **JESHO 44**
24. Stone, E: (1987), Nippur Neighborhoods (Chicago), **SAOC 44**

25. Thompson, M. L.: (1911), Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, second imprint, (Lnodon), **CT16**
26. ----------: (1910), Textes de Fepoque d'Agade, (Paris), **ITT 1**
27. Veenhof, K. R.: (2005), Letters in the Louver, (Lieden), **AbB 14**
28. Watermann, L. (1993), Neo-Sumerien Texts from Umma and Other Sites, (Warminister), **BCT 2**
29. Yildiz, F. & Ozaki,T.: (2001), Die Umma-Texte aus den Archäologischen Museen zu Istanbul , (Bethesda), **UTI 6**

اسهامات المعلمين والمؤدبين في الاعمال الخيرية في الاندلس

من (٤٨٤ – ٨٩٧ هـ / ١٠٩٢ – ١٤٩٢)

عدنان هادي صايل

أ.م.د. نبراس فوزي جاسم

جامعة بغداد- كلية الاداب / قسم التاريخ

اسهامات المعلمين والمؤدبين في الاعمال الخيرية في الاندلس من (٤٨٤ – ٨٩٧ هـ / ١٠٩٢ – ١٤٩٢)

عدنان هادي صايل

أ.م.د. نبراس فوزي جاسم

الملخص :

كان للمعلمين والمؤدبين في الاندلس مكانة اجتماعية على مر العصور الاسلامية التي مرت بها بلاد الاندلس ، وللأهمية الكبرى لهذه الفئه ، فلقد كانت تتمتع بدعم اجتماعي كبير ، ومن مختلف الطبقات ، وقد تناول البحث إلى قدرة هولاء على التفاعل مع الواقع الاجتماعي مع الاهتمام والمشاركة الكبيرة في مجريات حياة المجتمع الاندلسي من خلال مكانتهم الخاصة التي جعلتهم المؤثرين الحقيقيين في معالجة الواقع الاجتماعي للبلاد ، كما أظهر البحث اسهامات هولاء الواسعة في الاعمال الخيرية المتمثلة ببناء المساجد والمدارس والحصون ومرافق الحياة العامة الى اطعام الفقراء ورعاية الايتام وطلبة العلم .

Summary :

Teachers and literati in Andalusia had a social status throughout the Islamic ages that Andalus went through, and due to the great importance of this group, they had great social support, and from different classes, and the research dealt with the ability of these people to interact with social reality with interest and great participation in the course of The life of Andalusian society through their special position that made them the real influencers in addressing the social reality of the country, as the research showed their wide contributions in the charitable work of building mosques, schools, forts and public life facilities to feeding the poor and caring for orphans and students of knowledge.

المقدمة:

تمتعت شريحة المعلمين والمؤدبين في الاندلس خلال هذه المرحلة بمكانة اجتماعية مرموقة على مر العصور الاسلامية التي مرت بها بلاد الاندلس ، ذلك كونهم القائمين في

مجال التعليم والتأديب ، اذ كان معظم الناس يجلونهم ويحترمونهم ويصفونهم بالامانة والصلاح ومنبع العلم وحسن الخلق . ولم يقتصر دورهم على التعليم والتأديب بل كانت لهم مواقف اجتماعية تدل على مدى اندماجهم في المجتمع الاندلسي وتأثيرهم فيه ، اذ لم يتركوا ميداناً من ميادين الحياة الاجتماعية العامة الا وتدخلوا فيها وتركوا بصماتهم الواضحة عليها، فكان مايقومون به ترسيخاً لجملة من الاخلاق الدينية ذات البعد الاجتماعي .

لذا شكل هؤلاء شريحة لها مكانتها البارزة بين الشرائح الاجتماعية . لذلك لم يقتصر دورهم على التحصين الفكري لحماية الدين والاداب العامة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل تعديه الى المساهمات الواسعة في الاعمال الخيرية والحث عليه ، فكان لهم اثر كبير ومهم في كثير من الجوانب ذات النفع الاجتماعي ومنها :

اولاً: تشييد المساجد والخدمات العامة:

تمتعت المساجد والخدمات العامة بالاهتمام من قبل معلمي ومؤدبي الاندلس، كونها تمثل أهمية كبيرة عند المسلمين، فهي المكان الذي تؤدي به العبادات وتجمع طلبة العلم بشيوخهم ، وكذلك له دروا اجتماعي في حل النزاعات والخصومات التي باتت تحدث بين الناس فهي تقوم بدور كبير في خدمة المسلمين.

ومنه جاء اهتمامهم في بناء وتعمير المساجد، متبعين قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [١] . وقول الرسول (صل الله عليه واله وسلم): (من بنى مسجد يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)[٢] .

لذلك اهتم المعلمون والمؤدبون بالمساجد اذ هو المكان المخصص للدراسة فلم تكن لهم مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد[٣] وهذا ما تم الإشارة له مسبقاً، كما تمثل الخدمات العامة جوانب حيوية ذات فائدة كبيرة للمجتمع ومن هنا جاء اهتمامهم واسهامهم في انشاء المساجد والخدمات العامة.

فقد كان للمعلمين والمؤدبين اثر في هذه الجهود الخيرية للمجتمع، اذ قام البعض منهم في انشاء المساجد والمرافق العامة للمجتمع الاندلس، فقد زودتنا المصادر بعض من

ساهموا في عمليات البناء تلك، ومن بينهم **المعلم عبيد الله بن عبد الله بن عبدالرحمن بن مسعود المعافري(ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)** من اهل بلنسية "كان من اهل العلم والفضل والإصلاح واعمال البر والخير، وجيهاً متواضعاً كان صاحب ثروة ويسار، وهو الذي بنى مسجد المنسوب اليه على مقربة من باب القنطرة[٤] من داخل بلنسية، كما ووقف عليه دار لسكنى من يؤم به"[٥] .

ومنهم ايضاً **يوسف بن محمد البلوي(ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م)** من اهل مالقة، اذ "كان ميسور الحال ، فقد وصفه ابن الزبير في قوله بأنه" مؤيداً على اعمال الطاعات، موفقاً فيها، معاناً عليها؛ اجل الناس همة في المبادرة الى كل عمل صالح وان شق، بنى ببلده مالقة خمس وعشرين مسجداً من صميم ماله، وخدم فيها وعمل بيده، وحفر ببلده ايضاً آباراً عدة تنيف على خمسين بئراً أو نحوها"[٦] .... ومنهم من قاموا بإصلاح المساجد وتطويرها **كالمؤدب محمد بن عبد الرحمن ادياشي(ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)** "فقد بنى مسجد دار القضاء بغرناطة من ماله، واصلح مساجد غيره وسددها وفعل خيراً كثيراً وأوصى في مرضه أنه كان قد أخرج في صحته من صميم ماله أربعة الاف دينار لتتميم القنطرة، وانفذت وصيته هذه في تتميم بناء القنطرة"[٧] .

كذلك برز في هذا المجال **المعلم أبو زكريا بن يحيى التنملي(ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)** "كان من اهل الصلاح والدين، عاكفاً على الخير مع الانقباض والزهد، وقد عرف بسيرته الحسنة، وله أثر في هذا الجانب، اذ قام ببناء مسجداً في الجزيرة الخضراء، عرف باسم مسجد ابن همشك"[٨] .

ولم يقتصر مشاركة المعلمين والمؤدبين ببناء المساجد وتعميرها فقط، بل اسهموا ايضاً في بناء بعض مرافق الحياة الاجتماعية في الاندلس، اذ كان **المؤدب رضوان النصري(ت٧٦٠هـ/١٣٦٠م)** سابقاً في اعمال الخير، ومن اثاره في هذا الجانب هو "اسهاماته في بناء المدرسة النصرية في غرناطة، حيث لم تكن هناك مدارس بعد، وسبب اليها الفوائد، ووقف عليها الرباع المغلة ونفرد بمنقبها – اي بفضلها– ، وجلب الماء الكثير اليها من النهر، فابد سقيه عليها"[٩] .

ومن آثاره ايضاً " آدار السور الأعظم على الربض الكبير المنسوب للبيازين، فانتظم منه النجد والغور، وبنى من الابراج المنيعة في مثالم الثغور وروابي مطالعها المنذرة، ما ينيف على اربعين برجاً، واجرى الماء بجبل مورور، مهتدياً الى ما خفى على من تقدمه"[١٠] . وغيرها من الاعمال الخيرية التي قام بها.

ثانياً: مساعدة الفقراء والمساكين:

يعد هذا الجانب من الأبواب التي شرعها الله سبحانه وتعالى لمساعدة فقراء المسلمين والمحتاجين من الناس. فهو القائل في محكم التنزيل﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [١١] .كما حث الرسول (صل الله عليه واله وسلم) على دفع الصدقات فقال(ما نقصت صدقة من مال...)[١٢] .

فكان لمعلمين والمؤدبين الفضل في شرح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي اختصت في هذا الجانب، وبينوها للناس، فأسهموا في مساعدة الفقراء والمحتاجين، امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله (صل الله عليه واله وسلم) فكان الكثير من المعلمين والمؤدبين يتصفون بالكرم والسخاء رغم فقر البعض منهم وضيق حالهم، لم يؤخرهم ذلك من تقديم المساعدة للفقراء.

وقد برز خلال هذه المدة عدد من المعلمين والمؤدبين عرفوا بكثرة تصدقهم على الفقراء سواءً من الطلبة أو من أبناء المجتمع الاندلسي، وهذه الصفة تعد من افضل الاعمال عندهم، فمنهم من تصدق بجميع أمواله **المعلم علي بن خلف بن غالب الانصاري(ت٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)** "الذي ورث عن ابيه مبلغ أثنى عشر الف دينار فأنفقها كلها في سبيل الله تورعاً" [١٣] ... **وأبو عبد الله التاودي المعلم (ت٥٨٠هـ/ ١٠٨٤م)** "كان يعلم الصبيان، وقد أولاهم أهمية كبيرة سيما الفقراء منهم، اذ كان يأخذ الأجرة من الأولاد الأغنياء ويردها على أولاد الفقراء وكان يقوم بغسل وخياطة الملابس للصبيان في المكتب دون أجر"[١٤] .

في حين بلغ اهتمام **المعلم ابي إبراهيم بن محمد الخزرجي(ت ٥٨١هـ/١١٨٥م)** بالصبيان، اذ "كان يتفقد الصبيان في مكاتبهم فيسأل عن الايتام وأولاد الفقراء فيكسوهم وكان يقوم بتجريد أبناء الميسورين من بعض ثيابهم ويكسوها لابناء الفقراء"(١٥) ، ومنهم **المؤدب يوسف بن يحيى بن منير(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)** من اهل غرناطة، الذي ذكره ابن الزبير بقوله "آثر بماله الفقراء والمساكين حتى افنى جميعه وزهد في الدنيا وتوفى على خير عمله"(١٦) .

وكان **المعلم ابن دري علي بن محمد الانصاري** ، "محبباً الى الناس متصرفاً في حوائج صغيرهم وكبيرهم، مقبول القول، وقد بلغ آثره بكثرة صدقاته على الفقراء مشفقاً عليهم مما رزقه الله به، ساعياً لكسب مرضاة الله في الدنيا والاخرة، فكان كثير الصدقة للفقراء والمساكين والمحتاجين والايتام"(١٧) عاملاً بقوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١٨) . فضلاً عن ذلك فقد وصف **المعلم سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)** بأنه : "كريم النفس، يطعم فقراء الطلبة وينشطهم ويتحمل مؤنتهم"(١٩) .

وكان البعض من المعلمين والمؤدبين محبباً الى قلوب الفقراء والمساكين، وذلك لفضلهم وقربهم من الناس، اذ بلغ **المعلم إبراهيم بن محمد التنوفي(ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)** الذي بلغ من محبة الناس مبلغاً عظيماً وكان سبب ذلك هو ما عودهم عليه من طلاقة وجهة ومواساته لهم بقوته، فقد "كان له آثر كبير في مساعدة الفقراء والمساكين، حتى كان محبوباً عندهم، وكانوا يتزاحمون عليه في طريقه، يتمسحون به، ويتزاحم مساكينهم على بابه، وقد عودهم طلاقة وجهه ، صادقاً بالحق، ملازماً للتعليم العربية والفقه"(٢٠) .

وممن برز آثره في هذا المجال **الصريحي محمد بن محمد بن محارب(ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)** "اشتهر بمساعدة الفقراء والمحتاجين من الطلبة، فكان كلما حصل على مالاً كان يبادر به لمساعدة الناس، فعند وفاته تصدق بمال كثير، وعهد بريع مجد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه وكان ملازماًللتدريس بالمدرسة النصرية في غرناطة"(٢١) .

وكان الهدف من الصدقات هو لتحقيق التوازن الاجتماعي الذي يقرب افراد المجتمع اغنيائهم وفقرائهم (٢٢) ،وهذا ما كان يعمل به **المعلم علي بن محمد بن علي بن هذيل(ت**

٥٦٤هـ/ ١١٥٩م) "كان مشهور الفضل والزهد والثقة والعدالة واسع المعرفة كثير الصدقة وكان يصحبه طلب العلم الفقراء عليه والسماع منه، وكان يتصدق على الارامل والايتام بماله من دقيق وأدم وغير ذلك فتقول له زوجته: انك لتسعى بهذا العمل في فقر ابنائك فيقول لها: لا والله بل انا شيخ طماع اسعى في غناهم" (٢٣) . فهذا يدل على مدى حرصهم على مساعدة الفقراء والمحتاجين حتى وان كلفهم انفاق جميع مالديهم من اموال.

وكذلك قد ورث **المعلم علي بن أحمد بن الحسن(ت ٧٤٦هـ/ ١٢٧٦م)** عن "اهله مساعدة الفقراء واطعامهم في سبيل الله، مبذول المودة مطعم للطعام بدار له معدة للضيوف من الفضلاء ممن تطويه الطريق ويغشاه من أبناء السبيل" (٢٤) .

وكان **المعلم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم النغزي** من اهل غرناطة متزهداً عن الاخذ من الناس لقاء تعليمه لهم ،على الرغم من انه غير ميسور الحال، اذ " كانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ، فيدفع ذلك بجملته ، وربما كان الطعام بين يديه ، وهو محتاج ، فيعرض من يساله ، فيدفعه جملة، ويبقى طاوياً ، فكان الضعفاء والمساكين له لياذاً ينسلون من كل حرب، فلا يرد احداً منهم خائباً ، ونفع الله بخدمته وصحبته، واستخراج بين يديه مالاً كثيراً"(٢٥)

ثالثاً: الاهتمام بطلاب العلم وكسوتهم:

لم يقتصر دور المعلمين والمؤدبين في مجال تعليم وتأديب الطلبة فحسب، بل تعداه الى الاهتمام بهم ورعايتهم ومتابعتهم وكذلك الانفاق عليهم، وتشجيعهم على الاهتمام بالجانب العلمي والأخلاقي، وحثهم على طلب العلم، متبعين قوله تعالى﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٦) .

وقول الرسول(صل الله عليه واله وسلم): (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة)(٢٧) .

ولهذا سعى المعلمين والمؤدبين ما بوسعهم من اجل خدمة العلم وكذلك المتعلمين فهؤلاء كان لهم اهتمام كبير بطلبه العلم، فقد بينت لنا كتب التراجم تنوع طرق رعاية المعلمين والمؤدبين لطلبة العلم خلال هذه المدة.

ويبرز لنا من بين هؤلاء **المعلم علي بن محمد بن علي(ت٥٦٤هـ/ ١١٥٩م)** "وكان طلق الوجه مع تلاميذه منشرح الصدر، جميل الصبر وينتابونه ليلاً ونهاراً فلا يسأم من ذلك ولا يضجر برغم كبر سنه حسبما كان أمره معهم من قبل"[٢٨]، وكذلك **المؤدب محمد بن إبراهيم بن خلف الانصاري(ت٥٩٠هـ- ١٦٩٣م)** الذي عدة من " احفظ اهل زمانه للحديث والفقه واللغات والإداب والتاريخ، انه كان باراً بطلاب العلم، مبالغاً في اكرامهم، متناهياً في التحفي بهم، وقد اكرمه المنصور من بني عبد المؤمن كان يجله كثيراً ويقربه ويرفع من شأنه ويوجب له حقه"[٢٩].

وذكر ايضاً عن **المعلم ابي عمر احمد بن سعيد بن كوثر الانصاري** "ان الطلبة كانوا يقصدونه في داره وهم اكثر من أربعين طالباً في اشهر الشتاء، فيحتفي بهم ويقدم لهم الطعام كل يوم بعد الفراغ من الدرس، وكان الطعام وافراً حتى ان هؤلاء الطلبة يبقون على هذه الوجبة الى اليوم التالي طيلة الثلاثة الأشهر، فكان ذلك منه كرماً وجوداً وفخراً لم يسبقه احد من تلك المكرمة"[٣٠] .

وقد ذكره احد تلاميذه وهو عبد الله سعيد بن ابي عون أنه قال"فأذا فرغ الحديث، قدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب، وأياماً ثرائد اللبن بالسمن او الزبد، فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ويقدم بعد ذلك لوناً واحد ونحن روينا من ذلك الطعام"[٣١].

يتبين لنا من خلال ذلك القول ان هؤلاء المعلمين كانوا حريصين على تقديم افضل ما عندهم من الأطعمة لطلابهم فهم يشفقون عليهم مقدرين لظروفهم، ليكونوا مستعدين لتلقي العلم.

ومثلهم **المعلم محمد بن إبراهيم بن محمد الانصاري(ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)** الذي ذكره ابن الابار بقوله "من اهل المعرفة والدراية، موصوفاً بالورع والفضل، مكرماً لطلاب العلم متناهياً في الحفاوة بهم والبر"[٣٢]، وكان **المعلم علي بن محمد بن عبد الحق الزويلي(ت ٧١٩هـ/١٣١٩م)** "فكهاً مع طلابه محبباً اليهم"[٣٣] كذلك **محمد بن يحيى بن محمد المالقي(ت ٧١٤هـ/ ١٣٤١م)** "كان فسيح الدرس، عطوفاً على الطلبة محبباً اليهم"[٣٤] .

وكان لبعض المعلمين والمؤدبين نزهات مع الطلبة خارج حلقات الدرس ومن هؤلاء **المعلم احمد بن عبد النور بن احمد بن رشد (ت٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)** اذ "سار الى بعض بساتين المرية مع جماعة من الطلبة واستصحبوا ارزاً ولبناً، فطلبوا قدراً لطبخه، فلم يجدوا، فقال: اطبخوا في هذا القدر وأشار الى قدر بها بقية زفت مما يطلى به السواني[٣٥] عندهم فقالوا: له وكيف يسوغ الطبخ بها، ولو طبخ بها شيء مما تاكله البهائم لعافته، فكيف الأرز بالبن؟ فقال لهم: اغسلوا معائدكم وحينئذ تدخلون فيها الطعام. فلم يدروا مما يعجبون، هل من طيب نفسه باكله مما يطبخ في تلك القدر، ام من قياسه المعدة"[٣٦].

رابعاً: الاهتمام بقضاء حوائج الناس:

شارك المعلمون والمؤدبون بحكم مركزهم الاجتماعي ودورهم المؤثر في السلطة والمجتمع في قضاء حوائج الناس، والإصلاح بينهم وبين السلطة الحاكمة، وحل مشكلاتهم ما استطاعوا اليه سبيلاً.

لهذا كان الناس يترددون اليهم في مهماتهم ويشاورونهم فيما لهم، فكان هؤلاء بارين بمن يقصدهم في مجالسهم، متبعين في ذلك قول الرسول (صل الله عليه واله وسلم) :(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه بها كربه من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[٣٧] .

ويظهر لنا نخبة من شريحة المعلمين والمؤدبين قد امتازت بمؤهلات عديدة كان لها الاثر في نجاح وساطتها بين الناس حيث كانوا يسارعون في قضاء حوائج الناس، لأنهم ادركوا أن التأخير في قضاء حوائج الناس قد يلحق ضرراً في بعض الأحيان.

فقد روي بأن **المعلم علي بن محمد بن خليل الاشبيلي(ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م)** "قصده احد الطلبة راجياً منه ان يكلم احد الامراء في حاجة له فسار بنفسه الى الأمير الموحدي، وكلمه وقضى حاجته" [٣٨] اذ كان له اثر كبير على السلطة الحاكمة، كونه معظماً عندهم، وكان **إبراهيم بن خلف بن محمد العامري،(ت٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)** ".....رؤوفاً

شديد الحنان على الضعفاء والمساكين واليتامى، وكان باراً بالناس، يجلس لعقد الشروط لهم بدون مقابل، محتسباً ثوابها على الله تعالى"[٣٩] .

وقد تمتع **المعلم محمد بن احمد بن محمد بن رشد (ت٥٩٥هـ/١٠٩٩م)** "بمنزلة ووجاهة عظيمة عند الخلفاء، ولا سيما عندما صار قاضياً بقرطبة، والتي لم يستغلها في تحسين حال ولا جمع مال، وانما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة، ومنافع أهل الاندلس عامة، فكان له عند الملوك وجاهة عظيمة، استخدمها في خدمة الناس"[٤٠].

وقد كان **المعلم محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن التجيبي البرشاني**[٤١] **(ت٦١٨هـ/ ١٢٢١م)** "نفاعاً بجاهه وماله، كثير الاعتناء بطلبه العلم والسعي الجميل لهم، وافاضة المعروف على قصاده، مستعيناً على ذلك بما ناله من الثروة والحظوة عند الامراء من بني عبد المؤمن"[٤٢] .

ومن آثار هذا المعلم في هذا الجانب ما رواه الشيخ أبو القاسم البلوي، قال: "كنت اشفع عنده في كبار المسائل، فيسرع في قضائها، ولقد عرضت لبعض اصحابي من اهل الاندلس حاجة مهمة كبيرة، وجب علي السعي فيها والتماس قضائها... ورغبت منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها وكان مضطجعاً فاستوى جالساً وقال لي: جهل الناس قدري، في مثل هذا اشفع الى امير المؤمنين؟ هات الدواة والقرطاس، فكتب برغبتي ورفعه الى السلطان، وقال يا أبا القاسم لا أرضى منك ان تحجم عني في التماس قضاء حاجة تعرضت لك خاصة وان كانت لاحد معارفك عامة كبرت او صغرت فالتزم قضائها وعلى الوفاء فإن لكل مكسب زكاة وزكاة الجاه بذله"[٤٣] .

ومن اثارهم ايضاً مساعدة الناس، اذ دخل رجل تاجر الميضاة للوضوء، فنسى بها وعاء فيه جملة مال، فتذكر له فرجع ولم يجدة فسقط مغشياً عليه فاجتمع عليه الناس وهو يقول مالي ووافق خروج المعلم ابي الحسن علي بن محمد من الجامع فسأل عنه فجالس اذنه فقال: مالك عندي وديعه تركته انت عندي، واذا كان بعد صلاة العصر تأخذه : فقام الرجل، فكأنما نشط من عقال، ومشى المعلم في حينه الى مشرف غرناطة، ابن مالك، فقال له: اني اشتريت لك قصراً في الجنة بخمسمائة دنير، وانا الضامن لذلك، فشكره واخبر المعلم

بالقصة، فدفع اليه المال، فدفعه الى الرجل[٤٤] اذ كان هذا المعلم له مشاركة ومسارعة لقضاء الحوائج والمشي للإصلاح بين الناس[٤٥] يتبين لنا من هذه القصة مدى قرب شريحة هؤلاء من الناس بحيث لا يتوقفون لهم في أمر.

خامساً: حبس العلم والأموال (الوقف) :

يعد الوقف من الصدقة التي يتصل اجرها في حياة صاحبها وبعد وفاته، مصداقاً لقوله(صل الله عليه واله وسلم) : (اذا مات أبن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له)[٤٦] .

ويعد الوقف بوصفه أفضل اعمال الخير والبر التي تتحقق بها مقاصد الشريعة بمختلف ابعادها المادية والمعنوية قربة الى الله تعالى.

فضلاً عن ذلك لعبت الأوقاف دوراً هاماً في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى والتخفيف من معاناتهم وكذلك في تسيير سبل العيش والحياة الكريمة لأفراد الاسرة وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام[٤٧] .

ومما لا شك ان الوقف في مجال العلم والتعليم كان في مقدمة ما اولاه المسلمون اهتمامهم على تعاقب العصور، وذلك لانعاش الحقل العلمي، هادفين به انماء الشخصية العلمية في الأجيال الناشئه، اذ ان رفد المكتبات بالكتب من عناصر التعليم المهمة[٤٨] ،كذلك أوقف المعلمين والمؤدبين جزأً من أموالهم لاهميتها في انعاش الفكر الثقافي. ومن اشكال الاحباس عند المعلمين والمؤدبين ايضاً بناء المساجد وكذلك المدارس والمكتبات، وحبس الكتاب، وقد تبين لنا أن الوقف من اعمال الخير والبر وذلك لدوره الكبير في تنمية الحركة العلمية والثقافية عن طريق دور العلم والمكتبات[٤٩].

وللأحباس أهمية كبيرة في حياة المسلمين، فهي تدعم المحتاجين وتقدم خدمات جليلة للمجتمع في مجالات مختلفة ومتنوعة، ونظراً لذلك فقد ساهم المعلمين والمؤدبين خلال هذه الفترة بحبس أموالهم ومؤلفاتهم وكتبهم لتعم الفائدة وينتفع بها المسلمين في المجتمع الاندلس.

وممن بلغ أثره في هذا الجانب **المعلم عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن المعافي(ت٤٩٨هـ/١١٠٥م)** "الذي أوقف داراً للسكن لمن يؤم المسجد، والذي بناه من ماله

ببلنسية"[٥٠] . كذلك عرف عن **المعلم عبد الله بن طلحة بن احمد بن عطية المحاربي(ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)** بأنه "كان كثير الصدقة في السر، فاعلاً للخير، وقد أوصى قبل موته بوصية عظيمة للمساكين والمتعففين من اهل مدينة غرناطة بلغت أمولاً كثيرة"[٥١] .

كما حبس **المعلم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي(تت٦٠٨هـ/ ١٢١١م)** بثلث ماله لأولى الستر، من اهل غرناطة، اذ "كان كثير الصدقة والمثابرة على فعل الخير، وقد بعث مالاً الى احد معارفه في مالقه وطلب منه ان يشتري سلعاً ويوزع مالها على المتعففين بعد وفاته، وبقيت هذه السلع لمدة عامين، فلما توفى هذا المعلم تم بيعها وتوزيع أموالها على مستحقيها، وقد صادف ذلك وقت شدة في السعر، وكان متحبباً الى طلبته القاصدين إليه للأخذ عنه"[٥٢] ، وكذلك حبس **محمد بن الكناني** داره وطائفه من كتبه على الجامع الكبير بمالقه، وقد أوصى قبل موته بوصايا من ماله، في صدقات واشباها[٥٣] ، وعرف عن **المؤدب يوسف بن محمد البلوي(ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)** انه"بنى في مالقه خمسة وعشرين مسجداً من صميم ماله وخدم فيها وعمل بيده وحفر ببلده ايضاً آبار عدة تنيف على خمسين بئراً اوقفها كلها في سبيل الله"[٥٤] .

وممن برز أثره في هذا المجال ايضاً ، **المعلم محمد بن محارب الصريحي(ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)** "كان ملازماً في تعليم العربية، ودعي الى الاقراء بالمدرسة النصرية في غرناطة، وقد حبس ماله من كتب ومؤلفات وعهد بريع مجد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه، وكان يتصدق بمال كثير على الفقراء والمتعففين"[٥٥]، ومنهم **محمد بن محمد الانصاري المالقي(ت٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)** " الذي بنى مدرسة غربي المسجد الأعظم ووقف عليها الرباع"[٥٦] .

كما عرف عن **المؤدب رضوان النصري (ت٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)** بأنه "بنى مدرسة في غرناطة، وخصص لها من ماء النهر الكثير وأبد سقيه عليها، ووقف عليها الرباع المغلة، حتى غدت نسيجة وحدها بهجة ورصداً وظرفاً وفخامة"[٥٧] ، وقد دعي للتدريس فيها صفو علماء الاندلس ومشاهير علماء المغرب، ومنهم **ابن الفخار الخولاني(ت٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)** "الذي قل في الاندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة"[٥٨] **ويحيى بن احمد بن هذيل**

التجيبي(ت٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) الذي "كان يقرئ الأصول والفرائض والطب"[٥٩] **وأبو سعيد فرج بن قاسم الثغلبي(ت٧٨٢هـ/ ١٣٨١م)**[٦٠] .

ومما تقدم يظهر لنا ان المعلمين والمؤدبين قد ساهموا في كثير من الاعمال الخيرية، والتي كانت تصب في مصلحة الفقراء والمساكين وكذلك مساهمتهم في خدمة المجتمع وتقويمه وحل المشاكل التي تواجههم، وكانوا يبتغون بذلك مرضاة الله تعالى.

الخاتمة :

توصل ابحث الى عدة استنتاجات وهي:

١. كان لشريحة المعلمين والمؤدبين دور مهم وبارز في الاعمال الخيرية في الاندلس خلال هذه المرحلة على رأسها مساعدة الفقراء والمحتاجين ، مما جعلهم على تواصل مستمر مع الناس .
٢. اكدت الدراسة ان المعلمين والمؤدبين لم يكونوا بمعزل عن الناس. بل كانوا الاقرب اليهم ، فكان مايقومون به ترسيخاً لجملة من الاخلاق ذات البعد الاجتماعي.
٣. كان لهم الفضل في شرح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي اختصت بمساعدة الفقراء والمساكين ، وبينوها للناس فأسهموا في مساعدة الفقراء امتثالاً لاوامر الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه واله وسلم).
٤. بينت الدراسة انهم كانوا يتصفون بالكرم والسخاء رغم فقر البعض منهم وضيق حالهم لم يؤخرهم ذلك من تقديم المساعدة للفقراء.
٥. لقد ساهموا في كثير من الاعمال الخيرية التي كانت تصب في مصلحة المجتمع الاندلسي مثل بناء المساجد والمرافق العمة، وكذلك خدمة المجتمع وحل المشاكل التي تواجههم وكانوا يبتغون بذلك مرضاة الله تعالى .

المصادر :

- القرآن الكريم

١. ابن الابار: ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)،

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام العراس، مطبعة: دار الفكر، (بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٢. ابن الخطيب الغرناطي: لسان الدين محمد بن عبدالله بن سليمان (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
- الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، مطبعة: دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محمد زينهم، مطبعة الدار الثقافية (القاهرة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: احسان عباس، مطبعة دار الثقافة (بيروت: ١٣٨٤هـ/١٩٦٣م).
٣. ابن ابي أصيبعة: احمد بن القاسم بن خليفة (ت: ٦٦٨هـ/١٢٦٩م).
- عيون الانباء في طبقات الاطباء، نشره امرؤ القيس بن الحطان، المطبعة الوهبية، (القاهرة: ١٣٩٩هـ/١٩٩٣م).
٤. ابن فرحون: ابراهيم بن نور الدين المالكي، (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).
- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٦م).
٥. ابن الجوزي: شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م).
- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج. برجستراسر، مطبعة مكتبة ابن تيمية (ت.م ١٣٥١هـ/١٩٠٧م)
٦. التنبكتي: احمد بابا (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م).
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبدالله الهدامه، مطبعة: منشورات كلية الدعوة الاسلامية، (طرابلس: ١٣٩٨هـ/١٩٨٩م).
٧. لبخاري: ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م).

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسننه وأيامه، تحقيق: مصطفى البقا، مطبعة دار ابن كثير (بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٨. ابن الزبير: أبي جعفر احمد بن ابراهيم، (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)

- صله الصله، تحقيق: شريف ابو العلا العروي، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

٩. ابن بشكوال: ابو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)

- الصله في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وآدابهم، تحقيق: بشار عواد معروف، مطبعة دار الغرب الاسلامي، (تونس: ٢٠١٠م).

١٠. السيوطي: جلال الدين بن عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة المكتبة العصرية، (لبنان: ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م).

١١. الغبريني: احمد بن احمد بن عبدالله ابو العباس (ت ٧١٤هـ/١٣٤٦م).

- عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجايه، تحقيق: عادل نويهض، مطبعة دار الآفاق الجديدة، ط٢، (بيروت: ١٩٧٩م).

١٢. ابن العماد: شهاب الدين ابي الفلاح عبدالحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الارناؤوط، مطبعة: دار ابن كثير (بيروت: ١٤١٣هم١٩٩٢م).

١٣. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)

- اختصار القدح المحلى في التاريخ المحلى، تحقيق: إبراهيم الابياري، مطبعة الهيئة العامة لمطابع الاميرية، (القاهرة : ١٩٥٩م).

١٤. ابن صاحب الصلاة: عبدالملك محمد الباجي (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م).

- تاريخ المن الامامة وتاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبدالهادي التازي، مطبعة: دار الاندلس، (بيروت: ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).

١٥. ابن قنفذ: ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

- كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، مطبعة منشورات دار الثقافة الجديدة، ط٤، (بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

١٦. ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي (ت ١٣٦٠هـ/١٩٤١م).

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبدالمجيد خيالي، مطبعة دار الكتب العالمية، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٧. الحجي، عبد الرحمن علي، الكتب والمكتبات في الاندلس، مطبعة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (أبو ظبي:١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

١٨. الحميري: محمد بن عبدالمنعم ابو عبدالله (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧).

- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مطبعة هيد لبرغ (بيروت: ١٢٩٥هـ/١٩٧٥م).

١٩. المقري: شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٩٣١م).

- نفح الطيب من غصن الاندلس وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، مطبعة دار صادر (بيروت:١٣١٨هـ/١٩٠٠م).

٢٠. ابن عبدالملك المراكشي: ابي عبدالله محمد بن محمد الانصاري (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م).

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: د.ت).

٢١. الذهبي: شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام الترميذي، مطبعة دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- المستملح من كتاب التكملة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي (تونس: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- تذكرة، الحافظ، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (٣٧٤هـ).

٢٢. العسقلاني: شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م).
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة (د.م)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد: ١٣٤٩هـ/١٩٣١م).

٢٣. الدعيني: ابو الحسن علي بن محمد علي الاشبيلي (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٩م).
- برنامج شيوخ الدعيني، تحقيق: ابراهيم شبوح، مطبعة أحياء التراث القديم، (دمشق: ١٣٨١هـ/١٩٦٥م).

٢٤. دندش، عصمت عبداللطيف.
- الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م)، مطبعة دار الغرب الاسلامي (بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٢٥. الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).
- الاعلام، مطبعة العلم للملايين، (د.م ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢٦. السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، الوقف واثره في التنمية، مطبعة: دار الشؤون الثقافية، (بغداد:١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٢٧. العذاري، احمد بن عمر بن انس (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد ١٩٦٥م) .

٢٨. فرحات، يوسف وعيد.
- معجم الحضارة الاندلسية، مطبعة دار الفكر العربي (بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٢٩. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت ١٩٧٣).
٣٠. عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين، دار النهضة، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ج٣.
٣١. مسلم: ابو الحسن مسلم بن الحجاج القيشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ/٨٧٢م).
– صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٦٩م).
٣٢. المكانسي: ابي العباس احمد بن محمد بن ابي العانية (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م).
– درة الحجال في غرة اسماء الرجال، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، عطا، مطبعة: دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٣٣. المنجد، صلاح الدين، المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، مطبعة: دار الكتاب الجديد، (بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩).
٣٤. النباهي: اي الحسن علي بن عبدالله الجذامي (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م).
– تاريخ قضاة الاندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، مطبعة المكتبة العصرية، (صيدا: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٣٥. الونشريسي: ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م).
– المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والمغرب، أخرجه جلة من الفقهاء وبإشراف محمد الحجي، مطبعة دار الغرب الاسلامي، (بيروت: ١٢٠٢هت/١٩٨١م).
٣٦. اليافعي: أبي محمد بن عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م).
– مرآة الجنان وعبر اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

الهوامش:

(١)سورة التوبة، آية (١٨).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، رقم ٤٥٠، ص١٢١؛ مسلم، صحيح مسلم، رقم ٥٣٣، ص٢٤١.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢١؛ دندش، عبد اللطيف، الاندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٧٠.

(٤) باب القنطرة: وهي احد أبواب مدينة بلنسية الباب الشرقي الذي يسمى بباب القنطرة ويخرج منه على قنطرة قد صنعها المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر، ليس لأهل الاندلس اتقن منها وعلى هذه القنطرة تخرج الرفاق الى طليطله وسرقسطة وطرطوشه: ينظر، العذاري، احمد بن عمر بن انس (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الاهواني، مطبعة، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد ١٩٦٥م) ص ١٧–١٨.

(٥) ابن الابار، التكملة، ج ٤،ص٣١٢.

(٦) ابن الابار ، التكملة ،ج٤، ص ٢١٩؛ابن الزبير، صلة الصلة: ج٣، ص٤٣٤؛ المراكشي، الاعلام، ج٨، ص٢٤٧.

(٧) المراكشي، الذيله والتكملة،ج٤، س٦،ص٤٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص١٥٩.

(٨) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) اختصار القدح المحلى في التاريخ المحلى، تحقيق: إبراهيم الابياري، مطبعة الهيئة العامة لمطابع الاميرية، (القاهرة : ١٩٥٩م)، ص٩٨.

(٩) ابن الخطيب، الاحاطة ، مج١، ص٨٩؛اللمحة البدرية، ص١٠٢.

(١٠) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص٢٩٠–٢٩١.

(١١) سورة البقرة، آية (٢٧١).

(١٢)مسلم، صحيح مسلم، ١٢٠٢، رقم(٢٥٨٨).

(١٣) ابن الزبير، صلة الصلة، ج٣، ص٢٠٧؛ التدالي، التشوق الى رجال التصوف، ص٨١.

(١٤) التدالي، التشوق الى رجال التصوف ، ص ٢٦٣–٢٦٤.

(١٥) المصدر نفسه، ص٢٢٧–٢٢٨.

(١٦) ابن الزبير، المصدر السابق، ج٣، ي٤٣٣.

(١٧) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٤٢؛ابن الخطيب، الإحاطة، مج٤، ص٧٩؛السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ج٢، ص١٨٧؛ فرحات، معجم الحضارة، ص٣٧٠.

(١٨) سورة التوبة، الآية (٦٠).

[١٩] ابن الابار، التكملة، ج٤، ص١٠٠؛ الدعيني، برنامج شيوخ، ص٦٦؛ الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت ١٩٧٣)، ص٨٠، رقم ١٨٢.

[٢٠] ابن الخطيب، الاحاطة ، مج١، ص١٩٧؛ المكناسي، درة الحجال، ص٩٢.

[٢١] المصدر نفسه ، مج٣، ص٥٥؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٢٣٥.

[٢٢] المنجد، صلاح الدين، المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، مطبعة: دار الكتاب الجديد، (بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩)، ص٧٥.

[٢٣] المراكشي، الذيل والتكملة، مج٣، س٥، ص٣١٠-٣١١.

[٢٤] ابن الخطيب، الاحاطة، مج٤، ص ٦٨-٦٩؛ الديباج المذهب، ص٣٠٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص٣٩٢.

[٢٥] ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، مج١، ص١٩٤.

[٢٦] سورة المجادلة، ايه (١١).

[٢٧] صحيح مسلم ، ص١٢٤٢، رقم الحديث ٢٦٩٩.

[٢٨] المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، مج ٣، ص٣١٠-٣١١؛ ابن الزبير، صلة الصلة ، ص٢٦٩؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج١، ص٥٧٣.

[٢٩] المراكشي، المصدر السابق، س٦، ج٤، ص٩٥؛ تذكرت الحفاظ، ج٤، ص١٣٥٥؛ اليافعي، مرأة الجنان، ج٣، ص٤٦٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٠٣؛ المراكيشي، الاعلام، ج٤، ص١٢٥.

[٣٠] ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص٧٤؛ دندش، عبد اللطيف، الاندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٧٥.

[٣١] المصدر نفسه .

[٣٢] ابن الابار، التكملة، ج٢، ص١٣٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢٨٤.

[٣٣] ابن الخطيب، الإحاطة، مج٤، ص١٥٨؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص٣٤٢؛ الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٣٣٤.

[٣٤] ابن الخطيب، الاحاطة ، مج٢، ص١٠٦؛ النباهي، قضاة الاندلس، ص١٥٢؛اللمحة البدرية، ص٢٩؛ كحالة ، معجم المؤلفين، ج٣، ص٧٧٠.

[٣٥] السوائي: جمع السائية وهي كالساقية، مايسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغير.

[٣٦] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج١، ص٧٧-٧٩.

[٣٧] البخاري، صحيح البخاري، ص٥٩١، رقم ٢٤٤٢.

[٣٨] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٦٠-١٦٢.

[٣٩] ابن الابار، التكملة، ج١، ص١٣١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٩١.

(٤٠) ابن الابار، التكملة ، ج٢، ص٧٣؛ عيون الانباء، ج٢، ص٧٥٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص٢٥٧؛ شذرات الذهب، ج٤، ص٣٢٠؛ المراكشي، الاعلام، ج٤، ص٥٢.

(٤١) البرشاني، نسبة الى برشانة بالأندلس وهي حصن على مجتمع النهرين وهو من امنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً وأكثرها عمارة ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٨٨.

(٤٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٣٣٧.

(٤٣) المراكشي، الذيله والتكملة، مج٤،س٦،ص٤١٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٥٥٨؛ ابن الخطيب، الاحاطة ، ص٣٣٨؛ المراكشي، الاعلام،ج٤ ، ص١٨٠.

(٤٤) ابن الخطيب، الاحاطة ، ص٧٩٥.

(٤٥) المصدر نفسه .

(٤٦) مسلم، صحيح مسلم، رقم (١٦٣١)، ص٧٧٠.

(٤٧) الونشريسي، المعيار المعرب، ج١، ص٣٩٦، وج٧،ص٢٩٩-٣٠٠.

(٤٨) الحجي، عبد الرحمن علي، الكتب والمكتبات في الاندلس، مطبعة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (أبو ظبي:١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)،ص١٥٦.

(٤٩) السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، الوقف واثره في التنمية، مطبعة: دار الشؤون الثقافية، (بغداد:١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٨٤.

(٥٠) ابن الابار، التكملة، ج٢، ص٣١٠.

(٥١) ابن الزبير، صله الصلة، مج٣، ص٩٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص٤٤٥؛ ابن مخلوف، شجرة النور، ج١، ص١٦١.

(٥٢) المراكشي، الذيل والتكملة، مج٥، ص٣٢٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣،ص٢٠٤؛ والمستمح، ص٨٧٤.

(٥٣) ابن الخطيب، الإحاطة، مج٣، ص٥٧.

(٥٤) ابن الزبير، صلة الصلة، ص٤٣٤؛ عنوان الدراية، ص٢٩٢؛ المراكشي، الاعلام، ج٨، ص٢٤٧.

(٥٥) ابن الخطيب، الاحاطة ، مج٣، ص٥٥.

(٥٦) المصدر نفسه، ص١٩١.

(٥٧) ابن الخطيب، المصدر نفسه ، مج١، ص٢٨٩.

(٥٨) ابن الخطيب المصدر نفسه، مج٣، ص٢٢؛ الكتيبة الكامنة، ص٧٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٧، ص٣٣٠.

(٥٩) المصدر نفسه، مج٤، ص٣٣٤؛ الدرر الكامنة، ج٤، ص٤١٢؛ المقري، المصدر السابق، ج٨، ص٣٢؛ الكتيبة الكامنة، ٧٣.

(٦٠) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٥٧.

إدارة مصر خلال الحكم الآشوري(٧٠١-٦٥٤) ق.م

م.هيفي صبري جميل

قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية

جامعة دهوك، اقليم كُردستان العراق

Hivi.sabri@uod.ac

إدارة مصر خلال الحكم الآشوري(٧٠١-٦٥٤) ق.م

م.هيفي صبري جميل

الملخص:

ترجع علاقات مصر مع العراق الى عصور ما قبل الاسرات، فقد كان هناك تطور متشابه ومتعاصر كبير في كلتا الحضارتين، وبعد هذه الفترة يبدو أن الاتصال قد توقف قليلاً لفترة ما واكتف مصر بالعلاقات التجارية، كان ملوك اشور خلال الدولة الحديثة يتبادلون المراسلات الدبلوماسية مع ملوك مصر خلال الدولة الحديثة(١٥٦٧-١٠٨٥) ق.م، وفي عصر الاشوري الحديث بدأ التنافس السياسي بين الاشوريين والمصريين في الاراضي السورية التي كان يطمح كل منهما الى بسط سلطانه عليها من اجل تأمين حدوده وضمان التجارة وحماية طرق مواصلاتها للحصول على المواد الأولية اللازمة، لهذا تكررت الحملات العسكرية الاشورية على مصر التي كانت تدعم وتحرض المدن سوريا وفلسطين ضد الوجود الاشوري هناك، وتوالت انتصاراتهم على المصريين انتهت بسيطرة اشور على مصر.

كلمات مفتاحية: إدارة – مصر – العصر الاشوري الحديث

المقدمة:

أصبحت المملكة الاشورية في ذلك العصر في مركز الصدارة بين دول وممالك الشرق القديم سواء من حيث الازدهار الحضاري والاقتصادي او القوة العسكرية التي برز تأثيرها على الدور السياسي الذي لعبته في المنطقة بأسرها، وتصادمت مصالحها في تلك الفترة مع المصريين على المدن السورية – الفلسطينية، نتيجة سيطرة الاشوريين على المنطقة وتهديد مصالح مصر التجارية، كما كان بالإمكان الوصول الى بلاد وادي النيل من أراضي تلك المدن عبر سيناء وصولاً الى الدلتا، وهو الطريق الذي أتبعه الاشوريون في حملاتهم العسكرية في القرن السابع قبل الميلاد.

علاوة على ما قدم فقد قسم البحث الى المحاور الاتية:

الغزو الاشوري لمصر

المحور الأول: دوافع الحملات العسكرية

المحور الثاني: اهم الحملات العكسرية الاشورية

المحور الثالث: إدارة مصر خلال الحكم الاشوري

المحور الأول

دوافع الحملات العسكرية:

أ. **التنافس الاشوري المصري في بلاد الشام:** اتسمت العلاقات بين بلاد وادي الرافدين ومصر منذ أيام الامبراطورية المصرية (١٥٨٠-١٠٨٥ق.م) بالتعاون والتحالف وتبادل رسائل الاخوة

والصداقة والمصاهرات، والتبادل التجاري بين الاشوريين والمصريين، كما ورد في نص يعود الى الملك سرجون جاء فيه:" **لقد فتحت ميناء مصر المسدود وجمعت الاشوريين والمصريين سوية وجعلتهم يتاجرون فيما بينهم**"(١). إلا أنها بدأت تختلف وتتباين في المراحل اللاحقة، ففي القرن العاشر وبداية القرن التاسع قبل الميلاد حدثت تغيرات عميقة في الجغرافية السياسية لغرب اسيا في دول الشرق الادنى القديم اذ استطاع الاراميون (٢) من الوصول الى شمال الشام وكونوا عدة دويلات آرامية صغيرة امتدت من لبنان وحتى جبال زاكروس واستطاع الفلسطينيون(٣) دخول ارض كنعان، كما ازدهرت الأقاليم الفينيقية التي أقام فيها الفينيقيون(٤) على امتداد الساحل اللبناني، واصبح اقصى شمال سوريا وجبال طوروس تحت سيطرة ممالك حثية جديدة(٥)، وكان الميديون(٦) قد استقروا وراء جبال زاكروس. أما مصر فكانت في تلك الفترة ضعيفة ومقسمة فقد فقدت سيادتها في مناطق اسيا بانتهاء حكم الاسرة العشرين، وانكمشت الى حدودها الطبيعية وفقدت كل امبراطوريتها، بل كان يحكمها بيتان مالكان احدهما في تانيس (شرق الدلتا) والآخر في طيبة (٧)، في الوقت الذي شهدت فيه نجاح المملكة الاشورية وتعاظم قوتها وازدهار حضارتها واتساع امبراطوريتها، وقامت سياستها الخارجية على فرض السيطرة على المناطق المتاخمة لحدودها، ولا سيما تلك المدن التي تقع على طرق الاتصالات التجارية مع بلاد الشام باتجاه البحر المتوسط، لتلبية الحاجات الاساسية من السلع والبضائع التي تحتاجها الامبراطورية الاشورية، هكذا كانت السيطرة على تلك المدن هي الدافع الأساسي لقيام الملوك الآشوريين في تلك المرحلة بسلسلة من الحملات العسكرية التي قمعت من خلالها التمردات التي حدثت ضدهم، التي هددت أمنهم وسيادتهم واستقلالهم وتجارتهم(٨).

ب-**تحريض مصر للمدن السورية ودويلاتها ضد الاشوريين:** ففي الوقت الذي كانت في مصر مشغولة بأمورها الداخلية التي طغت عليها القلاقل والاضطرابات والثورات الداخلية من اجل الاستحواذ على عرش مصر، كانت اشور في تعاظم ونمو مستمرين، وبذلك اتسمت العلاقات الاشورية المصرية في هذه المرحلة بالتنافس السياسي للسيطرة والتوسع في بلاد الشام، ولان المصريين عمدوا الى تحريض الدويلات والمدن السورية والفلسطينية التي سيطر عليها الاشوريون من اجل حماية حدود بلاد اشور الغربية اولا ثم تامين طرق تجارتها التي تعتبر من الركائز الاساسية في الاقتصاد الاشوري ثانياً، ادى ذلك الى احتكاك الاشوريين بالمصريين في هذه المنطقة لتضارب مصالحهما وتطور هذ الصراع في المراحل القادمة الى ارسال حملات عسكرية الى مصر نفسها(٩).

وتطبيقا لهذه الاستراتيجية الاشورية فقد قام ادد - نراري الثاني (٩١١-٨٩١) ق.م مؤسس الامبراطورية الاشورية الاولى بإخضاع المنطقة الواقعة غربي دجلة والتي كانت ما تزال في أيدي القبائل الآرامية، فأجبرتها على الاعتراف بسلطانه ودفع الجزية وذلك باستيلائه على عدد من المدن الواقعة على امتداد الفرات الاوسط وجعلوا منها قاعدة في السيطرة على طرق التجارة بين بلاد اشور والبلاد السورية، وبهذه الخطوة تكون اشور قد بدأت صفحة جديدة من الصراع والتنافس الاشوري

المصري في بلاد الشام، إذ أدت هذه السياسة الى احتكاك الطرفين في الاراضي السورية التي كان يطمح كل منهما الى تحقيق مكاسب تجارية واقتصادية في هذه المنطقة الغنية والحيوية سواء من حيث التجارة، او من حيث الغنائم الكبيرة التي يجمعونها، هذا فضلاً عن ادراكهم لما تمثله هذه المناطق من عمق أمني ذو استراتيجية دائمة وفاعلة توفر الأمن والاستقرار للحدود الجغرافية للبلدين ضد اي غزو متوقع من هذه المنطقة على كل من الاشوريين في جبهتهم الغربية امام مخاطر الآراميين، والمصريين على الجبهة الشمالية الشرقية، وهي المنطقة الوحيدة التي تكون فيه مصر مكشوفة الى العالم الخارجي، فالهكسوس غزوا مصر عن طريق هذه الجبهة لهذا كانت مصر حريصة على تأمين حدودها في هذه الاتجاه. ولما كانت مصر خلال عصر الاسرتين الثانية والثالثة والرابعة والعشرين (٩٤٥-٧٣٠) ق.م غير قادرة على مواجهة قوة الاشوريين، لذلك عمدوا الى اثارة القلاقل والاضطرابات في منطقة سوريا وفلسطين ودعم دويلاتها وتحريضها على التمرد والثورة ضد الحكم الاشوري، كما أنهم قدموا المساعدات المالية والعسكرية وكذلك المعنوية لهذه الأقاليم اثناء عصيانها وتمردها[١٠].

ج- التدخل المصري في الشؤون الاشورية في بلاد الشام:

كانت سياسة مصر خلال الحكم الكوشي عدائية تجاه بلاد اشور، فضلاً عن أنها كانت مأوى للأمراء والحكام المتمردين الفارين من قبضة القوات الاشورية وتقدم لهم الدعم المادي والعسكري، اي ان مصر كانت تشكل عمقاً ستراتيجياً للعناصر الحاقدة والمتمردة على الوجود الاشوري في بلاد الشام، وهكذا لا يمكن للاشوريين توطيد الامن والاستقرار في المنطقة مالم يتم القضاء على التدخل المصري في شؤون المدن التابعة للاشوريين في سوريا وفلسطين، وان ذلك لا يتحقق الا بإرسال حملات عسكرية الى مصر، ومن ثم اقامة علاقات طيبة مع الحكام المحليين من الوطنيين المصريين، وحماية الحكام الموالين لاشور[١١].

المحور الثاني

أهم الحملات العسكرية:

في فترة حكم سنحاريب بدأت حركات التمرد بين المدن السورية والفينيقية حال انتشار نبأ وفاة الملك الاشوري سرجون الثاني(٧٢٢-٧٠٥) ق.م، واقيم حلف ضم صور – صيدا- عسقلان، وقام بقطع صلاتهم مع اشور وامتنعت عن دفع الضرائب المفروضة عليهم وطرد الحكام الموالين للآشوريين، وهكذا خسرت المملكة الاشورية الكثير من الجوانب السياسية ومكاسب اقتصادية وفسحت المجال لمصر من أن تأخذ دورها في هذه المنطقة وتكون منافسة لآشور، لهذا جهز سنحاريب حملة عسكرية عام ٧٠١ق.م ودارت اول معركة مع حاكم صيدا الذي كان يميل الى المصريين لضمان مساعدتهم له ضد هجمات الاشوريين، انتهت المعركة لصالح سنحاريب لتأخر وصول المساعدات التي وعده بها الى حاكم صيدا الذي هرب الى قبرص[١٢]، وفرض سنحاريب سيطرته على وصيدا ودمرها كاملاً وبنى فيها مدينة جديدة

سميت (Kar Esarhadon) اي حصن اسرحدون، واسكن فيها جماعات من سكان الاجزاء الشرقية للملكة الاشورية وعين فيها حاكماً اشورياً، وزاد الضريبة المفروضة على صيدا، كما أشار الى ذلك النص الآتي:"**جمعت معاً ملوك ارض حاتي وساحل البحر جميعاً وبنيت مدينة اخرى اسميتها كار اسرحدون... وان ذلك الاقليم اعدت تنظيمه وجعلت احد موظفي حاكماً عليهم وفرضت عليهم ضريبة اكثر من قبل**"[١٣]. وفي نص اخر: " **في حملتي الثالثة ذهبت الى ارض خاتي (سوريا)، لوليا ملك صيدون (-şi du-un)(لم يعترف بسلطتي هزمته، وفرضت سيطرتي عليه وولى مدبرا الى وسط البحر (قبرص) ومات هناك.** صيدون **الكبرى، صيدون الصغرى وبيت زبنيتي واشو (ushu) وآكو (akku) مدينة القوية المحصنة أخضعتها بقوة أسلحة الآله آشور. وقبلوا أقدامي**"[١٤].

كما جهز اسرحدون حملة على صور واجبر حاكمها على تقديم الولاء للملك الاشوري، واخذ عدد من سكانها الذين عملوا في بناء قصره[١٥]، وكان لسقوط صور في ايدي الاشوريين وقع مؤثر على مصر لفقدانها تجارة الاخشاب من لبنان، وهذا ما اشار إليه العهد القديم:" **عند وصول الخبر الى مصر يتوجعون عند وصول خبر صور**"[١٦].

بعد سيطرته على المدن عسقلان وعكا واشدود وموآب ويافا، توجه سنحاريب نحو مدينة لاخيش (تل الدوير) وفرض عليها الحصار، الا انه رفع الحصار عنها لوصول الجيش المصري بقيادة طهراقا وحدثت معركة بين الطرفين في منطقة التكية عام٧٠١ق.م تمكن خلالها سنحاريب من الحاق هزيمة بالجيش المصري، واجبر مدينة لاخيش على الاستسلام واعاد اليها حاكمها الموالي للآشوريين، وأسر أبناء الفرعون شبكا(٧١٦-٧٠١ق.م) وقواده[١٧]، كما ورد في النص الآتي:" **جميع الذين جاؤوا الى مساعدته من جيوش المصريين في مدينة التكية، طهرقا بقوة الاله اشور سيدي هزمتهم، العربات والامراء التي تعود الى طهرقا في وسط مدينة التكية التي حاصرتها وأخضعتها ضمن الغنائم. قتلت المتمردين وعلقت جثثهم على أسوار المدينة**"[١٨].

اعتلى اسرحدون عرش آشور(٦٨٠-٦٦٩)ق.م اثر اغتيال والده سنحاريب في بابل، باعتبار ان اسرحدون كان الوريث الشرعي لعرش ابيه في اشور، وبتسلمه الحكم تبدأ المرحلة الثالثة من العلاقات الاشورية المصرية التي حدثت خلالها الحملات الاشورية على مصر، فقد انتهزت صور فرصة الصراع بين مصر واشور واتحدت مع طهراقا معلنة الثورة [١٩].إذ لم يكن باستطاعة مصر أن تقف مكتوفة الأيدي أمام النشاط التجاري والسياسي الاشوري في بلاد الشام ن فبذلت كل ما في استطاعتها لزعزعة النفوذ الاشوري ولعب ملوك الاسرة الخامسة والعشرين دورهم بمهارة، فقد حاول طهراقا إعادة النفوذ المصري الى الساحل الفلسطيني وفينيقيا[٢٠]، مستغلاً انشغال اسرحدون لإعادة استقرار ملكه الذي كان مهدداً بسبب قتل والده، فاستغل الفرصة وعقد محالفات مع ولاة الاشوريين في صيدا وصور، فضلا عن دعمه للأمراء والحكام المتمردين الفارين من قبضة القوات الاشورية، فاتخذ من تانيس (صان الحجر) مقراً لحكمه حتى يتمكن من متابعة الاوضاع وليشرف عن كثب على حدود بلاده الشرقية، كما أنها كانت قريبة من آشور[٢١].

خطى اسرحدون عدة خطوات لتنفيذ مشروعه بغزو مصر منها كسب ولاء القبائل العربية ومشايخها في منطقة سيناء وبذلك أمن الطريق، وأعاد احد الحصون الى حاكمه السابق (حزائيل) بعد ان كان سنحاريب قد الحق ذلك الحصن بالدولة الاشورية، كما قمع الثورات التي قامت بها المدن الفينيقية فاستولى على صيدا(٢٢).

وفي عام ٦٧٤ ق.م بدأ حملته الاولى على مصر ولكنه فشل بسبب العواصف التي واجهته على الحدود الشرقية المصرية، فانسحب الجيش الاشوري لإعادة تنظيمه وتجهيزه للقيام بحملة اخرى، وكان اسرحدون حائراً يتساءل فيما إذا كانت الحملة جديرة بالنصح وفيما اذا كان سيعود منها بسلامة وفيما يلي ما جاء في تساؤله:" **يا شمش السيد العظيم اعطني اجابة موجبة أكيدة لما اسألك عنه هل يجب على اسرحدون ملك اشور العمل والتخطيط ؟ هل يجب عليه أخذ الطريق مع جيشه ومعسكره والذهاب الى منطقة مصر كما يجب ؟ هل يجب عليه أن يؤجج الحرب ضد طهراقا ملك كوش والقوات التي لديه ؟ وإذا ذهب هل سيدخل في المعركة مع طهراقا ملك كوش وجيشه... هل أن اسرحدون ملك اشور سيعود حياً ويضع قدمه على الارض الاشورية**"(٢٣).

يبدو ان رد الاله كان إيجابياً، فسار على رأس جيشه نحو سوريا عام٦٧١ ق.م فأخضع الممالك الساحلية مثل صور وعاقب حاكمها بعل لانضمامه الى المصريين، وصيدا الذي لاذا حاكمها بالفرار الى الجزيرة بعد تأخر وصول المساعدات المصرية إليه (٢٤)، ثم تابع طريقه لملاقاة الجيش المصري ونجح في عبور صحراء سيناء بمساعدة البدو الذين أمدوا الجيش الاشوري بالجمال اللازمة لنقل الماء، كما جاء في النص التالي: " **ولم يكن وجود نهر وقد كان علي أن امد جيشي بالماء بوساطة حبال وسلاسل ودلاء لسحبها من الآبار وعندما او أمر اشور سيدي جاءت عن طريق الوحي الى ذهني فرحت روحي ووضعت قرب ماء... على الجمال التي احضرها لي كل ملوك العرب** "(٢٥).

ووصف اسرحدون تفاصيل الحملة قائلاً: " **كنت أقاتل يومياً في معارك دامية ضد طهراقا ملك مصر واثيوبيا المغضوب عليه من الالهة وذلك من مدينة اشهو بري حتى ممفس عاصمته الملكية وهي مسافة قطعت في خمسة عشر يوماً وقد ضربته خمس مرات بسن سهامي واصبته بجراح سوف لن يشفى منها ابداً وبعد ذلك حاصرت ممفس مقره الملكي وفتحتها في نصف يوم عن طريق فتح ثغرة في اسوارها وهجمت عليها بالسلالم وخربتها وهدمت اسوارها واحرقتها** "(٢٦).

وبذلك تمكن اسرحدون من دخول ممفس وهرب طهراقا الى الجنوب، ووقع نساؤه واولاده وبناته التي اخذها اسرحدون كغنائم الى نينوى:"... **اكثر من اعداد الجراد من اموال جلبتها (وقدمتها) الى آشور، أنليل، ننورتا، كولا، نركال، عشتار ملكة (اربايلو Arbailu) اربيل الذين وقفوا بجانبي وسحقوا أعدائي واستجابوا لكل رغباتي اقدم هذه الهدايا، الذهب اللامع والفضة، الأحجار الكريمة، غنائم مصر واثيوبيا التي حصلت عليها بأمر من اشور ومساعدته...**" (٢٧).

حملات الملك اشور بانيبال عام ٦٦٧ق.م: ورث اشور بانيبال عن أبيه حكماً مستقراً في المناطق السورية، إذ جددت له المدن الفينيقية ولائها وقدموا له الهدايا، وزودوه بالسفن التي كان يحتاجها في

اسطوله العسكري، ولكن لم يستمر ذلك كثيراً[٢٨]، فعلى الرغم من الضعف الذي دب في المملكة المصرية وانكماشها في داخل بلادها، فكانت تلزم جانب الدويلات السورية ضد الاشوريين، وتحرضها على التمرد للتخلص من الحكم الاشوري، وكانت وفاة اسرحدون وهو في طريقه لشن حملة ثالثة على مصر٦٦٩ق.م فرصة ملائمة للملك النوبي طهراقا لإعادة حكمه من جديد وتثبيت اركانه، وقد سار هذا الملك شمالاً باتجاه ممفس، حيث دخلها واستقر فيها، وارسل قواته نحو الدلتا لتثبيت مركزه في مواجهة الأمراء الوطنيين والموظفين الآشوريين المعينين من قبل اسرحدون لحكم مصر، ولم يبد هؤلاء الامراء أية مقاومة تجاه قوات طهراقا ولاذوا بالفرار شرقاً الى سوريا، للحصول على مساعدة الاشوريين، وقد جاءنا نص من عهد الملك اشور بانيبال، وهو:"**في حملتي الاولى سرت لمواجهة مكان (عمان) وميلوخا (نوبة ومصر) التي هزمها واخضعها والدى اسرحدون، الا ان تارقو نسي قوة اشور والالهة العظيمة سادتي ووثق بقوته الخاصة في زحفه نحو الملوك (الحكام) الذين نصبهم والدي لحكم مصر، حيث صمم تارقو على قتلهم ونهبهم وتقليل اهمية مصر، وقد انزل الهزيمة بهم، ودخل ممفس التي هزمها والدى، وضمها الى اقليم بلاد اشور...**"[٢٩].

ارسل اشور بانيبال قائد حربه الى سوريا حيث جمع جيوشاً من سوريا وفلسطين وصحراء سيناء[٣٠]، وجاء في النص ما يلي: " **أتاني الرسول الآشوري الى نينوى، واخبرني بما جرى عندها تضرعت الى الالهة العظيمة، وزحفت بجيوشي نحو مصر وأثيوبيا اثنان وعشرون ملكاً من ساحل البحر ومن وسط البحر ومن الارض الرئيسة** "[٣١] . زحفت كلها ضد مصر وهؤلاء الملوك قدموا الجيوش والسفن الى اشور بانيبال، وعندما علم طراقا بذلك ارسل جيشاً لملاقاة القوات الاشورية وحلفائها، والتقى الطرفان قرب مدينة كاربانيتي (شرق الدلتا) انتصر فيها الجيش الاشوري الذي تقدم نحو منف واستولوا عليها، وهرب امامهم طهراقا الى طيبة وتعقبه الاشوريون الذين ضربوا الحصار عليها ثم دخلوها منتصراً وتعرضت للسلب والنهب، واقام الاشوريون الحاميات في المدن الرئيسية وذلك كان في عام ٦٦٦ق.م وقامت مصر بدفع الجزية لآشور[٣٢].

بعد وفاة طهراقا توج تانوت آمون (الذي سماه الاشوريين تندماين) على كل من نباتا وطيبة عام ٦٦٤ق.م، وطرد امراء الدلتا الموالين للاشوريين، وكان منتومحات اميراً على طيبة آنذاك وموالياً لتانوت آمون، لهذا تقدم آشور بانيبال بجيشه نحو مصر ففر تانوت آمون الى طيبة. وقدم حكام الدلتا الموالون للآشوريين فروض الطاعة لاشور بانيبال، وفي هذه المرة حاول اشوربانيبال ان يعاقب بشدة تانوت آمون، وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التي نهبها ودمرها ومن بين الغنائم التي سلبها سلتان يغطيهما الذهب والنحاس[٣٣]، وترك آشور بانيبال نص يوضح تفاصيل الحملة كما يأتي:" **في حملتي الثانية سرت مباشرة لمواجهة مصر واثيوبيا، تندماني علم بتقدم قواتي، ولما دخلت القيم مصر، هجر ممفس وهرب الى نيع لينقذ حياته، وجاء الملوك والأمراء الذين عينتهم في مصر لمقابلتي وتقبيل قدمي، تعقبت تندماني سريعاً الى طيبة مركز قوته، فزع من معركتي الضارية، وترك طيبة وهرب الى مدينة كيب كيبي kipkipi الواقعة في بلاد النوبة، تلك مدينة طيبة بيدي هزمتها ودخلتها بمعونة الاله اشور وعشتار،**

فضة، ذهب...مسلتين طويلتين مغلفتين بالبرونز موضوعتين على جانبي بوابة معبد المدينة، حركتهما من قواعدهما ونقلتهما الى بلاد اشور..." (٣٤).

بعد موت نيخاو الاول(٦٧٢-٦٦٤) ق.م، الذي كان يحكم في سايس ومنف كتابع للآشوريين، جاء ابنه بسماتيك الاول(٦٦٤-٦١٠) ق.م الى الحكم، وقد بقي مخلصاً سنين عديدة للآشوريين، الا انه كان يتحين الفرص للتخلص منهم عن طريق دعم أجنبي. واستطاع بمساعدة الايونيين والكاريين (اقوام سكنت اسيا الصغرى) طرد القوات الاشورية من مصر(٦٥٨-٦٥٠)ق.م وتعقب فلولها حتى مدينة اشدود في فلسطين، ولم تقم اشور بأي رد فعل تجاه تلك الأحداث لأنها كانت مشغولة بحرب ضد بلاد عيلام بعد مهاجمتها بلاد الرافدين(٣٥).

المحور الثالث

ادارة مصر خلال الحكم الاشورية:

اتسعت الرقعة الجغرافية للمملكة الاشورية في عصر الامبراطورية (٩١١-٦١٢) ق.م لتشمل أغلب أنحاء الشرق الأدنى القديم إذ امتدت حدودها من وادي النيل غرباً غلى عيلام شرقاً ومن اسيا الصغرى شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً. كانت امبراطورية شاسعة ولا يتمكن اي ملك مهما كانت كفأته وقابليته من ادارتها بصورة مباشرة، لذا قسمت اراضيها على مقاطعات لكي يسهل ادارتها(٣٦)، وكان يتم اختيار موظفين ذوى كفاءة وخبرة عاليتين ويتم الاشراف عليهم مباشرة من قبل الملك، وكانت سياسة الملك مع هؤلاء لينة، كما كان حاكم الاقليم نفسة يتبع سياسة الترضية تجاه سكان الاقاليم، ويمتلك الحاكم في المقاطعة قوة عسكرية تكون تحت امرته يستخدمها لقمع التمردات التي تحدث ضده في الاقليم او المقاطعة، وتقع على عاتقه مسؤوليات متعددة منها جمع الضرائب وارسالها الى مركز الحكومة(٣٧)، إذ كانت تلك الاقاليم ملزمة بدفع ضرائب سنوية معينة الى الدولة الاشورية، اما إذا امتنعت عن دفع الجزية ورفضت الاعتراف بسلطان الدولة الاشورية او دخلت حلفاً او ابرمت معاهدة مع دولة معادية لآشور، عندئذ يقوم الملك الاشوري بتجهيز حملة عسكرية ضدها للسيطرة عليها والقضاء على السلالة المحلية الحاكمة واقتطاع بعض اجزاءها وضمها الى الاقاليم المجاورة(٣٨).

وهكذا أدرك اسرحدون ان السبيل الوحيد للاحتفاظ بمصر هو تقسيمها الى ممالك صغيرة متشابهة، ولبعد مصر عن مركز المملكة الاشورية جعل من المتعذر حكمها بشكل مباشر، لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة، ويحكم في كل منها امير محلي من المقاطعة تابع للمملكة الاشورية اطلق عليه لقب Shar مع موظفين اشوريين وحاميات لحفظ الأمن والنظام، وسمح للأسرات المحلية بالبقاء في مراكزهم بشرط أن يستمروا في موالين له، واتخذ من مدينة ممفس مركزاً لإدارة مصر(٣٩)، وفرض ضرائب سنوية منتظمة لتقديم القرابين إلى الاله اشور وضريبة اخرى للملك اسر حدون بوصفه السيد الأعلى كما جاء في النص الآتي: " **وقد نصبت في كل مكان في مصر ملوكاً محليين وحكاماً وضباطاً ومشرفين على الميناء وموظفين ورجال ادارة وقد خصصت ضرائب منتظمة لقربان الاله اشور والالهة العظيمة الاخرى**

اسيادي لكل زمان وفرضت عليهم ضرائب لي بوصفي السيد الأعلى تدفع سنويا دون انقطاع "[٤٠].

يتضح من النص ان مصر ضمت الى اشور واصبحت تدفع لها ضريبة سنوية بشكل مستمر.

كانت الاتاوة التي فرضها اسرحدون على مصر مكونة من الحرفيين من نساجي وخبازين وصانعي الجعة وصناع السفن وحدادين إذ تم نقلهم الى اشور، كما يبين من هذا النص:"... **أمر بترحيل جماعات من الاطباء ومفسري الاحلام وسحرة الثعابين وصانعي الاثاث الى عاصمته**"[٤١].

وكان من بين الملوك التابعين للاشوريين نيخو ملك سايس الذي اعترف بسيادة الملك اسرحدون واطلق على ابنه اسم اشوري وهو بسماتيك ن كما قام منتو محات امير طيبة بالشيء نفسه وقدم الجزية الى اسر حدون[٤٢].

غادر اسرحدون مصر متخذاً لقباً جديداً فضلاً عن ألقابه الأخرى وهو(ملك ملوك مصر وبلاد بابوريسو وبلاد كوشي)[٤٣].

تشير المصادر المصرية الى ان منطقة الدلتا حكمت من قبل اشور دون مراعاة شفقة او عطف نحو المصريين ولم تحاول التعرف الى الحضارة المصرية او احترام عاداتهم ولم تكترث بمعبوداتهم مما أجج الثورة في نفوس امراء الصعيد، وحنثوا في ولائهم الذي أقسموه لآشور، ثم تواصلوا سراً مع طهراقا وطلبوا منه استعادة الحكم في الدلتا، وعلى إثر ذلك توجه طهراقا نحو الشمال بعدما رجع جيش اشور الى بلاده، ونجح في استعادة سلطته عام٦٦٩ق.م، ثم قام بعزل المتحالفين المصريين مع الاشوريين وتعيين الموالين له، ووصلت الأنباء الى اسرحدون فأسرع بجيشه الى مصر لكنه مات في الطريق[٤٤].

وعين خلفه اشور بانيبال احد قواده على رأس جيش أمره بمتابعة الهجوم على مصر، استطاع الاشوريين احراز النصر مرة اخرى، وان ظل الصعيد يستمتع باستقلال ذاتي[٤٥]، غير ان الاضطرابات تجددت ثانية في مصر من جانب الامراء المحليين الذين سبق تعينهم من قبل اشور بانيبال، وقاد هذه الحركة نيخاو، فأعاد اشور بانيبال تعيين نيخو على عرشه بعد القضاء على العصيان، وعين امراء محليين لحكمها بعد ضمان ولائهم بتعدهم بدفع الجزية[٤٦].وحمل لواء الثورة تانوت آمون كما أشرنا سابقاً، لذا أصدر اشوربانيبال قوة عسكرية عام٦٦١ق.م تمكنت من هزيمة تانوت آمون وتعقب جيشه حتى طيبة[٤٧].

هوامش البحث:

([1]) Post agate, J.N, The Economic Structure in Assyrian Empire in the yoke of Assur , (Oxford:2007) ,p,20.

([٢]) الاراميون: مجموعات قبلية بدوية الذين هاجروا نحو بلاد الشام والرافدين منذ النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، استقروا في أواسط الفرات واقتبسوا من جيرانهم بعض المظاهر الحضارية. للمزيد ينظر: انطوان مورتكات، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون،(دمشق،١٩٦٧)،ص٢٦٩؛ سامي سعيد الأحمد، جمال رشيد احمد، تاريخ الشرق القديم،(بغداد، ١٩٨٨)، ص٢٢٩؛ عيد مرعي، تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠-٣٣٣ق.م)، (دمشق،٢٠١٠)، ص٢٢١.

([٣]) الفلسطينيون: وهي احدى قبائل اهل البحر أتوا من البلقان واتخذوا من كريت مقراً لهم، ثم توجهوا نحو بلاد الشام في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط الذي عرف باسم فلسطين.للمزيد ينظر: الاحمد واحمد، المصدر السابق، ص٢٩١.

(٤) الفينيقيون: وهم كنعانيون استوطنوا المنطقة الساحلية المحصورة بين البحر المتوسط في الغرب وجبال البهراء وجبال لبنان والجليل في الشرق، كان لهم دور حضاري بارز باختراعهم الحروف الهجائية (الالفباء). للمزيد ينظر: مرعي: المصدر السابق، ص١٩١-١٩٣؛ الاحمد واحمد، المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٥) يقصد به فلول الحثيين الين نزحوا الى مناطق شمال سوريا الغربي بعد سقوط إمبراطوريتهم بحدود عام ١٢ق.م وقد تمكنوا من تأسيس عدة دويلات في هذه المنطقة منها تابال وميليد (ملاطية)، الا ان الاشوريون انهوا وجودهم السياسي عام٧١٧ق.م.ينظر: الأحمد واحمد، المصدر السابق، ص٣٤٢-٣٤٣؛ صلاح رشيد الصالحي، المملكة الحثية، (بغداد،٢٠١١)، ص٣٩-٤٢.

(٦) الميديون: من الشعوب الهندو- اوربية الذين استوطنوا الجهات الشرقية من جبال زاكروس جنوب وغرب بحيرة اورمية، واتخذوا من اكبتانا (همدان الحالية) عاصمة لهم. للتفصيل ينظر: دياكونوف، ميديا، ترجمة: وهيبة شوكت، (دمشق،١٩٩٨)، ص٢٩٦.

(٧) سمير اديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، (القاهرة،١٩٩٧)، ص ٢٢٥.

(٨) نبيل نورالدين حسين محمد، الحملات العسكرية الآشورية: دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المشورة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص٢٨.

(٩) محمد صبحي عبدالله، العلاقات العراقية – المصرية في العصور القديمة، (بغداد،١٩٩٠)، ص١٢٥-١٢٦.

(١٠) عبدالله، المصدر السابق، ص١٢٩.

(١١) المصدر نفسه، ص١٤٠.

(١٢) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، (الموصل،١٩٧٩)، ص١٥٠؛ رمضان عبده على، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجيء حملة الإسكندر الأكبر،(القاهرة، د.ت)،ص ٢٢١-٢٢٢.

(13)Luckenbill.D.D.ARAB.Vol.11.p.211.No.527.

(١٤) طالب منعم حبيب، سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤-٦٨١ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد،١٩٨٦،ص١١٤-١١٥.

(١٥) هديب حياوي عبد الكريم غزالة، دور حضارة العراق القديمة في بلاد الشام، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية،٢٠٠٢،ص١٩٥.

(١٦) سفر أشعيا، الإصحاح، ١:٢٣-١٣.

(١٧) وليد محمد صالح فرحان، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦،ص١٠١؛منير يوسف طه، علاقات الاشوريين مع الاقاليم في "موسوعة الموصل الحضارية، (الموصل،١٩٩١)،مج١، ص٩٩.

(18) Luckenbill , D.D. The Annals of Sennacherib,(Chicago:1943) , p,31.

(١٩) احمد حبيب سنيد الفتلاوي، أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط،٢٠٠٦، ص١٣٨؛

-Grayson, A.K. Assyrian and Babylonian Chronicles, (New York,1975),p.81.

(20) Oppeheim , A, L ,(1969),p, 290.

(٢١) الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤١-١٤٢؛ رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته الى مجيء حملة الاسكندر الاكبر، (القاهرة، د.ت)، ج١، ٢٤٣.

(٢٢)الفتلاوي، المصدر السابق،ص١٤٢؛ فرحان، المصدر السابق،ص١٠٤.

(٢٣) الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٢٤) طعمة وهيب خزعل، المملكة الاشورية من القوة إلى الانهيار٧٢٢-٦١٠ق.م، مجلة التراث العلمي العربي، عد٢، ٢٠١٥، ص٣٤١.

(٢٥) الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١٤٤.

(27) IR.P.18-19.
(28) ARAB, II, T.N. 770.
(29)Luckenbill.D.D., ARAB, II, No. 779.

(٣٠) فرحان، المصدر السابق،ص١٠٦.

(٣١) رياض عبدالرحمن امين الدورى، آشور بانيبال ٦٦٩-٦٢٧ ق.م سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦،ص٧١.

(٣٢) على، المصدر السابق، ص٢٤٤.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٢٤٥-٢٤٦؛ محمد، المصدر السابق، ص٦٠؛ سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، (القاهرة،٢٠١٤)،ص٣٩٥.

(٣٤) احمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، (القاهرة،١٩٨٠)، ص٢٤٩؛

-ARAB, II, T.N. 776,777,778.

(٣٥) عبدالعزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق،(القاهرة،٢٠٢١)، ص٤٣٤؛ محمد، المصدر السابق، ص٦١.

(٣٦) فاتن حميد قاسم محمد السراجي، المراسلات الادارية للامبراطورية الاشورية الحديثة(٩١١-٦١٢ق.م) تجاه حكام المقاطعات، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠١٦، ص٤١.

(٣٧) حبيب، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٣٨) علي ياسين الجبوري،الادارة، في "موسوعة الموصل الحضارية"،(الموصل،١٩٩١)،مج١، ص٢٥٨.

(٣٩) جيمس هنرى برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور الى الفتح الفارسي، ترجمة:حسن كمال، (القاهرة،١٩٩٦)، ٣٧٤؛
-Hall. H.R. The Ethiopions and “Assyrian Egypt” ,(1976) , vol, 3 ,p282.

(٤٠) فخري، المصدر السابق، ص٢٤٩؛
- Oppenheim ,“ Babylonian and Assyrian Historical Text “ANET, P. 293.
(41) Wiseman,D. J.”The Vassal-Treaties of Esarhaddon “. Iraq , (London:1958), p.11.

(٤٢)الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٤٧.

(٤٤) نجيب ميخائيل، مصر وسورية في العصور القديمة، (الاسكندرية،١٩٥٨)، ص٢٧؛عارف احمد اسماعيل المخلافي، تاريخ وادي النيل،(صنعاء،٢٠٠٣)،ص١٧٣.

(٤٥) ميخائيل،المصدر السابق، ص٢٧.

(٤٦) فرحان، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧.

(٤٧) اديب، المصدر السابق، ص٢٤٢-٢٤٣.

جزيرة سرنديب دراسة تاريخية

Serenadeb Island Historical Study

م. علاء عريبي سبع

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانية / وحدة الابحاث المكانية

البريد الالكتروني: alaaOraiby75@gmail.com

جزيرة سرنديب دراسة تاريخية

م. علاء عريبي سبع

الملخص :

الحمد لله خالق السموات والأرضيين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته الأبرار الصادقين .

يعد انتشار الإسلام في البلاد غير العربية من الأمور المهمة التي تدل على عظمة هذا الدين الحنيف، وسماحة تعاليمه، خاصة تلك البلدان التي دخلها الإسلام دون جهد عسكري ولم تصلها جيوش الفتح الاسلامي، وإنما انتشر الإسلام فيها عن طريق المعاملة وهذا مصداقا لقوا النبي صلى الله عليه وسلم "الدين المعاملة"، فلقد نقل التجار والبحارة المسلمون الى تلك البلاد أخلاق الإسلام وتعاليمه التي لا تفرق بين ابيض واسود وعربي واعجمي الا بالتقوى وعدم التعامل بالربا وصدق الحديث، تلهف الناس في تلك البلدان الى هذا الدين الجديد ومن هذه البلدان (جزيرة سرنديب).

لذلك ارتبط وصول الإسلام الى هذه الجزيرة بوصوله الى الهند وإندونيسيا بعد ان كان العرب على صلة تجارية وثيقة مع هذه الجزيرة قبل الاسلام وازدادت هذه الصلة بعد مجيء الإسلام ودخول اهل هذه الجزيرة فيه وانضمامهم تحت رايته. لذا تناول هذا البحث (جزيرة سرنديب) دراسة في تاريخ هذه الجزيرة وقسم الى ستة مواضيع او مباحث مهمة تتعلق بمهنة هذه الجزيرة.

تناول المبحث الأول معنى اسم سرنديب على صعوبته لعدم ذكر معنى لها في المعاجم العربية وكذلك تناول هذا البحث بعض الأسماء التي اطلقت عليها في مراحل التاريخ المختلفة، وموقعها الجغرافي ومساحتها، ونزول ادم عليه السلام ونوبته وذكر قدم سيدنا ادم عليه السلام ، واهم ديانات ومعتقدات أهل سرنديب . اما المبحث الثاني فتناول صفات وعادات أهل سرنديب

، واهم ملوك جزيرة سرنديب ، وموارد جزيرة سرنديب ، وجبالها واهم طرقها، واهم شخصياتها وسيطرة الإمبراطورية الفارسية على جزيرة سرنديب .

واعتمد البحث على مجموعة مصادر مهمة تناولت بالذكر هذه الجزيرة لاسيما المصادر الجغرافية التي كانت المصدر الأساسي لهذا البحث كرحلة ابن بطوطة وكتاب معجم البلدان لياقوت وكتاب الروض المعطار للحميري وغيرها من المصادر بالإضافة الى كتب التاريخ كتاب الرسل والملوك للطبري وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي وغيرها من كتب التاريخ .

وختاما نتمنى من الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في عملنا هذا البيان وكشف اللثام عن هذه الجزيرة المنسية في المحيط الهندي والله ولي التوفيق.

Abstract

The spread of Islam in the non-Arab countries is an important thing that indicates the greatness of this religion and the permissibility of its teachings, especially those countries that entered Islam without military effort and did not reach the armies of the Islamic conquest, but spread Islam through treatment and this is a true Prophet of the Prophet Islam and its teachings, which do not distinguish between black and white and Arab and Ajami only with piety and not deal with usury and truthfulness, the people in these countries are eager to this new religion and those countries (the island of Srdibip).

Therefore, the arrival of Islam to this island was linked to his arrival in India and Indonesia after the Arabs had a close commercial relationship with this island before Islam and increased this link after the advent of Islam and the entry of the people of this island and join them under his banner. So this study (Serendip Island) dealt with the history of this island and divided into six topics or important topics related to the profession of this island.

المبحث الأول :

تسميتها :

وسرنديب : بفتح أوّله وثانيه، وسكون النون، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة، ديب بلغة الهنود: هو الجزيرة، وسرن لا أدري ما هو[١]، وهي سيلان المعروفة في عصرنا الحاضر وتسمى رسميا «سرى لانكه»[٢] .

وعلى مراحل التاريخ المختلفة فقد تمت تسمية سرنديب بأسماء عديدة من قبل الرحالة والمؤرخين وحتى من قبل الدول التي استعمرت هذه الجزيرة ونوجز هنا بعض التسميات:-

- سماها الجغرافيون اليونانيون القدماء باسم (تابروباني) اطلق هذا الاسم احد الجغرافيين الذين كانوا ضمن الحملة العسكرية للإسكندر المقدوني في اسيا[٣].

- اما العرب الذين احتكوا بها عن طريق التجارة كانوا على صلة بالمنطقة حتى قبل ظهور الاسلام فقد كانوا يسمونها (سرنديب) وتعني جزيرة السكن بين الاسود[٤].

- اما البرتغاليون الذين احتلوا هذه الجزيرة سنة ١٥٠٥م فقد اطلقوا عليها اسم (سيلاو). بعد احتلال بريطانيا لهذه الجزيرة اطلقوا عليها اسم (سيلان)

- بعد الاستقلال تغير اسم الجزيرة الى جمهورية سريلانكا الاشتراكية الديمقراطية سنة ١٩٧٨م [٥] .

- وقد اسمتها بعض المصادر الإسلامية ب(جزيرة الياقوت) [٦] لان فيها الكثير من هذا المعدن النفيس وبأنواع مختلفة.

موقعها ومساحتها :

جزيرة سرنديب مدوّرة الشّكل[٧]، وهي جزيرة كبيرة مشهورة الذكر ومساحتها ثمانون فرسخاً[٨] في ثمانين فرسخاً ، وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر الأعباب وهي متوسطة بين الهند والصين [٩].

نزول ادم (علية السلام) على جزيرة سرنديب:

تتفق جميع المصادر التاريخية والجغرافية على ان نزول ادم علية السلام في جزيرة سرنديب ، ولكن تختلف في اسم الجبل الذي نزل علية ، فالمصادر الجغرافية وتحديداً ياقوت الحموي والحميري انه نزل ع جبل((راهون)) [١٠].

اما المصادر التاريخية ونحديداً ابن الاثير ، وابن الجوزي فانها تقول انه نزل على جبل ((نوذ)) [١١] ،ولقد ذكره ابن الجوزي ايضاً في موضع ثاني ان اسم الجبل ((واش)) او ((واشم)) [١٢] .

ولقد ذكر القزويني في كتابه، اذ نقل حديثا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بذكر هذه الجزيرة يقول: عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((خير بقعة ضريت اليها اباط الإبل مكة ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وجزيرة سرنديب نزل فيها ابونا أدم عليه السلام))[١٣] .

وعندما نزل أبونا ادم (علية السلام) في جزيرة سرنديب وعليه الورق الذي خصفه فيبس فذرته الرياح فأصبح الطيب في تلك الارض من هذه الورق ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب، وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت. ويقال لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة أخرج معه منها صرة من الحنطة وثلاثين قضيباً من شجر الجنة مودعة أصناف الثمار، وقيل أهبط آدم عليه السلام قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلق فيه وهو يوم الجمعة، مع زوجته حواء من السماء في جزيرة سرنديب[١٤].

توبة سيدنا ادم عليه السلام:

وذكر ابن الجوزي ان الله (جل جلاله) أوحى إِلَى آدَم: يا آدَم مَا هذه الكآبة الَّتِي بوجهك والبلية الَّتِي قَدْ أحاطت بك؟ قَالَ: خروجي من دار البقاء إِلَى دار الفناء، من دار النعم إِلَى دار الشقاء. قَالَ: ثُمَّ إِن آدَم سجد سجدة عَلَى جبل الهند مائة عام يبكي حَتَّى جرت دموعه فِي وادي سرنديب، فأنبت اللَّه لِذَلِكَ الوادي من دموع آدَم الدار صيني[١٥] والقرنفل، وجعل طير ذَلِكَ الوادي الطواويس، ثُمَّ إِن جبريل أتاه فَقَالَ: يا آدَم ارفع رأسك فَقَدْ غفر لَكَ، فرفع

رأسه ثُمَّ أتى الْبَيْت فطاف أسبوعا فَمَا أتمه حَتَّى خاض فِي دموعه إِلَى ركبتيه ثُمَّ أتى موضع المقام وصلى فِيهِ ركعتين، وبكى حَتَّى جرت دموعه عَلَى الأَرْض. قُلْت: وَكَانَ السبب فِي قبول توبة آدَم أَنَّهُ تلقى كلمات فقالها فتيب عليه، وذلك قوله تعالى: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ [١٦].

ذكر قدم سيدنا ادم في جبل سرنديب :

ذكر ابن بطوطة في رحلته موضع القدم المنسوب الى ادم عليه السلام اذ قال في وصفه :" وأثر القدم الكريمة قدم أبينا أدم (عليه السلام) في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضا، وطولها أحد عشر شبرا "[١٧]، ولقد ذكرت بعض المصادر ان البراهمة، وهم عباد الهند، أن على هذا الجبل أثر قدم آدم عليه السلام مغموس في الحجر، وطوله سبعون ذراعاً، وأن على هذا الأثر نوراً يخطف شبيهاً بالبرق دائماً، وأن القدم الثانية منه جاءت في البحر عند خطوته، والبحر من الجبل على مسيرة يومين أو ثلاثة[١٨]، وأتى إليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام وما يليه وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون[١٩] يقصدونها من أقصى البلاد. وفي الصخرة حيث القدم، تسع حفر منحوتة يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب واليواقيت والجواهر، فترى الفقراء إذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لأخذ ما بالحفر! ولم نجد بها إلا يسير حجيرات وذهب أعطيناها الدليل. والعادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام ياتون فيها إلى القدم غدوة وعشيا، وكذلك فعلنا [٢٠].

ديانات ومعتقدات أهل جزيرة سرنديب :

هناك العديد من الديانات في جزيرة سرنديب منها النصرانية ، حيث يحدثنا كتبة التواريخ الكنسية من اليونان أن القيصر "قسطنطين" الثاني[٢١] أرسل في عام "٣٥٤" للميلاد "ثيوفيلوس اندس" ، أي "ثيوفيلوس الهندي"[٢٢]، من جزيرة سرنديب أي سيلان إلى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس[٢٣].

ومنهم من يعبد الاصنام ، والبد صنم بالهند يحجون إليه من مسيرة سَنَة وأكثر، ويتقربون إِلَيْهِ وطوله أرجح من عشرين ذراعا عَلَى صورة رجل، ويزعمون أَنَّهُ نزل من السماء، وَهُوَ من حجر ألبس صفائح من ذهب وَلَهُ سدنة ويمار فِي الرجل وَقَدْ لف عَلَى أَصَابِعه قطنا وصب عَلَيْهَا دهنا ويشعل فِيهَا النار، فلا يزال واقفا حَتَّى يحترق، ومنهم من يعبد البقر ففي بعض المدن من ذبح بقرة يذبح[٢٤].

وتذكر بعض المصادر أن سرنديب قد عرفت الإسلام في وقت مبكر جدا، أي في القرن الأول الهجري، وتقول الروايات: إن مندوبا من سرنديب قابل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وأعلن إسلامه، ومن ثم بدأ انتشار الإسلام في الجزيرة مع بداية القرن الثاني للهجرة، غير أن الثابت تاريخيا هو أن المسلمين وصلوا إلى الجزيرة عن طريق التجار العرب الذين كانوا يقصدون سواحل الهند والملايو[٢٥]، ويطلق على مسلمي الجزيرة اسم " الموروز "، وعندما جاء الاستعمار البرتغالي للجزيرة عام ٣٢٩ هـ ، تعرض المسلمون لمحن قاسية، حاول خلالها الاستعمار إزالة كل أثر للوجود الإسلامي في الجزيرة، وواصل الهولنديون نفس السياسة، وأسسوا مدارس تنصيرية لإيقاف المد الإسلامي، ثم جاء الإنجليز عام ١٢١١هـ ، وضيقوا الخناق على المسلمين، مما اضطرهم للاكتفاء بمدارسهم الخاصة، مما أدى إلى حد كبير إلى تأخرهم وتحجيم المد الإسلامي.

ووفقا لأكثر الروايات تواترا فإن عدد المسلمين في سرنديب يبلغ مليونا ونصف المليون تقريبا، يعيشون أقلية وسط عدد من السكان، يبلغ (١٧. ١٣٥. ٠٠٠) نسمة من السنهاليين والتاميل والبوذيين والهندوس والنصارى[٢٦].

ويسكنها أيضا من الديانات الأخرى ، ويهود، ومجوس. ولكل أهل ملة من هذه الملل حاكم، لا يبغى بعضهم على بعض [٢٧]، ويذكر ان أكثر أهل سرنديب مجوس [٢٨].

المبحث الثاني :

صفات وعادات أهل جزيرة سرنديب :

من صفات أهل سرنديبَ إِذَا مَات الميت هناك قطع أرباع وأحرق بالنار، وأهله ونساؤه يتهافتون حوله حتى يحرقوا أنفسهم معه[٢٩] ، ومن صفات اهلها يبيحون الزنا ويحرمون الشراب وفيها جزيرة يقال لها برطايل يسمع فيها العزف والطبول الليل كلّه والبجريّون يقولون ان الدجّال فيها، واهلها عراة وطعامهم الموز والسمك الطرىّ والنارجيل واموالهم الحديد وهم يجالسون التجار، واهلها يأكلون الناس [٣٠]، ومن عاداتهم أن يأخذوا من الجاني سبعة دراهم على جنايته، والمديون إذا تقاعد عن اداء الدين بعث الملك إليه من يخط حوله خطاً أي مكان وجده، فلا يجسر أن يخرج من الخط حتى يقضي الدين أو يحصل رضاء الغريم. فإن خرج من الخط بغير إذن، أخذ الملك منه ثلاثة أضعاف الدين، ويسلم ثلثه إلى المستحق ويأخذ الملك ثلثيه[٣١]. ووجوه أهلها مثل المجان المطرقة، وهم مخرقو الآذان [٣٢].

ملوك جزيرة سرنديب :

وفي جزيرة سرنديب قواعد كثيرة، وملك هذه الجزيرة يسكن أغنا، وهي مدينة القصر، وبها دار ملكه[٣٣]، وبين الهند والصين ثلاثون ملكا أصغر ملك بها يملك مَا يملكه العرب[٣٤]، وهناك ملك يدعى المهراج، وله من الجزائر والأعمال ما لا يحصى كثرة، ولو أراد مركب من مراكب البحران أن يطوف بجزائره في سنين كثيرة لم يقدر أن يطوفها ولملكه جميع أفاويه الطيب والكافور والقرنفل والصندل والجوزة والبسباسة والقاقلة والعود، وليس لملك من الملوك ما لملك هذا البحر من أصناف الطيب، ويقال إن فيه قصراً أبيض يسير على الماء ويتراءى لأصحاب المراكب في السحر فيتباشرون به إذا هم أبصروه ويكون لهم دليل السلامة والربح والفائدة في جزيرة برطايل[٣٥] ، وهناك ملك عادل كثير السياسة ناظر في أمور رعيته حافظ لهم ذاب عنهم، وله ستة عشر وزيراً: أربعة من أهل ملته وأربعة نصارى وأربعة مسلمون وأربعة يهود، وقد رتب لهم موضعاً تجتمع فيه أهل الملل وتكتب حججهم وأخبارهم، ويجتمع إلى علماء كل ملة: الهندية والرومية والإسلامية واليهودية، جمل من الناس وعدة طوائف، فيكتبون عنهم سير أنبيائهم وقصص ملوكهم في سائر الأزمان ويعلمونهم ويفهمونهم ما لا

يعلمونه، وللملك في بده صنم من ذهب لا يدرى لما عليه من الدر والياقوت وأنواع الأحجار أثمان، وليس يملك أحد من ملوك الهند ما يملكه صاحب سرنديب من الدر النفيس والياقوت الجليل وأنواع الأحجار لأن أكثر ذلك يوجد في جبال جزيرته وفي أوديتها وبحرها، وإليها تقصد مراكب أهل الصين وسائر بلاد الملوك المجاورين له، وملك سرنديب تحمل إليه الخمر من العراق وفارس فيشتريها بماله وتباع له في بلاده، وهو يشرب ويحرم الزنا ولا يراه، وملوك الهند وأهلها يبيحون الزنا ويحرمون الشراب المسكر(٣٦).

وجزيرة سرنديب لها ثلاثة ملوك كلّ واحد منهم عاص على صاحبه، وإذا مات ملكهم الأكبر قطع أربع قطع وجعل كلّ قطعة في صندوق من الصندل والعود فيحرقونه بالنار وامرأته أيضا تتهافت بنفسها على النار حتى تحترق معه أيضا(٣٧). وهؤلاء الملوك كلّهم مخرّمو الآذان ، وملكها يلبس حلية الذهب وقلنسوة الذهب ويعبد ال (ددة) ، وملوك الهند ترغب فى ارتفاع سمك الفيلة وتزيد فى اثمانها الذهب الكثير وارفعها تسع اذرع الّا فيلة الاغباب فانها عشر اذرع وإحدى عشرة ذراعا، ويقال ان هناك عدة ملوك ومن أعظم ملوك الهند بلهرا وتفسيره ملك الملوك ونقش خاتمه من ودّك لأمر ولّى مع انقطاعه وينزل الكمكم بلاد الساج، وبعده ملك الطافن، وبعده جابة، وبعده ملك الجرز وله الدراهم الطاطريّة، وبعده غابة، وبعده رهمى وبينه وبين هؤلاء مسيرة سنة وذكروا ان له خمسين الف فيل وله الثياب القطنيّة المخملة والعود الهندىّ، ثم بعده ملك قامرون يتّصل مملكته بالصين وفى بلده الذهب الكثير والكركدن وهى دابّة لها قرن واحد فى الجبهة طوله ذراع وغلظه قبضتان فيه صورة من اوّل القرن الى آخره فاذا شقّ رأيت الصورة بيضاء فى سواد كالسّيج فى صورة انسان او دابّة او سمكة او طاوس او غيره من الطير فيتّخذه اهل الصين مناطق تبلغ المنطقة ما بين ثلثمائة . دينار الى ثلثة آلاف دينار الى اربعة الاف دينار(٣٨)، اذا مات ملكهم صيّروه على عجلة صغيرة البكر، وشعره ينجّر على الأرض، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى: أيها الناس، هذا ملككم بالأمس قد ملككم وجاز فيكم أمره قد صار الى ما ترون من ترك الدنيا، وقبض روحه ملك الملوك الحىّ القديم الذى لا يموت، فلا تغترّوا بالحياة بعده، وكلام هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم. ويطاف به فى جميع شوارع المدينة وهو كذلك؛ ثم يفصل بأربع قطع وقد هيّئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطّيب ويحرق

بالنار ويذرّى رماده فى الرياح. والهند كلهم يحرقون موتاهم بالنار. وسرنديب آخر الجزائر. وهي من بلاد الهند. وربما أحرق الملك فتدخل نساؤه النار فيحترقن معه [٣٩].

الموارد الاقتصادية لجزيرة سرنديب :

تتمتع جزيرة سرنديب بموقع جغرافي ستراتيجي مهم فهي تسيطر على الطرق التجارية الذاهبة إلى الهند من البلاد العربية وغيرها وتعد محطة استراحة مهمة للأساطيل التجارية في المحيط الهندي، فلقد قصدها العرب قبل الإسلام منذ القدم وكذلك بعد ظهور الإسلام كقوة في المنطقة استمرت العلاقات التجارية مع هذه الجزيرة لذلك نرى ان الكثير من العرب استوطنوا فيها وأصبحوا يشكلون قوة اقتصادية مهمة في هذه الجزيرة.

وفي سرنديب الكثير من الموارد فهي أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر، وفي جبال هذا البحر معادن ذهب فيه أيضاً ويقال إن في البحر حيواناً يشبه السرطان، فإذا خرج من الماء صار حجراً يتخذ منه كحل لبعض علل العين [٤٠]، وعلى هذا الجبل وحوله الياقوت الوانه كلّها والأشباه كلّها وفى واديه الماس وعلى الجبل العود والفلفل والعطر والأفواه ودابّة المسك ودابّة الزباد، وبسرنديب النارجيل وأرضها السنباذج[٤١] الذي يعالج به الجوهر وفى أنهارها البلّور وحولها فى البحر غوص اللؤلؤ، وبها كافور جيّد وموز ونارجيل وقصب سكّر وارزّ [٤٢]، وبجزيرة سرنديب هيكل عظيم من ذهب يفرطون في مبلغ زنته وقيمة الجوهر الذي عليه، وإليه يجتمع أهلها فيتدارسون سير آبائهم وقصص ملوكهم بها أنواع الياقوت الأحمر والأصفر والأكحل، والأحمر أشرفها وأنفسها لأنه إذا ألقي في النار ازداد حمرة وحسناً، وإن كانت فيه نكتة شديدة الحمرة وجعلت في النار انبسطت في الحجر تلك الحمرة فحسنته ولونته، ومبارد الحديد لا تؤثر في جميع ألوان الياقوت، والأصفر أقل صبراً على النار من الأحمر، وأما الأكحل فلا صبر له، قالوا: ومن تقلد حجراً أو تختم به من هذه الأصناف الثلاثة من الياقوت وكان في بلد قد وقع فيه الطاعون منع أن يصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد وفي وادي هذا الجبل الماس الذي يحاول به نقش الفصوص من أنواع الحجارة، وعلى هذا الجبل أنواع من الطيب وضروب من صنوف العطر وفي أنهاره البلور الجيد والكبير، وبجميع سواحل هذه الجزيرة مغايص اللؤلؤ الجيد النفيس المثمن [٤٣].

جبال جزيرة سرنديب :

وبها الجبل الذي هبط عليه آدم صلّى الله عليه وهو جبل ذاهب فى السماء يراه من فى مراكب البحر من مسيرة ايّام [٤٤]، وَهُوَ أقرب ذرا الأَرْض إِلَى السَّمَاء[٤٥]، وقيل ان جبل سرنديب طوله مائتان ونيف وستون ميلا[٤٦]، وجبل طينه فضّة اذا اصابته النار وفى جبال الزابج حيّات عظام تبلع الرجل والجاموس ومنها ما يبتلع الفيل بها شجر الكافور تظلّ الشجرة مائة انسان واكثر واقلّ ينقب اعلى الشجرة فيسيل منها من ماء الكافور عدّة جرار ثم ينقر اسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ ذلك الشجر غير انه داخله ثم تبطل تلك الشجرة فتجفّ وفى هذه الجزيرة عجائب كثيرة لا تحصى[٤٧].

قال علماء التاريخ: جميع ما عرف في الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا، من أعجبها سرنديب، وهو أقرب ذرا الأرض إلى السماء. وقيل: صخرة بيت المقدس أقرب ذرا الأرض من السماء بثمانية عشر ميلا حكاه القرطبي. وطول جبل سرنديب مائتان ونيف وستون ميلا، فيه أثر قدم آدم وعليه شبه البرق، لا يذهب شتاء ولا صيفا، ووادي سرنديب متصل إلى قرب سيلان. وجبل الردم الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ، وينتهي إلى البحر المظلم. وجبل قاف من زمردة خضراء محيط بالسموات والأرض، ومنه اخضرت السماء، دائر بالأرض من وراء البحر المحيط والسماء عليه مقببة، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل [٤٨].

وذكر في وصف جبل هذه الجزيرة ابن بطوطة في رحلته بقوله: ((وهو من أعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر، وبيننا وبينه مسيرة تسع، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا، قد حال بيننا رؤية أسفله وفيه كثير من الأشجار التي لا يسقط لها ورق، والأزاهير الملونة، والورد الأحمر على قدر الكف، ويزعمون أن في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام، وفي الجبل طريقان إلى القدم.

ونحت الأولون في الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها أوتاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسّك بها من يصعده ، وهي عشر سلاسل: ثنتان في أسفل الجبل حيث الدوروازة، وسبع متوالية بعدها، والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان إذا وصل اليها

ونظر إلى أسفل الجبل أدركه الوهم فيتشهد خوف السقوط، ثم إذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقا مهملا، ومن السلسلة العاشرة إلى مغارة الخضر سبعة أميال، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا قد حال بيننا رؤية أسفله» موضع فسيح، عندها عين ماء تنسب أليه، ملى بالحوت ولا يصطاده أحد، وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق، وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين إلى أعلى الجبل حيث القدم))[٤٩].

أهم طرق جزيرة سرنديب :

ومن أراد الصين عدل من بلّين وجعل سرنديب عن يساره فمن سرنديب الى جزيرة النكبالوس مسيرة عشرة ايّام الى خمسة عشر يوما ، ومن جزيرة النكبالوس الى جزيرة كله مسيرة ستّة ايّام وهى مملكة جابة الهندىّ وفيها معدن الرصاص القلعىّ ومنابت الخيزران، وعن يسارها جزيرة بالوس على مسيرة يومين ، ثم مسيرة خمسة عشر يوما الى بلاد منبت العطر[٥٠]، وهناك طريقان إلى القدم: احدهما يعرف بطريق بابا والآخر بطريق ماما يعنون آدم وحواء عليهما السلام، فاما طريق ماما فطريق سهل، عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر وأما طريق بابا فصعب وعر المرتقى. وفي أسفل الجبل، حيث دروازته، مغارة تنسب أيضا لاسكندر وعين ماء[٥١].

أهم شخصياتهم :

الشيخ الظريف سديد الدين السرنديبي، ورد قزوين وأهل قزوين تبركوا به. وكان قاضي قزوين يدخل مع الولاة في الأمور الديوانية والعوام يكرهون ذلك، فربما عملوا غوغاة ونهبوا دار القاضي وخربوها، فلما كن السرنديبي قزوين وتبرك القوم به، كلما كرهوا من القاضي شيئاً ذهبوا إلى السرنديبي وقالوا: قم ساعدنا على القاضي! فإذا خرج السرنديبي تبعه ألوف، فالقاضي لقي من السرنديبي التباريح[٥٢].

فطلبه ذات يوم، فلما دخل عليه تحرك له وانبسط معه وسأله عن حاله ثم قال: إني أرى في هذه المدينة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متروكاً، ولست أرى من لا يأخذه في الله

لومة لائم غيرك. وأخرج من داره قميصاً غسل مراراً وعمامة عتيقة، وأركبه على دابة وغلمان الاحتساب في خدمته، وكل من سمع بهذا استحسن وصار السرنديبي محتسباً[٥٣].

فإذا في بعض الأيام جاء شخص إلى السرنديبي وقال: في موضع كذا جماعة يشربون. فقام بأصحابه وذهب إليهم فأراق خمورهم وكسر ملاهيهم. وكان القوم صبياناً جهالاً قاموا إليه وضربوه وضربوا أصحابه ضرباً وجيعاً، فجاء السرنديبي إلى القاضي وعرفه ذلك، فالقاضي غضب وحولق وقال: ابصروا من كانوا أولئك، فقالوا: ما نعرف منهم أحداً.

ثم بعد أيام قالوا للسرنديبي: في بستان كذا جماعة يشربون، فذهب إليهم بأصحابه وأراق خمورهم وكسر ملاهيهم، فقاموا وقتلوا أصحاب السرنديبي وجرحوه، فعاد السرنديبي إلى بيته وأخذ القميص والعمامة وذهب إلى القاضي وقال: اخلع هذا على غيري فإني لست أهلاً لذلك، فقال القاضي: لا تفعل يا سديد الدين ولا تمنع الثواب! فقال له: دع هذا الكلام، أنت غرضك اني أقتل وأجرح على يد غيرك، وإني قد عرفت المقصود ولا أنخدع بعد ذلك[٥٤].

وممن أقام بها القرميسني التاجر أبو العباس الصوفي البغدادي سافر صبيا وجال فيما بين العراق والشام وديار مصر وخراسان وما وراء النهر وبلاد الترك ودخل بلاد الهند وأقام بها نحو عشرين سنة وكان يحكي العجائب وسكن جزيرة سرنديب وتولى بها الخطابة ثم عاد إلى بغداد بعد أن غاب عنها سفرة واحدة إحدى وثلاثين سنة [٥٥].

<u>سيطرة بلاد فارس على سرنديب:</u>

إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سيفان بن معد يكرب[٥٦] ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذي يزن، جيشا إلى اليمن، فقتلوا من بها من السودان، واستولوا عليها فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرنديب من بلاد الهند– وهي أرض الجوهر– قائدا من قواده في جند كثيف، فقاتل ملكها فقتله، واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالا عظيمة، وجوهرا كثيرا[٥٧]، وكان وهزر يبعث العير إلى كسرى بالأموال والطيوب، فتمرّ على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى. وعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيره بطريق البحرين، فكتب إلى عامله بالانتقام منهم، فقتل منهم خلقا كما

يأتي في أخبار كسرى. وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرّت بهم، وكان في جوار رجل من أشراف العرب من قيس، فكانت حرب الفجّار بين قيس وكنانة بسبب ذلك وشهدها النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان ينبل فيها على أعمامه أي يجمع لهم النبل(٥٨).

الإستنتاج :

بعد نهاية البحث توصلت الى مجموعة من النتائج المهمة عن جزيرة سرنديب من أهمها:-

- هي واحدة من الجزر الواقعة في المحيط الهندي يفصلها عن الهند خليج البنغال الامر الذي أضفى إليها أهمية اقتصادية وسوقية كبيرة.
- كان هناك صلات تجارية للعرب مع هذه الجزيرة قبل الإسلام وان قسم منهم استوطن هذه الجزيرة.
- يرجع تاريخ دخول الإسلام إلى سرنديب إلى نهايات القرن الأول الهجري وبدايات القرن الثاني وتحديدا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- يشكل السكان الغير مسلمين نسبة كبيرة من إعداد السكان تصل الى ٩٠% في حين ان المسلمين يشكلون ١٠% من إعداد السكان.
- ينتشر المسلمون في مناطق قليلة لاسيما القسم الشمالي من الجزيرة بسبب المضايقات التي يتعرضون لها من قبل البوذيين وقبلهم البرتغاليون والهولنديون.
- تتمتع جزيرة سرنديب بموارد اقتصادية مهمة جعلتها مقصد لتجار المناطق المجاورة لاسيما العرب قبل الإسلام وبعده.

الهوامش :

(١) ياقوت :معجم البلدان ، ج ٣ص٢١٥-٢١٦.

(٢) المستوفي : تاريخ إربل ، ج٢ ص٢٩٤.

(٣) سعد بن زيد ال محمود: سريلانكا دمعة عين الهند، ص٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص٨.

(٥) المصدر نفسه ، ص٨.

(٦) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢-٣١٤.

(٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ،ج١ص٦٤-٦٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٣٤؛ ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ص٢١٥-٢١٦ ؛ ؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢-٣١٤ ؛

(٨) الفرسخ: (الراحة. ومنه) أخذ فرسخ الطريق (كما قيل، وهو (ثلاثة أميال هاشمية) ، أو ستة، (أو اثنا عشر ألف ذراع، أو عشرة آلاف) ذراع، ينظر : الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج٧ ص٣١٧.

(٩) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ج١ص٦٤؛ ياقوت :معجم البلدان ، ج ٣ص٢١٥.

(١٠) ياقوت :معجم البلدان ، ج ٣ص٢١٥.؛الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢.

(١١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج١ص٣٤-٣٦ .

(١٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص٢٠٩.

(١٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ج١ص٤٣.

(١٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص٢٠٩-٢١٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج١ص٣٤-٣٦؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢-٣١٤.

(١٥) الدار صيني: نوع من الأفاوية شبيه بالقرنفل، استعمله العرب قديما على أنه البهارات، شجرته بالهند والصين ويسمى دار جين . ينظر : العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،ج٣ص٤٠.

(١٦) ابن أبي الدنيا : الرقة والبكاء ، ج١ص٢٢٣؛ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص٢١٣.

(١٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٤ص٨٨-٩٢.

(١٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٣٩؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢.

(١٩) مدينة الزّيتون، وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند، ولكنه اسم وضع عليها، وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا، والأطلس، وتعرف بالنسبة إليها، وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبالقية، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا . ينظر : ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٤ص١٣٤.

(٢٠) ابن بطوطة : تحفة الانظار، ج٤ص٨٨-٩٢.

(٢١) قسطنطين الثاني ، هو الابن الاكبر لقسطنطين الاول الذي لما أحس الإمبراطور قسطنطين بدنو أجله جمع حوله في عام ٣٣٥ أبناءه وأبناء أخيه وقسم بينهم حكم الإمبراطورية الضخمة التي استولى عليها، وكان عمله هذا مثلاً من أمثلة الحمق الذي تدفع إليه معزة الأبناء. وقد خص ابنه الأكبر قسطنطين الثاني بالغرب –بريطانيا، وغالة، وأسبانيا؛ وخص ابنه قنسطنطيوس بالشرق – بآسية الصغرى، وسوريا، ومصر؛ وخص ابنه الأصغر قنسطانس بشمالي أفريقية وإيطاليا، وإليركُم، وتراقية بما في ذلك العاصمتان الجديدة والقديمة –القسطنطينية وروما– وأعطى ابني أخ له أرمينية ومقدونية وبلاد اليونان. وكان الإمبراطور المسيحي الأول قد بذل حياته وحيوانات كثيرة غير حياته، إعادة الملكية، وتوحيد العقيدة الدينية في الدولة الرومانية؛ فلما مات في عام ٣٣٧ تعرض هذا كله للخطر الشديد، ولم يكن أمامه إلا واحدة من اثنتين ليس فيهما حظ لمختار، فإما أن تقسم حكومة البلاد وإما أن تتعرض لخطر الحرب الأهلية؛ ذلك أن حكمه لم يدم حتى يخلع عليه القداسة طول الزمن، ولم يكن يضمن والحالة هذه أن تنعم البلاد بالسلم إذا خلفه . ينظر : وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت ، قصة الحضارة ،ج١٢ص١٠.

(٢٢) "ثيوفيلوس اندس" ، أي "ثيوفيلوس الهندي"، من جزيرة سرنديب أي سيلان إلى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس. وقد تمكن من إنشاء كنيسة في عدن وأخرى في ظفار وثالثة في هرمز، وعين للمتنصرين رئيسا ثم رحل. وصارت ظفار في سنة ٣٥٦م مقرا لرئيس أساقفة يشرف على شؤون نصارى نجران وهرمز وسقطرى. ينظر: جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٢ص١٨٨.

(٢٣) جواد علي : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١٢ص١٨٨.

(٢٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٥٥-١٥٦؛ ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ج١ص٧٢.

(٢٥) ملايو ، شبه جزيرة الملايو. ورأى غيره أنها هي شبه جزيرة ملكه المقابلة لسومطرة ولكن ثالثاً يرى أن يحدها في Pointe – de – Galle عند شواطئ سيلان الجنوبية. ينظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ص٤٩٤.

(٢٦) مركز البحوث والدراسات الإسلامية: جهود خادم الحرمين الشريفين ، ج١ص٥٦.

(٢٧) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج١ص٢٤١.

(٢٨) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ج١ص٤٢-٤٤.

(٢٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٥٥-١٥٦.

(٣٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ج١ص٦٤-٦٨.

(٣١) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ج١ص٤٢.

(٣٢) المسعودي : أخبار الزمان ، ج١ص٤٥.

(٣٣) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢-٣١٤.

(٣٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٥٦.

(٣٥) برطايل : جزيرة في بحر الصين الذي في جزائره مملكة المهراج قيل إنه يسمع بها في الليل والنهار الضرب والطبول، ويقال إن فيها الدجال، ينظر : الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ص٩٠.

(٣٦) المسعودي : أخبار الزمان ، ج١ص٤٥.

(٣٧) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢-٣١٤.

(٣٨) ياقوت :معجم البلدان ، ج ٣ص٢١٥-٢١٦؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ج١ص٤٢-٤٤.

(٣٩) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ج١ص٦٤-٦٨.

(٤٠) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج١٤ص٣٢٣؛ شيخو : مجاني الأدب في حدائق العرب ، ج١ص١٢٦.

(٤١) المسعودي : أخبار الزمان ، ج١ص٤٥؛ ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ج١ص٧٢.

(٤٢) السُّنْباذَجُ، بالضم: حَجَرٌ يَجْلُو به الصَّيقَلُ السُّيوفَ، (وتُجْلى به الأَسْنانُ) . بنطر: الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ، ج١ص١٩٤.

(٤٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ج١ص٦٤-٦٨؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٣٩.

(٤٣) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ج١ ص٣١٢.

(٤٤) ياقوت :معجم البلدان ، ج ٣ص٢١٥-٢١٦.

(٤٥) ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة ، ج١ص١٩٢.

(٤٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ص١٤٩.

(٤٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ج١ص٦٤-٦٨.

(٤٨) ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة ، ج١ص١٩٢.

(٤٩) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ج٤ص٨٦-٨٨.

(٥٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ج١ص٦٤-٦٨.

(٥١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ج٤ص٨٦-٨٨.

(٥٢) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ج١ص٤٢-٤٤.

(٥٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٨ص١٨٥.

(٥٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٨ص١٨٥.

(٥٥) المصدر نفسه ، ج٨ص١٨٥.

(٥٦) سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري: من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم. قيل اسمه معد يكرب. ولد ونشأ بصنعاء. وكان الحبشة قد ملكوا اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، وقتلوا أكثر ملوكها من آل حمير، فنهض سيف، وقصد أنطاكية وفيها قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما أصاب اليمن، فلم يلتفت إليه، فقصد النعمان بن المنذر (عامل كسرى على الحيرة والعراق) فأوصله إلى كسرى أنو شروان (ملك الفرس) فحدثه بأمره، فبعث كسرى معه نحو ثماني مئة رجل ممن كانوا في سجونه، وأمّر عليهم شريفا من العجم اسمه (وهرز) فسار بهم إلى الأبلة (غرب البصرة) وركبوا البحر، وخرجوا بساحل عدن، فأقبل عليهم رجال اليمن يناصرونهم، فقتلوا ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة الأشرم، ودخلوا صنعاء، وكتبوا إلى كسرى بالفتح، فألحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شؤونها سيف بن ذي يزن. واتخذ الملك سيف (غمدانَ) قصرا له، وعاد الفرس إلى بلادهم، واستبقى سيف جماعة من الحبشان أشفق عليهم وجعلهم خدما له ووفدت عليه أمراء العرب تهنئة، فمكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة، أو دون ذلك. وائتمر به بقايا الأحباش، فقتلوه بصنعاء. وهو آخر من ملك اليمن من قحطان. ينظر: الزركلي ، الاعلام ، ج٣ص١٤٩.

(٥٧) الطبري : تاريخ الطبري ، ج٢ص١٥٣-١٥٤.

(٥٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج١ص٤٠٠؛ ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ج٢ص٧٥ .

المصادر :-

- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت ٦٣٠هـ)

١. الكامل في التاريخ ، تحقيق: عبد الله القاضي ، ط٢ ، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، (ت: ٧٧٩هـ):

٢. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،(الرباط، أكاديمية المملكة المغربية ، ١٤١٧هـ).

٣. ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)

٤. المنتظم في تاريخ الامم والملوك : تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ط١(بيروت – دار الكتب العلمية، ب١٩٩٢)

-الحِميرى ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ) ،

٥. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت ، ١٩٨٠م) .

- ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هـ)

٦.المسالك والممالك ، (بيروت، دار صادر أفست ليدن، ١٨٨٩ م).

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي(ت٨٠٨هـ):

٧. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم، تحقيق: خليل شحادة،ط٢(دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨).

- ابن ابي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت: ٢٨١هـ)

٨.الرقة والبكاء، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط٣(دار ابن حزم ، ١٤١٩-١٩٩٨)

- الزبيدي ، ابو الفيض مرتضى محمد بن عبد الرزاق الحسني (ت١٢٠٥هـ)

٩. تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين، (دار الهداية ، د.ت)

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ) :

١٠. الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث ، ٢٠٠٠م).

- ابن الضياء: محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، (ت ٨٥٤هـ)

١١. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر ط٢،(بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)

١٢. تاريخ الرسل والملوك ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٦٨م)

- العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)

١٣.مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ط١، (ابو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٣ هـ)

- الفيروز ابادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)

١٤. القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ط٨، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)

- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)

١٥.آثار البلاد وأخبار العباد ، (دار صادر – بيروت).

– أبن المستوفي : المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي (ت٦٣٧هـ
١٦. تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار،(العراق: دار الرشيد للنشر،١٩٨٠).

- المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ)

١٧.أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ،(بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)

- النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ)

١٨. نهاية الأرب في فنون الأدب ط١، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣ هـ)

– ياقوت: ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)
١٩. معجم البلدان ، ط٢ بيروت : دار صادر ، ١٩٩٥م .

المراجع :

–الزركلي ، خير الدين بن محمود الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)

١٩. الأعلام ، ط١٥ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م).

– علي، جواد،(ت١٤٠٨هـ)

٢٠.المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام،ط٤، (دار الساقي ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)

" عـلـــم الـكـــــــلام "

م. د. محمد سعدون عبيد

المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثانية

٠٧٧١٠٥٢١٩٨٢

Caas7942@gmail.com

"The science of speech "

dr. Muhammad Saadoun Obaid

General Directorate of Rusafa Educationthe second

" عـلـــم الـكـــــــلام "

م. د. محمد سعدون عبيد

الملخص :

علم الكلام هو من العلوم العقلية التي أشتهر بها المسلمون خصوصاً بعد ظهور الاسلام حيث نص القرآن الكريم على مجادلة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " للمشركين والكفار بالطرق السلمية الودية بادئ الأمر . وأخذ آل بيته الكرام وأصحابه نفس الطريقة والاسلوب لمحاججة المخالفين لهم بالعقيدة الدينية . أخذ علم الكلام بالنمو والتطور بعد ازدياد ملل المسلمين ونحلهم واتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وانتشار الإسلام في جميع ربوعها حيث أخذ كل مذهب يدافع عن اعتقاده الديني من خالفه بالاعتقاد وبرزت شخصيات قد ابدعت وأجادت في علم الكلام وكان من ابرزهم بعد شخصية الرسول محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " فهو بحق أمير البلاغة والفصاحة وهو صاحب الحجة الدامغة على من خالفه بدينه واعتقاده وكذلك برزت شخصيات على مر العصور اشتهرت بمؤلفاتها ومصنفاتها على اختلاف مشاربهم كانوا قد اجادوا وابدعوا ولهم الغلبة في علم الكلام .

كلمات مفتاحية " كلام . الشيعة . مجادلة . علم "

Apstarct :

Theology is one of the rational sciences with which Muslims are well known, especially after the advent of Islam, where the Noble Qur’an stipulated that the Prophet, may God’s prayers and peace be upon him and his family, argued against polytheists and infidels by peaceful and friendly methods at first. . His esteemed household, his companions, took the same method and manner to argue against their opponents with the religious belief. The science of theology grew and developed after the increasing boredom and disintegration of Muslims and the expansion of the Arab Islamic state and the spread of Islam in all its

quarters, as every sect defended its religious belief from those who disagreed with it by belief, and personalities emerged who had excelled in the science of theology. And the greeting of Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, is rightly the prince of eloquence and eloquence, and he is the author of the firm argument against those who disagreed with his religion and belief, as well as prominent personalities over the ages who were famous for their writings and compilations of different backgrounds who had excelled and excelled in theology.
Key words : "Speech. Shiites. Controversy. Knowledge."

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأفضل التسليم على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطاهرين وأصحابه الغر المنتجبين .

إنَ لعلم الكلام الإسلامي آفاق واسعة ومفاهيم كثيرة لما له من أهمية بالغة في إبداء الحجج الدامغة للدفاع عن الاعتقاد الديني لدى من يجادل من المسلمين سواء كان ذلك الجدال بين المسلمين أنفسهم باختلاف مللهم ونحلهم أو بين المسلمين ومعتنقي الأديان الأُخرى ، قُسمَ البحث إلى مبحثين الاول تناول علم الكلام وتعريفاته المتعددة ونشأته وعلم الكلام في القرآن الكريم ، أما المبحث الثاني فقد ذكر الفرق الاسلامية التي نشأ لديها علم الكلام وقد برعت باستخدامه لمجادلة مخالفيها بالاعتقاد الديني وأمثلة على ذلك المعتزلة والشيعة والقدرية والجبرية وتم التطرق إلى رجالات تلك المذاهب حيث برزوا بمؤلفاتهم ومصنفاتهم وطرقهم وأساليبهم في المناظرات والمجادلات للدفاع عن معتقدهم الديني ، وكذلك تطرق البحث في طياته إلى علم الكلام في المغرب والأندلس وأيضاً تحريم علم الكلام عند أهل الحديث ، ومن ثم خاتمة للبحث يذكر الباحث فيها ماتوصل من نتائج واستنتاجات وقائمة للمصادر والمراجع المستخدمة في البحث .

وقد استخدم الباحث نظام ApA لكتابة الهوامش وقائمة المصادر والمراجع .

والله ولي التوفيق .

المبحث الأول : علم الكلام /

اولاً : تعريفاته /

١ــ هناك تعريفات لعلم الكلام فيعرفه العلامة ابن خلدون (١٩٨١م ، ص٤٥٨): هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الدينية الايمانية بالأدلة العقلية والرد عليها وعلى المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات من مذهب السلف واهل السنة .

ويعرف وأيضاً بانه العلم الباحث في اثبات وجود خالق الكون وصفاته وافعاله (العاملي ، ٢٠٠٣م ، ص١٦) .

وكذلك هو العلم المعني باثبات العقائد عن طريق الحجج والبراهين العقلية والنقلية (الميلاني ، ١٤١٣هـ ، ص١١٥) .

وأيضاً هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها (الفضلي ، ١٩٩٣م ، ص٩) .

اما غاية علم الكلام فهي حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على مافيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار وكادوا يشوشون عقيدة الحق على اهلها فانشأ الله طائفة من المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله (الغزالي ، د_ت ، ص٧٩) . وتعد تعريفات علم الكلام التي قدمها علماؤه ومؤرخوه من الشواهد التي تشهد على أصالته فجل تعريفاتهم تسند علم الكلام الى الدين وأصوله وتشير كلها الى أن موضوعه هو الأصول الاعتقادية التي تكون المعرفة النظرية بالدين (الفارابي ، ١٩٦٨م ، ص١٣١–ص١٣٢) .

وعلم الكلام يتناول هذه الاصول الاعتقادية بالإثبات والدفاع عنها بالأدلة العقلية فيدخل في دائرته جميع هؤلاء الذين يتخذون النظر العقلي وسيلة لإثبات العقائد التي جاء بها الإسلام أو الدفاع عنها من حيث أن مهمة تأسيس العقيدة الإسلامية على أسس برهانية

حتى يمكن فهم العقيدة وعرضها على الآخرين والدفاع عنها (التوحيدي ، ١٣٢٣هـ ، ص١٩٢-ص١٩٣) .

وهكذا يكون علم الكلام علماً دينياً خالصاً سواء في موضوعه أو غايته وإذا كان أحد معاني الأصالة أن يكون للشئ أصل ثابت يبنى عليه فان الأصل هنا في علم الكلام هو الدين الإسلامي وأصوله فهي موضوعه وغايته (السيد ، ١٩٨٧م ، ص١٤- ص١٥). ويعد علم الكلام في طليعة العلوم الإسلامية الأصيلة فقد ثبت تاريخياً أنه ولد في بيئة المسلمين فكرياً وجغرافياً ولم يعرف أنه تأثر في وضعه ثقافة غير إسلامية (الفضلي ، ١٩٩٣م ، ص٩) .

٢_ نشأته /

نشأ علم الكلام في بداية القرن الثاني للهجرة على يد المعتزلة وإن كانت المشكلات الدينية قد ظهرت قبل ذلك بنصف قرن من الزمان حينما وقع الجدل حول مشكلة " مرتكب الكبيرة " ومشكلة القدر مما يمكن اعتباره إرهاصاً مبكراً لعلم الكلام (سليمان ، ١٩٩٨م ، ص١١) .

نشأ علم الكلام ولم يكن للبشرية بعلم الكلام علم منذ عرفت العلم فلم يعرفه السابق حتى يعلمه اللاحق فكان علماً مبتكراً جديداً (العماري ، د_ ت ، ص٦) . ولما كان رأينا يتمثل في أن نشأة علم الكلام باعتباره نسقاً كلامياً مرتبطة بنشأت المعتزلة فلا بد من الإشارة إلى الحادثة المشهورة في نشأتهم والتي تناقلتها معظم كتب الفرق الإسلامية وإذ انها تمثل المنطلق الأول لنشأت حركة الإعتزال . وفي رواية الشهرستاني (١٩٨٠م ، ج١ ،ص٤٨ ؛ سليمان ، د_ ت ، ص١٢) لهذه الحادثة أنه : " دخل شخص على الحسن البصري فقال له : يا إمام الدين لقد ظهرت في زمننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم وعيدية لاتضر الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ ففكر الحسن بذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن

مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين : لامؤمن ولاكافر ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزلة " .

ثانياً : علم الكلام في القرآن الكريم /

يقف كل تالٍ لكتاب الله على المرتبة الجليلة التي يتربع عليها علم الكلام ونحن نقتطف فيما يلي بعض الآيات المرشدة إلى ذلك :

١ــ لقد استعمل نبي الله نوح " عليه السلام " في مواجهة قومه الكافرين به اسلوب الجدال في الدين لإثبات ما جاءهم به وابطال أقاويلهم ودأب على ذلك حتى ضجوا منه كما قال تعلى: " قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ " (سورة هود ، آية ٣٢) .

٢ــ وذكر تعالى أن ابراهيم " عليه السلام " حاج كافراً في الله تعالى فقال : " أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ " (سورة البقرة ، آية ، ٢٥٨) .

٣ــ أمر تعالى نبيه الأمين محمد " صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " بجدال مخالفيه بقوله تعالى : " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ " (سورة النحل ، آية ، ١٢٥) .

٤ــ وأذن الله تعالى للمسلمين بمجادلة أهل الكتاب متبعين أسلوب البرهان الصحيح والمنطق السليم فقال : " وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ " (سورة العنكبوت ، آية ، ٤٦) .

جميع ذلك يرشدنا إلى مقام وأهمية الاستدلال والمجادلة في إحكام بنيان العقيدة وهو السبيل الذي يسلكه علم الكلام .

المبحث الثاني : علم الكلام عند الفرق الإسلامية /

١ـ المعتزلة : كانت النشأة الحقيقية لعلم الكلام على يد المعتزلة وكان ذلك في مدينة البصرة التي اعتبرت مهد الإعتزال وكان رجال المعتزلة قد نصبوا أنفسهم للدفاع عن عقائد الإسلام من التوحيد والنبوة والمعاد ولعل من أهم المسائل العقائدية التي تناولها ووضع الجدل والخلاف فيها وهي مسألة كلام الله وخلق القرآن فقد ملئوا بجدالهم وحجاجهم مساجد البصرة وجذبوا بحسن بيانهم وقوتهم في الإقناع العامة والخاصة من الناس (السامرائي ، ١٩٨٦م ، ص٢٦٤) .

٢ـ الشيعة : حث أئمة أهل البيت " عليهم السلام " على مناظرة أهل الباطل والمعاندين لإثبات العقيدة ودفع شبهاتهم كما بجلوا رجالات هذا العلم من أصحابهم الذي أُتوا المقدرة على المجادلة ونُصرة المذهب ومن هذه الروايات :

أ_ عن النضر بن الصباح قال : " كان أبو عبد الله الصادق " عليه السلام " يقول لعبد الرحمن بن الحجاج : " كلم أهل المدينة ، فإني أُحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك " (المجلسي ، د_ت ، ج٢ ، ص١٣٦) .

ب _ قال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر " عليه السلام " لـ محمد بن حكيم " كلم الناس وبين لهم الحق الذي أنت عليه وبين لهم الضلالة التي هم عليها " (المفيد ، د_ ت ، ص٢٠٢).

ج _ سأل هشام بن الحكم[١] عن أسماء الله تعالى واشتقاقاتها فأجابه ثم قال له : " أَفهمت ياهشام فهماً تدفعُ به وتناضلُ به أعدائنا والمتخذين مع الله عز وجل غيره " قال هشام : "

[١] – وهو أحد تلامذة الإمام الصادق " عليه السلام " ولد بالكوفة ونشأفي واسط عمل في التجارة في بغداد اتصل بالصادق بداية شبابه برع في علم الكلام وفاق جميع اصحابه لازم الإمام الكاظم " عليه السلام " .

نعم " فقال هشام : " فوالله ماقهرني أحدُ في التوحيد حتى قُمتُ مقامي هذا " (الكليني ، ١٤١١هـ ، ص٨٧) .

د _ وقال الإمام الصادق " عليه السلام " عندما بلغه موت محمد بن الطيار : " رحم الله الطيار ولقاه نظرةً وسروراً فلقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت " (المجلسي ، د_ت ، ج٢ ، ص١٣٦) .

هـ _ اجتمع إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري قوم من مواليه والمحبين لآل محمد " صلوات ربي عليهم أجمعين " وقالوا له : " يابن رسول الله إنَ لنا جاراً من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين " عليه السلام " ويورد علينا حججاً لاندري كيف الجواب عنها والخروج منها : فقال له " عليه السلام " : ويورد على تلامذته : " مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتسمع إليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم وأكسر عربه[١] وفُل حده[٢] ولاتبقِ له باقية " . فذهب الرجل وحضر الموضع وحضروا وكلم الرجل فأفحمه وحيره لايدري في السماء هو أو في الأرض " (العاملي ، ٢٠٠٣م ، ص١٦) .

٣_ ابرز رجالات الشيعة الذين اشتهروا بعلم الكلام /

للشيعة الامامية تاريخ حافل بالنشاط الكلامي وهذا النشاط تطور كثيراً خلال الفترات الزمنية اللاحقة فكان موضوع الإمامة الذي يعد من أصول المذهب الامامي دفع برجال الشيعة إلى اعتماد الكلام لتثبيت هذه العقيدة .

أ_ ان بني نوبخت وابن قبة كانوا طلائع هذه المدرسة الشيعية الجديدة في الكلام التي أدت إلى الخلط بين الكلام الشيعي والكلام المعتزلي من اعلام الامامية الذين صنفوا في علم الكلام .

[١] – عربه : أي شدته في الكلام حيث يتكلم بالقبيح .

[٢] – الحد : طرف السيف الماضي . قوله فل حده ، كناية عن كسر شوكته .

ب_ الأنباري : عبد الله بن أحمد المعروف بأبي زيد الأنباري " ت ٣٥٦هـ " وهو من سكنة واسط يعد من المصنفين المكثرين فقيل له مئة واربعين كتاباً ورسالة عدد منها ذات طابع كلامي وفلسفي في مذهب الشيعة الامامية (النجاشي ، ١٤٣١هـ ، ص٢٣٣) .

ج _ الشيخ المفيد " ت ٤١٣هـ " : استطاع أن يضع اللبنات الأساسية لعلم كلام شيعي تجاوز به كل متكلمي الشيعة الامامية الذين سبقوه فقد استطاع ان يضع الحدود الواضحة لعقائد مذهب الامامية من خلال العشرات من المصنفات والمناظرات من اتباع المذاهب الأخرى (الأمين ، ١٩٩٧م ، ج٩ ، ص٤٧٢) . لقد نجح الشيخ المفيد نجاحاً كبيراً في وضع الدعامات الصلبة لبناء علم الكلام الإسلامي بشكل عام وشيعي بشكل خاص من خلال اعتماده على روايات ائمة أهل البيت وعلم الدراية او مايعرف بالاستدلال العقلي بشكل يدل على عقلية جبارة متمكنة من ناحية جل العلوم والمعارف الإسلامية .

د_ الشريف المرتضى " ت ٤٣٦هـ " : وهو علم من اعلام علم الكلام متمماً ومطوراً لانكار شيخه المفيد والمرتضى مع مسؤوليتة الكبيرة في الزعامة الاجتماعية والدينية للشيعة إلا أنها لم تشكل عائقاً امامه ليصنف العشرات من الكتب اكثرها في علم الكلام (النجاشي ، ١٤٣١هـ ، ص٣٨١– ص٣٨٢) .

هـ _ الشيخ الطوسي " ت ٤٦٠هـ " : هو علم كبير استطاع ان يتمم مابداه الشيخ المفيد والسيد المرتضى ومساهمة الطوسي في علم الكلام متميزة من ناحية الكم والنوع فالشيخ الطوسي كان له كرسي الكلام لأن علم الكلام في تلك العصور قد كانت له الرتبة الأولى بالنسبة إلى باقي العلوم حتى الفقه والحديث لقد ذكر الطوسي في كتابه " الفهرست " عندما ترجم لنفسه ستة عشر كتاباً كلها في علم الكلام (الطوسي ، د_ت ، ص١٥٩– ص١٦٠) .

٤_ القدرية والجبرية /

ان علم الكلام علم قائم بذاته والمراد به الجدل الذي اثير حول بعض المسائل الدينية التي تطرح أمام العقل البشري كمسائل الجبر والاختيار والله وصفاته وغيرها من الامور التي اثيرت منذ القدم ولاتزال إلى اليوم تثار وقد تنوعت تفسيرات الفقهاء بصددها منذ وقت مبكر

ومناط الخلاف حولها يكمن في درجة اعمال العقل هل يطلق له العنان في التأويل والاستنباط ام عليه الإلتزام بالنصوص وكان هناك من يعد الرجل الذي يكثر من الجدل " صاحب كلام " فقد قيل إنَ إياس بن معاوية اجتمع هو وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر :" هذان مختلفان قد اجتمعا يتناظران، فقال إياس : يا أمير المؤمنين ان غيلان صاحب كلام وأنا صاحب اختصار ، فأما أن يسألني ويختصر وأما أن أسأله وأختصر " (ابن بدران ، د– ت ، ج٣ ، ص١٧٨) .

ومع نهاية القرن الأول والقرن الثاني ظهرت فرقتان او مذهبان في الشام الأولى القدرية والتي تقول ان الإنسان قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها والثانية هي الجبرية التي تقول ان القدر خيره وشره من الله تعالى (الشهرستاني ، ١٩٨٠م ، ج١ ، ص٤٥) .

وقد كان للمذهب الثاني دور بارز في العصر الأموي ليس على الصعيد الفكري فحسب بل على الصعيد السياسي كذلك (دكسن ، ١٩٧٥م ، ص٤٠١) . فقد اعتنق الأمويون الجبر في الخلافة منذ صدر دولتهم . والذي يهمنا هو القدرية نفذوا من منه الى مهاجمة مبدأ الجبر الذي تسلح به الأمويون في محاربة خصومهم ففتحوا الباب إلى نقدهم والحكم على أعمالهم . ويخلط مصطلح القدرية بمصطلح المعتزلة ويستعمل أحدهما مكان الآخر فيسمى المعتزلة قدرية لأنهم وافقوا القدرية في قولهم : أن للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى وانكروا ان تكون الأشياء بقدر الله وقضائه (أمين ، ١٩٦٥م ، ص٢٨٧) .

ويسمى القدرية معتزلة اذ يطلق المسعودي (ابي الحسن ، د_ ت ، ١٩٨١م ، ج٣ ، ص٢٣٩) .

على القدرية الذين أيدوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك اسم المعتزلة فيقول : " كان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعة من المعتزلة وغيرهم ...على الوليد بن يزيد " .

ولما كانت القدرية يمثلون اتجاهاً من اتجاهات المعارضة للخلافة الاموية فإن الخلفاء الأمويون تصدوا لهم وقاوموهم مقاومة تنوعت أساليبها وتباينت اشكالها فقد أمروا الفقهاء

والعلماء من أهل السنة في دمشق بمجادلة القدرية لدحض آرائهم . فقد قيل : يجب ذكر العلم عن أهله فهم أعلم به وأنصح به (ابن المقفع ، ١٩٨١م ، ص١١٥) .

وقد جادل الخلفاء أنفسهم بعض القدرية فقد بعث الخليفة عبد الملك بن مروان إلى الحسن البصري لما بلغه قوله بالقدر برسالة يطلب فيها من الحسن البصري ان يطلعه على حقيقة ماوصله (دكسن ، ١٩٧٥م ، ص٤٠١) . وعلى كل حال فإن مجادلة الخلفاء الأمويون للقدرية لم تقتصر على الخليفة عبد الملك فالخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عرف بحبه للمذاكرة في الدين والتدارس فيه بقصد المعرفة بين الرجال فقال : " رأيت ملاحاة الرجال تلقيحاً لألبابهم " (ابن عبد البر ، د_ت ، ج٢ ، ص١٠٨) ، كان من بين الخلفاء الأمويين الذين جادلوا القدرية وله في ذلك مناظرات كثيرة فقد روى البغدادي (د_ ت ، ص١٢٠) " أن للخليفة عمر بن عبد العزيز رسالة في الرد على القدرية " لكنه لم ينقل منها شيئاً وكان عمر بن عبد العزيز مع شهرته بالجدل والمناظرة يكره ذلك ولولا أنه خليفة ومضطر إلى مجادلة من يراه خارجاً على العقيدة لما جادل ، فقد روى عنه الأوزاعي (د_ ت ، ج٥ ، ص٣٤٦- ص٣٥٣) قوله : " ما رأيت قوماً يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة " . فكان عمر يحب أن يكون دينه دين الفطرة السمحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا جدل ولافلسفة فكان يقول : " ديننا دين العجائز وصبيان المكاتب ودين الأعراب " (المكي ، د_ت ، ج٢ ، ص٢٥٨) .

٥_علم الكلام في المغرب ولأندلس /

كان المغرب يسير على وفق العقيدة السلفية في" العهد المرابطي " وظل أهل هذه البلاد على هذه العقيدة حتى ظهر المهدي محمد بن تومرت صاحب الدولة الموحدية إذ كانت دولته ودعوته توحيدية محض فقد تحدى علماء المرابطين ورماهم بالشرك والتجسيم لأنهم يتمسكون بظاهر الآيات المتشابهات وظل يقاومهم حتى سقطت الدولة المرابطية وقامت الموحدية تحمل مذهباً كلامياً جديداً دعا إليه ابن تومرت ، وفي ذلك يقول المراكشي (عبد الواحد ، د_ ت ، ج٣ ، ص١٨٤) : " وكان جُل ما يدعوا إليه ابن تومرت علم الاعتقاد

على طريق الأشعرية وكان أهل المغرب ... يناضرون هذه العلوم ويعادون من ظهرت عليه شديداً أمرهم في ذلك " .

وليس في شك من أن ابن تومرت كون عقيدة من المذاهب الإسلامية التي سبقته ولكنه خرج آخر الأمر بعقيدة توحيدية متميزة خاصة به فالعقيدة التومرتية تعتبر مزيجاً من المذاهب الكلامية فعي ليس أشعرية بحتةً كما ذكرها المراكشي وابن خلدون ولا خارجية كما ذكرها علماء المرابطين (حسن ، د_ ت ، ج٢ ، ص٤٦٨) . كما انهم ليست معتزلية تقوم على الأدلة العقلية وحدها ولا سلفية تنأى عن الرأي والتأويل بل هي مزيج من أغلب المذاهب المذكورة وغيرها وقد اغفل المؤرخون جانباً هاماً في وضع هذه العقيدة وهو المذهب الحزمي فقد تأثر ابن تومرت بآراء ابن حزم في العقيدة كان من الضروري أن تعقد مقارنة بينهما في هذا الصدد ولكنه من العسير ان نعقد مقارنة كاملة بين ابن حزم وبين المهدي بن تومرت في ميدان التوحيد لسبب أساسي وهو أن ابن حزم له مذهب كلامي مفصل واضح المعالم محدد المنهج إذ قد ناضل المعتزلة والأشعرية والخوارج والشيعة والمرجئة وغيرهم وانتهى من هذا النضال إلى نتائج تميز مذهبه وتعين مدرسته وتبرز شخصية المذهب الظاهري الذي فضله ابن حزم على جميع المذاهب وأعجب به (حسن ، ج٢ ، ص٤٦٨) . المهدي بن تومرت فلم يناضل المذاهب الكلامية نضالاً علمياً ولم يقدم لنا نظريات وآراء نستطيع بها أن نبني له مذهباً خاصاً وربما كان السبب في ان يجعل ابن تومرت عن ان يترك للناس مذهباً دراسياً على نمط المعتزلة والأشعرية (حسن ، د_ت ، ج٢ ، ص٤٦٨) .

٦_ تحريم علم الكلام لدى أهل الحديث /

قوبل علم الكلام بموجة من الاستنكار الشديد من قبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية واطلقوا على علم الكلام وأهله أصحاب البدع ومن أهم ما استندوا عليه في هذا الوصف أن الرسول محمد " صلى الله عليه وآله " والصحابة لم يشتغلوا به فهو من البدع فراحوا ينكبون في ذم علم الكلام وأهله (عنصر_نائب١) .

فيقول ابن قتيبة (١٣٢٦هـ ، ص١٢- ص١٣) في ذم المتكلمين واختلافهم في الدين : " وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون أصول على الله مالايعلمون ويفتنون

الناس بما لا يأتون ويبصرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرق على الأجذاع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آرائهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث ... ولو كانوا اختلافهم في الفروع والسنن لاتسع لهم العذر عندنا وإن كان لاعذر لهم الأسوة بهم ولكن اختلافهم في التوحيد وفي صفاة الله وفي قدرته وفي تقييم أهل الجنة وعذاب أهل النار وعذاب البرزخ وفي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لايعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى " .

ان علم الكلام من قواعد المبتدع فيما يدعوا إليه من البدع يعقده صاحب الابتداع ليقنع به الأتباع فمن اقتنع بعلم الكلام ابتدع في الاسلام لأنه باب للدخول إلى رد قول الله والرسول وبه يفتح الباب والمجال لقبول آراء الرجال فلا يبقى سبيل لقبول التنزيل (العماري ، د_ ت ، ص٦).

وخلاصة القول نجد القرآن الكريم بما احتواه من شرح العقيدة والانتصار لها وتقديمه لحلول المشكلات المتعلقة بها كالجبر والاختيار والله والكون وخلقه واليوم الآخر والثواب والعقاب والمسائل الأخلاقية كان ذلك كله المادة التي كونت علم الكلام الإسلامي بل يمكن القول بأن المشكلات التي أثارها علم الكلام انما هي تلك المشكلات التي يمكن أن يلتمس لها حلولها في القرآن الكريم (السيد ، ١٩٨٧م ، ص١٤– ص١٥) .

الخاتمة :

بعد منة المنان الباري المتعال الذي قدرني على أن أدلو بدلوي بالخوض في كتابة بحث عن علم الكلام وبعد الإفراغ منه وجدت مايلي :

١_ ان لعلم الكلام تعاريف كثيرة ومثمرة عرفهُ بها علماء المسلمين من جميع أطيافهم ومذاهبهم .

٢_ ان لعلم الكلام جذور تاريخية اكيدة تمتد منذ بداية الرسالة المحمدية وقد نص عليها القرآن

الكريم حيث أمر سبحانه وتعالى نبيه بمجادلة اهل الشرك والنفاق والباطل .

٣_ كذلك أخذ أهل البيت " عليهم السلام " بالعمل في علم الكلام واخذوا يحثون اتباعهم

وانصارهم لمحاججة المخالفين لدين الإسلام .

٤_ اتخذت العديد من الفرق والمذاهب الإسلامية من علم الكلام لابداء آرائها ونشر افكارها مثل : المعتزلة والقدرية وغيرهم .

٥_ اتخذ الشيعة من علم الكلام اسلوب وطريقة لمحاججة أهل الخلاف معهم وبرع العديد من رجال المذهب الشيعي مثل الشيخ المفيد والسيد الشريف المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهم .

٦_ كذلك استخدم أهل المغرب علم الكلام للمحاججة في طروحاتهم العقائدية كما في المشرق .

قائمة المصادر والمراجع /

المصادر الأولية :

القرآن الكريم

الأوزاعي ، عبد الرحمن . د_ ت . حلية الأولياء . د_ ط . د_م .

البغدادي ، عبد القاهر . د_ ت . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية . د_ ط . مصر .

ابن بدران ، عبد القادر . د_ ت . تاريخ دمشق . د_ ط . د_ م .

التوحيدي ، ابو حيان . ١٣٢٣هـ . ثمرات العلوم مع كتاب الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق . د_ ط . القاهرة .

ابن حزم ، علي . ١٤١٦هـ . الفصل في الملل والأهواء والنحل . ط٢ . بيروت .

ابن خلدون ، عبد الرحمن . ١٩٨١م . المقدمة . د_ ط . بيروت .

الشهرستاني ، محمد . ١٩٨٠م . الملل والنحل . د_ ط . بيروت .

الطوسي ، محمد . د_ ت . الفهرست . د_ ط . النجف .

ابن عبد البر ، يوسف . د_ ت . جامع بيان العلم . د_ ط . د_ م .

الغزالي ، محمد . د_ ت . المنقذ من الضلال . د_ ط . د_ م .

الفارابي ، ابو نصر . ١٩٦٨م . احصاء العلوم . ط٣ . مصر .

ابن قتيبة ، عبد الله . ١٣٢٦هـ . تأويل مختلف الحديث . د_ ط . مكتبة المتنبي . القاهرة.

الكليني ، محمد . ١٩٩٠م . الكافي . د_ ط . التعارف . بيروت .

المجلسي ، محمد . د_ ت . بحار الأنوار . د- ط . د_ م .

المفيد ، محمد . د_ ت . تصحيح الاعتقاد . د_ ط . د_ م .

المسعودي ، علي . د_ ت . مروج الذهب ومعدن الجوهر . د_ ط . دار الكتاب العربي . بيروت .

ابن المقفع ، عبد الله . ١٩٨١م . الأدب الكبير والأدب الصغير . د_ ط . دار الجيل . بيروت .

المراكشي ، عبد الواحد . د_ ت . المعجب في أخبار المغرب . د_ ط . الجمهورية العربية المتحدة .

النجاشي ، أحمد . ١٤٣١هـ . رجال النجاشي . ط١ . شركة الأعلمي . بيروت .

المراجع :

أمين ، أحمد . ١٩٦٥م . ضحى الإسلام . د_ ط . القاهرة .

الأمين ، حسن . ١٩٩٧م . " مقالة عن علم الكلام " . د_ ط . دار التعارف . بيروت .

حسن ، ابراهيم . د_ ت . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . د_ ط . مكتبة النهضة المصرية . مصر .

دكسن ، عبد الأمير . ١٩٧٥م . " رسالة مكاتبات عبد الملك بن مروان مع الحسن البصري في الإنشاء " . مجلة الجامعة المستنصرية . العدد الخامس .

السيد ، محمد . ١٩٨٧م . اصالة علم الكلام . د_ ط . دار الثقافة والنشر والتوزيع . القاهرة .

السامرائي ، خليل . ١٩٨٦م . دراسات في تاريخ الفكر العربي . د_ ط . دار الكتب للطباعة والنشر . الموصل .

سليمان ، عباس . ١٩٩٨م . الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي . د_ ط . دار المعرفة الجامعية . مصر .

العاملي ، حسن . ٢٠٠٣م . بداية المعرفة . د_ ط . مؤسسة بقية الله . النجف .

العماري ، محمد . د_ ت ، الإمام في تحريم علم الكلام . ط١ . السعودية .

الفضلي ، عبد الهادي . ١٩٩٣م . خلاصة علم الكلام . ط٢ . دار المؤرخ العربي . بيروت .

الميلاني ، علي . ١٤١٣هـ . الامامة في اهم الكتب الكلامية . د_ ط . دار الشريف . قم .

المكي ، محمد . د_ ت . قوت القلوب في معاملة المحبوب . د_ ط . د_ م .

ادارة الولايات في الدولة الفاطمية

(٣٥٨/ ٩٦٧م -٥٦٧هـ/ ١١٧١م)

State Administration in the Fatimid State

(358 – 567A.H. – 968 – 1171 A.D.)

م. جواد كاظم حسن

كلية الامام الكاظم(ع) / قسم القانون

Instructor Jawad Kadhim Hassan

Imam Al-Kadhim College(IKC) -- Department of Law

Kadhemjawad697@alkadhum-Col.edu.iq

ادارة الولايات في الدولة الفاطمية
(٣٥٨/ ٩٦٧م -٥٦٧هـ/ ١١٧١م)

م. جواد كاظم حسن

الملخص:

ان انتقال الدولة الفاطمية ونشأتها في مصر ، اوجدت المركزية الادارية في الحكم ووضعت تقسيم اداري لبقية الولايات ، كما ان هذا التقسيم الاداري قد ورثه الفاطميون من الدولة العباسية التي كانت اكثر تطورا وحضارة في مجال الادارة من الدولة الفاطمية ، كما ان مصر كانت اكثر تحضرا من المغرب لذلك فان انتقال الدولة الفاطمية الى مصر من المغرب وجدت تنظيما اداريا متكاملا ومتحضرا الا ان مفهوم (الامامة) عند الفاطميين الذي يقابله مفهوم (الخلافة) عند العباسيين وقبلهم الامويين ، ركز مبدا المركزية الادارية في قيادة الدولة عند الخلفاء ، لذا فأن اكثر الولاة كان تعيينهم يتم من قبل الامام(الخليفة) مباشرة ؛ عندما تكون سيرتهم حسنة في المجتمع اثناء عملهم في مناصب اخرى ويتم ترشيحهم من قبل (عيون) الخليفة الموجودين في كل ولاية استنادا لسيرتهم الحسنة وتفانيهم في اداء عملهم الوظيفي قبل تعيينهم وبعده وهم مطالبون بالامتثال الى اوامر الخليفة في كل صغيرة وكبيرة.

الكلمات المفتاحية:(الادارة المركزية – الولايات – الامام – القاهرة المعزية – الدواوين)

Abstract

The transition of the Fatimid state and its establishment in Egypt, created administrative centralization in government and established an administrative division of the rest of the states, and this administrative division was inherited by the Fatimids from the Abbasid state, which was more developed and civilizational in the field of administration than the Fatimid state, and Egypt was more civilized than Morocco, so the transition of the Fatimid state to Egypt from Morocco found an integrated and civilized administrative organization, but the concept of the Fatimid imam, which was matched by the

concept of the Abbasid caliphate and before them. The principle of administrative centralization focused on the leadership of the state at the caliphs, so that most of the governors were appointed by Imam (Caliph) directly, when they have a good career in society while working in other positions and are nominated by (ayoun) caliph son who are present in each state based on their good conduct and dedication in the performance of their job before and after their appointment and are required to comply with the orders .

المقدمة

عند وصول الفاطميون مصر جعل من الموظفين الموالين للدولة الفاطمية الذين جاءوا بهم من المغرب في سدة الحكم وشغلوا الوظائف العامة لكي يحكموا مصر من خلال الادارة المركزية ، وكان اغلب الموظفين من المغاربة الذين جلبهم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي معه عندما اتى الى مصر ، و اتسمت سياسة الدولة الفاطمية في التسامح الديني مع المصريين سواء من كان على غير مذهب الفاطميين او غير دينهم وقد اعتمد الفاطميون على النصارى في قيام دولتهم في مصر، اما المغاربة فاسندت لهم الوظائف الكبيرة والمهمة لغرض تقوية سلطان الفاطميين في مصر ، وقد اخذهم الخليفة الفاطمي بالشدة اذا اهملوا او اساءوا وجرى تشجيع المحسن منهم من قبل الخليفة وكغيرهم مطالبين بالامتثال لاوامر الخليفة الفاطمي ، ان النظام الاداري في مصر ايام الفاطميين هو الميراث المباشر للنظام الاداري العباسي ، قسم الفاطميون مصر الى ولايات وكل ولاية الى مدن واقسام رئيسية وكل قسم منها ينقسم الى قرى او كفور والى جانب كل والي هناك عامل الخراج والقاضي وصاحب الشرطة وغيرهم من كبار الموظفين ، كما ان تقسيم مصر الى اربع اقاليم هي ولاية القوص واقليم الشرقية واقليم الغربية واقليم الاسكندرية واسسوا حاضرة الدولة (القاهرة المعزية) واسندت ادارتها الى ثلاث موظفين هم الوالي وصاحب الشرطة والمحتسب ، ونتيجة للتسامح الدين التي تعيشه الدولة الفاطمية هاجر كثير من الارمن الى مصر وخاصة عند وصول الوزير (بدر الجمالي) الى سدة الحكم ، وحدث تطورات على الولايات المصرية منها ان الفاطميين اسسوا كثيرا من

الدواوين بعد ان توسعت دولتهم ، واهتم الفاطميون بصناعة السفن حيث كان لهم اسطول بحري يتكون من عدة انواع من السفن منها الشلنديات والشواني والعشاري وغيرها، واهتم الفاطميون بالاحباس التي كان يشرف عليها القاضي وفي الدولة عدة صنوف من الموظفين منهم النائب وحامل سيف الخليفة وامناء الخزائن والمستودعات وغيرهم.

ادارة الولايات في الدولة الفاطمية

بدأ اهتمام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله منذ وصوله مصر بحكم الولايات المصرية حكماً مركزياً؛ لأنه أدرك أن رفاهية دولته وعظمتها إنما تقوم على استتباب الأمن والنظام في هذه الولايات، ومن مظاهر حكم الولايات إنه استعان بأبناء أنصار الدعوة الفاطمية الأوائل الذين جلبهم من المغرب(١)؛ لأنَّ هؤلاء أسهموا بنصيب وافر في قيام دو لتهم في المغرب ولأنهم أيضاً من أتباع الدولة الفاطمية المخلصين، وقد قام بأخذهم بالشدة إذا أهملوا أو أساءوا، وشجّع المحسن منهم بترقيته . لذلك فإنَّ إسناد الوظائف الكبيرة إلى المغاربة وسيلة لتقوية سلطان الفاطميين في مصر، وبهذا استطاع الفاطميون أن يشعر الولاة بالخوف منهم، ويملأ نفوسهم بالرجاء منهم، سواء أكان ذلك في حالة الرضا أم السخط عليهم(٢). ويذكر أن المغاربة لم يبقوا في كل فروع الإدارة طول مدة حكم الفاطميين في مصر، بل لعبوا دورهم في أوائل حكم الدولة الفاطمية؛ لأنَّ المغاربة كانوا يجهلون دقائق الإدارة المصرية، وكانت حضارتهم أقل من حضارة المصريين، كما أن الإدارة المركزية للدولة ، تحتاج إلى مهارة كبيرة، لذلك فإنَّ المغاربة لم يكن مجال عملهم في عهد الفاطميين إلاّ في الإدارة المحلية بالولايات(٣)، وهذا ما جعل الحكومة المركزية والسلطة تتركز في يد الخليفة الفاطمي الرئيس الأعلى في الدولة، وهذا ما فعلهُ الخليفة المعز بعد أن هيأ قائده (جوهر الصقلي) الأجواء في مصر كافة عند وصول الخليفة الفاطمي المعز لدين الله يوم الاثنين (٢١/شوال/٣٦١هـ) المصادف (٥/آب/٩٧٢م)(٤). وكان الوزير ابتداءً من عام (٣٦٨هـ/٩٧٩م) هو الذي يتولى الإشراف على السلطة الإدارية، وقاضي القضاة هو المشرف على الشؤون الدينية والتشريعية، وداعي الدعاة هو المشرف على الدعاية الفاطمية التي كانت بمثابة (السلاح الآيديولوجي) ، وأحياناً هاتان السلطتان تجمعان لشخص واحد(٥). كما أن الخليفة الفاطمي

المعز لدين الله كان يُعنى بمبدأ الوراثة في اختيار عماله عندما يكون هناك الكفاية المؤهلة لهم، وبغير ذلك تكون الكفاية والقدرة هي المؤهل الوحيد للتولية[٦]. فضلاً عن ذلك، فإنَّ الخليفة الفاطمي لم يكن يترك انتخاب عماله لغيره، ومعرفة الموالين لدولته وترشيح العمال قبل تعيينهم، وكان يستعين بعيون تمدهُ بصورة صادقة عن رعاياه، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى كان الخليفة المعز لدين الله يعزل عامله إذا أخفق، مما يدلُّ على مراقبة الخليفة الفاطمي التامة لحكومته المركزية وولاياته في الشرق والغرب[٧].وقال الخليفة المعزلدين الله في أمر العمال والمتولين : (أما والله ما أغفلتُ أمرهم ولا أغضيتُ عنه، ولا أتفاءل إلاّ عما يكون لي في ذات نفسي، وأما ما كان لعباد الله مما قلدينه جلَّ ذكره، فلا أدع منه إلاّ ما لا حيلة لي فيه، ولا استطاعة لي عليه، وما أعلم أن الله تعالى يعذرني ولا يسألني عنه؛ لأنهُ لا يكلف نفساً إلا وسعها)[٨]. فالخليفة الفاطمي يتصرف تصرفاً مطلقاً في الإدارة المدنية والعسكرية بحكم اختصاصه، ويمارس بنفسهِ السلطة التي لا يفوضها إلاّ إلى مواطنين مختارين من بين أشد الأعوان إخلاصاً لشخصه، ولا يعتبر الموظفون مسؤولين إلاّ لديه، ولا يضطلعون بالمهام الملقاة على عاتقهم إلاّ بصورة مؤقتة وهم خاضعون لمراقبة شديدة ومعرضون إن اقتضى الحال لأقسى العقوبات[٩]. إنَّ النظام الإداري الذي بدأ مع نشأة الدولة والذي أقيم في مستهل عهد الخليفة الفاطمي الأول (عبيد الله المهدي)، يبدو ممركزاً إلى أبعد حد، يمثل فيه الخليفة الجهاز المنظم للدولة، ويمثل فيه قصر الخلافة محور النشاط السياسي بأسره[١٠]. وفي إطار مثل هذا النظام يكون أصحاب مختلف المناصب الإدارية تابعين مباشرة لرئيس الدولة (الخليفة) مطالبين بالامتثال إلى أوامره بكل دقة، وينتمي هؤلاء الموظفون الذين يمثلون (رجال الخلافة الفاطمية) إلى الفئات العرقية الثلاث التي يتكون منها المجتمع الفاطمي في إفريقية منذ نشأة الدول وهم : (العرب والبربر والصقالبة) وهم يتقاسمون المهام المدنية والعسكرية [١١]. فكان هؤلاء يُعهد إليهم بمهام خاصة في البلاط، ويلحقون بحاشية الخليفة، ويعينونهم في أسمى المناصب، ويتفانون في خدمة الخليفة دون سواه، ولم تكن مهمتهم مقتصرة على القيام بالمهام العادية، بل كانوا يضطلعون بأدق المهمات ويسهرون على سلامة مخدومهم بإخلاص لا نظير له[١٢]. وعندما يتعرض أهل البلد الذين أرهقتهم الابتزازات، لتجاوزات السلطة، يوجهون شكاياتهم إلى الخليفة في شكل عرائض، أو

بواسطة الوفود التي كان الخليفة المعز يستقبلها بقصره، وبعدما يأمر بإجراء التحقيقات اللازمة لإثبات صحة اتهاماتهم، يندد بالمظالم المرتكبة ويدين التجاوزات التي يسرع إلى قمعها، وحالما تثبت التهمة الموجهة إلى عامل من عمال النواحي لاقترافه المفاسد، لا يتردد في إقالته من وظيفته[١٣]. وكان الخلفاء الفاطميين يختارون وزرائهم من بين المهرة في تدبر أمور الدولة الفاطمية بمصر، فنجد من بين الوزراء الفاطميين، عدداً كبيراً من أهل الذمة، نصارى ويهود لممارسة هؤلاء الإدارة والمال بمهارة في ذلك الوقت[١٤]. وكان هناك أيضاً وزراء غيّروا عقيدتهم مثل (يعقوب بن كلس)[*] الذي كان يهودياً واعتنق الإسلام[١٥]، وكان البعض منهم من غير المسلمين يبقون على عقيدتهم النصرانية؛ لأنَّ الخلفاء الفاطميون يعطفون على رعاياهم من أهل الذمة حتى بعد توليتهم الوزارة، وكذلك كان لموظفي الدولة على اختلاف درجاتهم وتفاوت طبقاتهم الحق في الوصول إلى رتبة الوزارة، إذا توافرت عندهم الكفاية اللازمة لهذا المنصب[١٦]. فلم يبقَ أهل الذمة كما كانوا سابقاً في دواوين مالية مصر وحدها، وإنما صاروا في جميع فروع الإدارة فازداد عددهم على الأخص في دواوين الإنشاء والمالية[١٧] التي تحتاج إلى تخصص كبير. وارتقى يعقوب بن كلس في المناصب حتى أصبح وزيراً للعزيز بن المعز، وإليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها، كذلك اتسم عهد الخليفة العزيز بالله بالتسامح مع النصارى، فزاد بلاطه في إكرامهم لما كان بينهُ وبينهم من صلة النسب[١٨]، إذ تزوج من امرأة مسيحية، وكان لها إخوان رفعهما الخليفة الفاطمي العزيزبالله إلى أرقى مناصب الكنيسة[١٩]. وكان من أثر سياسة التسامح التي اتبعها العزيز نحو الذميين أن ازداد نفوذهم في أيامه، وأصبح بدواوين الدولة كثير من كتّابهم وخاصة بعد أن عيّن العزيز منشأ بن إبراهيم الفرار اليهودي والياً على بلاد الشام وولى عيسى بن نسطورس كتابته، ولقد أستاء المصريون المسلمون من استئثار الذميين بمناصب الدولة، فقدموا للعزيز بالله الفاطمي الاحتجاجات على محاباته المسيحيين واليهود، وتبين للخليفة حقيقة استئثار الذميين بمعظم السلطان، فأمر بالقبض على عيسى بن نسطورس وزملائه من الكتّاب، كما قبض على منشأ وغيره من الموظفين اليهود، وأعاد الكتّاب المسلمين إلى أعمالهم بالدواوين[٢٠]. وبعد وصول بدر الجمالي إلى قمة السلطة في الدولة الفاطمية ، في أواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وبداية عصر الوزراء

العسكريين (أرباب السيوف)، أصبح الوزير هو قائد الجيش وقاضي القضاة وداعي الدعاة في الوقت نفسه، ولكن هذا لا يعني أن الوزير صاحب السيف كان يقوم بنفسه بعمل القاضي والداعي، وإنما جعل القاضي والداعي نائيين عنه[٢١]، وأحد أسباب ذلك أن الفاطميين لم يطلبوا توافر شروط خاصة في الإمام، وإنما كان من الممكن للإمام (الخليفة) أن يخفي وصيته بالخلافة عن مجموع المؤمنين ولا يعلم بها إلاّ بعض الثقات لا غير، الذين عليهم أن يكشفوا عنها في الوقت المناسب، وقد أدى هذا النظام إلى وصول عدد كبير من صغار السن إلى منصب الإمامة (الخلافة)، مما مكّن رجال القصر ونسائه وللوزراء وقادة الجيش السيطرة التامة على الدولة وأن تكون بأيديهم السلطة الحقيقية[٢٢]. ويقوم النظام الأساسي الذي سار عليه الفاطميون في بلاد المغرب قبل وصولهم مصر، على تقسيم البلاد أقساماً رئيسة، يختار الخليفة لإدارة كل منها شخص يثقون به، لكي يستطيع هذا العامل الإشراف من مركز الولاية على سائر جهات الولاية، وقد قسم الفاطميون بلاد المغرب قسمين رئيسين: يشمل أولها إفريقية وهي (بلاد تونس الحالية)، و يشمل القسم الثاني سائر بلاد المغرب الخاضعة لحكم الفاطميين، ثم ينقسم كل منهما إلى ولايات عدّة. ولما وليَ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الخلافة في مصر، لم يحدث شيئاً من التعديل في تقسيم الولايات، لذا يُعدُّ النظام الإداري في مصر أيام الفاطميين، هو الميراث المباشر للنظام الإداري العباسي والذي تأصل وازداد وضوحاً قبل مجيء الفاطميين في عهد الولاية الطولونية الأخشيدية[٢٣]. وبذلك قسّم الفاطميون كل ولاية من الولايات المصرية على مدن وأقسام رئيسة، وكل من هذه الأقسام الصغيرة أو المدن ينقسم على قرى أو كفور، وإنَّ رئاسة هذه الأقسام من القرية حتى المدينة، تخضع للوالي في مقر ولايته وإلى جانب الوالي هناك عامل الخراج، والقاضي وصاحب الشرطة وغيرهم من كبار الموظفين[٢٤]، فكانت كل ولاية أشبه بالخلافة نفسها، من حيث تمتع الوالي بكل ما يتمتع به الخليفة من نفوذ في إدارة شؤون دولته، ويذكر أن الخليفة المعز لدين الله كثيراً ما كان يعين عمال المدن في الولايات المختلفة ويتصل بهم ويشرف على أعمالهم، عن طريق البريد وغير ذلك من العيون، يطلعونه على ما يجري في هذه المدن، ولذلك كثيراً ما كان يثور بعض الولاة في مقر ولايتهم على الحكم الفاطمي، في حين يظلُّ عمال المدن على ولائهم للخليفة الفاطمي . وقد أحدث انتقال الخليفة الفاطمي المعز

لدين الله من المغرب إلى مصر في أواخر سنة (٣٦١هـ/٩٥١م) شيئاً من الاضطراب في حكم بلاد المغرب فأصبحت هذه البلاد (دا ر إمارة) بعد أن كانت (دار خلافة)، لاسيّما عند انتقال الرئاسة العليا في المغرب من الخليفة إلى شخص يقوم مقامه وحلَّ (أبو الفتوح يوسف بن بلكين بن زبر ي بن مناد الصنهاجي)[٢٥] في المغرب محل الخليفة الفاطمي، وأصبح يتلقى أوامره من الخليفة الفاطمي في مصر ثم جمع حوله القبائل المغربية، واستقل البيت الصنهاجي على مرِّ الزمن عن الدولة الفاطمية، بعد أن أخذ أثر تقليد (بلكين بن زبري بن مناد) بلاد المغرب نيابة عن الخليفة الفاطمي، صار يعين من يشاء ويعزل من يشاء في ولايته، وعمل بلكين على ضبط البلاد بعد أن أصبح عمال الولايات المغربية مسؤولين أمامه مباشرة، وقبض عليها بيد من حديد وعين على أعمالها المختلفة رجالاً موالين له، كما أن المعز الفاطمي كان مضطراً إلى التعجيل بالاستعداد للرحيل النهائي والإسراع بتسوية قضية خلافته في إفريقية، ذلك أن الأخبار الواردة من مصر كانت سيئة، فقد دعا جوهر الصقلي مولاه الخليفة المعز إلى الالتحاق به حالاً؛ لأنَّ القرامطة قد استرجعوا دمشق وقتلوا قائد جيش الفاطميين في دمشق (جعفر بن فلاح)[٢٦] وزحفوا على القاهرة فقرر المعز آخر الخلفاء الفاطميين في إفريقية الرحيل باتجاه مقر خلافته الجديد ، وبذلك قد تكون طويت أو تكاد الصفحة الإفريقية من تاريخ الفاطميين[٢٧]. ولما دخل الفاطميون مصر وجدوا أن مصر مقسمة على ولايات منتظمة تنظيماً دقيقاً، فمصر من الدول ذات التنظيم الإداري الثابت المبني على حضارة ذات جذور ممتدة في التاريخ، فلم يقم الفاطميون بإحداث تغيير كبير في التنظيم الإداري وكل ما حدث أن ولايتهم حلّت محل ولاية أُخرى هي ولاية أمراء الأخشيديين في حكم البلاد، وحلَّ المغاربة الذين صحبهم المعز الفاطمي معه محل المصريين أو شاركوهم في وظائفهم فكانت مصر مقسمة على أربع ولايات كبيرة أو أربعة أقاليم: الولاية الأولى أو الإقليم الأول هي ولاية قوص[٢٨]، ويقصد بها الصعيد وهي مصر العليا أو الوجه القبلي، ويلي هذا الإقليم حاكم كبير. أما الإقليم الثاني، فكان أقل اتساعاً من إقليم قوص، ويقصد به (الشرقية) ويشمل الأراضي الواقعة شرق فرع دمياط، ومن أشهر مدنهِ قليوب وبليس. أما الإقليم الثالث فهو (الغربية) وينتظم جميع البلاد الواقعة بين فرعي رشيد ودمياط من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن أشهر مدنهِ منوف وأبيار والمحلة الكبرى وهي

تشتمل على كل الأراضي الواقعة داخل الدلتا المصرية. أما الإقليم الرابع، فهو إقليم الإسكندرية، ويضاف إليه البحيرة ومن أشهر مدنهِ دمنهور والإسكندرية، ومعها حاضرة الدولة المصرية (القاهرة)، وولاية الفسطاط[٢٩]، وكان واليها بشرف كذلك على أراضي إقليم البحيرة والممتدة جنوباً حتى الجيزة[٣٠]. إنَّ كلاً من هذه الأقاليم الأربعة كان مستقلاً عن الآخر، ولكنه يتصل اتصالاً مباشراً بالخليفة الفاطمي، وأن الحكومة المركزية في القاهرة منحت كلاً من ولاة هذه الأقاليم الأربعة الحرية في تعيين العمال على المدن والنواحي والقرى في ولايته، ولقد أقرَّ هذا التقسيم الإداري في مصر من قبل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، فكانت الولاية المقسمة على ما يسمى " الكور " والكورة تشبه المديرية اليوم في مصر وتشتمل على مدن وقرى، ويشرف عليها رئيس الكورة، ويُعدُّ بمثابة الوالي(المحافظ) اليوم، وله نائب، ويرأس القرية رئيس أشبه بالعمدة في مصر، وكانت مصر مقسمة على أكثر من عشرين كورة في عهد الخليفة المعز وغيره من الخلفاء الفاطميين هي: الدقهلية وجزيرة قويسنا، والشرقية والغربية والمنوفيتان، والبحيرة ، وحوض رمسيس، والجيزة، والفيومية، والبهناسية، والأشمونين، والأسيوطية، والبوصيرية وغيرها[٣١]، وكان ولاة هذه الأقاليم عادةً هم المرشحون لتولي منصب الوزارة في الثلاثين عاماً الأخيرة من حكم الفاطميين في مصر[٣٢]، ولقد استخدم ديوان الإنشاء الفاطمي في عام (٤٦٧هـ/١٠٧٥م)، تعبير (الصعيد الأعلى) على ولاية قوص، فوالي قوص هو قبل كل شيء قائد القوات الفاطمية المرابطة في الصعيد الأعلى، وكانت مدينة قوص هي مركز قيادة هذه القوات[٣٣]، ومن بين الذين تولوا ولاية قوص هو الأمير السعيد(محمود بن ظفر) والذي توفي سنة (٥١٥هـ/١١٢١م)[٣٤]، كما أن قوص قد أصبحت مركز الصعيد الأعلى، إذ أمر الوزير في هذه السنة بإنشاء دور ضرب سكة جديدة في القاهرة والإسكندرية وقوص وصور وعسقلان، إلى جانب دار الضرب القديمة الموجودة في الفسطاط[٣٥]، وترجع أهمية ولاية قوص كذلك إلى اهتمام الفاطميين المتزايد بطرق تجارة البحر الأحمر المؤدية إلى الهند، إذ كانت المركز الرئيس الذي يربط بين البضائع من المدن التي تقع على البحر الأحمر، أو من داخل إفريقيا والفسطاط، إذ يتم توزيعها بعد ذلك على موانئ البحر المتوسط، الإسكندرية غرباً وتنيس شرقاً، ويلي قوص في الأهمية " ولاية الشرقية " التي كانت تشتمل الأراضي الواقعة شرق فرع دمياط والممتدة من

بلبيس جنوباً إلى البحر المتوسط شمالاً وكانت لها دور كبير في مواجهة أي هجوم تتعرض له مصر من حدودها الشرقية[٣٦]، ونظراً لمكانة هذه الولايات وأهميتها الإستراتيجية للدولة الفاطمية كان يخلع على ولاتها من خزانة الكسوة بـ " البدنة " وهو نفس اللباس الذي كان يرتديه الخليفة يوم فتح الخليج[٣٧]، ويؤكد القلقشندي أن هذه الولايات الأربع هي الولايات الكبرى التي يدخل تحت حكمها الولايات الصغرى، إذ رأى بنفسهِ سجلات الإنشاء الكثيرة للولايات[٣٨]، مثل ولاية الجيزية وولاية الأشمونين والطحاوية وولاية السيوطية وولاية الأخمينية وولاية الفيوم الخارجة في الوجه القبلي، وولاية القليوبية وولاية منية وهي (منية غمْر) وولاية المرتاحية وولاية الدقهلية وولاية مدينة تنيس وولاية المنوفية وولاية جزيرة بني نصر وغيرها[٣٩]، ولكن الفاطميون عملوا على زيادة تركيز زمام السلطة الإدارية في أيديهم لضبط مصالح حكومتهم المستقلة استقلالاً تاماً، ومصالح إمبراطوريتهم الواسعة فأصبحت السلطة الإدارية في القاهرة، و الإشراف على كل ما يمس إدارة البلاد، ولهذا تأصل النظام الإداري شديد المركزي، تُدار شؤونه من القصر[٤٠]، كما أن الموظفون الذين يتولون إدارة الحاضرة المصرية (العاصمة) يعينهم الخليفة (الإمام) بنفسه لمباشرة سلطتهم، فلم تتبع المدن الإسلامية في هذه الفترة نظاماً انتخابياً في اختيار موظفيها المسؤولين عن شؤون البلديات. وأسندت إدارة العاصمة الفاطمية إلى ثلاثة موظفين رئيسين هم:" الوالي " و " صاحب الشرطة " و " المحتسب "[٤١].

كما أنَّ التطور الذي عرفته وظائف الإدارة في العاصمة المصرية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي قد حدث في أعقاب زوال الأزمات المتتالية التي تعرضت لها البلاد والعاصمة بصفة خاصة ولسائر الإقليم بعد الإصلاحات الإدارية التي أدخلها نظام بدر الجمالي والتي قسّمت فيها مصر إدارياً على أربع ولايات رئيسة هي: قوص والشرقية والغربية والإسكندرية[٤٢]، فضلاً عن القاهرة والفسطاط[٤٣]، مما تطلب إنشاء وظائف ولاة لهذه الولايات الست كان يخرج لأصحابها، الذين كانوا من أرباب السيوف، سجل من الخليفة[٤٤]. وكانت الخلافة الفاطمية في مصر تعمل على توثيق العلاقة بين النوبة ومصر، وكانت النوبة قبل مجيء الفاطميون إلى مصر مستقلة تمام الاستقلال وعلى رأسها ملك مسيحي يسمى " جورج " والنوبة مملكة نصرانية عاصمتها مدينة (دنقلة) التي تقع

في أعالي النيل، وكانت الديانة المسيحية في ذلك العهد منتشرة انتشاراً كبيراً فيها، ثم أرسل الخليفة الفاطمي إلى ملك النوبة الرسل يطلب منه الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية، وقد قوبل الرسل في هذه البلاد بالترحيب ولبّت النوبة المطلب الثاني، ورضا ملكها بدفع الجزية إلى الفاطميين، واعتذر عن قبول المطلب الأول، وهو الدخول في الإسلام، واستمرت النوبة تؤدي الجزية السنوية، أما المؤسسات الإدارية في الدولة الفاطمية والتي كانت تدار عبر مؤسسة الوزارة ومنها كان لا يتبع الوزير الأول، بل تدار مباشرة من قصر الخلافة ،(الخليفة) كمؤسسة الدعوة الفاطمية، ومؤسسة القضاء ومؤسسة نقابة الأشراف الطالبيين، أما إذا كان الوزير من الوزراء الأقوياء المتسلطين على الخليفة وقصر الخلافة فإنه يستولي على إدارة كل المؤسسات حتى على القضاء والدعوة، فيخضع تعيين داعي الدعاة وقاضي القضاة ونقيب الأشراف إلى سلطته، كوزارة بدر الجمالي الأرمني وولده الأفضل[٤٥]، والذي في مدة وزارته وصل إلى مصر البطريك الأرمني (غريغوريس) نحو سنة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م)، إذ أحسن بدر الجمالي والخليفة المستنصر بالله الفاطمي استقباله، يذكر أن هجرة الأرمن إلى مصر بدأت بعد أن وضع البيزنطيون أيديهم على أرمينية في أواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ومنذ وصول بدر الجمالي إلى قمة السلطة بدأ توافد الأرمن في أعداد كبيرة إلى مصر، وقد شجع التسامح الديني عند الفاطميين والخمسون عاماً التي أمضاها بدر الجمالي وولده الأفضل في الحكم هجرة الأرمن التي أخذت في التزايد إلى القاهرة ، ولقد أقام الأرمن في القاهرة في حي الحسينية خارج باب الفتوح ، وقد أقطع بدر الجمالي للأرض، طُراً جنوب الفسطاط، فجددوا فيها كنيسة (ماري جرجس)[٤٦]، ثم بنوا كنيسة أُخرى بأرض الزُهرى (بالقرب من السيدة زينب الحالية)، نهبها العامة عندما ثاروا على الأرمن عام (٥٣١هـ/١١٣٣م)[٤٧]. ولا شكَّ أن الوزراء ذوي الأصل الأرمني الذين تولوا منذ بدر الجمالي قد أحاطها أنفسهم بجنود من الأرمن، وشجعوا هجرة الأرمن لهذا الغرض حتى وزير أرمني هو (بهرام الأرمني) الذي تقدم في الخِدمة طوال خمسين عاماً حتى استقر والياً على الغربية وقاعدتها يومئذٍ (المحلة) التي سار منها إلى القاهرة، إذ استوزره الخليفة الفاطمي الحافظ[٤٨]. وبعد أن استقر (بهرام الارمني) في السلطة لم يتردد في تبني سياسة شخصية أرمنية مسيحية إلى سقوطه في نهاية الأمر، فقد سأل الخليفة الحافظ في السماح له

بإحضار إخوته وأهله من (تل باشر)، مسقط رأسه، بلاد الأرمن، فإذن له في ذلك، حتى صار منهم بالديار المصرية نحو ثلاثين ألف إنسان استطالوا على المسلمين وأصابهم منهم جور عظيم، كذلك بُني في أيامه العديد من الكنائس والأديرة حتى صار كل رئيس من الأرمن يبني له كنيسة، (وخاف أهل مصر منهم أن يغيّروا ملّة الإسلام)[٤٩] ، وفي إطار هذه السياسة أصبح أغلب ولاة الدواوين من النصارى[٥٠]وليَّ بهرام أخاه المعروف (الباساك) ولاية القوص، هي يومئذٍ أعظم ولايات مصر، فاستقوى بأخيه وتمادى في ظلم المسلمين ومصادرة أموالهم[٥١]، لم يرضَ أهل مصر وأعيانها بهذا الوضع الشاذ، ورفعوا شكايتهم إلى الحافظ، كما استدعوا (رضوان بن ولخشي) والي الغربية للقدوم عليهم وإنقاذهم من سيطرة النصارى.

فلبى رضوان طلبهم وانتصر على (بهرام) وطلب الخليفة الحافظ (بهرام)، وهكذا ظلت الساحة السياسية لرضوان بن ولخشي فاستورزه الحافظ في عام (٥٣١هـ/١١٣٧م)[٥٢].

القصر الفاطمي:

وهو عبارة عن مجموعة من الأبنية والقصور الصغيرة والقاعات والدواوين والخزائن أطلق على مجموعها (القصر) أو (القصور الزاهرة)، وتركزت في القصر الفاطمي حياة البلاط ومجالس الخليفة، ومنه كانت تخرج المواكب الاحتفالية، تميز القصر بوجود قاعة ضخمة وإيوان كبير خُصصا لجلوس الخليفة، وفيه من الذهب الأبريز الخالص مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال وإنه مرصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه[٥٣]. كانت (قاعة الذهب) مصممة على النمط المعروف بـ (الحيري والكمين والأروقة)، (الرواق) فيه مجلس الملك وهو (الصدر) و(الكُمّان) ميمنة وميسرة فيهما من يقرب إلى الخليفة من خواصه[٥٤]، واعتاد الباحثون على القول: بأنَّ هذا الطراز من البناء هو عبارة عن إيوان مصمم على شكل حرف الـ (T) اللاتيني ومدعم بغرفتين ملاصقتين واقعتين على جانبي القسم الرئيس للإيوان والممتد إلى الداخل الذي يطلق عليه (الصدر) وهو ذيل حرف (T) والجزء الذي يُرتب فيه مكان الاجتماع والمعروف بـ (المجلس)، وانتقل هذا الطراز المعروف بطراز سامراء إلى عمائر القاهرة من الفسطاط[٥٥]. ومن خلال وصف ابن الطوير لهيئة جلوس الخلفاء في المجلس بقاعة الذهب، نعرف أن الجزء الرئيس للقاعة أو (الصدر)، حيث يعقد المجلس، لم يكن من الممكن مشاهدته من الصحن إلاّ بعد فتح باب المجلس ورفع الستر الموجود عليه بإشارة من (صاحب المجلس)، ولا يتم ذلك إلاّ إذا تهيأ

جلوس الخليفة على السرير في صدر المجلس[٥٦]. وكان قصر الخلافة الفاطمية، يُدار بواسطة أساتذة محنّكين[٥٧]، منهم من يقول إنه أطلق عليهم وصف " محنّكون " لأنهم كانوا يلفون العمامة تحت أحناكهم[٥٨]، ومنهم من يرى أنَّ واحدهم أصبح أستاذاً محنكاً لذكائه، وسرعة تدرّجه في الوظيفي. كما أن أغلب أبواب القصر الفاطمي كانت تفتح على دهاليز طويلة مظلمة تقود إلى قاعات القصر أو أفنيته المختلفة، وقد ذكر المقريزي أحد هذه الدهاليز وصفه بأنه باب القصر الذي يفتح في واجهته الشمالية المقابلة لدار الوزارة الكبرى بقوله: (كان باباً مربعاً يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم إلى حيث المدرسة السابقية ودار الطواشي سابق الدين وقصر أمير سلاح وينتهي إلى ما بين القصرين)[٥٩]. ووصف ابن الطوير (يوم عرض الخيل) استعداداً لركوب أول العام وصفاً لدهليز باب الملك، حيث كانت توجد (السَّهدِلاّ) و(الشُّباك) الذي يتوصل إليهما من باب العيد، أحد أبواب القصر الكبير الذي يفتح في واجهته الشرقية ويطل على رحبة باب العيد والذي كان يخرج منه موكب الخليفة الفاطمي إلى مصلى العيدين يومي عيد الفطر وعيد النحر، ويدخل منه الوزير وكبار رجال الدولة إلى الفناء الداخلي للقصر الذي كان يتم فيه عرض الخيل عبر دهليز باب الملك[٦٠].ويصف المقريزي الأستاذين العاملين في قصر الحضرة بأنهم أصحاب الأنس للخلفاء، ولهم من الخدم ما لا يصل إليه سواهم، ومنهم زِمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وزِمام الأشراف الأقارب. وهم المطلعون على أسرار الخليفة. وكانت لهم طريقة محمودة في معاملة بعضهم البعض، منها أنّه متى ترشّح أستاذ للتحنيك، وحُنّك، حمل إليه كلّ واحد منهم بدلة من ثياب ومنديلاً وفرشاً وسيفاً، فيصبح واحداً منهم. وله ما لهم وفي أيديه ما في أيديهم[٦١] . وليس من الضروري أن يكون الموظف المراد ترفيعه إلى رتبة أستاذ أو مستشار من الفاطميين انفسهم ، فمن الممكن أن يكون مسلماً سنّياً أو نصرانياً أو يهودياً، فعلى سبيل المثال، في سنة ٤٣٥هـ، أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، ثم ترقية بعض الخدم من خدم مقوّدين إلى أستاذين محنّكين، فكان منهم معضاد ومناد ورفق، وهم من الطائفة الإسلامية المصرية، وفاتك ورجاء وسرور، ونامق وهم من النصارى المصريين[٦٢]. وكان من دوائر قصر الخلافة مديرية العلاقات العامة، وكانت محصورة باستقبال السفراء الأجانب، وسفراء ولاة وحكام الأطراف، والسهر على راحتهم وإكرامهم، وتحديد أوقات مقابلتهم للخليفة. وكان مدير المراسم بقصر الحضرة يطلق عليه لقب زِمّام القصر. وكان لا يدخل أحد على الخليفة إلاّ بإذنه وعن طريقه، حتى الوزير الأول.

ويحدثنا المقريزي عن أسباب القضاء على الراهب ابن أبي نجاح، نرى أن أحد الأستاذين المتقاعدين هو الذي أوصل أمر تسلطه على الناس إلى الخليفة الحافظ، مما يعني أنَّ الموظف حين يحال على التقاعد لا تنسى خدماته، ويبقى مكرّما مبجّلاً داخل قصر الخلافة مع كلِّ مخصصاته ورواتبه[٦٣]. أما جليس الخليفة فهو أقرب المقربين إليه يعظه ويذكّره بالأحاديث النبوية الشريفة، وما نقل من أحاديث عن الأئمة من أهل البيت وعن أجداده الخلفاء، ويجتمع إليه في أغلب أيام الأسبوع، ويوضع تحت تصرفه أستاذ محنّك، وكان له راتب شهري ومخصص على كلِّ جلسة مذاكرة عشرة دنانير، فضلاً عن البخور لكي يتطيّب به قبل دخوله على الخليفة، وله حق التوقيع على المعاملات التي ترد إلى الخليفة، كما أنَّ له فرّاشين خصوصيين ولا يدخل أحد إلى مكتبه إلاّ بأذن[٦٤]. وكان قصر الخلافة عبارة عن قصور عدّة أو جواسق متلاصقة مفتوحة وهي عشرة قصور: القصر الغربي . القصر اليافعي . قصر الذهب . قصر الأفيال . قصر الظفر . قصر الشجرة . قصر الشوك . قصر الزمرد . قصر الحريم . قصر البحر كانت كلها مفتوحة على بعضها فوق الأرض تشرف على ساحة بين القصرين وتحت الأرض عبر سراديب وأنفاق تمر بها الفيلة والبغال بكل سهولة من دون أن ينكشف المارة لمن يمر خارج هذه القصور[٦٥].

ديوان التحقق:

في سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م) استجد الأفضل ديواناً سماه (ديوان التحقيق) للإشراف على الدواوين، كان لا يتولاه إلاّ كاتب خبير ويلحق بمتولي النظر[٦٦]، وعندما تولى رضوان بن ولخشي الوزارة في سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م)، بعد عزل الوزير بهرام الأرمني، (أمر بعدم استخدام النصارى في الدواوين الكبار ولا نظاراً [٦٧]. فعيّن القاضي أبا الحسن علي بن سليم بن البواب والقاضي المرتضى بن الطرابلسي على ديوان التحقيق عِوضاً عن ابن يونس الأخرم النصراني[٦٨]. ان أحوال الدواوين بالديار المصرية كان على أنحاء مختلفة من زمن المصريين في العصر الفاطمي، فكان لهم ديوان يُعرف بـ (ديوان المجلس) وهو النظر في أموال الزكاة والجوالي بالديار المصرية جميعها. أن قضية مكافحة الغش وحماية المستهلك في أيامنا هي من صلاحيات دائرة حماية المستهلك، أي تُعدُّ هذه القضايا من الأُمور الصغيرة التي تحوّل إلى دائرة صغيرة، أو ديوان المحاسبة، إذ أطلق عليه الفاطميون ديوان المحتسب أو ديوان الحسبة. ويذكر أن (ديوان التحقيق) في العصر الفاطمي الثاني كان يسمى بالعصر الفاطمي الأول (ديوان الترتيب) وهي تعادل وظيفة (ديوان البريد)، أما عملهُ فهو أشبه بالتنسيق بين دواوين الدولة وهو الدور الذي قام به (ديوان التحقيق) في العصر

الفاطمي الثاني[٦٩]، وعلى موظفي الديوان، أن يكونوا أبرع من الخبراء في كشف التلاعب في الدفاتر والحسابات. وقد ذكر النويري أنَّ من شروط موظفي الديوان الوجاهة والنباهة والنبل والفصاحة والنزاهة والسماحة والأمانة والديانة.

لأنَّ وجودهم في الدواوين يعطيهم السيادة والصدارة، وعليهم كتم أسرار دواوينهم؛ لأنّها من أسرار الدولة[٧٠]. إنَّ ديوان التحقيق هو أعلى ديوان، وله سلطة على كلّ الدواوين ويرسل المفتشين من قبله للتفتيش على كلّ الحسابات " لا يعترض فيما يريده أحد من أرباب الدولة "، وديوان النظر هو الديوان الذي يتابع الأُمور بين كل الدواوين ويرتبط مباشرة بديوان التحقيق، وهما ديوانان في ديوان واحد[٧١]. ومن وظائفه أيضاً الإشراف على وصول مخصصات كبار الموظفين وصغارهم من ذوي الأقلام أي الموظفين، دون العسكريين، إذ يتأكد من قبضهم رواتبهم الشهرية والمنح السنوية التي كانت تصرف لهم بمناسبة الأعياد، ويتأكد من صرف كسوات الثياب الدورية لهم ولأولادهم، وما يصلهم من دار الفطرة خلال الأشهر الحرم[٧٢]. وكان كلَّ معترض يرفع اعتراضه لديوان النظر؛ لأنَّ هذه الأُمور لا تدخل في باب المحاكمات القضائية، بل تندرج تحت باب التقصير الإداري والوظيفي. كما أطلق المقريزي مصطلح ديوان المجلس على ديوان التحقيق وقال إنّه أصل الدواوين وفيه أرشيف كلّ الدواوين، وهو أحد الدواوين الملحقة بديوان النظر، الذي يرأس دواوين الأموال[٧٣]. وعندما يتحدث عن كبار الموظفين في الدولة الفاطمية يقول: " أولهم متولّي ديوان النظر، وراتبه في الشهر سبعون ديناراً ولمتولي ديوان التحقيق خمسون ديناراً ولمتولي ديوان المجلس أربعون ديناراً ولصاحب الدفتر خمسة وثلاثون ديناراً وللكاتب خمسة دنانير "[٧٤]. مما يعني أنَّ الديوان هو بالأصل ديوان النظر أو التفتيش المركزي، أما ديوانا التحقيق والمجلس فهما من المديريات الرئيسة التابعة لديوان النظر. وكلّها ينحصر عملها في التفتيش على الدواوين والسجلات والدفاتر في إدارات الدولة، ولمتولي ديوان النظر عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير، ولم يكن يتولى هذا الديوان سوى المسلمين [٧٥].

ديوان الجيش:

يُعدُّ ديوان الجيش من أهم دواوين الدولة الفاطمية لكثرة عساكرهم وتعدّد الفرق[٧٦]، وكان من شروط رئيس هذا الديوان أن يكون مسلماً[٧٧]، ويكون في خدمة نقباء الأُمراء الذين يُنهون إليه أخبار الجند من حياة وموت وصحة ومرض[٧٨]، وكان من الموظفين المسموح لهم بالدخول على الخليفة، كما كان له مكتباً داخل القصر، يقف بين يديه الحُجّاب. وكان الجنود المتطوعون الجدد

يُعْرَضون عليه، فإذا أُعجب بأحدهم وأدخله سلك الجندية، سمح له بفرس جيد. وكان بعد إدراج اسمه في سلك الخدمة، يرفع اسمه إلى قصر الحضرة فيثبت بمرسوم صادر عن الخليفة، ولا يستطيع فصله من الخدمة إلاّ بمرسوم يصدر من الخليفة. وكان من موظفي ديوان الجيش نقباء لأُمراء الفرق العسكرية، يشكّلون صلة بين قائد كلّ فرقة من فرق الجيش، وبين رئيس الديوان، ومهمّة هذا النقيب إبلاغ قائد الفرقة بأسماء المتطوعين الجدد وإلحاقهم بقطعته، ومعرفة مستجدات الجنود من حياة وموت ومرض وصحة، ورئيس ديوان الجيش هو نفسه رئيس ديوان الرواتب في الدولة كلّها[٧٩]. ومن الدواوين التي كانت تُعدُّ من أساسيات الجهاز الإداري الفاطمي، ديوان العطايا، وكانت اختصاصاته توزيع العطايا والهبات على الفقراء والمحتاجين وديوان الإقطاع، وهو مختص بتضمين الإقطاعات والأرض القابلة للزرع العائدة ملكيتها للدولة إلى الضمّانين بأجرة معينة[٨٠]. أما ديوان الإنشاء والمكاتبات، فكان مختصاً بكتابة المراسيم والسجلات والرسائل الصادرة عن قصر الخلافة ومجلس الوزير الأول، وكان هذا الديوان يسمى (ديوان الرسائل) حتى حلَّ محلاها نهائياً ابتداءً من القرن الرابع الهجري مصطلح (ديوان الإنشاء)[٨١]، ويطلق عليه أحياناً (ديوان المكاتبات)[٨٢]. وفي بداية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تألف هذا الديوان من رئيس الديوان ويقال له(متولي الديوان) أو (صاحب الديوان) وكان يُخاطب بـ " الأجل " ويلقب بـ (كاتب الدست الشريف)[٨٣]. وهناك (كاتب) ينوب عن رئيس الديوان في تلخيص ما يرد من الكتب ليسهل على الرئيس عرضها من غير إخلال بها، و(كاتب) ينشئ ما يكتب من المكاتبات هو أجلّ المستخدمين في الديوان، و(كاتب) يتولى المكاتبة عن الخليفة (الإمام) إلى الملوك المماثلين، وهو أعظم منزلة من كاتب الإنشاء وأعلى درجة، و(كاتب) يكتب مكاتبات رجال الدولة وكبرائها من الولاة والأجناد والقضاة والكُتّاب والمشارفين وإنشاء تقليدات ذوي الخدم الصغار، و(كاتب) يكتب المناشير ونحوها لا يختم والكتب اللطاف والنسخ وهو أكثر عمل الديوان يعاونه آخر يكون دونه في المنزلة، و(كاتب) مبيض يرسم الإنشاءات والسجلات والتقليدات ومكاتبات الملوك، و(ناسخ) يتولى نسخ الكتب الموجهة للملوك أو المناشير لتسلم إلى الخازن، و(كاتب متصفح) يتصفح جميع الإنشاءات ويكون على منزلة عالية من اللغة والنحو[٨٤].

ديوان الصعيد الأعلى:

وهو الديوان المخصص باستيفاء الرسوم والجبايات والخراج من منطقة الصعيد الأعلى أو من الأعمال القبلية، وإن أحد أسباب إقامة دار ضرب النقود بقوص مرتبط بتنامي النشاط الاقتصادي للمدينة، ومن أجل جباية الرسوم الجمركية على السلع المارة بها .

ديوان أسفل الأرض:

وهذا الديوان مخصص بمتابعة استيفاء رسوم وجبايات المناطق الممتدة إلى حدود النيل الأعلى ومنطقة دنقلة على حدود الحبشة والسودان وكلّ المناطق المحاذية للبحر الأحمر.

ديوان الخراج:

وهو يهتم بتحصيل الضرائب والمكوس ورسوم المرور في الموانئ الفاطمية. وتُفرض هذه الضريبة أصلاً على كل أراضي سكان البلاد الأصليين غير المسلمين، وقد عرّفها الماوردي بأنها: (حق معلوم على مساحة معلومة)[٨٥] . وكانت هناك مجموعة من الاعتبارات يجب مراعاتها عند تقدير الخراج أهمها مراعاة نوع الأرض ونوع المزروع وطريقة الري[٨٦]. ولا يجب الخراج إلاّ إذا أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فقد كان أقل حدّ للري دون خوف القحط أثنا عشر ذراعاً، كما كان يخشى من الاستبحار إذا بلغ منسوب النيل ثمانية عشر ذراعاً[٨٧]. ومعنى ذلك أن الفيضان المنخفض كان يستحيل معه ري جميع الأراضي مما يؤدي إلى نقص المحصول وعجز الدولة من جباية الخراج، كمال أن الفيضان العالي كان يؤدي إلى إغراق الأراضي وإتلاف الزرع، وفي كلتا الحالتين يُهدد البلاد القحط الذي كثيراً ما صحبهُ الوباء[٨٨]. وكان الناس إذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلاً يزداد قلقهم ويظنون أن النيل لن يوفى، فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون عن بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة،إما لطلب السعر أو لطلب إدخار قوت عيالهِ، فيحدث بهذا الغلاء، لذلك رأى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م) منع النداء بزيادة النيل وأن لا يكتب بذلك إلاّ إليه أو إلى قائده جوهر الصقلي، ولم يبح النداء إلاّ إذا تم ست عشر ذراعاً وكسرِ الخليج، وبذلك منع الناس من تخزين الغلال ورفع الأسعار[٨٩].

ديوان الجهاد:

كانت من مهمّات ووظائف هذا الديوان ضبط السفن العسكرية والمدنية العائدة للدولة، وترميمها بشكل دائم. أما المدنية فكانوا يطلقون على واحدتها: ديماس. والديماس هي السفينة الصغيرة التي يركبها الخليفة في نزهاته أو في احتفالات فتح الخليج، وأخذ مقياس ارتفاع النيل، والإشراف على الأسطول الفاطمي، وكان مقر هذا الديوان بدار الصناعة بالفسطاط[٩٠]. وكان يطلق على المرفأ الذي تلجأ إليه السفن دار الصناعة؛ لأنها مصنع للسفن ومرفأ في آنٍ واحد،

وكان من أهم واجبات ديوان الجهاد، " الاحتفال بالأساطيل واستعراض الجنود، ومواصلة إنشاء المراكب بمصر والإسكندرية ودمياط ، وكانت السفن المصنّعة في هذه الموانئ على أنواع منها:

١- الشَّلَنْديات جمع شَلَنْدي، وهو مركب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره. والمجدفون يجدفون تحتهم[٩١].
٢- الشواني جميع شيني، وهي السفينة الكبيرة مزودة بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم[٩٢].
٣- المُسَطّح، وهو يشبه الشلندي، سفينة كبيرة يسع نحو (٥٠٠) راكب.
٤- الديماس، هي السفينة الصغيرة التي يركبها الخليفة في الاحتفالات.
٥- العُشارى، نوع من المراكب الصغيرة ويستعمل من قبل ولاة الأعمال.

وكان على متولي هذا الديوان أن يشرف على إرسال السفن العسكرية للجهاد ضد الروم، ثم الصليبيين في صور وعكا وعسقلان.

ديوان الأحباس:

حين ولي قضاء مصر القاضي الأموي (توبة بن نمر) في صفر سنة(١١٥هـ/٧٣٣م) خاف على الأحباس في مصر من الهلاك والثورات عندما تكون في أيدي مستحقيها، ولما كان مال الأحباس إلى الفقراء والمساكين، فقد وجد من الأفضل أن يضع يده عليها فأفرد لها ديواناً سمي (ديوان الأحباس)، وكان القاضي يتولى الإشراف عليها[٩٣]. ويُعدُّ هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب، بل في كافة الدول الإسلامية[٩٤]. وظلَّ القضاة يتولون النظر في الأوقاف بحفظ أصولها واستثمارها وقبض ريعها وصرفه في الأوجه التي أرصدت لها، ومنذ النصف الأول للقرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كان يعين في بعض الأحباس متولٍّ للأحباس ونفقة الأيتام ، فضلاً عن مهام القاضي الأُخرى[٩٥]وأدخل الفاطميون الكثير من التنظيمات الخاصة بالوقف، فقد أمر الخليفة المعز لدين الله في ربيع الآخر سنة (٣٦٣هـ/٩٧٤م) أن تحوّل المحصلات المالية المجباة من الممتلكات الموقوفة من مَوْدع الحكم إلى بيت المال، وطالب المنتفعين بأن يُظهروا الوثائق التي تدلُّ على أحقيتهم في ريع هذه الأوقاف[٩٦]، وهذا الديوان مسؤول عن أوقاف المسلمين من جوامع ومدارس ومدافن، إذ إنَّ الفاطميين كانوا يقيمون لكلِّ جامع أو مدفن أو مدرسة دكاكين ومحلات وأراضٍ وقفاً، وتحبس إيجاراتهم عليه لكي لا يصل الوقت الذي يحتاج هذا الجامع إلى ترميم ولا يرمّم[٩٧]. ويقول ابن الطوير: إنّه لا يسمح للخدمة في هذا الديوان إلاّ لأعيان الكتّاب من المسلمين، ومن الشهود العدول " بحكم أنها معاملة دينية "[٩٨]. أما

قرّاء القرآن فلم يكونوا يتبعون ديوان الأحباس في رواتبهم عكس قومة الجوامع وخدمه. فالقرّاء كانوا يقبضون رواتبهم من قصر الخلافة مباشرة وكان يطلق عليهم اسم (قرّاء الحضرة). وقد وصفهم ابن الطوير بقوله: " كانوا يقرأون بحضرة الخليفة في مجالسه وركوبه، وفي المواكب والأعياد وغير ذلك. وكانوا يأتون في قراءتهم بآيات مناسبة للحال بأدنى ملامسة" ، وقد ألفوا ذلك وصار سهل الاستحضار عليهم. وكان ذلك يقع منهم موقع الاستحسان عند الخليفة والحاضرين "[٩٩]. ومن أهم الموظفين في الدول الفاطمية:

– النائب: وهو الذي ينوب عن صاحب الباب وأهم اختصاصاته استقبال السفراء وتوديعهم بعد قضاء حاجاتهم.

– الاسفهسلار: ضابط الارتباط بين مقدمي الجيوش وقصر الخلافة[١٠٠].

– حامل المظلة: ولا يتجاوز عدد حاملي المظلة أكثر من أربعة، وهم الذين يحملون المظلة على رأس الخليفة في المواكب[١٠١].

– حامل سيف الخليفة وحامل رمح الخليفة و حامل المذبة أو المروحة [١٠٢].

– الولاة وهم حكام الأقضية والنواحي والأقاليم والمدن الكبيرة كوالي مصر ووالي القاهرة ووالي صور أو قوص أو عسقلان.

– أُمناء الخزائن أو المستودعات. المحتسب وهو أخطر وأهم موقع داخل المجتمع المدني الفاطمي وتوسع نفوذه حتى أصبح من سلطته نواب عنه في أقاليم الدولة شأنه في ذلك شأن قاضي القضاة[١٠٣] واتخذ المحتسب المسجدين الجامعين في القاهرة والفسطاط مقراً له، فكان يجلس يوماً في الجامع الأزهر ويوماً في جامع عمرو[١٠٤]. وأمر الحاكم في يوم الجمعة ١٨ صفر سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) بقراءة سجل بتحبيس الضياع على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع، وعلى المصانع والقوّام بها وتفقه المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الأكفان لفقراء المسلمين[١٠٥]. وكان أمير الجيوش بدر الجمالي قد حبس على عقبه وقت وزارته عدداً من الفوارق عرفت بـ (الحبّس الجيوش) وظلت جميع البساتين المختصة بهذا الحبس بأيدي "أمير الجيوش " التي صارت أموال الأحباس تحمل إلى بيت المال لينفق في مصالح المسلمين[١٠٦]. وكان بالديوان ومعينان لتنظيم الاستمارات ويورد كل فهم في استمارة كل ما ورد في الرقاع والرواتب وما جبي له

من جهات مصر القبلي البحري[١٠٧]. ويذكر أن المعاملة التي يرسلها صاحب الحاجة تعرض على الخليفة فيوقع عليها ويعيلها للدرس، فتخرج إلى صاحب ديوان مجلس الخليفة فيوقع عليها ويعيدها إلى الخليفة بعد إبداء شرحه ورأيه في حل المعاملة، فيوقع عليها الخليفة ثانية بالموافقة أو الرفض وتعاد إلى صاحب الديوان فتسجل في سجل الدواوين. وكان توقيع الخليفة على المعاملة بخطّه وتوقيعه: الحمد لله رب العالمين. وكانت كلّ المعاملات وأوامر الصرف أو حوالات الدفع، لا تصرف إلاّ بتوقيع المسوؤلين عنها[١٠٨]، وكانت كلّ هذه المعاملات تحال على دائرة الأرشيف حيث تحفظ بعد تسجيل رقم صادرها أو واردها، وكان يُسمّى أمين الأرشيف، كاتب الدفتر[١٠٩]. وكان لكلِّ مؤسسة أو منشأة دفتر صادرها وأرشيفها فالقصر له أرشيفه، والمسجد الجامع العتيق يجلّد فيه البيانات التي تذاع على الناس من منبره[١١٠]. وكان كبار الموظفين يحلفون اليمين أمام الخليفة بعد تسلّمهم مرسوم التعيين، كان المسلم يحلف اليمين على القرآن والمسيحي يحلف اليمين على الإنجيل[١١١]. ومن أهم الكتب أو المكتبة العامة منها في القاهرة أربعون خزانة في قصر الخلافة[١١٢].

– مخازن السلاح، وكانت بالقصور عامرة غنية لها قيمة تاريخية كالسيف المسمى ذي الفقار وهو السيف المشهور في موقعة بدر بعد أن كان ملكاً لعربي من المشركين اسمه منبه بن الحجاج وقد آل هذا السيف إلى علي بن أبي طالب ثم الخلفاء العباسيين من بعده، ولا يعرف كيف حصل عليه الخلفاء الفاطميون[١١٣].

– مخازن السروج[١١٤].

– مخازن الخيم[١١٥].

– مخزن البنود. الأعلام والرايات[١١٦].

– دار القطرة وهي المكلّفة بتصنيع الحلويات وتوزيعها على أرباب الدولة والناس خلال الأشهر الحرم. أما مؤسسات القطاع الخاص أصحاب الدكاكين في الأسواق من خبّازين وفرّائين وتجار طروش وقصّابين وأصحاب فنادق ووكالات. وقد قال المقريزي أنه كان في مصر والقاهرة أثنان وخمسون سوقاً لا تقلّ السوق الواحدة عن اثنتي عشرة ألف دكان[١١٧].

وقد ذكر المؤرخون سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) مراتب الوظائف الإدارية أو المتعلقة بصناعة الكتابة إلى خمس عشرة مرتبة هي: (الوزارة ، والتوقيع والرسائل، والخراج، والضياع، وبيت المال، والخزائن، والنفقات، والجيش، والزمام، والبريد، والقص، والمظالم، وكتابة القضاء، وكتابة القواد والأُمراء، وكتابة المعاون[١١٨]. ويأتي على رأس الخلافة (الإدارة المركزية)، الإمام الذي عدّهُ الفاطميون وريث النبوة، فهي ظل الله في الأرض[١١٩]، وكان طبيعياً أن تتجمع كل السلطة في يدهِ، فهو يقوم بدورها في كل الأُمور، ومن يبدي رأيه في كل المسائل، ويهيمن بنفوذه على كل دقائق الأُمور التي تتعلق بالسياسة، ويستقبل رُسل الملوك، ويدير دفة الأمور الحربية[١٢٠]، وتقاسمت إدارة هذا النظام سلطات ثلاثة: إدارية وقضائية ودعائية. أما الجيش، فكان يأتمر بأوامر الإمام (الخليفة) مباشرةً واستمر هذا النظام على أن لحق بالدولة الفاطمية من أحداث متعاقبة دور في تبديل وتغيير هذه الأنظمة، ولاسيّما مع بداية ازدياد نفوذ الوزراء أرباب السيوف، ولكنها ظلت محتفظة بالخطوط العريضة لهيكل هذا النظام[١٢١]. وكان الوزير ابتداءً من عام (٣٦٨هـ/٩٧٩م) هو الذي يتولى الإشراف على السلطة الإدارية، وقاضي القضاة هو المشرف على الشؤون الدينية والتشريعية، وداعي الدعاة هو المشرف على الدعاية الفاطمية التي كانت بمثابة السلاح الأيديولوجي ، وأحياناً كانت هاتان السلطتان تجتمعان لشخص واحد[١٢٢]. ويأتي على رأس النظام الفاطمي شخصية الإمام أو الخليفة، وإذا كان تولي منصب الخليفة عند الأُمويين والعباسيين يأتي نتيجة تعيين من الخليفة السابق ومبايعة عامة، فإنَّ الإمام الفاطمي هو خليفة من سبقه بموجب الحق الإلهي ويختار من يكون وصياً للأئمة من قبله، وتنتقل الإمامة من الأب إلى الابن الأكبر، أي يجب أن تكون في الأعقاب، والشرط الوحيد اللازم توافرهُ في شخص الإمام هو " الوصية " أي " النص " عليه من الإمام السابق[١٢٣].

الخاتمة

- وجود كبار الموظفين الى جانب الخليفة الفاطمي في الحكم ومنهم القاضي الذي كان يفصل بالنزاعات بين افراد المجتمع فضلا عن اشرافه الديني على الاحباس والشؤن التشريعية .
- يعتبر داعي الدعاة هو المشرف الاعلى للدعاية الفاطمية التي كانت بمثابة السلاح الايدلوجي للفاطميين .

- رغم ان الدولة الفاطمية ورثت النظام الاداري من الدولة العباسية في مصر ادخل الفاطميون تطورات كبيره في نظمها خصوصا بعد ان تحولت من ولاية تابعة للعباسيين الى دولة كبيرة حاضرتها القاهرة المعزية.
- قسم الفاطميون مصر الى اربع اقاليم وهي اقليم القوص واقليم الشرقية واقليم الغربية واقليم الاسكندرية ، وجعلوا كل ولاية مقسمة الى مديرية او قسم وقسموا الاخيرة الى قرى او كفور.
- اهتم الفاطميون بالاسطول البحري وانشأوا دار صناعة السفن وكان لديهم انواع كثيرة من السفن العسكرية والمدنية لمواجهة اي تهديد من جانب البيزنطينين من جهة البحر.
- تميزت الدولة الفاطمية بالتسامح الديني وهاجر الكثير من الارمن الى مصر وعملوا في مناصب الدولة لاكن منهم من اخفق في عمله ومنهم من تفوق وخدم الدولة الفاطمية.

الهوامش ;

(١) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥ هـ /١٤٤١ م) ، إتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال ،(القا هرة – ١٣٦٧هـ) ، ٨٧/١؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ص ٩٧.

(٢) الأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) ، تاريخ يحيى الأنطاكي ، (بيروت –١٩٠٩م) ، ص٤٥؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ص٩٧.

(٣) م.ن، ص ٤٥١.

(٤) ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت ١٠٩٢هـ)، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، (تونس .١٣٧٨هـ)، ص ٦٥؛ المقريزي،الخطط، ١٥٩/٢؛.

(٥) ابن الصيرفي ،أبو القاسم علي بن منجب بن سلمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٩٦؛ النويري،اجمد بن عبد الوهاب (٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، تحقيق رفعت فتح الله ، (القاهرة – ١٩٥٥م) ، ٣٠١/٢٨؛ المقريزي ، الخطط ،٤٤٠/١.

(٦) ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ص ٩٢.

(٧) المقريزي، الخطط، ٤٢٦/١.

(٨) القاضي النعمان، ابو حنيفة عبد الله بن منصور بن احمد بن حيون المغربي التميمي (٣٦٣هـ /٩٧٣م) ، المجالس والمسايرات، تجقيق الحبيب الفقي واخرون (تونس – ١٩٧٨م) ٢٨٤/١؛

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق ابوالفضل ابراهيم ، (القاهرة – ١٩٦٧م) ، ص ١١٦؛ المقريزي، الخطط، ٢/٢٨٤.

(٩) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ٢/٤٧٧؛ فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص ٤١٩.

(١٠) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦- ٣٦٥هـ / ٩٠٩-٩٧٥م) ، نقله الى العربية حمادي الساحلي ، ط١ ، دار المغرب الاسلامي ، (بيروت – ١٩٩٤م) ، ص ٤٣٨.

(١١) م ن، ص ٤٣٩.

(١٣) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ١/٢٥١؛ فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص ٤٧٢.

(١٤) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٢٥؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ص ٩٢-٩٣.

(*) وهو يهودي من أهل العراق، أسلم في زمن كافور الأخشيدي، ثم هرب مستتراً إلى المغرب، حيث التقى بالخليفة المعز لدين الله، وأطلعه على ما تمر به مصر من أزمات سياسية واقتصادية، (ابن ظافر، جمال الدين ابو الحسن علي بن ابي منصور ظافر الازدي (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) ، أخبار الدول المنقطعة، (القاهرة -١٩٧٢م)، ص ١٩٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٢٣٦؛ سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر- ٢٠٠٧م) ، ص ١٣٣.

(١٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ص ١١٥؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ص ٩٢

(١٦) ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة ، (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت-١٩٠٨م) ، ص ٨١.

(١٧) السيوطي ، حسن المحاضرة، ٢/١٣٦.

(١٨) متز، آدم، الحضارة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، (القاهرة ١٩٥٧م) ، ١/٩٠-٩١.

(١٩) الأنطاكي، يحيى، تاريخ يحيى، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢٠) أبو شجاع، ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٩م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة. ١٩٦٤، ص٩٦٥.

(٢١) ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ١/٥١-٧٧.

(٢٢) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة الزاهرة ، (القاهرة – لأ . ت) ، ص ٢٧٣؛ ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن الفهري (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق ايمن سيد فؤاد ١٩٩٢م ، ص٢٣؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا ، ١٢٧/٣.

(٢٣) المقريزي، الخطط، ٤٢٦/١، ٤٨٣.

(٢٤) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) ، تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن محمد الشماع ، (البصرة – ١٩٦٩م) ، ١٣٦/٤، ١٣٧؛ القلقشندي، احمد بن عبد الله (٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤٠٧هـ / ١٩٦٦م) ، ٤٩٣/٣-٤٩٤.

(٢٥) ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٠م) ، الكامل في التاريخ، دار الطباعة ، (بيروت – ١٩٩٧م) ، ٨ /٦٢-٧٠؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢٢٨/١؛ النويري، نهاية الأرب، ١٥٥/٢٤؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (تاريخ ابن خلدون) ، (القاهرة – ١٢٧٤هـ) ، ٤٩/٤.

(٢٦) جعفر بن فلاح الكتامي، أبو علي، أحد قواد المعز الفاطمي، كان شجاعاً مظفراً، سيره المعز مع القائد جوهر لافتتاح الديار المصرية، فدخلاها، وبعثه جوهر إلى الشام، فامتلك الرملة (بفلسطين) سنة ٣٥٨هـ، ثم امتلك دمشق سنة ٣٥٩هـ، وقتله بها الحسن بن أحمد القرمطي، (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥٨/٤؛ الزركلي، خير الدين ،الأعلام،قاموس تراجم ،ط٣، (مصر – ١٩٨٢م)، ١٢٦/٢).

(٢٧) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٣/٣؛ سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٣٢.

(٢٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨٥/١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٣/٣.

(٣٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٤/٣.

(٣١) المقريزي، الخطط، ١١٨/١؛ ابن تغري بردي، ٢٩٥/٥، ٢٩٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٤/٣.

(٣٢) سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٣٣.

(٣٣) ابن ميسر، محمد بن علي بن جلب (٦٧٧هـ / ١٢٨٧م) ، تاريخ مصر، مطبعة القاهرة ،

(القاهرة – ١٩١٩م) ، ص ٦٨ .

(٣٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٦٩/١٠.

(٣٥) المقريزي، الخطط، ٤٤٥/١؛ إتعاظ الحنفا، ٩٣/٣-٩٤.

(٣٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٨٨/٣-٤٩١.

(٣٧) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٤.

(٣٨) صبح الأعشى، ٤٩٤/٣.

(٣٩) م.ن، ٣٨٠/١.

(٤٠) المقريزي، الخطط، ٤٢٦/١، ٤٨٣.

(٤١) المسبحي، أخبار مصر، ص ٣٠، ٦٨، ٨٩.

(٤٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٣/٣؛ أحمد عبد السلام ناصيف، الشرطة في مصر الإسلامية، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي . ١٩٨٧م، ص ٨٥.

(٤٣) م.ن، ٤٨٠/٣.

(٤٤) سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٣٦.

(٤٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٢-١٣.

(٤٦) ساويرس، تاريخ البطاركة، ١/٣-٢٩.

(٤٧) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٤٦؛ ساويرس، تاريخ بطاركة الكنيسة، ١/٣-٣٣.

(٤٨) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٢٢-١٢٣؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ص ١٥٦.

(٤٩) النويري، نهاية الأرب، ٣٠١/٢٨-٣٠٢؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٥٩/٢.

(٥٠) أهم من تولى الدواوين من النصارى في زمن بهرام، هو صنيعة الخلافة (أبو الكرم الأخرم بن أبي زكريا النصراني)، (ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠-٧٩؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٢٩؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٦٥/٣، ١٨٤).

(٥١) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٥؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٦٥/٣.

(٥٢) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٨٠.

(٥٣) المقريزي، الخطط، ٣٨٥/١.

(٥٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت . ١٩٦٦م . ١٩٧٩م)، ٦/٥.

(٥٥) المسبحي، أخبار مصر، ص ٢٨، ٣٦.

(٥٦) نزهة المقلتين، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٥٧) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١، ٨٤، ٢١٠.

(٥٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٧٧/٣.

(٥٩) الخطط، ٤٣٤/١.

(٦٠) نزهة المقلتين، ص ٥٧، ١٥٤.

(٦١) المقريزي، الخطط، ٢٨٥-٢٨٧.

(٦٢) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٤٦؛ ساويرس، تاريخ البطاركة، ٢٩/٣، ٣١؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٦٥/٣.

(٦٣) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٧٥.

(٦٤) المسبحي، أخبار مصر، ص ٤-٢٤.

(٦٥) ابن المأمون، جمال الدين ابو علي موسى (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) ، أخبار مصر، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، (المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية – ١٩٨٣م) ، ٦/٥، ١٦.

(٦٦) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨١.

(٦٧) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٦٣/٣.

(٦٨) م.ن، ١٦٥/٣.

(٦٩) سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٤٨.

(٧٠) النويري ، نهاية الأرب، ٢٧١/٢٨-٢٨١.

(٧١) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٦٠/٣-١٦٥.

(٧٢) سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢١٦-٢٢٠.

(٧٣) إتعاظ الحنفا، ٣/ ٣٤٠.

(٧٤) المخزومي، أبو الحسين علي بن أبي عمرو عثمان بن يوسف (ت ٥٨٥هـ/١١٨٩م)، المنهاج في علم خراج مصر، (القاهرة. ١٩٨٦م)، ص ٦٩، ٧٠، ٧٢.

(٧٥) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٢.

(٧٦) المقريزي، الخطط، ١٤/٢.

(٧٧) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٢.

(٧٨) ابن مماتي، القاضي الوزير شرف الدين أبو المكارم الأسعد (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق، عزيز سوريال، (القاهرة. ١٩٤٣م)، ص ٢٩٨-٣٠٠.

(٧٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٥٦/٣.

(٨٠) المقريزي، الخطط، ١٩/٢، إتعاظ الحنفا، ٣١٤/٣.

(٨١) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٠٣/١.

(٨٢) علي بن خلف، أبو المحاسن بن علي بن عبد الوهاب (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، مواد البيان، تحقيق: حسين عبد اللطيف، (طرابلس . ١٩٨٢م)، ص ٧٥، ٧٦؛ ابن المأمون، أخبار، ص ٢٧، ٥٢، ١٠٣؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٤٥، ٥٢، ٥٦؛ المقريزي، إتعاظ، ١٩٤/٣.

(٨٣) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١١٢؛ المقريزي، الخطط، ٤٠٢/١.

(٨٤) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٤٥؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ٣١٨/٢.

(٨٥) علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، الأحكام السلطانية، (القاهرة – ١٩٦٦م) ،ص ١٣٧.

(٨٦) النويري، نهاية الأرب، ٢٤٦/٨-٢٤٧.

(٨٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٩٥/٣؛ المقريزي، الخطط، ٥٨/١-٥٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٥٤/١.

(٨٨) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١١٢/٢، ١٧٥؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ١٦٣.

(٨٩) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٦٠؛ المقريزي، الخطط، ٦١/١؛ إتعاظ، ١٣٨/١.

(٩٠) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٥-٩٤؛ المقريزي، الخطط، ٤٨٣/١.

(٩١) درويش التخيلي، السفن الإسلامية، (جامعة الإسكندرية . ١٩٧٤م)، ص ٨٣-٨٥.

(٩٢) م.ن، ص ٧٨-٨١.

(٩٣) ابن حجر، رفع الإصر، ١٦١/١.

(٩٤) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٤٨.

(٩٥) م ،ن، ص ٤٨، ٤٩، ٥١.

(٩٦) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٤٨/١؛ محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣/١٢٥-١٥١٧، (القاهرة. ١٩٨٠م)، ص ٤٨.

(٩٧) المقريزي، الخطط، ٢٩٣/٢.

(٩٨) نزهة المقلتين، ص ١١٩.

(٩٩) المقريزي، الخطط، ٢٩٥/٢-٢٩٦.

(١٠٠) المخزومي، ثقة الثقات ابو الحسين علي بن ابي عمرو عثمان بن يوسف (ت٥٨٥هـ/١١٨٩م) ، المنهاج في علم خراج مصر،(القاهرة -١٩٨٦م)، ص ٧١؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٧٨/٣/ ٤٧٩.

(١٠١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٧٦/٣.

(١٠٢) م.ن، ٤٨٩/٣-٤٨١.

(١٠٣) المقريزي، الخطط، ٤٦٣/١.

(١٠٤) م.ن، ٢٨٥/٢، ٣٤١.

(١٠٥) م ، ن ، ٢٩٥/٢، ٤٠٩.

(١٠٦) م.ن، ١١٠/١، ١٢٩، ٤٨٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٨٢/٦.

(١٠٧) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٠٠-١٠١؛ المقريزي، الخطط، ٢٩٥/٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٠/٣.

(١٠٨) الخطط، ٤٧٢/١.

(١٠٩) م.ن، ٤٥٠/١.

(١١٠) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ١٠٤/٣.

(١١١) المقريزي، الخطط ، ١١٦/٣.

(١١٢) ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصري، (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقسق ايمن فؤاد سيد ، (بيروت – ١٩٩٦م)، ص ١٤٣-١٥٠؛ المقريزي، الخطط، ٤٥٩/١و ٢٧٢/٢ .

(١١٣) زكي محمد حسن، الكنوز الفاطمية، ص ٦٣.

(١١٤) المقريزي، الخطط، ٤١٨/١.

(١١٥) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٥٠.

(١١٦) المقريزي، الخطط، ١/ ٤٢٥.

(١١٧) المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة – ١٩٤٠م) ، ص ٧٢-٧٣.

(١١٨) علي بن خلف، مواد البيان/ ص ٧٠-٨٨.

(١١٩) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٧-٥٢؛ المقريزي، الخطط، ٢/٥.

(١٢٠) ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ص ٧٢.

(١٢١) سيد، أمين فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣١٦.

(١٢٢) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٢٦.

(١٢٣) ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم، ١/٥١-٧٧.

الارهاب الاحمر

دراسة تاريخية للجنة الاستثنائية لعموم روسيا(الـ تشيكا)١٩١٧-١٩٢٢

Red terror
Historical study of the Extraordinary Committee of the All-Russian (The Cheka)
1922-1917

أ.م.د. ايناس سعدي عبدالله

استاذ التاريخ الحديث المساعد

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

الارهاب الاحمر دراسة تاريخية للجنة الاستثنائية لعموم روسيا(الـ تشيكا) ١٩١٧-١٩٢٢

أ.م.د. ايناس سعدي عبدالله

الملخص.

ان الارهاب فكرة متأصلة في الاحزاب الاشتراكية منذ ظهورها في القرن التاسع عشر، وقد سعى لينين والبلاشفة بعد استلامهم للسلطة الى تشكيل قوتين داخلتين من اجل احكام قبضتهم السياسية الاولى استبدال المحاكم الروسية بالمحاكم الشعبية والثورية؛ والثانية فهي تشكيل جهاز قمعي للقوى المضادة للثورة تعرف باسم اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا (الـ تشيكا). وقد تمثلت اعمال البلاشفة الارهابية في جوانب عدة مثل الاعدامات والرهائن والاعتقالات تعدى الامر كذلك على مصادرة الممتلكات أيضاً.

Abstract

Terrorism has been an inherent idea in socialist parties since its emergence in the 19th century, After assuming power, Lenin and the Bolsheviks sought to form two internal forces to tighten their political grip, The first is to replace the Russian courts with the popular and revolutionary courts; The second is the formation of a repressive apparatus of counter-revolutionary forces known as the All-Russian Special Committee (the Chika). The terrorist acts of the Bolsheviks were in many respects such as executions, hostages and arrests, as well as the confiscation of property.

- **اصول الارهاب في الفكر الاشتراكي.**

كان الارهاب احدى الافكار المتأصلة في الاحزاب الاشتراكية منذ ظهورها في القرن التاسع عشر، وان اول الحركات الثورية الاشتراكية التي ارتبطت بالعنف والارهاب كانت حركة الشعبيين(الناروديون)، وكان الناروديون مثقفين راديكاليين، وعرفوا باسم النخبة المثقفة، ورفضوا الانخراط في صفوف طبقتي النبلاء والمثقفين. وكانت النظرية الثورية للشعبيين تقوم على ان الرأسمالية لن تتطور في روسيا كما تطورت في اوروبا الغربية، وان روسيا تسير على طريق خاص يميزها عن البلدان الاخرى، ومن ثم عدوا الفلاحين، وليس العمال هم

الطبقة الثورية الرئيسة، وكان يحلمون بالانتقال الى الاشتراكية عن طريق المشاعة الشيوعية، وامنوا بثورة الفلاحين دون ثورة البروليتارية. وكانت ابرز منظمات النارديون هي: زميليا اي فوليا وتعني: الارض والحرية، وقد انقسمت الى فريقين هما انصار ميخائيل باكونين(Mikhail Bakunin)(١٨١٤-١٨٧٦) وهو ضابط في الجيش الروسي، ينتمي لطبقة النبلاء، ثم تحول الى ثوري، واعتقل بين(١٨٥١-١٨٦١)، وكان قد درس في المانيا، وتأثر بفلسفة هيغل، ثم هرب الى باريس، واعتنق افكار الفوضويين[١]. وكان باكونين يدعو الى التخلص من قيود الدولة، والعائلة، والدين، لان هذه القيود الثلاثة في نظره استعبدت البشرية، ولا يمكن التخلص منها الا بالثورة. وكان باكونين يعتقد ان الفلاحين يمثلون قوة ثورية لن تتوانى عن الاطاحة بالدولة واستبدالها بعصابات فوضوية. اما الفريق الثاني فكانوا من انصار ب. ل. لاڤروف(*Pyotr* Lavrovich *Lavrov*)(١٨٢٣-١٩٠١) وهو كولونيل سابق بالجيش، وصديق ومترجم لماركس في منفاه عام ١٨٧٠، وكان لاڤروف واتباعه يعتقدون ان من اجل ان تبدأ ثورة شعبية لابد من اثارة القلاقل داخل صفوف الحكومة اولا، اي رأوا الالتجاء الى الارهاب الفردي والاغتيالات لممثلي السلطة على امل اجبار القيصرية على تغيير سياستها. ففي عام ١٨٧٨ قامت فيرا زاسوليتش(*Vera* Ivanovna *Zasulich*)(١٨٥١-١٩١٩) بإطلاق الرصاص على عمدة بطرسبورغ الذي كان يدعى تريبوف(Fyodor Trepov)، وذلك عقب اصداره امرا بجلد احد الطلبة النارودينيين. وفي عام ١٨٧٩ حدث انشقاق بين انصار المنظمة بسبب سياسة الارهاب الفردي التي اتبعها انصار لاڤروف، لذا قامت منظمتين منفصلتين هما نارودنايا ڤوليا التي تعني حرية الشعب التي انتهجت اسلوب القيام بعمليات ارهابية ضد موظفي الحكومة والقيصر ذاته. اما المنظمة الثانية فعرفت باسم كورني بيردل اي التقسيم الاسود ، والذي كان يطالب بإعطاء نصيب متساوية من الاراضي للفلاحين، وقد رفض قائداها بيلخانوف[٢]، واكسيلورد[٣]، الارهاب كسلاح للإصلاح السياسي. وقد قامت منظمة نارودنايا ڤوليا بخمس محاولات فاشلة لاغتيال القيصر الكسندر الثاني، وفي عام ١٨٨١ تمكنت من اغتياله، فتعرضت لمطاردات الحكومة القيصرية المستمرة، واحكام الاعدام، حتى سحقت هذه المنظمة بشكل كامل. بعدها تخلى الشعبيون عن النضال الثوري، واصبح الجيل الثاني منهم

يتزلف للحكم المطلق، وغير اسمهم الى الشعبيين الليبراليين[٤]. في عام ١٩٠١ ازدهرت النارودية ثانية بين اوساط نخبة المثقفين تحت اسم الحزب الاشتراكي الثوري الذي عرف اختصارا باسم(SR)، وكان ذلك الحزب يتألف من نخبة من المثقفين الارهابيين، الذين يأملون في قيادة حزب موحد يضم بين صفوفه العمال والفلاحين والطبقة البرجوازية الحضرية الصغرى. وقد اكد هذا الحزب على تطبيق الماركسية وتكييفها لحياة الفلاح الروسي، وذلك بتوزيع الاراضي على الفلاحين بعد تأميمها، واستغلالها من قبل المزارعين. وقد قامت الشرطة السرية الروسية بزرع عملائها السريين داخل كافة الاحزاب الثورية، وكان (يفنو ازيف)(Yevno Azeff) زعيم الحزب الاشتراكي الثوري عميلاً سرياً للشرطة التي قامت بتجنيده بعد حصولها على موافقة وزير الداخلية (ڤياتشيسلاف ڤون پيليڤي)(Vycheslav Von Plehve). وفي تموز ١٩٠٤، لقي پيليڤي مصرعه في عملية تفجير قام بها احد اعضاء الحزب الاشتراكي الثوري وكانت من تخطيط ازيف نفسه[٥].

اما الحركة الاشتراكية الثانية التي آمنت بالإرهاب فكانت الماركسية، وقد اكد كارل ماركس على مفهوم الارهاب الثوري في كتابه: "النضال الطبقي في فرنسا"، الذي اشار فيه قائلاً: "لقد رأينا خطوة فخطوة كيف اخذ الفلاحون، وصغار البورجوازيين، والفئات المتوسطة في المجتمع على العموم، يقفون الى جانب البروليتارية، وكيف وصلوا الى حد التنافر السافر مع الجمهورية الرسمية، وعاملوهم كما يعاملون الاعداء. ان الاستياء على ديكتاتورية البرجوازية، والحاجة الى تحويل المجتمع، والحفاظ على المؤسسات الجمهورية الديموقراطية بوصفها أداة هذا التحول، والتلاحم حول البروليتارية بوصفها القوة الثورية الحاسمة؛ هذه هي السمات العامة التي تصف ما يسمى: حزب الديموقراطية الاجتماعية، اي حزب الجمهورية الحمراء. ان حزب الفوضى، هذا، كما نعته خصومه، هو ائتلاف بين مصالح مختلفة، مثله مثل حزب النظام؛ من اصغر اصلاح للاضطراب الاجتماعي القديم، الى الاطاحة بالنظام الاجتماعي القديم؛ ومن الليبرالية البرجوازية الى الارهاب الثوري؛ بقدر ما يشكل هذا من فارق شاسع يفصل بين الطرفين اللذين يشكلان نقطة انطلاق ونقطة نهاية لحزب الفوضى"[٦]. وهكذا يمكن ان نلاحظ انه لم ينكر اي حزب ثوري في روسيا مفهوم الارهاب؛ لكن مع ذلك يمكن ان نوضح الفرق بين الاشتراكيين الثوريين والديموقراطيين الاجتماعيين

حـول مفهـوم الارهـاب، فالاشـتراكيين الثـوريين اعتقـدوا بالإرهـاب الفـردي، فـي حـين كـان الديموقراطيين الاجتماعيين يؤمنون بالإرهاب الثوري.

كان البلاشفة من ضمن القوى الاشتراكية الذين اكدوا على الإرهاب، على الرغم من ان كتابات لينين السابقة لثورة ١٩١٧ لم تذكر سوى القليلة عن الارهاب، لكنه تحدث في وقت مبكر منذ اعقاب ثورة ١٩٠٥ ان استخدام الارهاب مسألة حتمية لتسوية الحسابات مع القيصرية(٧).

- **الارهاب البلشفي وبروز الـ تشيكا(اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا).**

❖ **اولاً: انشاء الـ تشيكا.**

بعد اندلاع ثورة اكتوبر ١٩١٧ ونجاحها واجه البلاشفة عدة قوى مضادة لهم، نتاج استلامهم للسلطة، بعضها تمثل قوى اشتراكية معادية لهم، اطلقوا على انفسهم اسم لجنة انقاذ الوطن والثورة، وهي لجنة عامة ضمت ممثلين عن: مجلس الدوما البلدي لـ بيتروگراد، والمجلس المؤقت للجمهورية الروسية، واللجنة التنفيذية المركزية لـ سوڤييتات نواب الفلاحين، واللجنة التنفيذية المركزية لـ سوڤييتات نواب العمال والجنود، وجماعات الجبهات؛ وممثلي مؤتمر السوڤييتات الثاني لنواب العمال والجنود، وكتل الاشتراكيين الثوريين، والاشتراكيين الديموقراطيين(المناشفة)، والاشتراكيين الشعبيين وغيرهم؛ وهذا يشير الى مدى المعارضة الواسعة التي كانت تواجه البلاشفة. وقد وجهت لجنة انقاذ الثورة والوطن نداءً للشعب الروسي جاء فيه:

"في ٢٥ تشرين الاول قام بلاشفة بيتروگراد خلافاً لإرادة الشعب الثوري وعلى نحو اجرامي باعتقال عدد من اعضاء الحكومة المؤقتة، وحلوا مجلس الجمهورية الروسية المؤقت، واعلنوا سلطة غير شرعية. ان ارتكاب مثل هذا العنف ضد حكومة روسيا الثورية في ايام يخيم اوج الخطر على الوطن من جانب عدونا هو جريمة ضد الشعب لم يُسمع لها مثيل من قبل. ان فتنة البلاشفة تُنزل ضربة قاتلة بقضية الدفاع ويرجى الصلح الذي يتمناه الجميع. والحرب الاهلية التي بدأها البلاشفة تهدد بإلقاء البلاد في اهوال لا توصف من الفوضى والثورة المضادة وبنسف الجمعية التأسيسية التي ينبغي ان تدعم النظام الجمهوري وان تؤمن الأرض للشعب الى الأبد. ان لجنة عامة روسيا لإنقاذ الوطن والثورة، اذ تحافظ على استمرار سلطة

الدولة الوحيدة، تأخذ على عاتقها زمام المبادرة بتشكيل حكومة مؤقتة جديدة تتولى، بالاستناد الى قوى الديموقراطية، قيادة البلاد الى قيام الجمعية التأسيسية وانقاذها من الثورة المضادة ومن الفوضى. ان لجنة عامة روسيا لإنقاذ الوطن والثورة تدعوكم، ايها المواطنون: لا تعترفوا بسلطة اهل العنف؛ لا تنفذوا اوامرهم: هبوا للدفاع عن الوطن والثورة؛ ساندوا لجنة عامة روسيا لإنقاذ الوطن والثورة"[٨]. وهكذا نلاحظ ان اعداء البلاشفة يطلقون عليهم اسم المضادة وهو المصطلح ذاته الذي سيطلقه البلاشفة على خصومهم ايضاً. والبعض الآخر من المعادين للبلاشفة هم جنرالات الجيش السابق والذين قادوا ما يعرف باسم الجيش الابيض[٩]، والذين دخلوا في صراع مسلح مع البلاشفة، عرف باسم الحرب الاهلية الروسية[١٠]. لذا لا يمكن للبلاشفة ان يحكموا سيطرتهم على الدولة من غير الانفراد بالسلطة، وكان لينين، وكما اقترح بقوة في كتاباته الاخيرة، يشير دوماً الى سحق الجهود المضادة للثورة التي تقودها الطبقات القديمة عن طريق الديكتاتورية الجديدة(الدكتاتورية البروليتارية) التي عليها ان تُنشأ اجهزة قاسية قابلة للمقارنة مع وظيفة الشرطة السرية القيصرية السابقة(اوخرانا)[١١].

ومن اجل تحقيق لينين غايته، اي احكام سيطرة البلاشفة قبضتها على روسيا قام بخطوتين مهمتين الاولى في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧ عندما قام باستبدال المحاكم الروسية بالمحاكم الشعبية والثورية، والاولى كانت تتعامل مع القضايا الجنائية، والثانية كانت تخص الجرائم المعادية للثورة[١٢]؛ اما الخطوة الثانية الاهم، فهي تشكيل جهاز قمعي للقوى المضادة، فقد ارسل لينين رسالة الى دزيرجينسكي، وهو ثوري متمرس من اصل بولندي، الذي كان مسؤولاً عن الامن بوصفه القائد العسكري لمعهد سمولني(مركز انطلاق الثورة)، بناءً على تقرير سابق كان قد ارسله الاخير الى لينين حول مكافحة المخربين واعداء الثورة وجاء في الرسالة: "حول مكافحة اعداء الثورة والمخربين": "تبذل البرجوازية وكبار الملاك وكل الطبقات الغنية جهودا مضنية لتقويض الثورة المدعوة لحماية مصالح العمال والكادحين والجماهير المستغلة . ان البرجوازية تقدم على ارتكاب ابشع الجرائم برشوة نفايات المجتمع والعناصر الوضيعة ، فيما تلعب بعقولهم بغية تنفيذ اهدافها . ويقوم انصار البرجوازية ولا سيما من الموظفين الكبار والعاملين في البنوك وغيرهم بالامتناع عن العمل وتنظيم الاضرابات بغية تقويض الحكومة في شخص اجراءاتها الرامية الى تحقيق التحولات

الاشتراكية ويبلغ الامر الى حد التخريب الغذائي الذي يهدد بتجويع ملايين البشر . ينبغي اتخاذ اجراءات عاجلة لمكافحة اعداء الثورة"[١٣]. وبعد موافقة لينين قدم دزيرجينسكي تقريره الى مجلس مفوضي الشعب تضمن ما يلي: "ان ثورتنا تتعرض لخطر واضح! يجري تنظيم قوي الخصوم . لا يقتصر نشاط اعداء الثورة على پيتروگراد، على قلبنا الخفاق، بل ويتعداها ليشمل سائر البلاد . لقد حتمت ظروف استثنائية تشكيل لجنتنا، ولذا ارجو ان يعكس اسمها ذلك. ينبغي لنا ان نرسل الى هذه الجبهة التي تعد اخطر الجبهات واكثرها وعورة، اشد الرفاق حسما وصلابة واستعدادا للفداء دفاعا عن مكتسبات الثورة!". انتهى دزيرجينسكي من تلاوة تقريره، ولم يعارض احد، ليتم اقرار المشروع، وسجل امين الجلسة في اجتماع مجلس مفوضي الشعب بتاريخ ٧ كانون الاول ١٩١٧ ما يلي : تقرر[١٤]:

- تسمية اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا(تيشكا) لدى مجلس مفوضي الشعب لمكافحة الثورة المضادة والتخريب، واقرارها.
- مهام اللجنة:

١-سحق كل المحاولات والاعمال التخريبية المعادية للثورة في كل انحاء روسيا أيا كان مرتكبها.

٢- تقديم كل المخربين والمعادين للثورة الى محكمة ثورية واعداد الاجراءات الخاصة بمكافحتهم.

٣-تقتصر اعمال اللجنة على التحقيقات المبدئية نظرا لأهمية ذلك بالنسبة للمكافحة.

٤- تتشكل اللجنة من الاقسام التالية : قسم الاعلام -قسم التنظيم (لتنظيم مكافحة الثورة المضادة في كل انحاء روسيا والاقسام الفرعية) ،قسم المكافحة .

- الاجراءات: المصادرة ، الطرد ، سحب البطاقات التموينية ، نشر قوائم بأسماء اعداء الشعب.....الخ".

هكذا انبثقت الـ تيشكا(Cheka)(وهي كلمة مختصر عن اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا)(Extraordinary Committee of the All-Russian) بالأصل من (اللجنة العسكرية الثورية) التابعة لـ سوڤييت پيتروگراد التي اعدت وادارت فعليا ثورة اكتوبر، وبعد ان تم النصر للثورة، وحُلت اللجنة العسكرية الثورية نهائيا ظل القطاع قائماً واصبحت الـ تشيكا

تابعة للجنة التنفيذية المركزية، وتم استكمال تشكيل اللجنة الاستثنائية بمساعدة اللجنة المركزية، وكان عمادها الرئيس من البلاشفة الذي قادوا ثورة اكتوبر، والاعضاء السابقين للجنة بيتروگراد الثورية العسكرية؛ وكانت الـ تيشكا تشرف على عدة عمليات قصد منها دعم النصر الذي تحقق بفعل ثورة اكتوبر من جانب، ومقاومة الثورة المضادة لأنصار العهد السابق من جانب اخر، بما في ذلك جرائم التخريب، واخفاء مواد التموين، وتعطيل نقل الشحنات عمداً، كذلك من مهماتها السيطرة على اعمال اللصوصية، والسرقة، ونهب محلات بيع الخمور التي برزت بعد ثورة اكتوبر، وكان من اختصاصاتها استجواب المشبوهين المعتقلين بتهمة النشاط المضاد للثورة، من مسؤولي النظام القديم، والحكومة المؤقتة التي ظهرت بعد ثورة شباط، واعضاء الاحزاب السياسية المعارضة؛ واصبحت تحت قيادة دزيرجينسكي، الذي اعتمدت عليه الحكومة البلشفية اكثر فأكثر من اجل حماية الثورة، وكانت الـ تشيكا مؤلفة من ثمانية اعضاء كما شكلت لجان محلية على غرارها[١٥]؛ لكن بشكل عام كان افراد الـ تشيكا يتألفون الى حد كبير من الضباط الاميين، ليس فقط في اول تأسيسها لكن بشكل عام حتى في السنوات اللاحقة[١٦].

❖ **ثانياً: الاعمال الاولى للتشيكا.**

بدأت اللجنة الاستثنائية عملها كجهاز تحقيق صغير بعدد قليل من الموظفين لا يتعدى عشرين فرداً، لذا كان رئيس الـ تيشكا واعضاء هيئة الادارة يضطرون الى القيام بأنفسهم بحملات التفتيش والاعتقال واستجواب المعتقلين؛ وسرعان ما مُنح لهم لاحقاً صلاحيات تعذيب السجناء لإجبارهم على تقديم الاعترافات، وتنفيذ عمليات الاعدام بإجراءات موجزة؛ ولم يكن ممكناً في ظل هذا العدد الضئيل توزيع وتحديد الاختصاصات، وكانت العاملة البلشفية باشا بوتيلوڤا اول فتاة تلتحق بالـ تيشكا، حيث عملت سكرتيرة وامينة سر، وحين كان يتطلب الامر، كانت تقوم بالتفتيش، وبالتحقيق في قضايا المضاربة[١٧].

كان من اول اعمال الـ تيشكا انها اصدرت خطاباً دورياً الى الـ سوفييتات المحلية لإبلاغها بأنها أُنشئت ومطالبتها بأن ترسل اليها كل المعلومات عن التنظيمات والاشخاص الذين يقومون بنشاط ضد الثورة والسلطة الشعبية، وتقترح عليها ان ينشئ كل منها لجان محلية مماثلة، وبعد بضع ايام صدر مرسوم اخر بأنشاء محكمة ثورية لمحاكمة لأولئك

الـذين ينظمـون تمـردات ضـد سـلطة حكومـة العمـال والفلاحـين، والـذين يعارضـونها او لا يطيعونها بنشاط ايجابي، او الذين يحثون الاخرين على معارضتها او عدم طاعتها، وكذلك المـوظفين المتهمـين بتخريـب الممتلكـات العامـة او تـدميرها او إخفائهـا، وتتحـدد المحكمـة العقوبات تبعا لظروف كل حالة ومقتضيات الضمير الثوري[١٨].

ان انـدلاع الحـرب الاهليـة زاد عـبء الـ تشيكا فـي مطـاردة انصـار العهـد السـابق، ويتضح ذلك من وثيقة اشار فيها احد ضباط الـ تيشكا وهو ياكوف خريستوفوروفيتش پيتيرز الـذي خاطـب دزيرجينسـكي قـائلاً: "قبضـنا فـي المقهـى الكـائن عنـد ناصـية نيفسـكي ونيكولايفسكايا على ٥٠ ضابطاً جندهم ممثل الجنرال كاليدين(احد جنرالات الجيش الابيض) الملقب بالنسر، لإرسالهم الى الدون للانضمام الى الجيش الابيض"؛ وكانت الـ تشيكا تُلقي القـبض يوميـاً علـى الضـباط الفـارين فـرادى وجماعـات مـن بيتروگـراد الـى اطـراف الـبلاد للانضـمام الـى الجنـرالين المتمـردين كالـدين وكورنيلـوف[١٩]. فـي الوقـت نفسـه كـان علـى الـ تشيكا ان تراقب المؤامرات الداخلية التي تنفذها الاحزاب المضادة للبلاشفة، كما حدث عندما شكل حزب الكاديت بالتعاون مع المناشفة والاشتراكيين الثوريين اليمينيين اتحاد الدفاع عن الجمعية التأسيسية؛ وكان هؤلاء يعتزمون عند افتتاح الجمعية التأسيسية إثارة التمرد المسلح والقبض على اعضاء مجلس مفوضي الشعب وتسليم السلطة للجمعية التأسيسية؛ ونتيجة لذلك اوكل مجلس مفوضي الشعب الى الـ تيشكا في ١٨ كانون الاول ١٩١٧ مهمة اعتقال كل اعضاء اتحاد الدفاع عن الجمعية التأسيسية بغية احباط خطط المتآمرين؛ وقد تم تنفيذ المهمة دون ابطاء، غير ان مفوض الشعب للعدل، الاشتراكي الثوري اليساري شتينبيرگ قام بالأفراج عن المعتقلين في الليلة نفسها اعتماداً على ان السجون كانت تخضع لإشرافه. لكن دزيرجينسكي طعن في تصرف شتينبيرگ امام مجلس مفوضي الشعب. وفي ١٩ كانون الاول اصدر مجلس مفوضي الشعب قراراً يقضي: "بأنه لا يجوز بأي شكل تغيير قرارات لجنة دزيرجينسكي أو اللجان الاخرى التي شكلتها السوڤييتات، إلا عن طريق مجلس مفوضي الشعب، وليس بناءً على تعليمات فردية من مفوض الشعب للعدل". عندئذ قررت اللجنة المركزية لحزب الاشتراكيين الثوريين اليساريين ارسال اربعة اشخاص برئاسة الكسندروڤيتش للعمل في الـ تيشكا، وقد توجه الاخير الى الـ تشيكا، لكنه سرعان ما عاد

ليقول ان دزيرجينسكي رفض قبولهم للعمل في اللجنة، وعندما سأله شتينبيرگ عن السبب قال دزيرجينسكي: "ان اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا تتبع مجلس مفوضي الشعب وان المجلس، وليست الاحزاب، هو الذي يعين اعضاءها". عند ذاك اعلنت سبيريدونوڤا زعيمة حزب الاشتراكيين الثوريين اليساريين: "اذن فلنذهب الى مجلس مفوضي الشعب، ونطالب باشتراكنا في اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا". وقد وافق مجلس مفوضي الشعب على ضم ممثلي حزب الاشتراكيين الثوريين اليساريين الى هيئة ادارة الـ تشيكا على شرط ان يكونوا من اعضاء اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا. وبعد اعتماد مجلس مفوضي الشعب جرى تعيين الكسندروڤيتش نائباً لرئيس الـ تشيكا، كما ضمت هيئة ادارة اللجنة سبعة من الاشتراكيين الثوريين اليساريين(٢٠).

بحلول كانون الثاني ١٩١٨ كان الوضع في روسيا مفزعاً بالفعل من جراء الحرب الاهلية، اذ كانت جيوش القوزاق والقوات البيض الأخرى يسيطرون على جنوب شرق روسيا؛ في الوقت نفسه كان ثمة جيش ابيض من المتطوعين يحتشد على الدون؛ وكانت اوكرانيا، ومن ورائها الوعود الفرنسية والبريطانية تدفعها، في حالة عداء صريح ضد السلطة السوڤييتية؛ وكان الالمان يمثلون خطراً ماثلاً في الغرب رغم الهدنة الموقعة معهم، اذ كانوا يهددون باحتلال پيتروگراد والزحف نحو موسكو؛ وكان الحمر والبيض في فنلندا ملتحمين في صراع عنيف. ونتيجة ذلك كان اول تطبيق للعمل الاجباري على النساء والرجال من البرجوازيين خلال هذه الفترة الذين ارسلوا لحفر الخنادق للدفاع عن العاصمة ضد الالمان. وقد كتب لينين مقالة في كانون الثاني ١٩١٨ لكن لم تنشر وجدت بين اوراقه فيما بعد شدد فيها على الدور الذي يجب ان يضطلع به العمال والفلاحون في حقل الانتاج، وفي تنظيم المحاسبة والرقابة اللتين: "يمكن للشعب فقط ان يمارسها"، ويعلن: "الحرب حتى الموت على الاغنياء والتابعين لهم، والمثقفين البرجوازيين....حرباً على المتشردين، والكسالى والمشاكسين"، ويضيف ان آلافاً من الاشكال والطرق العلمية لمحاسبة الاغنياء، والمتشردين، والكسالى ومراقبتهم، يجب ان تقوم البلديات ذاتها ووحدات صغيرة في المدن والارياف باستنباطها واختبارها عملياً، وان التنوع ضمانة للفاعلية هنا، انه العهد بالنجاح في انجاز

الهدف المشترك الوحيد- تنظيف ارض روسيا من جميع الضارين، من البراغيث- المتشردين، من البعوض-الاغنياء، وكل من شاكلتهم؛ ودعا لينين الى عدة اجراءات منها:

١. وضع عشرة من الاثرياء في السجن، ومعهم اثنا عشر من المحتالين، وستة من العمال الذين يتهربون من العمل.

٢. قتل واحد من كل عشرة من المتلكئين بلا عمل حينما يوجدون.

لكنه وبسبب الصراع ضد تخزين المواد الغذائية اعلن انه: "لن يتحقق شيء حتى نستخدم الارهاب-بأطلاق النار حيثما يكونون-على المضاربين"، وبعد ذلك بستة اشهر كان لايزال يطالب: "بألقاء القبض على المرتشين والمحتالين واطلاق النار عليهم"، ويذهب الى انه لن تحدث مجاعة في روسيا اذا تمت السيطرة على المؤن وتطبيق اقسى العقوبات على من يخالف القواعد(٢١).

كان نمو الـ تشيكا تدريجياً الى حد كبير بدون تخطيط سابق، فقد انبثقت من سلسلة من الطوارئ الملحة، فعندما نبذ الالمان الهدنة في بريست-ليتوفيسك(٢٢) واستأنفوا تقدمهم في شباط ١٩١٨،لم تستطع فلول الجيش القيصري القديم ابداء اي مقاومة تذكر، وقد بدأ الالمان هجومهم في ١٨ شباط، ولم تمض سوى خمسة ايام حتى كانوا قد استولوا على لاتفيا واستونيا وجزء كبير من اوكرانيا ومدن دفينسك ومينسك وبولوتسك وبسكوف، وقد خيم خطر حقيقي على بيتروگراد مهد الثورة. وفي ٢١ شباط اقر مجلس مفوضي الشعب مرسوم: "الوطن الاشتراكي في خطر"، الذي كتبه لينين، واصبح لزاماً على كل السوفييتات والمنظمات الثورية: "الدفاع عن كل موقع حتى الرمق الاخير". وكان المرسوم ينص على اجراءات محددة عملية لصد العدو واقامة نظام حديدي في مؤخرة الجيش الاحمر الذي كان قيد التشكيل، إلا ان اهم فقراته هو البند الثامن الذي نص: "يتم اعدام عملاء العدو، والمضاربين، واللصوص، والاشقياء، ودعاة الثورة المضادة، والجواسيس الالمان رمياً بالرصاص في مكان ارتكاب الجريمة". وقد تلا دزيرجينسكي نص المرسوم على اعضاء هيئة ادارة اللجنة الاستثنائية(٢٣).وفي ذلك الوقت لم يكن مجموع العاملين في المركز الرئيسي اكثر من ١٢٠ شخصاً، كما كانت درجة تنظيم اللجان المحلية مسألة صدفة الى حد كبير، وكان نقل مركز الحكومة من بيتروگراد الى موسكو هو الذي اضفى على الـ تشيكا لأول

مرة اختصاصات جهاز كبير مستقل من اجهزة الدولة، فقد انشئ دزيرجينسكي الذي كان على رأس الحركة بوصفه المسؤول الاول عن الامن مركزه الرئيسي في موسكو لا في الكرملين بل في مبنى شركة تأمين كبرى في ميدان اوبيانكا، انشأ في داخله (سجناً داخلياً) للمشبوهين. وحتى ذلك الوقت كان ما انقذ النظام هو الارتباك وعدم الاتساق اللذين سادا بين صفوف اعدائه فلم يكن هناك تنظيم للثورة المضادة[٢٤]. وتشير الدلائل ان هناك تزايداً ملحوظاً في صلاحيات الـ تشيكا، وصلاحيات دزيرجينسكي كما يتضح في الخطاب الذي وجهه الاخير الى اعضاء اللجنة الاستثنائية لاسيما بعد مرسوم ٢١ شباط: "ايها الرفاق، ان الحديث يدور حول التغيير الجذري لحقوق وواجبات اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا؛ لقد كانت مهمتنا حتى الان تنحصر في التفتيش واجراء التحقيقات؛ وكان موضوع معاقبة المجرمين يتقرر في المحاكم الشعبية والمحاكم الثورية التي كنا نرفع اليها تحقيقاتنا. اما الآن ونظراً لأن اللجنة الاستثنائية بالذات هي التي تتولى مهمة مكافحة الجرائم المنصوص عليها في المرسوم(يقصد مرسوم ٢١ شباط) فإنها تضطلع بالمهام التأديبية الواردة به وهي سحق اعداء الثورة بلا رحمة، هذا ما ينبغي ان نقوم به"[٢٥].

كانت هناك عقبات عديدة امام الـ تيشكا في تنفيذ مهامها الجديدة والتي يمكن تلخيصها في المقترحات التي قدمها الاعضاء المنتمين لها بالشكل التالي:

- اشار پيترز الذي كان يتولى الاشراف على القسم التنظيمي في اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا انه الى الان لم تكن قد تشكلت بعد لجان استثنائية في انحاء روسيا الاخرى، لذا اقترح ان يكتبوا الى السوڤييتات المحلية والذي سوف يساعد على دفع عملية تشكيل هيئات الـ تشيكا في المناطق الروسية الاخرى.
- اقترح كسينوفونتوف انه ينبغي مخاطبة الشعب بهذا الشأن واعلان الحقوق الجديدة للجنة الاستثنائية لعموم روسيا.

ومن اجل تنفيذ تلك المقترحات فقد:

١. اوكلت هيئة الادارة عملية اعداد الوثائق(الخاصة بتشكيل هيئات الـ تشيكا) الى دزيرجينسكي بالتعاون مع پيترز وكسينوفونتوف.
٢. تولى كسينوفونتوف اعداد مشروع الاعلان.

٣. اما نص النداء الموجه للسوفييتات فقد تولى صياغته دزيرجينسكي وبيتيرز.

وبعد بعض الوقت راح كسينوفونتوف يقرأ على اعضاء الـ تشيكا نص المشروع: "اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة الثورة المضادة والتخريب والمضاربة لدى مجلس مفوضي الشعب تُعلن لكافة المواطنين: بأنها كانت حتى اليوم متسامحة مع اعداء الشعب، إلا انها واعتباراً من هذه اللحظة التي تشتد فيها وقاحات الثورة المضادة مع كل يوم جديد، يلهمها في ذلك الهجوم الخياني لإعداء الثورة الالمان، وحين تحاول البرجوازية العالمية خنق البروليتارية الروسية- طليعة الاممية الثورية، تضطر اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا الى اعتبار الاعدام في مكان الجريمة الوحيد الممكن للتصدي لإعداء الثورة، والجواسيس، والمضاربين، واللصوص، والاشقياء، والمخربين، والطفيلين الآخرين". وفي ٢٣ شباط ١٩١٨ نُشر الاعلان رسمياً في جريدة ازفيستيا، وفي العدد ذاته تم نشر برقية الـ تشيكا الى كل سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين؛ وابلغت الـ تشيكا السوفييتات بتفاصيل الاوضاع في البلاد نتيجة الهجوم الالماني، وانباء مؤامرات انصار الثورة المضادة التي جرى الكشف عنها؛ كما جرى نشر قائمة محدودة صيغت بشكل دقيق للجرائم التي يُحكم على مرتكبيها بالإعدام رمياً بالرصاص، ولم تتضمن القائمة: "الاشقياء، والمخربين والطفيليين الآخرين". وعرض البيان في نهايته: "ضرورة البدء الفوري بتشكيل لجان استثنائية في كافة المناطق لمكافحة الثورة المضادة، والتخريب، والمضاربة بشكل مستمر لا هوادة فيه، ان لم تكن قد تشكلت بعد"[٢٦].

كانت الـ تشيكا قد اخذت فعلياً تمارس مهامها التي اعلنتها في بيانها الذي اصدرته في ٢٣ شباط، وكان اول قرار اعدام صدر بتوقيع دزيرجينسكي كان بحق الامير ايبولي الذي اتهم بأنه يقوم بنهب: "البورجوازيين في المطاعم تحت ستار اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا"؛ وعندما تم تفتيش محتويات حقيبته تم العثور على: "مجوهرات، واستمارات، واختام اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا، واللجنة الاستثنائية لعموم روسيا، ومفوضية الشعب للشؤون الخارجية، وغيرها من المؤسسات السوفييتية"؛ لذا اصدرت هيئة ادارة اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا حكمها بالأجماع بإعدام الامير ايبولي رمياً بالرصاص جزاء ما ارتكب من جرائم نهب وتشويه لسمعة المؤسسات السوفييتية؛ وقد بادر دزيرجينسكي بتوقيع اول حكم بالإعدام يصدر عن اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا، وقد اشار دزيرجينسكي الى

ذلك قائلاً: "انكم تذكرون ايها الرفاق كيف كنا نحلم بأن ثورة البروليتارية تستطيع تفادي اصدار احكام الاعدام؛ لكن الحياة نفسها، والصراع الحاد بين الطبقات اكدا غير ذلك؛ اننا سوف نطبق هذه الاحكام في سبيل سعادة ملايين العمال والفلاحين"[٢٧].

كان اول عمل منظم قامت به الـ تشيكا ضد الفوضويين، وفي مساء ١١-١٢ نيسان ١٩١٨ احيطت المراكز المعروفة للفوضويين بواسطة عملاء الـ تشيكا والجنود السوفييت وطلب اليها تسليم ما لديها من اسلحة، وحدثت مقاومة في بعض الجهات ولكنها سحقت بعنف، وقبض على حوالي ٦٠٠ شخص، اطلق سراح بعضهم على الفور، واعتبر المقبوض عليهم (عناصر اجرامية). وقد شجع تدخل الحلفاء الثوريين الاشتراكيين اليمنيين فدعوا علنا في اجتماعهم في موسكو في ايار ١٩١٨ الى سياسة تهدف الى: "قلب دكتاتورية البلاشفة، واقامة حكومة على اساس حق الانتخاب العام تقبل مساعدة الحلفاء في الحرب ضد المانيا"[٢٨]. وخلال ربيع وبواكير صيف ١٩١٨، فإن ملاك اللجنة الاستثنائية (تشيكا) نما، ولكنه كان لايزال محدوداً وسلطاته متواضعة[٢٩].

كان الصراع بين الاحزاب الاشتراكية في روسيا قد وصل ذروته في اوائل عام ١٩١٨، وكان المناشفة الذين لم تكن لديهم تقليد المؤامرة والعنف مثل الثوريين الاشتراكيين، فد اتخذوا طريقا معتدلاً، ومنذ كانون الاول ١٩١٧ كانت الخلافات تمزق الحزب، وفي ١٤ حزيران ١٩١٨ اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية قرارا باستبعاد كل من الثوريين الاشتراكيين اليمنيين والمناشفة من عضويتها على اساس ارتباطهم بعناصر مشهورة بعدائها للثورة، التي تعمل على تنظيم هجمات مسلحة ضد العمال والفلاحين، واوصت الـ سوفييتات كلها بطردهم، وبذلك اقصتهم تماما عن اية مشاركة في الجهاز الحكومي[٣٠]؛ وبقى بعد هذه الخطوة حزبان كبيران فقط هم البلاشفة والثوريين الاشتراكيين اليساريين، بيد ان العلاقات بين هذين الحزبين كانت قد بلغت نقطة الانقطاع في كانون الثاني ١٩١٨، وذلك لأسباب عدة وهي:

١. شرع البلاشفة تحت ضغط الحاجة الشديدة الى انتزاع كميات من الحبوب في الريف، في سياسة تنظيم فقراء الفلاحين ضد الفلاحين والاغنياء، الذين كانوا اكبر مؤيدين للثوريين الاشتراكيين واهمهم.

٢. ثارت قضية حادة بين الحزبين حول تطبيق عقوبة الاعدام، فمنذ شباط ١٩١٨ عندما أُعلن: "ان الوطن الاشتراكي في خطر "، كانت الـ تشيكا تنفذ احكام الاعدام في اعداد غير معروفة بدون الاجراءات القضائية النظامية المألوفة، وكان كل من الثورين الاشتراكيين اليمنين والمناشفة قد احتجوا من وقت لآخر على هذه العمليات، اما الثوريين الاشتراكيين اليساريين فانهم ظلوا اعضاء في اللجنة التنفيذية المركزية وفي الـ سوفييتات، وان انسحبوا من مجلس المفوضين، لايزالون ممثلين عن الـ تشيكا ويحملون نصيبهم من المسؤولية في اعمالها، ولكن عندما اصدرت المحكمة الثورية حكماً بالإعدام لأول مرة، على اميرال بحري من انصار الثورة المضادة اسمه (ششاستني)، حاول الثوريون الاشتراكيون اليساريون الغاء الحكم بواسطة اللجنة التنفيذية المركزية، وعندما اخفقوا في ذلك سحبوا ممثليهم من المحكمة؛ بيد انه من المهم ان ندرك على اي اساس كان الاعتراض؛ ان الاعتراض لم يكن قائماً على اعتبارات انسانية، لأن الثوريين الاجتماعين اليسارين لم يشتركوا في عمل الـ تشيكا فحسب، بل انهم كانوا في الماضي من اوائل انصار الاغتيال كسلاح سياسي، لقد كان اعتراضهم يقوم من ناحية على اساس حجة شكلية رفضها البلاشفة، وهي ان عقوبة الاعدام أُلغيت بقرار من المؤتمر الثاني لـ سوفييتات عموم روسيا ، ولكن اساسه الرئيس كان معارضة فرض احكام الاعدام بواسطة القضاء، فالثوريون الاشتراكيون اليساريون كانوا يقرون بأنه من المشروع احيانا، ومن الضروري، قتل الخصوم، سواء بالاغتيال، او بواسطة اجراء اخر تتبعه الـ تشيكا، ولكنهم كانوا معارضين بكل قوة في اعادة: "مبدأ البرجوازية القديم الملعون" الذي تنطوي عليه عملية المحاكمة القضائية والتنفيذ بناءً على حكمه، وقد بدت الحجة دامغة وتمثل تعبيراً منطقياً ومتسقاً للخلفية الفوضوية لفكر الثوريين الاشتراكيين الذي يقبل الارهاب ولكنة يرفض الدولة.

٣. امام تزايد الخطر الالماني لم يكن امام الحكومة السوفييتية سوى التحرك لصده، لذا قامت اولى فصائل الجيش الاحمر من بيتروگراد واستونيا وبحارة البلطيق والوحدات الثورية من الجيش القديم التي كان الرماة اللاتيڤيون من ضمنها، بصد هجمات

القوات الالمانية الجيدة التسليح في معارك ضارية بالقرب من بسكوف وريڤيل ونارڤا؛ غير ان الجمهورية السوڤييتية الفتية لم تكن تستطيع تحمل عبء حرب طويلة ضد الالمان، وكان لينين يُدرك بوضوح ان الاستمرار في الحرب يعني هلاك السلطة السوڤييتية مما جعله يسعى في اصرار لدى اللجنة المركزية لعقد صلح سريع مع الالمان. وقد اعرب الشيوعيون اليساريون(المتطرفون) عن معارضتهم للينين وتأييدهم للحرب الثورية؛ اما تروتسكي فقد راح يصر على خطة: "لا حرب ولا سلام"، وقد كان تروتسكي سبباً في اضطرار اللجنة المركزية في ٢٣ شباط بحث شروط للسلام اكثر اجحافاً من تلك التي عرضتها المانيا في البداية، فقد اعلن تروتسكي، الذي كان يترأس الوفد السوڤييتي في مباحثات الصلح في بريست–ليتوفيسك، ان الحكومة السوڤييتية ترفض توقيع معاهدة الصلح، إلا انها تكف عن مواصلة الحرب، وتقوم بتسريح جيشها، وهذا ما استغلته القيادة العسكرية الالمانية لشن هجومها الجديد. لكن اصرار لينين اسفر في النهاية على اتخاذ اللجنة المركزية قراراً بعقد الصلح بأغلبية سبعة اصوات، واعتراض اربعة، وامتناع اربعة عن التصويت. والحقيقة كان الوضع الداخلي والخارجي في روسيا يتطلب توقيع الصلح، إذ كانت البلاد في اشد حالات التدهور الاقتصادي، وفي الوقت الذي انهار جيشها القديم، لم يكن الجيش الاحمر قد تشكل بعد بشكل رسمي. وفي ١٥ اذار ١٩١٨ صادق المؤتمر الرابع الاستثنائي لسوڤييتات عموم روسيا على معاهدة بريست–ليتوفيسك بناءً على التقرير المقدم من لينين، وكان كامكوف الاشتراكي الثوري اليساري قد القى تقريراً هو الآخر يعارض فيه التصديق على المعاهدة. وقد صوت الاشتراكيون الثوريون اليساريون في المؤتمر ضد المعاهدة وعندما تم التصديق عليها برغم اعتراضهم انسحبوا من مجلس المفوضين، وهكذا عادت حكومة الحزب الواحد، إلا انهم ظلوا في السوڤييتات، وفي اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا يمثلون حزباً معارضاً، وان كان ما يزال حزباً سوڤييتاً.

٤. عند اجتماع المؤتمر الخامس لـ سوفييتات عموم روسيا في ٤ تموز ١٩١٨، وكان البلاشفة ٧٤٥ مندوبا من بين ١١٣٢ مندوبا في المؤتمر لهم حق التصويت، وكان الثوريون الاشتراكيون اليساريون ٣٥٢ ،وكان الباقون يمثلون جماعات صغيرة اخرى،

واتخذت الاجراءات على الفور صورة المبارزة بين الحزبين الكبيرين، وقد اثيرت قضية الفلاحين ولكنها كانت اقل بروزاً من الغضب بسبب اخماد الاحزاب المنافسة واستخدام عقوبة الاعدام، وكان اشد الاحتجاجات التي سمعت هو ذلك الذي ثار ضد معاهدة بريست-ليتوفيسك، وخضوع الحكومة السوفييتية للألمان، وحدثت اكبر الصدامات في المؤتمر حول اصرار تروتسكي على انه يكون من الجنون التسامح مع اي هجوم على القواعد الالمانية في اوكرانيا[٣١].

اقر المؤتمر السياسة الداخلية والخارجية للحكومة السوفييتية، ورفض قرار الاشتراكيين الثوريين اليساريين حول نقض معاهدة بريست ليتوفسك مع المانيا، عندئذ قام الاشتراكيون الثوريون اليساريون في ٦ تموز بتدبير تمرد في موسكو على مرحلتين الاولى تتضمن اغتيال السفير الالماني الكونت ولهلم ڤون ميرباخ مما يضمن تحطم العلاقات الالمانية-السوفييتية، ويسهم في نقض معاهدة بريست-ليتوفيسك؛ والمرحلة الثانية الاستيلاء على العاصمة موسكو. بدأت تفاصيل المؤامرة في اجتماع اللجنة المركزية للاشتراكيين الثوريين اليساريين في ٢٤ حزيران وقد تحدثت رئيسة الحزب سبيريدوندوڤا قائلة: "يجب عدم مناهضة سلطة السوفييتات، فقد استوعبت الجماهير فكرة السوفييتات جيداً، ولن تُدعم اية انتفاضة ضدها. ينبغي علينا، عكس ذلك، العمل تحت شعار: ضد البلاشفة، لكن من اجل سلطة السوفييتات". مع ذلك كان بعض اعضاء اللجنة المركزية يخشون من بطش الـ تشيكا وقد صرح يروشيان عضو اللجنة المركزية للحزب عن ذلك عندما قال: "على اية قوة مسلحة يمكننا الاعتماد؟ اخشى ان تكون النتيجة هي حكم اللجنة الاستثنائية علينا بالإعدام رمياً بالرصاص". لذا ومن اجل ضمان نجاح المؤامرة فإن بروشيان اكد انه يجب الاعتماد على اعضاء الـ تشيكا الذين ينتمون الى الاشتراكيين الثوريين اليساريين: "سيكون فصيل اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا بقيادة رفيقنا پوپوف هو القوة الرئيسة الضاربة، علاوة على اننا نحشد حالياً في موسكو فصائل مقاتلينا من المدن الاخرى". كما اوضح الكسندروڤيتش وهو احد اعضاء الـ تشيكا من الثوريين الاشتراكيين اليساريين قائلاً: "يمكننا الاعتماد كلياً على فصيل پوپوف؛ لقد قمنا بإرسال الجزء الاكبر من الشيوعيين والجنود المتعاطفين معهم الى الجبهة تدريجياً، بينما دعمنا فصيلنا بالموالين لنا والبحارة الفوضويين من اسطول البحر

الاسود. وقد وطد يوپوف اتصالاته بثكنات بوكروفسكيه واكد ان القوات المرابطة هناك، ان لم تكن كلها فعلى الاقل بعضها سوف تنتقل الى جانبنا في لحظة الانتفاضة. سوف يكون اغتيال السفير الالماني ميرباخ اشارة في بدء الانتفاضة؛ ويقوم بذلك بليومكين عضو حزبنا وعضو اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا، الامر الذي سيُحدث بلبلة في نشاط اللجنة الاستثنائية". وعندما سُئل الكسندروڤيتش عن الرماة اللاتڤيين اجاب: "ان وحدات اللاتڤيين موجودة في معسكراتها بعيداً خارج المدينة؛ اما فصيل يوپوف فموجود في قلب العاصمة". وقد ارضت اجابات الكسندروڤيتش الجميع ودعمت ثقتهم في النجاح؛ وقد ذكرت سبيريدونوڤا في ختام الاجتماع: "يجب ان تبدو الانتفاضة وكأنها دفاع عن الذات من قبل حزبنا ضد اضطهاد البلاشفة؛ إذ سوف يحاول البلاشفة دون شك، القيام بأي اجراء ضدنا بعد اغتيال ميرباخ؛ وانهم سوف يهاجمون بينما نتولى نحن الدفاع، مما سوف يُسفر ايضاً عن تعاطف الجماهير معنا، ويساهم في نجاحنا". وهكذا تقرر موضوع التمرد، وصادق الحاضرون على الخطة الاستراتيجية والتكتيكية التي عرضتها رئيسة الحزب(٣٢).

سار كل شيء في البداية حسبما كان متوقعاً، وقام بليومكين في ٦ تموز باغتيال السفير الالماني الكونت ميرباخ، وتوجه دزيرجينسكي الى فصيل يوپوف للقبض على القاتل، لكنه تم اعتقاله مع اعضاء اللجنة الاستثنائية المرافقين له؛ ثم قام المتمردون بعد ذلك باعتقال رئيس سوڤييت موسكو سميدوڤيتش واستولوا على مبنى اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا الكائن في شارع بولشايا لوبيانكا رقم ١١، كما تم اعتقال البلاشفة من اعضاء اللجنة الذين كانوا متواجدين به اثناء تلك اللحظة؛ ولم يكن ذلك صعباً حيث كان فصيل يوپوف هو الذي يقوم بحراسة مبنى اللجنة؛ ولكن لم يستطع المتمردون اعتقال اعضاء هيئة ادارة اللجنة الاستثنائية سوى مارتن لاتسيس نظراً لأن الباقين كانوا يحضرون المؤتمر المنعقد بمسرح البولشوي. وقد قام الاشتراكيون الثوريون اليساريون بعد ذلك بالاستيلاء على مركز البريد الرئيس، وارسال بعض البرقيات الغامضة الى كافة ارجاء البلاد يتحدثون فيها عن الاستيلاء على السلطة؛ كما اطلقوا نيران بعض مدافعهم على الكرملين؛ وتوجهت سبيريدونوڤا الى مؤتمر السوڤييتات لفرض شروطها على البلاشفة الذين وهنت عزيمتهم. اما لينين ما ان علم بنبأ القبض على دزيرجينسكي حتى اصدر امره الى پيترز بالقبض فوراً على اعضاء مجموعة الاشتراكيين

الثوريين اليساريين كافة في المؤتمر وعلى رأسهم سبيريدونوفا؛ وجرى تعبئة كل الشيوعيين في ارجاء موسكو، وتشكيل فصائل العمال، ونزع سلاح فصائل مقاتلي الاشتراكيين الثوريين اليساريين؛ ومما زاد من السوء الوضع بالنسبة للاشتراكيين الثوريين انه لم تتحق آمالهم التي كانوا يعلقونها على ثكنات بوكروفسكيه، فلم تنظم وحدة واحدة من حامية موسكو الى التمرد؛ وفي ذلك الحين بدأت وحدات الجيش الاحمر القادمة من المعسكرات الصيفية تحكم حلقة الحصار حول المنطقة التي يحتلها المتمردون. وما كادت اولى طلقات المدافع تنفجر في فناء المبنى الذي شغلته قيادة فصيل بوبوف حتى لاذ اعضاء اللجنة المركزية للاشتراكيين الثوريين اليساريين بالفرار؛ وسرعان ما وضع الهجوم المكثف للرماة اللاتفيون حداً للتمرد الذي سُحق تماماً ظُهر ٧ تموز، وعاد الى مقر اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لاتسيس برفقة اعضاء اللجنة الذين كانوا قد اعتقلوا مع دزيرجينسكي، اما الاخير فقد توجه فور الافراج عنه الى الكرملين وقدم استقالته كرئيس للجنة التي قُبلت مؤقتاً حتى انتهاء التحقيق بتفاصيل المؤامرة وعُين ياكوف خريستوفوروفيتش رئيساً مؤقتاً للجنة الاستثنائية حتى ٢٢ اب ١٩١٨ عندما عاد دزيرجينسكي الى منصبه ثانية. اما بالنسبة للمتآمرين، فلم يكن امام الحكومة إزاء مواجهة الخيانة على هذا النطاق الواسع في لحظة كانت قوات الحلفاء تنزل فيها في مورمانسك وفلاديفوستوك، وعندما بدأت الفرق التشيكية بالعدوان العلني ضد البلاشفة، وعندما كان خطر الحرب وشيكاً من كل جانب، لم يكن هناك اي اغراء يجعل الحكومة السوفيتية تلجأ الى انصاف الحلول، لذا القت القبض على معظم الاعضاء في المؤتمر الخامس للسوفييتات من الاشتراكيين الثوريين اليساريين، بما فيهم سبيريدونوفا، التي اعترفت بأن قاتلي ميرباخ تصرفا بناء على تعليمات منها، وأُعدم ثلاثة عشر عضواً منهم ممن كانوا اعضاء في الـ تشيكا؛ واقفلت عدة صحف. وقد استاء البلاشفة لمقتل ميرباخ كثيراً الى درجة حملت لينين وتروتسكي وجيورجي فاسيليفيتش شيشرين على الذهاب شخصياً الى السفارة الالمانية لتقديم تعازيهم واعتذارهم. وبعد ثلاثة ايام من الارتباك استأنف المؤتمر جلساته، والتي اعرب فيها عن موافقته على اجراءات الحكومة، اصدر قراراً صيغ بحرص هو: "في حدود ارتباط بعض قطاعات حزب الثوريين الاشتراكيين اليساريين بمحاولة توريط روسيا في الحرب عن طريق اغتيال ميرباخ؛ والتمرد على الحكومة السوفييتية، فأنه لم يعد

هناك مكاناً لهذه التنظيمات في سوفييتات مندوبي العمال والفلاحين". وكان العمل الختامي للمؤتمر في ١٠ تموز ١٩١٨ هو الموافقة على دستور الاتحاد السوفييتي، الذي اصبح بذلك نافذاً في احلك واخطر لحظة في تاريخ الجمهورية، عندما ادى التمرد العلني لآخر حزب كبير الى دفع النظام خطوة كبرى في طريق دولة الحزب الواحد(٣٣). ورغم احباط مؤامرة الثوريين الاشتراكيين التي اعقبت اغتيال ميرباخ إلا انهم استمروا في سياسة الاغتيالات، إذ قاموا في ٣٠ تموز بإغتيال المارشال الالماني هيرمان ڤون ايخهورن قائد القوات الالمانية في اوكرانيا(٣٤).

ان ما قيل عن الاجراءات العقابية التي اتخذتها الـ تشيكا ضد القوى المعادية للحكومة السوڤييتية جزئي وغير موثوق فيه دائما وتقريبا؛ ولكن هناك بعض المعلومات الصحيحة عن اعمال الانتقام التي اعقبت اخماد التمردات الواسعة التي جرت في الأقاليم ضد السلطة البلشفية في صيف ١٩١٨. فقد قاوم المتمردون في ياروسلاف اسبوعيين، وقتل ٣٥٠ رميا بالرصاص عندما سقطت المدينة في اخر الامر؛ وفي مدينة موروم المجاورة، التي انهار التمرد فيها على الفور، وقتل ١٠ زعماء رمياً بالرصاص وفرضت غرامة قدرها مليون روبل على البرجوازية فيه؛ وفي نيزني–نوڤگورد اعتقل ٧٠٠ من الضباط ورجال الشرطة، وحطمت الـ تشيكا المحلية: "منظمة الحرس الابيض....باعتقال كل اعضائها تقريبا وقتل قسم منهم رمياً بالرصاص". وعندما استولى التشيكيون على المدينة بعد ذلك بعشرة ايام انتقلت تشيكا منطقة الاورال الى فيانكا، حيث اعتقلت اكثر من ٤٠٠ شخص وقتلت منهم ٣٥ كانوا: "مشتركين في مؤامرات ضد الثورة". وعندما تمرد الكولاك(الفلاحين الاثرياء) في اب ١٩١٨ في بنزا ابرق لينين نفسه تعليمات "بالقيام بحمله ارهابية لا ترحم ضد الكولاك والقساوسة والحرس الابيض، وحجز المشبوهين في معسكر خارج المدينة"، واوصى بأخذ رهائن وتهديدهم بالقتل اذا لم يسلموا كميات من الحبوب فورا. ولاشك ان هذه السجلات الجريئة تخفى فظاعات واعمالا وحشية ارتكبت في حرارة المعركة، وبهدوء بعدها، وان العقوبات التي طُبقت وصفها مرتكبوها صراحة بأنها: "ارهاب "وان مبررها هو الحرب "وان السلطة السوڤييتية يجب ان تحمي مؤخرتها"، كما جاء في قرار اصدرته اللجنة التنفيذية المركزية في ٢٩ تموز ١٩١٨ بعد خطابين القاهما لينين وتروتسكي: "بأن تضع البرجوازية تحت المراقبة

وتقوم ضدها حملة ارهابية جماعية "، وقال دزيرجينسكي في حديث صحفي في ذلك الوقت: "ان الـ تشيكا ليست محكمة، ان الـ تشيكا هي الدفاع عن الثورة مثل الجيش الاحمر تماما، وكما ان الجيش الاحمر لا يستطيع التوقف في الحرب الاهلية ليسأل عما اذا كان نشاطه سيصيب افرادا بذاتهم بالضرر بل لابد الا يفكر الا في شيء واحد هو انتصار الثورة على البرجوازية، فإن الـ تشيكا ايضاً يجب ان تدافع عن الثورة وتهزم العدو حتى اذا كان سيفها سيصيب احيانا رؤوس بعض الابرياء"(٣٥).

❖ **ثالثاً: ذروة الارهاب الاحمر.**

ان الارهاب بلغ ذروته عندما التجأ الثوريون الاشتراكيون مرة اخرى الى اسلوب الاغتيال السياسي، وكان هذه المرة ضد البلاشفة؛ فقد اغتيل فولودارسكي ،وهو زعيم بلشفي مشهور في ايامه بأنه خطيب جماهيري، في بيتروگراد في ايار ١٩١٨، وفي ٣٠ اب اغتيل موسى سولومونوڤيتش اوريتسكي وهو رئيس اللجنة الاستثنائية هناك والمسؤول القديم عن سجن الكسندروفسك، وعضو اللجنة الثورية العسكرية ايضا في بيتروگراد على يد ليونيد كانيجيسر الاشتراكي الشعبي وطالب الكلية العسكرية السابق وابن مدير احد المصانع، وكان سبب ذلك ان رئيس تشيكا بيتروگراد قد وقع حكم الاعدام على ٢١ ضابطاً متورطاً في مؤامرة معادية للثورة، احدهم كان صديقاً مقرباً لـ كانيجيسر ؛ وفي اليوم ذاته وجه لينين اوامره الى دزيرجينسكي بالتوجه بنفسه الى بيتروگراد لتقصى حقائق ما يجري والرد على الارهاب الابيض بمثله حتى لا تظهر الحكومة السوڤييتية ضعيفة: "لقد اغتالوا فولودارسكي الخطيب الشعبي الرائع، ولم يمضِ شهر حتى اغتالوا اوريتسكي؛ فلتسافر يا فيليكس ادموندوڤيتش(دزيرجينسكي)، ولتتقص ما يجري في بيتروگراد، ينبغي علينا ان نجيب على الارهاب الابيض بإرهاب احمر ضد اعداء الثورة، وإلا سوف يظننا الارهابيون ضعفاء الارادة". وفي ٣١ اب وصل دزيرجينسكي الى بيتروگراد من اجل الاشراف بنفسه على التحقيق في ملابسات اغتيال اوريتسكي؛ وقد وصل الى المبنى رقم ٦ الكائن في ميدان دوفورتسوڤايا حيث كانت مفوضية الشعب للشؤون الداخلية لكومونة بيتروگراد؛ وكذلك موقع اللجنة الاستثنائية لمكافحة الثورة المضادة؛ لكن ما ان وصل دزيرجينسكي الى مكتب اوريتسكي حتى كانت البرقية التالية في انتظاره: "في مساء ٣٠ اب اصيب لينين عند

خروجه من مصنع ميخيلسون اصابة خطيرة؛ اطلقت عليه الرصاص فاني كابلان عضو حزب الاشتراكيين الثوريين اليمينيين". وكان عمرها ٢٨ عاماً، وكان دزيرجينسكي على ثقة بأن محاولة اغتيال لينين جاءت نتيجة مؤامرة دبرها بروس لوكارت المبعوث الخاص للحكومة البريطانية في روسيا، الذي كان يدبر مؤامرة ضخمة-حسب اعتقاد السلطة السوفييتية- تستهدف الاطاحة بسلطتهم، بالتعاون مع نولانس السفير الفرنسي وبعض الدبلوماسيين الاجانب؛ بيد ان اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا فرضت رقابتها الشديدة على كل تصرفات لوكارت؛ ولم يكن الأخير يظن ان القائدين اللاتفيين يان بويكيس وادوارد بيرزين اللذين جندهما يعملان بأمر من اللجنة الاستثنائية، وان المبالغ الطائلة التي تُصرف اليهما لرشوة الرماة اللاتفيين الذين يحرسون الكرملين تُسلم الى مكتب دزيرجينسكي. لذا اصدر دزيرجينسكي امره الى المسؤولين في بيتروگراد وموسكو في آن واحد في سحق مؤامرة لوكارت، فيما استقل اول قطار عائداً الى موسكو. وفي اليوم الثاني القي القبض على المبعوث البريطاني في موسكو بتهمة اشتراكه في مؤامرات ضد الثورة؛ وقتل الملحق البحري البريطاني في هجوم على السفارة البريطانية في بيتروگراد. لكن كانيجيسر اعترف لاحقاً بأنه تصرف بمفرده وانتقاماً لصديقه؛ واكدت كابلان كذلك انها تصرفت بمفردها، وانها فعلت ذلك لأنها شعرت ان لينين قد خان الثورة. اما اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا فقد استغلت حوادث الاغتيالات واصدرت نداءً جاء فيه: "الى سوفييتات نواب العمال والفلاحين والجيش الاحمر كافة ، الى المواطنين كافة، ان الطبقة العاملة سوف ترد على الاغتيالات الموجهة ضد زعمائها بحشد اكبر لقواها، وبإرهاب جماعي لا هوادة فيه ضد اعداء الثورة كافة". وفي ٢٣ تموز صدر مرسوم ضد المضاربة انطوى على عقوبات مشددة (حتى عشر سنوات حبس مع الاشغال الشاقة)،لكل من يضارب بالمواد الغذائية، لكن المهم ان محاولة اغتيال لينين فتحت مسارب الفيضان الدموي للغضب الشعبي، وفي الحال اصبح الارهاب مؤسسياً؛ إذ بدأت حملة القمع الجماعي رسمياً الذي يمثل بمثابة انتقاماً لمحاولة اغتيال لينين، ففي ٢ ايلول ١٩١٨ اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية قرارا فيما يتصل باغتيال اوريتسكي والاعتداء الذي تلاه على لينين واختتم القرار: "كل عملاء الثورة المضادة وكل من يوحون اليهم سيعتبرون مسئولين عن كل محاولة للاعتداء على موظفي الحكومة السوفييتية والمدافعين

عن المثل العليا للثورة الاشتراكية، وسيرد العمال والفلاحون على كل الارهاب الابيض الذي يقوم به اعداء حكومة العمال والفلاحين بإرهاب احمر بالجملة ضد البرجوازية وعملائها"[٣٦].

في ٣ ايلول اصدر مفوض الشعب للشؤون الداخلية اعلانا في ازڤيستا :"كان ثمة ما يكفي من الرحمة وما يكفي من التغاضي، ان جميع الاشتراكين-الثوريين اليمينيين ممن تعرفهم السوڤييتات المحلية يجب اعتقالهم فوراً، وسوف نأخذ عدداً كبيراً من الرهائن من بين البرجوازيين والضباط، واذا ما اظهر البيض ابسط مقاومة او ابدوا اي نشاط، فسوف نستجيب ليس بالمناقشة بل بإطلاق النار على نطاق واسع[٣٧]". وفي ٤ ايلول اعلن مفوض الداخلية غريغوري بتروڤسكي بأنه: "من الضروري ان نأخذ من بين البورجوازيين والضباط العديد من الرهائن؛ في حالات اقل مقاومة بين دوائر الحرس الابيض، يجب اللجوء فوراً الى عمليات الاعدام الجماعية....[٣٨]. تبع ذلك مرسوم الارهاب الاحمر الصادر في ٥ ايلول من قبل الـ تشيكا الذي نص: "من الضروري حماية الجمهورية السوڤييتية ضد اعدائها الطبقيين بعزلهم في معسكرات الاعتقال، وستضم كذلك جميع الاشخاص المشاركين في منظمات الحرس الابيض، ومن يقوم بالمؤامرات، وحركات التمرد..."[٣٩].

ليس هناك تقدير يمكن الاعتماد عليه لمجموع من تعرضوا: "للإرهاب الاحمر "، لكن مما يساعد هنا ان المنشورات السوڤييتية المتعددة سجلت في جميع انحاء البلاد قوائم لمنظمات الـ تشيكا الإقليمية حول الاعمال اليومية لكل منظمة، ففي منطقة تشيكا نيگني نوڤگورود تم الابلاغ عن اعدام ٤١ عدواً للثورة في ٣١ اب؛ وقام سوڤييت پيتروگراد بإعدام اكثر من ٥٠٠ شخص في ٣ ايلول[٤٠]؛ وفي ٧ ايلول اعلنت الـ تشيكا پيتروگراد اعدام ٥١٢ شخصا من: "المناهضين للثورة والحرس الابيض"، (الذين وصفوا بأنهم رهائن)، وهم الذين اعدموا رمياً بالرصاص فور اعلان الارهاب[٤١]؛وفي ٢٢ ايلول، افادت صحيفة تشيكا اورال الاقليمية عن اعتقال ٤٣١ معادياً للثورة منهم ٣٥ شخص اطلق عليهم النار؛ كما اعلنت الـ تشيكا المؤقتة في بينزا ٢٩ ايلول انه اعدم ١٥٢ شخص من البيض انتقاماً لقتلهم عامل اشتراكي في كمين[٤٢]؛وكان من ضمن الذين اعدموا: "كثيرين من وزراء القيصر وقائمة كاملة من الشخصيات الرفيعة"[٤٣]. وفي ١٥ تشرين الاول تم اطلاق النار في پيتروگراد على ٨٠٠ ممن وصفوا بأعداء الثورة وسجن حوالي ٦٢٢٢ شخص[٤٤]. وتشير الدلائل ان

الاشخاص الذين اعدموا خلال الشهرين الاوليين بعد حادثة اغتيال لينين اي خلال شهري ايلول وتشرين الاول يقدر بين ١٠.٠٠٠-١٥.٠٠٠ شخص دون محاكمة وهم الذين تم نشر اسماءهم في جريدة الـ تشكيا وغيرها من الصحف الرسمية[٤٥].وقد تعرض رجال الدين بشكل خاص للمعاملة الوحشية من قبل البلاشفة، اذ تم صلب الكهنة والرهبان والراهبات، وقُتل ما يقرب من ٣٠٠٠ رجل دين في عام ١٩١٨ وحده[٤٦].والحقيقة انه لم يتم خلال الشهرين الاولين من بدء عمليات الاعدام من قبل الـ تشيكا سوى ١% فقط من الذين اعدموا في روسيا حسب ما وثقه المعارض المعاصر للأحداث ميلگونوف[٤٧]. فضلاً عن الاعدامات التي نفذتها الـ تشيكا فإن هناك حالات اخذ الرهائن التي سجلتها التقارير، ووفقاً لمارتن لاتسيس، فقد اخذت الـ تشيكا ٣٠٦١ رهينة في عام ١٩١٨[٤٨]؛ فضلاً عن ١٧٩١ محتجزاً في معسكرات الاعتقال[٤٩]. ولعل اكثر التقارير العديدة التي جاءت من الريف دلالة هو ذلك الذي جاء من كازان، فبعد ان ذكر انه قد: "ارسلت حملات تأديبية الى كل مركز، استطرد :"في كازان نفسها لم يعدم بواسطة المحكمة اكثر من سبعة او ثمانية اشخاص، ويرجع ذلك الى ان البرجوازية بأكملها، بما فيها البرجوازية الصغيرة والقساوسة والرهبان، هربت من المدينة، فنصف منازل المدينة مهجورة، وصودرت ممتلكات الهاربين لمصلحة فقراء المدينة "[٥٠].

لم تقتصر اعمال البلاشفة الارهابية على الاعدامات والرهائن والاعتقالات بل تعدى الامر على مصادرة الممتلكات، فقد كان الوضع الاقتصادي الروسي خلال عام ١٩١٨ سيئاً جداً، فقد زاد الجوع مع تفاقم الخراب الاقتصادي العام، وكان الكولاك وهم الفلاحين الاغنياء والمضاربين يخفون الحبوب ويرفضون بيعها حسب الاسعار المحددة من قبل الدولة، وكانت تلك القوى تركز على الجوع كسلاح للإطاحة بالسلطة السوڤييتية؛ وسرعان ما اشتد الصراع من اجل الحبوب بين الدولة والكولاك. ومن اجل ذلك جرى ارسال فصائل العمال من قبل السلطة الى القرى سعياً وراء الحبوب، وقدمت لجان فقراء الفلاحين التي تشكلت في الارياف دعماً كبيراً في مسألة مصادرة فائض الحبوب من الكولاك، وفي امداد المدن والجيش الاحمر بها؛ كما جرى تقويض قوة الكولاك الاقتصادية، حيث صودر ٥٠ مليون هكتار من الاراضي الزراعية كانت في حوزتهم، لصالح فقراء الفلاحين ومتوسطي الحال منهم[٥١]. وخلال الحرب

الاهلية كان الفلاحون ملزمين بأن يقدموا للدولة بموجب المصادرة العينية جميع فوائض المواد الغذائية، وكانت الدولة بالمقابل تدفع نقوداً، لكن قيمة النقود انهارت في تلك المرحلة، وكان من المستحيل شراء اي شيء بها، وهكذا كان الفلاحون يقدمون للدولة جميع فوائض المواد الغذائية مجاناً من حيث جوهر الامر، وكان فوائض هذه المواد الغذائية تذهب الى الجيش الاحمر(٥٢). في اوائل اب ١٩١٨ صاغ لينين مرسوم اوصى فيه انه من بين ٢٥-٣٠ شخصاً يجب اختيارهم كرهائن في المناطق المنتجة للحبوب كضمان لتسليم الحبوب للدولة، واكد لينين انه يجب اختيار هؤلاء الرهائن من الطبقة البرجوازية الأكثر ثراءً، مما يؤكد ان الحبوب ستكون بالفعل انه قد تم توصيلها(٥٣).

كان جوهر الارهاب طابعه الطبقي، فكان ينتقى ضحاياه، لا على اساس جرائم معينة، بل لانتمائهم الى الطبقات المالكة(٥٤)، وقد قال لينين في خطابه الى العمال الامريكيين: "ان البرجوازيين الانكليز نسوا سنة ١٦٤٩، والبرجوازيين الفرنسيين نسوا ١٧٩٣، لقد كان الارهاب عادلاً ومشرعاً عندما استخدمته البرجوازية لمصلحتها الخاصة ضد سادة الاقطاع، واصبح الارهاب وحشياً اجرامياً عندما جرأ العمال وفقراء الفلاحين على استخدامه ضد البرجوازية"(٥٥).

لم تكن الاعمال الوحشية التي اقترفت باسم الـ تشيكا مجرد اخطاء عرضية للسلطة، لقد كان الرعب الاحمر عنصراً مميزاً ومتمماً في عملية اخضاع روسيا لإرادة البلاشفة، ويتضح ذلك مما صرح به لينين نفسه: "لا يمكن التفكير في ديكتاتورية البروليتارية من دون رعب وعنف"(٥٦)؛ أو كما صرح قائلاً ايضاً: "دكتاتورية البروليتارية الثورية هي الحكم، والتي يحتلها ويحافظ عليها هي عنف البروليتارية ضد البرجوازية، غير المقيد بالقانون"(٥٧). وهذا غريغوري زينوفيف احد اعضاء الحزب البلشفي قد صرح في منتصف ١٩١٨ قائلاً: "للتغلب على اعدائنا يجب ان يكون لدينا قوتنا العسكرية الاشتراكية الخاصة بنا؛ يجب ان يكون معنا ٩٠ مليون شخص من اصل ١٠٠ مليون من سكان روسيا السوفييتية، اما البقية فليس لدينا ما نقوله لهم، يجب القضاء عليهم"(٥٨).

من ناحية رسمية كانت نشاطات الـ تشيكا موجهة الى البرجوازية وحدها، وقد قال مارتن لاتسيس احد قادة البلاشفة: "نحن لا نشن حربا ضد افراد عاديين، انما نستهدف البرجوازية

كطبقة"، ومع ذلك، فالحقيقة ان الـ تشيكا استهدفت من دون تميز- كل من حامت حوله الشبهات من معارضي حكومة السوفييت، ولم تقتصر الضحايا على افراد الطبقات العليا او الوسطى، بل ضمت في احيان كثيرة الفلاحين وحتى العمال، وقد عملت الـ تشيكا بقسوة من دون احساس بوخز الضمير، وكان اخذ الرهائن من اي جماعة لا تنتمي الى الجماعات الشيوعية اسلوباً مفضلاً ولدى حدوث ثورة او تمرد ضد الحكومة، كان الرهائن، وهم عادة من غير السياسيين لم يقوموا بشيء يخالف سلطة الدولة، يعدمون في الحال دون تردد، ولم تكن الـ تشيكا ترفض اللجوء الى التعذيب للحصول على اعترافات، او معلومات تعد ضرورية، فضلاً الى ذلك، لم يكن نادراً ان تتولى جماعة بلشفية في الاقاليم بصورة فردية تطبيق القانون بنفسها، وتوزع احكام الموت اذا ما شعرت انها مبررة، كما حدث في حالات الاعدام الجماعي للضباط في سيڤاستوبول في ربيع ١٩١٨، لقد كانت الفترة النشطة للرعب الاحمر فترة دموية استبدل فيها بالإجراءات العادية جهاز جبار يعمل بالاشتباه، فعوقب الالاف عن جريمة معارضة الديكتاتورية، والاف اخرون كانوا ابرياء من اي انشطة سياسية نالوا العقاب معهم ايضا[٥٩]. وقد قال احد اعضاء الـ تشيكا انها "لا تحاكم بل تضرب"؛ وأولئك الذين قارنوا الـ تشيكا "بالـ اوخرانا: "القيصرية" كانوا نياما عندما حدثت ثورة فبراير واكتوبر، ويتوقعون ان يقوم الاخرون بكل الاعمال القذرة الضرورية لبناء نظام شيوعي جديد يدخلونه بأيد نظيفة وملابس انيقة نظيفة ". فضلا عن ذلك انه: "لما كان المناهضين للثورة يعملون بنشاط في جميع مجالات الحياة...فليس هناك مجالاً لا تعمل فيه الـ تشيكا". وقد تركت احداث صيف ١٩١٨ البلاشفة بلا منافسين او شركاء بوصفهم الحزب الحاكم في الدولة، وكان لديهم في الـ تشيكا جهاز مطلق السلطة؛ وكان من اوائل قرارات النظام الجديد قرار يرخص لمجلس المفوضين بأغلاق جميع الصحف التي تدعوا الى "المقاومة العلنية او عصيان حكومة العمال والفلاحين؛ وكمبدأ عام لم يعد للصحافة البرجوازية وجود، ومع ذلك ،وبرغم هذا القرار واعتبار حزب "الكاديت "خارجا على القانون في اخر ١٩١٧، ظلت صحيفة الكاديت تصدر في صيف ١٩١٨؛ وقد اغلقت صحيفة المناشفة في بيتروگراد في شباط ١٩١٨ لحملتها ضد معاهدة بريست-ليتوفيسك .ولكنها استعارت حيلة من الحيل التي استعملتها الصحافة البلشفية في الماضي وعادت الى الظهور في موسكو في نيسان بأسم

جديد، واستمرت تصدر فترة بعد ذلك. وظلت بعض الصحف الفوضوية تصدر في موسكو مدة طويلة بعد الاجراء الذي اتخذته الـ تشيكا ضد الفوضويين في نيسان ١٩١٨[٦٠].

قبل نهاية عام ١٩١٨ كانت هناك بضع عوامل ادت الى التخفيف من حدة الارهاب، مع ذلك كانت الارقام تشير الى ان عدد الذين اعدموا بين عام ١٩١٨ والنصف الاول من عام ١٩١٩ رمياً بالرصاص قد بلغ ٨٣٨٩ شخص من قبل الـ تشيكا من دون محاكمة[٦١]؛ فقد بدأ التعطش الى الانتقام يقل، وصار الخوف من الثورة المضادة في الداخل اقل حدة ايضا، وخفف انهيار المانيا، من الضغط الخارجي؛ ومن الناحية الاخرى ادت تعديات الـ تشيكا على اختصاصات جميع فروع الادارة تقريبا الى اثارة الغيرة والنفور ولاسيما من جانب مفوضيتي العدل والشؤون الداخلية هذا من جانب؛ ومن جانب اخر ان المسؤولين عن السياسة الاقتصادية، الذين استعانوا بالفنيين غير البلاشفة، مما لا غنى عنهم بوصفهم: "خبراء"، لم يستطيعوا الا اعلان عدم رضاهم عن سياسة الارهاب الشامل ضد الخصوم السياسيين. وكان هذا هو الجو السائد عندما اجتمع المؤتمر السادس لـ سوفييتات عموم روسيا (اول مؤتمر يكاد يكون بلشفيا خالصاً) في امسية العيد السنوي الاول للثورة؛ ووافق على الفور على ما وصف بأنه: "عفو عام"، وامر بأطلاق سراح جميع: "من اعتقلتهم اجهزة مقاومة الثورة المضادة"، الا اذا وجهت اليهم في ظرف اسبوعين من اعتقالهم تهم محددة عن اعمال ضد الثورة، وكذلك اخلاء كل الرهائن باستثناء من تحتجزهم الـ تشيكا المركزية كضمان محدد مقابل بعض: "الرفقاء الذين في ايدي الاعداء". وفصل القرار نفسه في النزاع حول الاختصاص بأن اعطى حق الاشراف على تنفيذه للجنة المركزية وللجان التنفيذية المحلية. وبعد ان قص المؤتمر اجنحة الـ تشيكا بهذه الطريقة، على الورق على الاقل، انتقل الى قرار اخر : "عن الشرطة الثورية "، يطالب: "كل المواطنين في الجمهورية وجميع اجهزة السلطات السوفييتية وموظفيها"، بمراعة وتنفيذ القوانين بدقة تامة يعطي المواطنين حق التظلم ضد اي اهمال لحقوقهم او افتراءات عليهم بواسطة الموظفين. وصحيح ان البند الخاص بمطالبة الموظفين والاجهزة العامة بمراعاة تنفيذ القوانين وضع له استثناء صيغ بحرص فيما يتصل بالإجراءات التي تتطلبها: "الظروف الخاصة بالحرب الاهلية والصراع ضد الثورة المضادة". ولكن قرارات المؤتمر السادس لـ سوفييتات عموم روسيا تمثل اول مجموعة من سلسلة

محاولات مخلصة، وان لم تجد في نهاية الامر شيئاً، للحد من استخدام السلطة التحكمية بواسطة اجهزة الامن في الجمهورية وحصرها داخل نطاق الشرعية[٦٢].

شهد ربيع عام ١٩١٩ اضرابات في عدد من المدن الروسية مثل تولا، واوريول، وتفير، وايڤانوڤو، واستراخان، وسعى العمال الذين كانوا يتضورون جوعاً للحصول على حصص غذائية مطابقة لتلك التي يحصل عليها الجنود في الجيش الاحمر؛ كما طالبوا بإلغاء امتيازات البلاشفة، وبحرية الصحافة وبالانتخابات الحرة، ولكن الـ تشيكا قمعت تلك الاضرابات بلا رحمة، مستخدمين وسائل الاعتقال والاعدام[٦٣]؛ وفي مدينة استراخان، تم حمل المضربين، وجنود الجيش الاحمر الذين انظموا إليهم على المراكب، ثم القي بالمئات منهم في نهر الڤولگا والحجارة حول رقابهم؛ وبين ٢٠٠٠-٤٠٠٠ شخص اطلق عليهم الرصاص أو اغرقوا في المدة بين ١٢-١٤ اذار ١٩١٩، فضلاً عن ذلك اودى القمع بحياة نحو ٦٠٠-١٠٠٠ من البورجوازيين، وتشير الوثائق الى ان هذه كانت اكبر مذبحة للعمال على يد البلاشفة قبل قمع تمرد كرونشتادت التي سيجري التطرق إليها لاحقاً[٦٤]. وتشير التقارير التي نشرها لاتسيس ان الاشهر المتبقية من عام ١٩١٩ وطوال عام ١٩٢٠ بلغ مجموع الاعدامات التي نفذتها الـ تشيكا ١٢.٧٣٣ شخصاً، وان هذه الاحصائية التي يقدمها لاتسيس محدودة لأنها لا تمثل حسب اعترافه هو سوى ٢٠ مقاطعة فقط في روسيا السوڤييتية[٦٥]؛ ومع ذلك استمرت الاضرابات، وكانت لدى لينين مخاوف بشأن الوضع المتوتر فيما يتعلق بالعمال لاسيما في منطقة الاورال[٦٦]. وفي ٢٩ كانون الثاني بعث برقية الى ڤلاديمير سميرنوف تفيد: "انا مندهش لأنك تأخذ هذه المسألة على محمل الجد، ومع ذلك، لا تنفذ على الفور حكم الاعدام بحق اعداداً كبيرة من منفذي جريمة التخريب"[٦٧]. وخلال ذروة الارهاب الأحمر، اخذت الـ تشيكا آلاف الرهائن من كل مكان في روسيا السوڤييتية، ومات الكثيرون منهم في عمليات اعدام واسعة النطاق؛ وكثيراً ما استخدمت الحكومة السوڤييتية الرهائن طوال مدة الحرب الأهلية؛ وبلغ عدد الرهان في تموز ١٩١٩ كما ورد في تقرير لاتسيس ١٠.٠٥٠ شخصاً ليبلغ المجموع كله مع الرهائن الموجودين من عام ١٩١٨ حسب تقرير لاتسيس١٣.١١١ رهينة[٦٨]. ويبدو ان تقرير لاتسيس لم يكن شاملاً، فحسب تقرير اخر قدمه سيرجي ميلگونوف اشار الى انه تم احتجاز ٧٠٠ رهينة في نيگني

نوڤگورود في يوم واحد فقط؛ وكان ميلگونوف قد اكد ان الـ تشيكا كانت تسعى الى اخذ الرهائن دون اي نية بأطلاق سراحهم[٦٩]. وقد بلغ عدد المعتقلين في تموز ١٩١٩ حسب تقرير لاتسيس ايضاً ٧.٣٠٥ معتقلاً[٧٠].

خلال عام ١٩٢٠ تم فرض العمل القسري على الافراد المحكوم عليهم في معسكرات العمل القسري من قِبل: اما المحاكم الشعبية التي تخص القضايا الجنائية؛ او المحاكم الثورية والـ تشيكا التي تخص الجرائم السياسية، وقد صدر في ١٨ اذار ١٩٢٠ مرسوم منح الـ تشيكا إلزام الافراد بتلك المعسكرات تصل لمدة خمس سنوات[٧١].وفي تشرين الاول ١٩٢٠ وحده اعدمت الـ تشيكا اكثر من ٦٠٠٠ شخص، وقد برر الزعماء الشيوعين مجازرهم تلك بأنه نوع من الصراع الطبقي ضد البورجوازية[٧٢].

اما فيما يخص الاحزاب السياسية المعارضة فقد ظل للمناشفة طوال ١٩٢٠ مكاتب للحزب وناد في موسكو وان كانت "الـ تشيكا كثيرا ما هاجمت هذه الابنية ووضعت عليها الاختام وصادرت ما وجدته من اوراق واعتقلت المجتمعين فيها"، واصدروا نشرات اخبارية وبيانات عن طريق مؤسسات طباعية صديقة موقع عليها من اللجنة المركزية للحزب؛ وفي انتخابات الـ سوڤييتات المحلية في ذلك العام حصلوا على ٤٦ مقعدا في سوڤييت موسكو، و٢٥٠ في خاركوف ،و١٢٠ في يارسولاڤ و٧٨ في كريمنشوك ،واعدادا اقل من ذلك في معظم المدن الكبيرة الاخرى رغم التضييق الذي كانت يواجهه الحزب[٧٣]. وفي ايار ١٩٢٠ سُمح لأعضاء وفد العمال البريطاني الذي يزور موسكو: "بكامل الحرية في مقابلة السياسيين من احزاب المعارضة"، بل انهم حضروا اجتماعا للجنة المركزية المنشفية؛ وحضر بعضهم بعد ذلك اجتماعا من ٣٠٠٠ عامل نظمته نقابة الطباعة التي كان يسيطر عليها المناشفة، وتحدث في هذا الاجتماع خطباء من المناشفة والبلاشفة. وفي اثناء الاجتماع ظهر شيرنوف، احد زعماء الثوريين الاشتراكيين، متخفيا (وكان مطلوبا بواسطة الـ تشيكا) والقى خطابا قارن فيه الاشتراكية بالمسيحية البدائية وانحدار البلاشفة بانحدار كنيسة العصور الوسطى. ويقول دان احد زعماء المناشفة انه كان: "اخر اجتماع من هذا النوع في موسكو البلشفية ". وفي اب ١٩٢٠ عقد اجتماع علني للحزب المنشفي وجاءت اخباره في الصحافة السوڤييتية، وبعد ذلك ايضا ظل المناشفة يسيطرون على نقابات مهمة ويعملون كمجموعة

منظمة في مؤتمرات المجلس المركزي للنقابات. بيد ان المؤتمر الثامن للسوفييتات عموم روسيا عُقد في كانون الاول ١٩٢٠ كان اخر مؤتمر يسمح فيه بحضور مندوبين بدون حق التصويت، من المناشفة والثوريين الاشتراكيين وبعض الجماعات الثانوية الاخرى وكانت لهجة خطباء المعارضة اكثر تشددا، وكان استقبالهم من جانب الاغلبية البلشفية الساحقة في المؤتمر اكثر عداوة، من السنوات الماضية، وكان مارتوف زعيم المناشفة قد غادر روسيا فعلا والقى في خريف ١٩٢٠ خطابا هاجم فيه نشرة زينوفيف والبلاشفة في مؤتمر الاشتراكيين الالمان المستقلين في هال. وكان من الواضح ان سياسة التسامح المشروط مع الاحزاب المنشقة في الـ سوڤييتات كانت تقض مضجعه[٧٤].

خلال عام ١٩٢٠ تشير الدلائل الى ان الارهاب الذي مورس سابقاً ضد البيض ما زال مستمراً، فقد كان هناك حوالي ٥٠.٠٠٠ اسير حرب ابيض ومدني اعدموا رمياً بالرصاص أو شنقاً بعد هزيمة الجنرال پيوتر رانجل في نهاية عام ١٩٢٠، رغم انهم وعدوا بالعفو اذا استسلموا، وتعد هذه احدى اكبر مجازر الحرب الاهلية[٧٥]. وجاءت مع الشهور الاولى من عام ١٩٢١ اخطر ازمة داخلية في التاريخ السوفيتي منذ صيف ١٩١٨، تلك الازمة التي عُرفت باسم تمرد اقليم تامبوف(Tambov)، وكانت واحدة من اكبر وافضل تمردات الفلاحين تحدياً للنظام البلشفي اثناء الحرب الاهلية الروسية؛ وتشير التقديرات الى انه خلال قمع تمرد تامبوف تم سجن أو ترحيل حوالي ١٠٠.٠٠٠ من الفلاحين وعائلاتهم وربما تم اعدام حوالي ١٥.٠٠٠ شخص[٧٦].

اما ابرز التمردات التي واجهها البلاشفة والتي قُمعت بكل وحشية هو تمرد بحارة كرونشتادت، والتي اندلعت في اذار ١٩٢١ بقيادة ستيپان پيتريتشنكو[٧٧]، وكان التمرد يضم البحارة والجنود وبعض المدنيين الروس، ويعود سببه الى قرار لينين والحزب الشيوعي الى تخفيف سيطرة الدولة على الاقتصاد الروسي من خلال تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة[٧٨](NEP)[٧٩]؛ فضلاً عن ذلك كان التمرد مظهراً من مظاهر موجة الاستياء المتسعة والمطالبة بحرية الانتخاب للمجالسة السوڤييتية والغاء احتكار الحزب للسلطة عن طريق اعلان عفواً سياسياً عاماً والسماح بإعادة الاحزاب الفوضوية والاشتراكية اليسارية. غير ان لينين بادر الى وصف تمرد كرونشتادت بأنها من صنع الجنرالات البيض،

والاشتراكيين الثوريين[٨٠]. لذا تم سحق التمرد بعد حملة عسكرية للجيش الاحمر استمرت ١٢ يوم اسفرت عن مقتل عدة آلاف من الروس، ووفقاً لـ لينين كانت تلك الازمة من اكثر الازمات خطورة واجهها النظام البلشفي، بل تعد اخطر من قوات الحرس الابيض نظراً لكونها تمثل انشقاقاً داخل النظام الشيوعي[٨١].

❖ **رابعاً: اجراءات الـ تشيكا القمعية.**

قبل ختام الموضوع لابد من المرور حول ابرز الوسائل القمعية التي اتبعتها الـ تشيكا في اجراءاتها، فهناك العديد من التقارير التي تفيد بأن محققي الـ تشيكا استخدموا اساليب التعذيب التي لا تتفق إلا مع محاكم التفتيش الاسبانية[٨٢]؛ففي اوديسا مثلاً، ربط اعضاء الـ تشيكا الضباط البيض بالألواح الخشبية وقاموا بوضعهم ببطء في الافران أو خزانات الماء المغلي؛ وفي خاركيف كان تقشير جلد الضحايا شائعاً من اجل انتاج القفازات؛ كما وضع الـ تشيكا ضحاياهم عارية في براميل مليئة بالمسامير؛ أو تم صلب الضحايا احياناً او رجمهم حتى الموت في دنيبروبيتروفسك؛ كما قام الـ تشيكا في كريمنتشوك بخوزقة عدد من رجال الدين، ودفن الفلاحين المتمردين وهم احياء؛ وفي اوريل كان يُسكب الماء على السجناء وهم عراة ومقيدين في الشوارع في فصل الشتاء[٨٣]. فضلاً عن ذلك وقعت عمليات اعدام في اقبية السجون أو الساحات، أو في بعض الاحيان على مشارف البلدات، اثناء فترة الارهاب الاحمر، بعد تجريد المدانين من ملابسهم وممتلكاتهم، وكانوا عادة ما يتعرضوا في حالات الاعدام اما للرشاشات الالية على دفعات أو يتم ارسالهم بشكل فردي مع شخص يحمل مسدساً. وعادة ما يتم اطلاق النار على الذين قتلوا في السجن من الجزء الخلفي من الرقبة اثناء دخولهم الى قبو الاعدام الذي اصبح مليئاً بالجثث والدماء؛ واحياناً يتم نقل الضحايا الى خارج المدينة بوساطة شاحنة الى مكان الاعدام بعد ان اجبارهم على حفر قبورهم بأنفسهم[٨٤]. ومن المعروف ان الـ تشيكا لم يقتصر عملها ضد اعداء الثورة من المتآمرين، والحرس الابيض، والاشتراكيين المناهضين للبلاشفة، بل استهدفت الـ تشيكا حتى اعضاء النخبة القديمة مثل: الاطباء، والمحامون، والمهندسون، والتقنيون وغيرهم من المتعلمين والمتخصصين؛ وهذا الاجراء سرعان ما اثر بشكل كبير على المؤسسات الروسية الصناعية، وقطاعات السكك الحديدية، حيث تم اعتقال العديد من كبار الخبراء، والمهندسين،

والمحتجزين؛ وكان عدد الرهائن الذين تم احتجازهم كبيراً جداً. وفي كثير من الاحيان كان يتم اعتقال افراد الاسرة من الضباط السابقين في الجيش القيصري تحت إمرة تروتسكي والجيش الاحمر لإجبارهم على القتال ضد البيض. وخلال مدة الارهاب الاحمر اكتسبت الـ تشيكا صلاحيات احتجاز المشتبه به لمدة غير محدودة من الزمن، وكان الاستجواب عادة يتم في وقت متأخر من الليل، وعانى السجين من نظام غذائي قريب من الجوع، وتهديد للسجناء وتعذيبهم(٨٥).

خلال مدة الحرب الاهلية، وتزايد الارهاب الاحمر ظهرت ثلاثة انواع من السجون في روسيا وهي:

١. السجون الاعتيادية: وهي التابعة الى مفوضية العدل.
٢. معسكرات العمل التابعة الى مفوضية الداخلية.
٣. معسكرات الاعتقال الخاصة التابعة الى الـ تشيكا.

والذي يهمنا من هذه السجون والمعتقلات هي الاخيرة، فمعتقلات الـ تشيكا لم تكن نتيجة احكام قضائية، بل نتيجة تدبير وقائي ضد اولئك الذين يتم اتهامهم بارتكاب جرائم ضد النظام، وحتى عام ١٩٢٢ كانت هناك ٥٦ معسكر من هذه المعسكرات تابعة الى الـ تشيكا(٨٦).

لا نعرف الى الآن عدد الذين اعدموا بشكل نهائي على يد الـ تشيكا، ولسوء الحظ بالنسبة للباحثين الحاليين، لا توجد احصائيات دقيقة تمثل التأثير الكامل للإرهاب الأحمر على البلاد ككل، لكن العدد الاجمالي للأشخاص الذين قتلوا خلال فترة الارهاب الاحمر يقدرها البعض بحوالي ١.٣٠٠.٠٠٠ شخص(٨٧)، وربما هذا العدد مبالغ به كثيراً؛ بينما تعطي تقديرات اخرى انه اعدم سنوياً من كانون الاول ١٩١٧ الى شباط ١٩٢٢ حوالي ٢٨٠٠٠ شخص(٨٨) وهذا تقدير منخفض جداً لاسيما واذا ادركنا مقدار الاعدامات فقط خلال عام ١٩٢٠ مثلاً؛ وهناك تقدير اخر للعدد الاجمالي للذين قُتلوا خلال عمليات الارهاب الاحمر يقدر بحوالي ١٠٠.٠٠٠ شخص(٨٩)؛ وربما ٢٠٠.٠٠٠ شخص(٩٠)؛ وقدر الصحفي والمؤرخ هنري تشمبرلن ما مجموعه ٥٠.٠٠٠ حالة وفاة قتلوا على يد الـ تشيكا(٩١) وهذا الرقم أيضاً ربما منخفض؛ في حين يقدر المؤرخ جورج ليغيت الى ان الذين قتلوا على يد الـ تشيكا

يقدرون بحوالي ١٤٠.٠٠٠ شخص[٩٢]. ان تلك الاعداد الضخمة من الاعدامات التي نُفذت بين ١٩١٨-١٩٢٢ اذا ما قارناها بالإعدامات في العهد القيصري يتضح منها مدى بشاعة الارهاب الاحمر الذي مارسه البلاشفة، فخلال المدة بين ١٨٦٦-١٩٠٠ فإن الحكم القيصري لم يطبق حكم الاعدام إلا في ٤٨ شخصاً فقط، مقابل ٣٩ عملية اغتيال سياسي نُفذت خلال تلك المدة من قبل جماعات متطرفة، بما في ذلك اغتيال القيصر الكسندر الثاني. ومع تزايد المعركة بين الحكم القيصري والثورة السرية من توتر في مطلع القرن العشرين، واعتماد المنظمات المتطرفة على الاغتيال السياسي كوسيلة للتغيير بين ١٩٠٠-١٩١٤، فإن الإرهاب الثوري اودى بحياة اكثر من ١٠.٠٠٠ موظف حكومي. ورداً على هذه الهجمات، شهدت الدولة الروسية ارتفاعاً في قضايا الاعدام لاسيما بعد ثورة ١٩٠٥، ومع ذلك لم يتجاوز مجموع كل عمليات الاعدام خلال السنوات الخمسين الاخيرة من الحكم القيصري ١٤.٠٠٠ شخص، وهو اقل بكثير مما وصلته الاعداد على يد الـ تشيكا؛ كما يمكن ان نلاحظ الفرق الشاسع بين الاعدامات على يد الـ تشيكا وتلك التي كانت تمارس سابقاً، فتلك السابقة كانت تُنفذ ضد اولئك المشاركين في مؤامرات اغتيال المسؤولين الحكوميين؛ اما الـ تشيكا، فلم يكن لديها مثل هذا القيد وطبقت العدالة بشكل عشوائي[٩٣]. وفي الوقت نفسه لابد ان نعرف بعض الشيء عن الـ تشيكا التي مارست كل هذا الارهاب، فقد اشارت التقارير الى الفساد الكبير الذي ابتلي به ذلك الجهاز منذ وقت مبكر من الاتهامات بالسرقة، والرشوة، والسُكر، والابتزاز[٩٤].ولا نعرف الى الآن المقدار الحقيقي لعدد افراد الـ تشيكا خلال سنوات الحرب الاهلية في روسيا لكن التقديرات تشير الى ان عددهم ربما قد بلغ حوالي ٢٥٠.٠٠٠ رجل في روسيا خلال عام ١٩٢١، باستثناء تلك المنظمات المساعدة في اوكرانيا والقوقاز وبيلاروسيا[٩٥].

❖ **خامساً: نهاية الـ تشيكا وحلول الـ GPU محلها.**

في عام ١٩٢٢ بدأت المخاوف حتى من قبل السلطات البلشفية حول الـ تشيكا تتزايد مما ادى الى الدعوة الى الغاءها للأسباب التالية:

١. الاحداث التي مرت بها روسيا قد ادى الى ازدياد اهمية الـ تشيكا باطراد، الامر الذي نتج عنه تزايد صلاحياتها الاستثنائية التي مارستها، إذ اعتقلت وحاكمت واعدمت

المشتبه بهم دونما اي اشراف خارجي، وكان السجناء يحاكمون غيابياً؛ فضلاً عن مراقبة الصحافة، والكتب، والرحلات التي يقوم بها الناس، والاماكن العامة، وكل شيء في البلاد، بوساطة ملاكاً كبيراً (مئات الوف من الناس)، الامر الذي سبب دورها قلق حتى بين البلاشفة انفسهم.

٢. ان تزايد صلاحيات الـ تيشكا ادى الى تزايد العداء نحوها والذي كان ينطلق من مصدرين لكل منهما تمثيله القوي في الحزب وهما: المثاليين الذين لا يحبذون الارهاب والاجراءات الاستثنائية في المحاكمات بوصفهما اداتين نظاميتين للحكم، وان كانوا قد قبلوهما كضرورة طوارئ؛ واعضاء داخل الادارات الاخرى التي تحتج على اعتداءات هذا الجهاز غير النظامي والذي يتمتع بامتيازات خاصة على اختصاصاتها العادية، وكان المعبر عن هذا المصدر الاخير هما مفوضي الشئون الداخلية والعدل.

٣. اثارت لجان الـ تشيكا في روسيا بصورة حادة جدا المشكلة الدستورية المزمنة الخاصة بمسؤولية اجهزة السوفييتات المحلية.

٤. جاء عقب الحرب الاهلية هدوء في التوتر وكانت: "السياسة الاقتصادية الجديدة " رمزا له في الميدان الاقتصادي.

٥. ساد الشعور بأن تسريح الجيش ينبغي ان يرافقه تسريح الجهاز الذي ادار المعركة في الجبهة الداخلية، بعد الانتصار الكامل.

في المؤتمر التاسع لـ سوفييتات عموم روسيا في نهاية كانون الاول ١٩٢١ قدم لينين ايضاحاً طويلا لآرائه حول هذا الموضوع، وبعد ان يستذكر تآمر الاعداء الداخليين والخارجيين على الثورة، يشير قائلا :"انكم تعرفون ان الطريقة الوحيدة التي استطعنا ان نرد بها عليهم(على اعداء الثورة) كان القمع الفوري السريع وغير الرحيم، ذلك القمع الذي حظى بتعاطف ودعم الفلاحين...وطالما وجد المستغِلون في العالم، الذين لا يرغبون في تقديم املاكهم وحقوقهم الرأسمالية على طبق للعمال، فأن سلطة الشغيلة لا يمكن ان تظل على قيد الحياة دون مؤسسة مثل هذه؛ ونحن نعي ذلك بشدة، ونعرف ايضا ان مزايا الانسان يمكن ان تصبح عيوبه، ونعلم ان الظروف السائدة تطلب بإصرار ان يكون عمل هذه المنظمة محدوداً بالمجال السياسي بصورة خاصة، وان تكرس جهودها للمهمات التي يساعدها عليها

الوضع والظروف"؛ ثم يشير: "ولكن في الوقت نفسه نقول بشكل قاطع انه من الضروري اصلاح اللجنة الاستثنائية، وتحديد وظيفتها وصلاحيتها وحصر عملها في القضايا السياسية". لكن سميرنوف، وهو احد البلاشفة القدامى الذين ارتبطوا بحركات معارضة في الحزب، اقترح في خطابٍ موجزٍ جداً قراراً ووافق عليه المؤتمر، بدون مناقشة ينص على ما يلي: "ان مؤتمر الـ سوڤييتات يأخذ علماً بالعمل البطولي الذي قامت به اجهزة الـ تشيكا في احرج لحظات الحرب الاهلية والخدمات الضخمة التي قدمتها في مهمة دعم انتصارات ثورة اكتوبر والدفاع عنها ضد الهجوم من الداخل والخارج؛ ويرى المؤتمر ان ما بلغته السلطة السوڤييتية من قوة في الداخل والخارج في الوقت الحاضر يجعل في حيز الامكان تضييق نطاق نشاط الـ تشيكا واجهزتها، على ان يترك للأجهزة القضائية امر محاربة الخروج على قوانين الجمهوريات السوڤييتية؛ ومن ثم فأن مؤتمر الـ سوڤييتات يكلف رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية بإعادة النظر في اقرب فرصة ممكنة في القانون الاساسي للتشيكا واجهزتها بقصد اعادة تنظيمها والحد من اختصاصاتها ودعم مبادئ الشرعية الثورية"[٩٦].

من العسير ان يصدق المرء ان زعماء الحزب فكروا جديا في الاستغناء عن جهاز امن قوي مثل الـ تشيكا في وقت زادت فيه الحاجة الى اليقظة عند تطبيق السياسة الاقتصادية وما تنطوي عليه من تسامح مع العناصر الرأسمالية والبرجوازية الصغيرة. وفي ٨ شباط ١٩٢٢ اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية قراراً بإلغاء الـ تشيكا ولجانها المحلية وتحويل اعمالها الى مفوضية الشعب للشئون الداخلية، وبإنشاء: "جهاز الدولة السياسي"(GPU)، ووضعت تحت تصرفه فرق خاصة من الجيش، وذكر بين اعمالها مهمة: "محاربة الجريمة في الجيش والسكك الحديدية"؛ واخيرا تقرر ان اي شخص يعتقل بواسطة "الجهاز: "يجب، في غضون شهرين، اما اخلاء سبيله او تقديمه للمحاكمة بواسطة الاجهزة القضائية، الا اذا اصدر اذن خاص باستمرار احتجازه من رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية". وكان هذا البند هو المنفذ الذي جعل في وسع الجهاز ، عند الضرورة، تجنب تعقيدات الاجراءات القضائية. ولكن حتى هذا الاذن الرسمي لا يبدو انه طبق مدة طويلة. وبعد انشاء "اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية" في العام التالي اختفت ايضا التبعية الاسمية لمفوضية الشئون الداخلية، كما ان التحول الذي حدث في شباط ١٩٢٢ لم ينقل اختصاصات الـ تشيكا شبه القضائية الى

المحاكم، بل انه اخرج الجرائم السياسية من دائرة الاجراءات القضائية، وترك "للجهاز" سلطات تحكمية في تناول هذه الجرائم اكثر مما كان للتشيكا المنتهية، في اي وقت من الاوقات، ولم يمض شهران على انشاء "جهاز الدولة السياسي" حتى ان كان لينين يوجه اليه النقد، في المؤتمر الحادي عشر للحزب، للتدخل في عمليات اقتصادية لم يبد انها من شأنه(٩٧).

في عام ١٩٢٢ تعرض الثوريون الاشتراكيين للإجراءات الاضطهادية ذاتها التي كانت قد اتخذت ضد المناشفة في العام السابق، بيد ان الثوريين الاشتراكيين كانوا اقوى عصباً ولا يسهل اخمادهم مثل المناشفة، فقد كانوا حزبا ثورياً ذا تقليد في التآمر السري، وعندما استؤنفت سياسة المعارضة، عاد بعضهم على الاقل الى هذا التقليد. وسرعان ما تدخل الجهاز الجديد(GPU) في الامر؛ و في شباط ١٩٢٢ أُعلن ان ٤٧ من زعماء الثوريين الاشتراكيين اعتقلوا بتهم التآمر ضد السلطة السوفييتية، وأنهم سيقدمون الى المحاكمة؛ وكان لهذا الاعلان صدى في الخارج وبخاصة في الدوائر الاشتراكية. وفي نيسان ١٩٢٢ تعهد بوخارين ورادك، ممثلي الحزب الروسي في وفد الكومنترن، بأن السلطات في روسيا لن تطالب بتوقيع عقوبة الاعدام ضد الثوريين الاشتراكيين، وعنفهما لينين علناً بسبب قبولهما هذا التدخل في شئون السوفييت الداخلية، وان كان قد اعترف بأنه يجب تنفيذ هذا التعهد. وقبل ان تبدأ المحاكمة كان لينين قد اصيب بأول نوبة من نوبات الشلل. وافتتحت المحاكمة في ٨ حزيران ١٩٢٢ واستمرت شهرين، وحظيت بدعاية دولية بحضور فاندرفيلد، الاشتراكي البلجيكي ،كمحام اول عن المتهمين، وكانت هذه اول محاولة سياسية كبرى في عهد النظام(٩٨). وكانت التهم العامة الموجه الى الثوريين الاشتراكيين ضخمة ابان الحرب الاهلية منها اغتيال ميرباخ ومحاولة الاعتداء على حياة لينين، وحيثما لا توجد ادلة على اعمال محددة كانت توجد بيانات عديدة من جانب زعماء الثوريين الاشتراكيين تحبذ الاعمال الارهابية ضد السلطة السوفيتية. وقد صدرت ضد كثيرين منهم احكام مختلفة بالسجن، وحكم على اربعة عشر منهم بالإعدام(٩٩).

قبل ان ننهي موضوع الإرهاب الأحمر لابد من القول ان النظر الى الارهاب على انه ارهاب احمر كأنه النظر بعين واحدة غير منصفة فالدلائل تشير الى تنامي الارهاب

الابيض ايضاً، إذ اعدمت جيوش البيض والمتدخلون الاجانب عشرات الألوف من الجنود الحمر ، وفي الحقيقة ان البلاشفة لو لم يتصرفوا بهذه الطريقة لكانت الثورة السوفييتية قد هزمت، ولكانت اليوم شأنها شأن كومونة باريس[١٠٠]، مجرد ذكرى مدفونة في عقول الناس؛ وبالطبع ،هذا لا يبرر الانتهاكات التي جلبتها في اعقابها، ولكن، من حيث الاساس، كان امام الثورة خيار بسيط اما ان تسلك هذ السلوك، واما ان تهلك. وقبل كل شيء، علينا ان نرى ان الارهاب كان موجهاً نحو اعداء الشعب، اي نحو اولئك المسؤولين عن الحرب والمجاعة، من المضاربين والبيض؛ وفي الوقت ذاته كان سلوك البيض قاسياً وعديم الرحمة طيلة سنوات الحرب الاهلية، وان الجرائم التي اقترفتها جيوش كورنيلوف، ودينكين، ورانغل، وكولتشاك يجب ان تعد بمئات الالوف، إذ عذبوا وقتلوا الشيوعيين كما في موسكو، سامارا وقازان، حيث شهدت موسكو افجع مجزرة في تاريخ الثورة الروسية في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٧، فقد قُتل داخل الكرملين ٥٠٠ بلشفي مجردين من سلاحهم تحت رصاص رشاشات اليونكرز الذين لم يتورعوا على الاجهاز على الجرحى المترنحين الذين حاولوا الهرب من المنطقة التي تحصدها الرشاشات. كما نظمت اغتيالات جماعية للعمال في القوقاز ، وحرقت القرى كما حدث في ليجوكا قريباً ن الدون، حيث قتل جنود كورنيلوف ٥٠٧ شخصاً، ولا احد يذكر المذابح التي حدثت في اوكرانيا التي يسيطر عليها البيض وكلفت الناس مئة الف قتيل (كما ورد في تقرير الصليب الاحمر التابع الى عصبة الامم)، لان اليهود كانوا بالنسبة للجنرالات البيض هم المحرضين على الثورة وقادتها[١٠١]. لكن ذلك في كل الحالات لا يبرر للبلاشفة أو الجنرالات البيض الإرهاب الذي مارسوه بكل بشاعته ضد الشعب الروسي.

الخلاصة:

ان دراسة اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا(الـ تشيكا) مهم للغاية، لأنه يكشف بشكل عملي طبيعة المجتمعات الدكتاتورية، واسلوبها القمعي لتثبيت سلطتها في مجتمعاتها، ومن اجل ان نصل الى نتائج مرضية علينا ان نتابع ما يلي:

١. ان الارهاب فكرة متأصلة في الاحزاب الاشتراكية منذ ظهورها في القرن التاسع عشر، كما يتضح بشكل جلي في ابرز المنظمات الاشتراكية التي تم استعراضها.

٢. واجه البلاشفة بعد استلامهم للسلطة في اعقاب ثورة ٢٥ تشرين الاول ١٩١٧ نمطين من المعارضة هي قوى اشتراكية معادية لهم، اطلقوا على انفسهم اسم لجنة انقاذ الوطن والثورة؛ وجنرالات الجيش السابق والذين قادوا ما يعرف باسم الجيش الابيض.

٣. سعى لينين والبلاشفة من اجل احكام قبضتهم على روسيا الى تشكيل قوتين داخلتين الاولى استبدال المحاكم الروسية بالمحاكم الشعبية والثورية؛ والثانية فهي تشكيل جهاز قمعي للقوى المضادة للثورة تعرف باسم اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا (الـ تشيكا).

٤. كان مرسوم ٧ كانون الاول ١٩١٧ يحصر عمل الـ تشيكا في سحق كل المحاولات والاعمال التخريبية المعادية للثورة؛ تقديم كل المخربين والمعادين للثورة الى محكمة ثورية؛ وكانت اجراءاتها تقتصر على: المصادرة ، الطرد ، سحب البطاقات التموينية ، نشر قوائم بأسماء اعداء الشعب، وهذا يعني ان حق الاعدام في المرسوم الاصلي لم يكن من ضمن صلاحيات الـ تشيكا.

٥. جاء اول تغيير في صلاحيات الـ تشيكا بعد مرسوم ٢١ شباط ١٩١٨ عندما اعلن لينين مرسومه الشهير: "الوطن الاشتراكي في خطر"، وتلا ذلك اعلان دزيرجينسكي انه اصبح من صلاحيات لجنته هو سحق اعداء الثورة بلا رحمة، وهذا يشير الى ان الـ تشيكا اصبح لها صلاحيات الإعدام منذ وقت مبكر جداً بعد تأسيسها، وهذا يتضح بشكل صريح بتوقيع اول قرار اعدام نفذته الـ تشيكا يوم ٢٣ شباط اي بعد يومين فقط من مرسوم لينين.

٦. ان الارهاب الأحمر بلغ ذروته عندما التجأ الثوريون الاشتراكيون مرة اخرى الى اسلوب الاغتيال السياسي، وكان هذه المرة ضد البلاشفة؛ وبعد محاولة اغتيال لينين في ٣٠ اب ١٩١٨ اصبح الارهاب مؤسسياً؛ إذ بدأت حملة القمع الجماعي رسمياً الذي يمثل بمثابة انتقاماً لمحاولة اغتياله.

٧. شهدت المدة من ٢-٥ ايلول البداية الفعلية للإرهاب الرسمي عندما اصدر كل من اللجنة التنفيذية المركزية، مفوض الشعب للشؤون الداخلية، والـ تشيكا بيانات تعلن رسمياً بداية الإرهاب الأحمر لاسيما بيان ٥ ايلول الصادر من الـ تشيكا.

٨. تمثلت اعمال البلاشفة الارهابية في جوانب عدة مثل الاعدامات والرهائن والاعتقالات تعدى الامر كذلك على مصادرة الممتلكات أيضاً.

٩. ان هناك مصدرين رئيسين عن مقدار الضحايا الذين راحوا ضحية الإرهاب الأحمر الأول هو المنشورات السوفييتية المتعددة سجلت في جميع انحاء البلاد قوائم لمنظمات الـ تشيكا الإقليمية حول الاعمال اليومية لكل منظمة؛ والثاني هي القوائم التي سجلها المعارضون المعاصرون للأحداث.

الهوامش:

[١]) الفوضوية: هي تصور سياسي يرمي الى الغاء الدولة واستبعاد كل سلطة من داخل المجتمع تملك حقا قسريا على الفرد، اي انها حركة ترمي الى بناء حياة مشتركة على اساس الارادة الفردية المستقلة. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الوهاب الكيالي(تحرير)، موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٥)،ج٤،ص٦٣١-٦٣٧.

[٢]) جورجي ڤالنتينوڤيش بيلخانوف: ولد في اقليم تامبوف عام ١٨٦٥، واصبح ناشطا سياسيا عان ١٨٧٦، حينما كان في حركة النخبة المثقفة، واصبح قائد منظمة الارض والحرية، عارض الاستخدام المتزايد للإرهاب، واعتقل مرتين ثم هرب خارج روسيا عام ١٨٨٠. بين عامي ١٨٨٠-١٨٨٢ تحول الى الماركسية، واسس جماعة تحرير العمل عام ١٨٨٣. اصدر عدة مؤلفات حول الماركسية منها: الاشتراكية والصراع السياسي عام ١٨٨٣، واختلافاتنا عام ١٨٨٥. ف عام ١٨٩١ صاغ بيلخانوف مفهوم المادية الجدالية. عام ١٩٠٠ اصدر مع لينين صحيفة ايسكرا. ثم انشق عن لينين عام ١٩٠٣ بعد اعتراضه على: "دكتاتورية لينين العداونية". بعد ثورة ١٩١٧ عاد بيلخانوف الى بطرسبورغ، وندد بثورة اكتوبر باعتبارها: "خرق لكل القوانين في التاريخ". وتوفي في ٣٠ ايار ١٩١٨. انظر: روبرت بنيويك وفيليب جرين(تحرير)، موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين، ترجمة: مصطفى محمود،(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية،٢٠١٠)،ص٤٠٣-٤٠٦.

[٣]) باڤل بوريسوڤيتش اكسلورد: اشتراكي روسي، ولد عام ١٨٥٠ من عائلة يهودية من الفلاحين، قرأ مؤلفات الاشتراكي الالماني لاسال، وانخرط في صفوف الحركة الثورية، ثم اخذ يقترب تدريجيا من افكار باكونين الفوضوية. التجأ الى المانية عام ١٨٧٤. عاد الى روسيا وهناك تعرف على بيلخانوف، ثم اصبح ماركسيا واسس مع صديقه بيلخانوف جماعة تحرير العمل، وشاركه كذلك مع لينين في اصدار الايسكر عام ١٩٠٠، توفي عام ١٩٢٨. انظر: عبد الوهاب الكيالي(تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٥)،ج١،ص٢٥١.

[4]) [4]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union(Bolsheviks),(New York,1939),P.10;

محمد محمد صالح، تاريخ اوروبا الحديث،(بغداد: مطبعة شفيق،١٩٦٨)،ص١٢٣؛ عبد العظيم رمضان، تاريخ اوروبا والعالم الحديث،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧)،ج٢،ص٢٤١-٢٤٢؛ اريك هوبزباوم، عصر الامبراطورية ١٨٧٥-١٩١٤،ترجمة:فايز الصياغ،(بيروت: المنظمة العربية للترجمة،٢٠١١)،ص٥٤٩؛ ريتشارد ابجيانزي واوسكار زاريت، لينين والثورة الروسية، ترجمة: محي الدين مزيد، مراجعة: امام عبد الفتاح امام،(القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة،٢٠٠٣)،ص٣٠-٣٥.

[٥]) صالح، تاريخ اوروبا الحديث،ص١٢٥؛ابجيانزي وزاريت، لينين والثورة الروسية،ص٨٩.

[٦]) كارل ماركس، النضال الطبقي في فرنسا ١٨٤٨-١٨٥٠، على الموقع الالكتروني(https://ayman1970.wordpress.com)،ص١٠٢-١٠٣.

[7]) V. I. Lenin, Collected Works,(Mosco,2009),Vol:9,P.58; Amanda Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,(A thesis presented to the faculty of the College of Arts and Sciences of Ohio University, In partial fulfillment of the requirements for the degree Master of Arts, 2014),P.58.

[٨]) جون ريد، عشرة ايام هزت العالم،(بيروت: دار الفارابي،١٩٨٥)،ص١٧٥-١٧٧.

[٩]) الحقيقية ان التمييز بين الجيش الاحمر والابيض يعد من تقاليد الادب الماركسي بامتياز، فقد كتب ماركس قائلا منذ القرن التاسع عشر عن انتصار الثورة المضادة للبورجوازية ضد البروليتارية في اوروبا لثورات ١٨٤٨ قائلاً: "ان الاعمال الوحشية الخسيسة، والفظائع الشنيعة التي ارتكبتها الثورة المضادة الظافرة في المجر وبادن وروما غسلت الجمهورية الحمراء حتى البياض". انظر: ماركس، النضال الطبقي في فرنسا،ص٨٧-٨٨. كما اشار صراحة عن مفهوم الارهاب الابيض عندما تحدث عن التنكيل الذي اصاب البروتستانت واللبراليين من قبل الجيروند في فرنسا عام ١٨١٥.انظر: المصدر نفسه،ص١٠٠.

[١٠]) اثر وصول البلاشفة بقيادة لينين الى السلطة في تشرين الاول ١٩١٧، شهدت البلاد هدوءً نسبيا انتهى مع اندلاع الحرب الاهلية الروسية في ايار ١٩١٨. وقد اندلعت تلك الحرب بين البلاشفة والقوى المعادية للثورة البلشفية الذين اطلق عليهم اسم الروس البيض الذين أرادوا الاطاحة بالبلاشفة والسيطرة على البلاد، لذا سيطروا على معظم المناطق الواقعة بين نهر الفولغا والمحيط الهادئ، وكان على رأسهم مجموعة من ضباط الجيش الروسي القديم، وبدأ قتال عنيف بين وحدات الروس البيض والجيش الاحمر الذي انشأه تروتسكي بصفته مفوضا للشؤون العسكرية. وفي اب كان الروس

البيض قد حشدوا قوة كافية لمهاجمة موسكو، غير ان البلاشفة تمكنوا من صد ذلك الهجوم. في تلك الاثناء كانت قوى الحلفاء قد بدأت بالتدخل عسكريا في روسيا، اذ كانت القوات البريطانية قد نزلت في مورمانسك منذ اذار بحجة منع الالمان من الاستيلاء على شحنات الذخيرة التي ارسلها الحلفاء الى روسيا اثناء الحرب العالمية الاولى، كما قامت كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بإنزال قواتهم في شمالي روسيا، في حين انزلت الولايات المتحدة واليابان قواتهما في سيبيريا بهدف دعم الروس البيض، واعادة روسيا الى الحرب ضد المانيا. للمزيد من التفاصيل حول الحرب الاهلية الروسية انظر: جون ريد، عشرة ايام هزت العام، (بيروت: دار الفارابي،١٩٨٥)،ص٢١٤-٤٠٠؛ بيار دوران، مكاشيف من اطراف الدنيا ١٩١٧-١٩٢١ الثورة المضادة والتدخل الاجنبي في روسيا، ترجمة جورج عبدو،(بيروت: دار الفارابي،١٩٧٩).

[11]) Sheila Fitzpatrick, The Russian Revolution,(Oxford,1994),P.68.

[12]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.59.

هذا الاجراء اتخذه لينين بعد شرح مطول للخطأ الذي وقعت فيه كومونة باريس. انظر:

V. I. Lenin, Collected Works,(Mosco,2010),Vol:13,PP.475-478.

[١٣])تيشكوف، دزيرجينسكي،ص١٧٩.

[١٤])المصدر نفسه،ص١٨٠.

[١٥]) ادوارد كار، ثورة البلاشفة ١٩١٧-١٩٢٣،(القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بلا. ت)،ص١٥٩؛ جان ايلينشتاين، ظاهرة ستالين، ترجمة: مجيد الراضي،(دمشق: دار المدى للثقافة والنشر،١٩٩٦)،ص٢٧؛ جورج فرنادسكي، تاريخ روسيا، ترجمة: عبدالله سالم الزليتني،(بنغازي: المكتب الوطني للبحث والتطوير،٢٠٠٧)،ص٢٩٢؛ تيشكوف، دزيرجينسكي، ترجمة: سامي عمارة،(موسكو: دار التقدم،١٩٨٤)،ص١٨٢.

Fitzpatrick, The Russian Revolution,P.76; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.58.

[16]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.62.

[١٧]) تيشكوف، دزيرجينسكي،ص١٨٣؛

Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.58.

[١٨]) كار، ثورة البلاشفة،ص١٦٠.

[١٩]) تيشكوف، ديزرجنسكي،ص١٨٣.

[٢٠]) المصدر نفسه،ص١٨٥-١٨٦.

[٢١]) كار، ثورة البلاشفة،ص١٦٠-١٦١؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٢٧-٢٨.

[٢٢]) في ٥ كانون الاول ١٩١٧ تم توقيع هدنة مؤقتة لمدة عشرة ايام مع الالمان، وبدأت المحادثات في بريست ليتوفسك يوم ١٣ كانون الاول التي ادت الى توقيع هدنة يُعمل بها حتى يوم ١٤ كانون الثاني ١٩١٨. انظر: جون س. ريشيتار جونيور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي، ترجمة: فوزي قبلاوي،(بلا. مط، بلا. ت)،ص١٤١.

[23]) V.I. Lenin, Collected Works,(Moscow,2011),Vol:27,P.30-33; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.23;

فلاديمير لينين، المختارات،(موسكو، دار التقدم،١٩٧٧)،ج٧،ص٤٧٩-٤٨٠؛ فلاديمير لينين، الدفاع عن الوطن الاشتراكي،(موسكو، منشورات وكالة انباء نوفو ستي، بلا. ت)،ص١٧-١٩؛ تشيكوف، دزيرجنسكي،ص١٨٧.جونيور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي،ص١٥٠.

[٢٤]) كار، ثورة البلاشفة،ص١٦١؛

Fitzpatrick, The Russian Revolution,P.72.

[٢٥]) تشيكوف، دزيرجينسكي،ص١٨٧-١٨٨.

[٢٦]) المصدر نفسه،ص١٨٨-١٨٩.

[٢٧]) المصدر نفسه،ص١٩١.

[٢٨]) كار، ثورة البلاشفة،ص١٦٢-١٦٣.

[٢٩]) ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٢٨.

[٣٠]) كار، ثورة البلاشفة،ص١٦٣.

[٣١]) كار، ثورة البلاشفة،ص١٦٣-١٦٥؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٢٩؛ تشيكوف، دزيرجينسكي،ص١٨٩-١٩١.

[٣٢]) تشيكوف، دزيرجينسكي،ص١٩٣-١٩٤.

[٣٣]) تشيكوف، دزيرجينسكي،ص١٩٤-١٩٦؛كار ثورة البلاشفة،ص١٦٦؛ جونيور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي،ص١٤٩.

[٣٤]) جونيور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي،ص١٤٩.

[٣٥]) كار ،ثورة البلاشفة ،ص١٦٧-١٦٨؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٢٩.

[٣٦]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٦٨-١٦٩؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٢٩؛تيشكوف، دزيرجينسكي،ص١٩٧-١٩٩؛بونوماريوف وآخرون، موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد

السوفييتي،(موسكو: دار التقدم،١٩٧٠)،ص٢٠١؛ جونيور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي،ص١٥١.

Sergey Petrovich Melgounov, The Red Terror in Russia,(New York,1926),P.147; Christopher Andrew & Vasili Mitrokhin, The Mitrokhin Archive: The KGB in Europe and the West,(UK,2000),P.34; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.64-65.

[٣٧]) ايلينشاين، ظاهرة ستالين،ص٢٩-٣٠.

Nicolas Werth and Others, Black Book of Communism: Crimes, Terror, Repression,(USA,1999),P.74; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.65.

[38]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.69.

[39]) Werth and Others, Black Book of Communism,P.67; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,PP.65-66.

[40]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.66.

[41]) Melgounov, The Red Terror in Russia,P.148.

[42]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.66.

[43]) Melgounov, The Red Terror in Russia,P.148; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.66.

[44]) Andrew & Mitrokhin, The Mitrokhin Archive,P.34.

[45]) James Rayan, Lenin's Terror: The Ideological Origins of Early Soviet State Violence,(London,2012),P.114.

[46]) Yakovlev, A Century of Violence in Soviet Russian,P.156.

[47]) Melgounov, The Red Terror in Russia,P.40.

[48]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.69.

[49]) Ibid,P.73.

[٥٠]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٦٩-١٧٠؛

Fitzpatrick, The Russian Revolution,P.77.

[٥١]) تشيكوف، دزيرجينسكي،ص١٩٢؛ بونوماريوف وآخرون، موجز ريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص١٩٤-١٩٥؛ ب.ن بوسبيلوف وآخرون، سيرة حياة فلاديمير ايليج لينين، ترجمة: عزيز سباهي،(بيروت: مكتبة النهضة،١٩٧١)،ص٦٣٤.

[٥٢]) بونوماريوف وآخرون، موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص٢٠٣.

[53]) George Leggett, The Cheka: Lenin's Political Police,(Oxford,1986),P.148.

[٥٤]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٦٩؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٣٠.

[٥٥]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٦٩-١٧٠؛

Fitzpatrick, The Russian Revolution,P.77.

[٥٦]) فرنادسكي، تاريخ روسيا،ص٢٩٢.

[57]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.59.

[58]) Leggett, The Cheka,P.114.

[٥٩]) فرنادسكي، تاريخ روسيا،ص٢٩٢-٢٩٣.

[٦٠]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٧٠-١٧١.

[61]) Fitzpatrick, The Russian Revolution,P.76;) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.67.

[٦٢]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٧١-١٧٢.

[63]) Werth and Others, Black Book of Communism,P.86-87.

[64]) Ibid,P.88.

[65]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.67.

[66]) Werth and Others, Black Book of Communism,P.90.

[67]) Ibid,P.90.

[68]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.69.

[69]) Melgounov, The Red Terror in Russia,P.8-9.

[70]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.73.

[71]) Ibid,P.74.

[72]), Robert Gellately, Lenin, Stalin, & Hitler: The Age Social Catastrophe,(New York,2008),P.70-71.

[٧٣]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٧٥.

[٧٤]) المصدر نفسه،ص١٧٦-١٧٧.

[75]) Gellately, Lenin, Stalin, & Hitler,P.72; Werth and Others, Black Book of Communism,P.100.

[76]) Gellately, Lenin, Stalin, & Hitler,P.75.

[77]) Leonard F. Guttridge, Mutiny: A History of Naval Insurrection,(USA,2006),P.174.

[٧٨]) اقرت الحكومة البلشفية في اثناء الحرب الاهلية سياسة جديدة عرفت بالخطة الاقتصادية الجديدة التي بدأت في اذار ١٩٢١، وكانت السياسة الاقتصادية الجديدة عبارة عن تفاهم مع الرسمالية من اجل:

افساح المجال للملكية الفردية في ان تظهر مرة اخرى الى حيز الوجود.

افساح المجال من اجل ظهور الربح الفردي.

امتلاك وسائل الانتاج من قبل الافراد.

تأجير العمال من قبل اصحاب العمل.

ترك التجارة داخل الاتحاد السوفييتي بيد التجار.

انظر: ايناس سعدي عبدالله، تاريخ الدول الكبرى بين الحربين العالميتين ١٩١٤-١٩٤٥،(بغداد: اشورباني‌بال للكتاب،٢٠١٧)،ص١٤٣.

[79]) Steve Philips, Lenin and the Russian Revolution,(Oxfordm2000),P.56.

[٨٠]) جونيور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي،ص١٧٢.

[81]) Geoffrey Hosking, Rulers and Victims: The Russians in the Soviet Union,(London,2006),P.58.

[82]) Orlando Figes, A People's Tragedy: The Russian Revolution 1891-1924,(London,1998),P.646.

[83]) Leggett, The Cheka,P.197-198.

[84]) Ibid,P.199.

[85]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change ,P.70.

[86]) Ibid ,P.72-73.

[87]) Stefan Rinke & Michael Wildt(eds) , Revolutions and Counter-Revolutions,(New York,2017),PP.57-58.

[88])[88]) Rayan, Lenin's Terror,P.2.

[89]) W. Bruce Lincoln, Red Victory: A History of the Russian Civil War,(New York,1989), P.384.

[90]) Norman Lowe, Mastering Twentieth Century Russian History(New York, 2002),P.151; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.67.

[91]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.67.

[92]) Leggett, The Cheka,P.359.

[93]) Leggett, The Cheka,P.198; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.68.

[94]) Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change ,P.66.

[95]) Leggett, The Cheka,P.359; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.61.

[٩٦]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٨٠؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٣١-٣٣؛

Melgounov, The Red Terror in Russia,P.148.

[٩٧]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٨١-١٨٢؛ ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٣٣.

[٩٨]) كار ،ثورة البلاشفة،ص١٨٢-١٨٣.

[٩٩]) المصدر نفسه،ص١٨٢-١٨٣.

[١٠٠]) كثيراً ما استشهدت القيادة البلشفية بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ كمقدمة لها؛ واشار لينين، على سبيل المثال، الى انها اول ثورة بروليتارية واثنى على كومونة باريس باعتبارها: "مثالاً رائعاً للحركة البروليتارية العظيمة في القرن التاسع عشر". انظر:

Lenin, Collected Works,Vol:13,P.476; Ward, The Okhrana and the Cheka: Continuity and Change,P.59.

[١٠١]) ايلينشتاين، ظاهرة ستالين،ص٣٠-٣١؛ جان بول اوليفييه، متى يطلع الفجر يا رفيق: قصة الثورة الروسية، ترجمة: جورج طرابيشي،(بيروت: دار الآداب،١٩٧٠)،ص٤٠٣.

Fitzpatrick, The Russian Revolution,P.76.

العلوم العقلية عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام

م.د. سولاف فيض الله حسن

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد – قسم التاريخ

العلوم العقلية عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام

م.د. سولاف فيض الله حسن

المقدمة:

أعلن الإسلام لأول مرة في تاريخ البشرية أن العلم حق للجميع ، فقد كان العلم قبل الإسلام خاصاً بالكهنة ، وكانوا هم الذين يستطيعون كتابة العهود والمواثيق والمعاهدات ، فأصبح المسلمون جميعاً بين معلم ومتعلم ينهلون من كل العلوم التي تفيد المجتمع ، وان الدين الإسلامي الذي عمل على نشره الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو دين العلم والعقل ،وكان قائده ومدبره الأول هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ،وهو أقضى الأئمة في الأمة وأعلمهم ،وانتقل علمه إلى الإمام الحسن والحسين ثم إلى الإمام زين العابدين وثم الباقر (عليهم السلام) التي كانت حلقاته في مسجد الرسول من أعظم الحلقات ، وعامل جذب لطلاب العلم ، فقام ببناء قاعدة علمية وفكرية ذات أساس قوي دعمه ، وأكمل بنيانه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بعد أن وجد مناخا مناسباً لدعم أفكاره ، لذاً يعد الإمام الصادق (عليه السلام) بحق المؤسس لأول جامعة أسلامية في التاريخ الإسلامي ، وبما أن المدينة المنورة كانت هي المنطلق الأول للرسالة الإسلامية ، والتي كان هدفها تغيير سلوك الإنسان نحو الأفضل وتهذيب أفعاله ونشاطاته الفكرية والعقائدية والأخلاقية والعلمية ومنها الطبية والفلكية وتحسينها ، وبذلك حقق الإمام وتلاميذه طفرة علمية خلاقة عبر برنامجه التعليمي الذي رفد به الإنسانية ، وبفضل كثرة الامالي والأحاديث الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنتشر مذهب أهل البيت المسمى بالمذهب الجعفري ، فضلاً عن حفظ تراث أهل البيت من الضياع وبقي إشارة لامعة في خضم تيارات التاريخ .

ويعد الإمام الصادق (عليه السلام) بحق ظاهرة بارزة في تاريخ علوم ومعارف شتى وكان رائداً في التأصيل هذه العلوم ، فهو أستاذ عصره للجميع في العلوم النقلية والعقلية وانعكس ذلك على تلامذته وخواص أصحابه الذين يعدون اليوم من العلماء البارزين أمثال أبا

حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) مفتي العراق ، ومالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) مفتي أهل المدينة ، وجابر بن حيان (٢٠٠هـ/ ٨١٥م) عالم الكيمياء المشهور ، وهشام بن الحكم (ت ١٩٩هـ /م ٨١٤م) عالم علم الكلام ، وغيرهم من العلماء .

كان عصر إمامة الإمام الصادق (عليه السلام) العصر الذهبي الذي يستشرق التاريخ منه أنواره ، ويستمد منه بهجته وعنفوانه ، الإمام الذي جمع الفضائل بأكملها وحوى المجد وأعتلى منصة الشرف والعلم والريادة ، فكان بحراً من السؤدد والسمو فاستذوقت الإنسانية من عبيره فكراً وعطاءً وجدد ينابيع الرسالة المحمدية بمضامينها ومحتواها وبوجوده ارتدت الدنيا حلتها الجديدة ،

وبكل فخر واعتزاز وشرف أن نكتب عن إمامنا الصادق (عليه السلام) موضحين علومه العقلية ، فقد كان الإمام غزيراً في علمه وفي أقواله القيمة وكلماته الحكيمة في الطب لم يكتشف حقيقتها أطباء عصره إلا بعد عدة قرون ، وخوض الإمام في المسائل الطبية كخوضهم في سائر العلوم الأخرى ، وسنوضح بعض هذه العلوم ومدى غزارة معرفة الإمام في هذه العلوم ونسأل الله التوفيق.

أولاً – الطب :

عرف ابن خلدون صناعة الطب فذكر ((إنها تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء ، تبدأ في أنسجته والعضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فأنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض ، وأنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ، ويمسى العلم الجمع لهذا كله علم الطب)) (أبن خلدون ، ٢٠٠٦م : ص ٤٠٥) .

وتشير المصادر التاريخية إلى أن أول من نقل طب اليونان إلى العربية هو خالد بن يزيد بن معاوية الأموي (ت٨٥ هـ/٧٠٤م)الذي كان عالماً بالطب والكيمياء ، وذلك بعد أن فشل في الوصول إلى الخلافة (الخليلي، ١٩٧٦م :ص٤١).

الطب في القرن الثاني الهجري كان علم نظري أكثر منه عملي ، فقد كان العلماء فيه يعتمدون على مقدمات نظرية ، ينقصها التمحيص والتدقيق والاختبار العلمي (لاوند، بلا. ت: ص ١٨٧) ، والإمام الصادق (عليه السلام) كان علمه الغزير وأقواله القيمة وكلماته الحكيمة قي الطب لم يكتشف حقيقتها أطباء عصره كما اكتشفت بعد عدة قرون (الخليلي، ١٩٧٦م :ص١٦) ، وكان خوض الأئمة (عليهم السلام)في المسائل الطبية كخوضهم في سائر العلوم ، إذ كان خاصاً مؤقتاً لا عاماً دائماً على نحو مراجعه الناس الأطباء وكان يمثل نوعاً من الكرامة والإعجاز (الريشهري،٢٠٠٤م :ص ١٨).

وذُكر أيضاً في القران الكريم الآية التي تدعم الصحة منها :((يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين)) (سورة الأعراف ،آية : ٣١).

وكان من بين الذين ينصت إلى الإمام الصادق (عليه السلام) في شرحه وتوضيحه للطبائع وعلى الأمراض : والصادق (عليه السلام) قال الطبائع أربعة : ((الدم وهو عبد ، والريح وهو عدو ، إذا سددت له باباً أتاك من آخر ، والبلغم وهو ملك يُدري ، والمرة هي الأرض إذا رجفت رجفت بمن عليها ، فقال ماسويه : أعد علي فو الله ما يحسن جالينوس (جاليليوس ، ٢٠٠٥م : ص ص ٩٩ ،١٠١) أن يصف هذا الوصف (ابن شهر آشوب ، ١٩٥٦م: ص ٣٨٢) .

وفي رواية أخرى كتب جابر ابن حيان إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال : " يا ابن رسول الله منعتني ريح شابكة ، شبكت بين قرني إلى قدمي ، فأدع الله لي فدعا له وكتب له : " عليك بسعوط العنبر والزبق على الريق ، تعافى منها أن شاء الله ، ففعل ذلك فكأنما نشط من عقال" (ابن شهر آشوب ، ١٩٥٦م: ص ٣٨٢).

وفيما يلي بعض العلوم الطبية التي كان قد اختص بها إمامنا الصادق (عليه السلام) :

١- علم التشريح:

فصل الإمام الصادق (عليه السلام) الحديث عن الهيكل العظمي والأعصاب والجوارح في جسم الإنسان وشرحها شرحاً دقيقاً ، روي سالم الضرير : أن نصرانياً سأل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) تفصيل الجسم ، فذكر الإمام (عليه السلام) : ((أن الله تعالى خلق الإنسان من اثني عشر وصلاً ، وعلى مائتي وستة وأربعون عظماً ، وعلى ثلاث مائة وستين عرقاً ، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله ، والعظام تمسكها ، والشحم يمسك العظام ، والعصب يمسك اللحم ، وجعل في يديه أثنين وثمانين عظماً في كل يد واحد وأربعون عظماً ، منها في كفة خمس وثلاثون عظماً ، وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة ، وفي الأخرى كذلك ، وفي رجله ثلاثة وأربعون عظماً ، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه اثنان ، وفي ركبته ثلاثة ، وفي فخذه واحد ، وفي وركه اثنان ، وكذلك في الأخرى ، وفي صلبه ثماني عشر فقرة ، وفي كل واحدة من جنبيه تسعة أضلاع ، وفي عنقه ثمانية ، وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً ، وفي فيه ثمانية وعشرون)) (النوري ،١٩٨٧م : ص ٤٤٥) .

وان هذا التفصيل للجسم البشري والهيكل العظمي بهذه الدقة إلا من أتيحت له فرصة دراسة الطب والتشريح ، وفضلا عن أن الإمام أفاد غيره بهذا العلم ، وتخرج من مدرسته هذه عدد من أصحابه (ابن شهر آشوب ، ١٩٥٦م: ص ٣٧٩) ، ومن خريجي مدرسة الإمام (عليه السلام) في مجال الطب والصيدلة هو جابر بن حيان ، فضلا عن تخصصه في الكيمياء وصنف مؤلفات في الطب أورد منها ابن النديم خمسمائة كتاب منها : كتاب المجسة ، وكتاب التشريح (كتاني ، ١٩٩٧م : ص ١٥٠) ، وكان جابر بن حيان أول من أشار إلى طبقات العين ، فسبق بذلك يوحنا بن ماسويه (٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) وسبق حنين بن إسحاق (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) وهما من أعلام الطب في ذلك العصر .

٢- الأعصاب والدماغ :

الدماغ يلعب دوراً تركيبياً ووظيفياً مهماً في الجسم ، ويشكل مكوناً مهماً من مكونا علم الأعصاب (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ٥٢)، وذكر الإمام الصادق (عليه السلام) للمفضل بن عمر :((لو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لف بحجب بعضها فوق بعض

، لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب ، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة ، لكي ما يفته الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس ، ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للرأس تستره من شدة الحر والبرد ،فمن حصن دماغه هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة لعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته ، ....يا مفضل ، من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي غشاؤه ، وحصنه بالجوانح (ابن النديم ،٢٠٠١م : ص ٤٢٣)، وما عليها من اللحم والعصب ، لئلا يصل إليه ما ينكؤه ، ....فكر يا مفضل ، لو صار المخ محصناً في أنابيب العظام ، هل ذلك إلا ليحفظه ويصونه ، وأشار الإمام إلى أهمية الغذاء في حفظ الدماغ إذ ذكر ((أكل الباقلاء يزيد في الدماغ ويولد الطري ، والخل يشد العقل ، واللحم يزيد في العقل)) (الريشهري، ٢٠٠٤م : ص ١٥١) .

٣- وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) :

كان للإمام الصادق (عليه السلام) دراية كاملة على وجود الدورة الدموية في الجسم ومعرفته بمجالات حركاتها ، وذكر في بيان ذلك لتلميذه المفضل بن عمر : ((فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير ، فأن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه بصفوه إلى الكبد ، في عروق دقاق واشجة بينهما ، قد جعلت كالمصفى للغذاء لكي لا يصل إلى الكبد منه شيئاً فينكأها ، وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم أن الكبد تقبله فيستحيل فيها بلطف التدبير دماً ، فينفذ البدن كله في مجار مهيأة لذلك ، بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليطرد في الأرض كلها ، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مغايض قد أعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، وما كان من جنس البلة جرى إلى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن (البرقي ، ١٩٥٠م: ص ٥٨).

فيما تقدم إشارة واضحة لوظائف الجهاز الهضمي والجهاز البولي والى وظيفة المرارة والطحال والكبد (الحر العاملي ،١٩٩٧م : ص ١٢٩) ، وشخص الإمام (عليه السلام) الأمراض ووصف الوصفات الطبية المناسبة ومن هذه الوصفات ما ذكره لعلاج الصداع

،وضعف البصر ، وبياض العين ، ووجع البطن ، والإسهال ، وضعف البدن ، وعرق النسا ، ولدغة العقرب ،وأمراض الفم والأسنان (التستري ، ١٩٩٤م : ص ٣٩٣) وغيرها .

وذكر عنه (عليه السلام) إلى الميكروب والفايروس والعدوى ، وذكر في أحدى توجيهاته :((لا يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع ، وفي رواية أخرى قدر رمح)) (التستري ، ١٩٩٤م : ص ٣٩٣) .

وذكر أن سائلا سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الحكم الشرعي في :((الرجل يشرب الدواء ويقطع العرق ، وربما انتفع به وربما قتله ، فقال (عليه السلام) : يقطع ويشرب ، وفي رواية أخرى قال سائل : قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) أني رجل من العرب ، ولي بالطب بصر ، وطبي طب عربي ...فأنا نبط الجرح ونكوي بالنار ، قال (عليه السلام) : لا بأس ، قلت :ونسقي هذه السموم الاسمحيقون والغارييقون ، فقال (عليه السلام) : لا بأس ، قلت : أنه ربما مات ، قال وان مات)) (الخليلي، ١٩٧٦م :ص ٥٤).

٤- الحجامة :

أكد الإمام الصادق (عليه السلام) على أهمية الحجامة وفؤائدها وآدابها وأوقاتها ومستحباتها ومكروهاتها ، لان فيها سلامة بنية الإنسان وتحصين الأبدان (الشيخ الصدوق ، ١٩٩٦م: ص ٣٧٨) وكما ورد في الآية الكريمة :((...وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا ....) (سورة الحشر ،آية :٧ ؛ وينظر الخليلي، ١٩٧٦م :ص ٣٨) ، وذكر عن الإمام (عليه السلام) :((طب العرب خمسة شرطة الحجام والحقنة والسعوط والقيء والحمام وآخر الدواء الكي ، ويفضل قراءة الدعاء الآتي بعد الحجامة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) : ((بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله الكريم من العين في الدم ومن كل سؤ في حجامتي هذه)) (الكليني ، ١٩٤٧م : ص ١٩٣).

وللحجامة فؤائد كثيرة حيث ورد أنها آمان من أمراض الدم وأمراض القلب وتصلب الشرايين وأمراض الكبد وآلام المفاصل والتلف الكبدي وأمراض الجلد والصداع والتهاب اللوزتين وكذلك الأمراض النفسية : مثل الكآبة والخمول والانهيارات العصبية ، وينبغي على الشخص الذي يقوم بعمل الحجامة (أي الحجّام) أن يجري الحجامة بلطف وهدوء دون عنف واستعجال مع مراعاة جانب النظافة في العمل وإحضار وسائل التعقيم المناسبة

(الشماع ،٢٠١١م: ص ١٨) وتفضل أن تكون الحجامة يوم الثلاثاء (الزيات ،١٩٩٠م : ص ٥٥) .

٥- علم الوراثة :

نبه الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أثر الوراثة في انتقال الصفات من الآباء إلى الأبناء ، وذكر :((أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين آدم ثم خلقه على صورة أحدهم ، فلا يقولن احد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي)) (الشماع ،٢٠١١م: ص ١٩).

وهذا ما أثبته العلم بأن الخلايا الجنسية قادرة على أيجاد كائن حي جديد يستمد صفاته من أسلافه القريبين والبعيدين ، وان شكله وهيأته ومجموع صفاته ما هي إلا مجموعة مركبة معقدة مكونة من عناصر موروثة من السلالات السابقة (الزيات، بلا. ت : ص٥٦) وتبرز قيمة الوراثة التي تبحث فيها الإمام الصادق (عليه السلام).

ثانيا: الصيدلة :

تتجه الصناعات الدوائية إلى النباتات (جذورها وأوراقها وأزهارها وبذورها وما إلى ذلك) في تصنيع الأدوية المختلفة ، وقبل ظهور الصناعات الأدوية كانت النباتات تستخدم للأغراض العلاجية بتحضيرها بطرق بدائية ، وكانت تؤدي مفعولها الدوائي في الجسم ،ومن ناحية أخرى فأن عموم النباتات تشكل غذاء طبيعياً للجسم حيث تساهم في بنائه وصيانته والعمل على أداء أعماله بصورة طبيعية (الريشهري، ٢٠٠٤م : ص ١٣١) ، ومن بين النباتات التي وصفها الأمام (عليه السلام) لمعالجة الأمراض ، مستعرضاً وظائفها ومزاياها الدوائية ، نذكر منها : الحبة السوداء ، والدارسين ، والكمون ، والسماق ، والكافور ، والفلفل الأبيض ، والبابونج ، والزبيب ، والكراث ، والكرفس ، والسلق ، والهندباء ، والجوز ، والخل ، والثوم ، والبصل ، والخس (الشيخ الصدوق، ٢٠٠٦م : ص ٧٣٣) وغيرها .

أما الأمراض التي ذكرها الإمام (عليه السلام) ووصف لها الدواء فهي : السعال ، والسل، والزكام ، ووجع المثانة ، والحصاة ، وأوجاع المفاصل ، وسلس البول ، الإسهال والجدي ، وعرق النسا ،والجروح والقروح ، والرمد ، والبرص ، والجذام، والسموم، وأوجاع

الظهر ، والبهق ، وعلل الفم ، والأسنان ، والحمى ، والصداع (القراغولي ، ١٩٦٣م: ص ١٤٨) وغيرها .

وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أهمية الفواكه ، في العلاج الطبي بمختلف أنواعها كالعنب والرمان والتفاح والسفرجل والتين والزيتون والإترج والبطيخ والموز (السلطاني ، ص ٢١) ، منبها إلى غسل الفواكه وذلك لما يتعلق بها من جراثيم الهواء والحشرات المختلفة إذ يقول : ((أن لكل ثمرة سماً فإذا أتيتم بها فأمسوها الماء أو أغمسوها في الماء)) (الحر العاملي ،١٩٩٧م : ص ١٣٢)، مؤكداً على عدم تقشير الثمرة كالتفاح والتين والخوخ والسفرجل ، وذلك لان القشر هو الموضع الذي تتركز وتكثر فيه العناصر النافعة في الثمرة والتي تستمدها من أشعة الشمس وغيرها من مصادر الفيتامين ومن عناصر الغذاء (ابن خلكان ،١٩٩٠م: ص ٣٢٧؛ الخليلي، ١٩٧٦م :ص ٦٤) ، ومن توجيهات الإمام (عليه السلام) الطبية هو ضرورة غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، إذ ذكر عليه السلام قائلاً :((من غسل يده قبل الطعام وبعده عاش في سعة وعوفي من بلوى في جسده)) (الدميري ،٢٠١٠م، ص ١٤٢؛ البرقي ، ١٩٥٠م: ص ٥٨) ، مع التسمية عند الشروع في الأكل (المجلسي: ص ١٤٨).

ثالثاً : علم الكيمياء :

الكيمياء : علم يبحث فيه طبائع ، وخواص الأجسام الأرضية ، وكيفية تحليها وتركيبها ، والمادة التي بواسطتها يتم تحويل بعض المعادن إلى الذهب (البرقي ، ١٩٥٠م: ص ٥٥٦)، والكيمياء قديماً صناعة يحرص محترفوها على كتمان سرها بإحاطتهم إياها بهالة من الغموض والسحر ، ولعل أول من ابتدأ بالعناية بالكيمياء هم المصريون والعرب والفينقيون واليهود واليونان والرومان (زين الدين ،١٩٩٢م : ص٣٨٩)، ويعزى اشتقاق كلمة كيمياء إلى كلمة مصرية قديمة (سيميا) ومعناها السواد وقد أولها مؤرخو الكيمياء شتى التأويل ، فمنهم من قال الأرض السواد أشارة إلى الخصب والبركة ، ومنهم من جعل السواد رمزاً إلى السر والخفاء ودليلهم على ذلك الإشارات المعقدة التي كان يتخذها القدماء لتضليل العامة (الكليني ، ١٩٤٧م : ص ٢٩٠).

لا مجال للتردد في كون الكيمياء جعفرية النسب والحسب والمنطلق في تاريخ الإسلام (القفطي ، ٢٠٠٥م: ص ١٢٤؛ الزيات، بلا. ت : ص ٦٠) ، وصرح عدد من المؤرخين بأن للإمام الصادق (عليه السلام) كلاماً في صنعة الكيمياء (عبد الرحمن ،١٩٧٦ : ص ٢٤٠)، وكان بيت الإمام الصادق (عليه السلام) كالجامعة يموج بطلاب العلم ، والإمام يلقي على طلابه مختلف العلوم منها : الفقه ، والحديث ، والتفسير ، ويحض ما يجد فيه القابلية بالعلوم الحديثة ، ووجد الإمام في تلميذة جابر بن حيان استعداداً ولباقة فأخذ يخصه بوقت ، يدرس فيه الكيمياء وغيرها من العلوم (الطائي ،١٩٨٦م: ص ٣٦)ويذكر أن اشتغال جابر بن حيان بالكيمياء والطبيعة وذلك لصلته بالإمام الصادق لأنه كان تلميذه (الهاشمي، ١٩٩٣م: ص ٢٣). وقد أملى الإمام على تلميذة جابر بن حيان بعض رسائله ومؤلفاته وما حوته من نظريات وآراء وتطبيقات ، عدت من أهم مصادر علم الكيمياء (الطائي ،١٩٨٦م: ص ٣٦) .

ومن الغريب أن يقترن عمل الإمام بالكيمياء بعمل له في الزجر والفأل (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ٥٣) وكأن الرواة تصوروا الكيمياء سحراً وشيئاً غريباً ، ولما كانت مجهولة الأسباب قرنوها بالزجر والفأل حتى لا يكون للحوادث سبب ظاهر وسر معروف ، أما الكيمياء فمعروفة الظواهر مقيسة العناصر مقدورة النتائج ، وفي مثل هذا يعمل الإمام (عليه السلام) (سيد الأهل ، ١٩٥٤م : ص ٤٧)، وبرهن العلم الحديث على أن متى حمي الحديد بالنار إلى درجة الاحمرار ، ثم وضع في اوكسجين خالص ، أشتعل وانبعث منه شعلة مضيئة شبيهة بالفتيل الذي كان يغمس في الزيت المصابيح القديمة ، وبذلك سبق الإمام (عليه السلام) غيره بأن الهواء هو مزيج من عناصر شتى يساعد بعضها على تنفس الكائنات الحية كما يساعد على الاحتراق (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ١٢٧)،

ويعد هشام بن الحكم (ت ١٩٩هـ/ ٨١٤م) من أنبه تلاميذ الإمام الصادق (عليه السلام) ، وكان له نظريات علمية في جسمية اللون ، والطعم ، والرائحة (كتاني ، ١٩٩٧م : ص ١٤٥) ، وجسمية اللون تعني أن اللون مؤلف من جزيئات صغيرة لا تحصر ، تجتاز الفراغ

والأجسام تتأثر بها العين ، وللرائحة جزيئات متبخرة من الأجسام تتأثر بها الغدد الأنفية ، وللمذاق جزيئات تتأثر بها الحليمات اللسانية (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ٥٣) ،

رابعاً- علم الفيزياء :

الفيزياء :((موضعها الطبيعة ، إذ تحاول الكشف عن حالات الطبيعة وقوانينها العامة)) (الصدر ، ١٩٧٥: ص ١٣)وتفسر أيضاً : ((بأنها تفسر الطبيعة تفسيراً واقعياً مادياً ، فالواقعية بمعنى أنها موجودة بصورة مستقلة عن الذهن والشعور والمادية ، لأن مرد الطبيعة في تحليلهم العلمي إلى جزيئات صلبة صغيرة لا تقبل التغير ولا الانقسام ، وهذه الجزيئات في حركة مستمرة)) (الصدر ، ٢٠٠٤م: ص ١١٥) .

ويذكر أيضاً : ((يتضح للبصير النقاد وجود إرادة واعية تحكم العالم ، وإلا لما شاهدنا هذا النظام البديع ....)) (الهاشمي، ١٩٩٣م: ص ١٨٠) .

والإمام الصادق (عليه السلام) سمع في درس الفيزياء رأي أرسطو في أصل الكون في مدرسة والده الإمام الباقر (علية السلام) ، وانه يتألف من عناصر أربعة هي : (التراب ، والماء ، والهواء ، والنار) ، فأبدى الإمام الصادق (عليه السلام) استغرابه لان أرسطو لم ينتبه إلى أن العناصر الأربعة ومنها التراب ليست عناصر بسيطة غير قابلة للتجزئة (الشاكري ،١٩٩٦م : ص ٢٣٠) ، وذكر :((أن التراب مركب من أجزاء وعناصر كثيرة ، منها الحديد وهو بدوره مركب من أجزاء كل جزء منها يعتبر عنصراً مستقلاً)) (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ١٢١) .

ولم يشكك أحداً في صحة هذه النظرية آنذاك ، إلى أن ظهر بعد ألف سنة من قال بعدم صحة هذه النظرية ، وكان صاحب هذا الرأي هو أصغر الطلبة سناً وأعمقهم تفكيراً في مدرسة الإمام الباقر (عليه السلام) ألا هو الإمام الصادق (عليه السلام) (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ١٢١) ، وأكتشف الإمام الصادق (عليه السلام) نظرية الضوء القائلة : بأن الضوء ينعكس من الأجسام إلى العين ، ودلياه على ذلك هو أننا لا نرى في الظلمة شيئاً ، ولو أن العين كانت تعكس الضوء على الأجسام لشاهدنا نهاراً وليلاً ، وهذا يناقض التفكير الذي كان سائداً في ذلك العصر بأن : الضوء ينعكس من العين على

الأجسام المرئية ، فضلاً عن ذلك عرف الإمام الصادق (عليه السلام) أن الضوء حركة كلمح البصر ، وهذه الحركة سريعة جداً ، وفي هذا ما يدل على أن الإمام تنبأ بأساس نظرية (أشعة الليزر) (الشاكري ،١٩٩٦م : ص ٢٣٢) .

ولا نستبعد أبداً أن يكون الإمام الصادق (عليه السلام) الذي أكتشف نظرية دوران الأرض حول نفسها ، قد توصل قبل ذلك إلى قانون الجاذبية ، فهذا القانون هو أساس تلك النظرية ، ومن المنطقي أن يكون اهتداؤه إلى قانون الجاذبية ، قد هون عليه الاهتداء إلى نظرية دوران الأرض حول نفسها(الجشعمي ، بلا. ت: ص ١٢).

وللإمام الصادق (عليه السلام) نظرية باهرة أخرى تتعلق بحركة الأجسام مؤداها : أن لكل شيء حركة ، وان كانت من الجماد ، ولكن أعيننا لا ترى هذه الحركة ، وإذا كان هذا الرأي قد بدا غير معقول في أيام أمامنا الصادق (عليه السلام) فهو قد أصبح اليوم حقيقة علمية لا سبيل إلى الشك فيها ، فالإنسان لا يحس بمرور الزمن ولا يدرك كنهه فيها خلال الحركة ، فأن توقفت الحركة في الكون فقدنا الإحساس بمرور الزمن ، وقد عرفت هذه النظرية بإسم (وحدة الوجود) (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ١٧٢).

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قدر الأجسام وصفاتها ،فأجاب :((أن الجسم القابض للحرارة قدر والأجسام التي لا تمتص الحرارة شفافة على اختلاف مراتبها ، وبهذا المعنى يذكر المستشرقون : وهذا نفسه يطابق قوانين الفيزياء الحديثة في تعليل قدر الأجسام الصلبة أو صفاتها)) (أبن خلدون ، ٢٠٠٦م : ص ٤٣٤ ؛ الجشعمي ، بلا. ت: ص ١٤).

وتوصل الأمام الصادق (عليه السلام) إلى نظرية أخرى إذ ذكر : ((أن لكل كائن موجود وجوداً ذاتياً كائناً مضاداً له ، ولكن الضدين لا يتصادمان ولا يجتمعان ولو اجتمعا أو تصادما لكان في ذلك نهاية العالم)) (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ١٧٢) .

وبذلك يكون نهاية العالم عندما يلتقي الكون المادي الذي ننتمي إليه بأكمله ويجتمع بالكون المادي المضاد المناضر يتحول الجميع إلى طاقة هائلة (طاقة الإفناء) وبذلك تتحقق حادثة الأمر الواقع(الجشعمي ، بلا. ت: ص ١٤).

ووضع علماء الفيزياء النووية التركيبية في مطلع القرن العشرين نتيجة لحسابات نظرية دقيقة تتعلق بتركيب النواة فرضية وجود الكترون موجب أطلقوا عليه أسم (بوزيتون) فوصفوه بأنه جسيم مماثل تماماً للالكترون من حيث الكتلة إلا أنه مضاد له بأصل التركيب المادي وبشحنته الموجبة وبالعزم التدويمي (أو اللف) ، المعاكس لإتجاه الالكترون ، وقد أثبتت التجارب العلمية على وجود البوزيتون فعلاً (الشاكري ، ١٩٩٦م : ص ٢٣٣).

خامساً – علم الهيئة والنجوم :

الهيئة : هو علم يبحث فيه عن ظواهر الأجرام السماوية ونواميس وحركاتها المرئية ، والحقيقة ومقاديرها وأبعادها وخاصياتها الطبيعية (نلينو ،١٩١١م: ص ١٩).

أما علم النجوم فيتكون من قسمين ، قسم يدرك به الأشكال الحادثة للأجرام السماوية بسبب حركتها إذا قيس بعضها إلى بعض أو إلى الأرض ، وقسم يفحص التغيرات في الأفعال التي تحدث وتتم على الأرض بسبب الخاصيات الطبيعية لتلك الأشكال ، فالقسم الأول هو الهيئة ، والقسم الثاني هو أحكام النجوم ، فلذلك أعتبر كل الفلكيين أن أحكام النجوم فرع أو قسم من علم النجوم وأنه من الرياضيات كالهيئة لا من الطبيعيات (نلينو ،١٩١١م: ص ٣٠).

وكان للإمام الصادق (عليه السلام) آراء في علم الفلك ، والنجوم وحركة الأرض وفي مقدار حجم أشعة النجوم ، وكان يلقي دروسه وإفاداته في هذا العلم على تلاميذه وطلاب العلم ، ويصحح آرائهم ويوضح لهم أخطائهم (الكليدار ،٢٠١١م : ص ٦٦)،

فذكر أبان بن تغلب ، كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) : اذ دخل عليه رجل من أهل اليمن ، فسلم عليه فرد عليه الإمام (عليه السلام) ، فقال له : مرحبا يا سعد ، فقال الرجل : بهذا الاسم سمتي أمي ، وما أقل من يعرفني به ، فقال الإمام : صدقت يا سعد المولى ، فقال الرجل : جعلت فداك بهذا اللقب كنت ألقب ، فقال الإمام : لا خير في اللقب ، أن الله تيارك وتعالى يقول في كتابه (....ولا تنابزوا بألالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ....) (سورة الحجرات : آية ١١)، وما صنعتك ، فقال سعد : جعلت فداك أنا أهل بيت في النجوم ، لا يقال أن باليمن أحدا أعلم بالنجوم منا ، فقال الإمام : كم يزيد ضوء

الشمس على القمر درجة ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال الإمام :صدقت ، وقال الإمام : فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة ؟ فقال اليماني : لا ادري ، وقال الإمام : صدقت ، وسأل الإمام : فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة ؟ فرد اليماني : لا ادري ، فقال الإمام : صدقت ، وسأل الإمام : فما زحل عندكم ؟ فرد اليماني : نجم نحس ، فقال الإمام : لا تقل هذا فأنه نجم أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو نجم الأوصياء (عليهم السلام) ، وهو النجم الثاقب الذي قال الله تعالى في كتابه ، فقال اليماني : فما معنى الثاقب ؟ ورد الإمام : أن مطلعه في السماء السابعة ، فأنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا ، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب ، (الطبرسي ، ١٩٦٦م : ص ١٠٠) وكانت هذه المحاورة تدل دلالة أكيدة على معرفة الإمام بعلم النجوم والكواكب.

وذكر قدماء الفلاسفة أن النجوم تفعل الخير والشر وتعطي وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس ، وتؤثر في النفوس وأنها حية فعالة (ابن الجوزي ،٢٠٠١م : ص ٧٦)، لذا نهى الله والرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليه السلام) عن تعلم النجوم ، إلا أن يهتدي به في بر وبحر ، فأنها تدعوا إلى الكهانة والتنجيم والسحر وهذا يؤدي إلى الكفر بالله (الطبرسي ، ١٩٦٦م : ص ٩٥) ، ومن أسباب النهي عن النجوم التخمين ، فمثلاً في تخمين الإنسان أن السماء تمطر اليوم ، مهما رأى الغيم وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك ، وربما يحمي النهار بالشمس ويذهب الغيم ، وربما يكون مجرد بخلافه مجرد الغيم ليس كافياً في مجيء المطر (الطبري ، ١٩٩٥م: ص ٣٧٢)

قيل للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) :هل كان للنجوم أصل ؟ فقال (عليه السلام) :نعم نبي من الأنبياء قال له قومه لا نؤمن لك حتى تعلمنا بدء الخلق وأجالها ، فأوحى لهم ذلك ....، ثم أن داوود (عليه السلام) قاتلهم على الكفر ، فكان يقتل من أصحاب النبي داود (عليه السلام) ، ولا يقتل من هؤلاء أحد ، فقال داود (عليه السلام) :ربي أقاتل على طاعتك ، ويقاتل هؤلاء على معصيتك ، ولا يقتل منهم أحداً ، فأوحى الله عز وجل إليه : أني كنت علمتهم بدأ الخلق وأجاله ، فقال داود(عليه السلام) :يا رب على ماذا علمتهم ؟ قال عز وجل : على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار

فحبس الشمس عليهم ، فزاد الوقت وأختلط الليل والنهار فأختلط حسابهم ، فقال الإمام علي (عليه السلام) ثم كره النظر في عالم النجوم (الغزالي ، ١٩٣٣م : ص ٢٧).

والراجح أن علم النجوم هو بمنزلة المرض فتعلمه حرام لا يضر ولا ينفع ، والهرب من قضاء الله وقدره غير ممكن ، إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فيجوز ذلك (ابن طاووس ، بلا ،ت :ص ٢٢) .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب زنديق سأله :ما تقول في علم النجوم ؟ فقال (عليه السلام) : هو علم قلت منافعه ، وكثرت مضراته ، لأنه لا يدفع به المقدور ، ولا يتقى به المحذور ، أن أخبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء ، وان أخبر هو بخير لم يستطيع تعجيله ، وان حدث به سوء لم يمكنه صرفه ،والمنجم يضاد الله في علمه ، بزعمه انه يرد قضاء الله عن خلقه ، (الزرنوجي ، ١٩٣٥م: ص ٥).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) :((أنه إذا أشكل عليك أول شهر رمضان ، فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي ، فأنه أول يوم من شهر رمضان الذي في العام المقبل ، ، وقيل :وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحاً)) (الطبرسي ، ١٩٦٦م : ص ٩٥) .

يشار إلى أن فلكي من واسط دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) فسأله : الإمام عن المنظومة الشمسية وحركة الكرة الأرضية ، وقال الفلكي : قلت ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني ، فسأله الإمام : كيف دوران الفلك عندكم ؟ قال الفلكي :فأخذت قلنسوتي عن رأسي فأدرتها ، فقال الإمام : إن كان الأمر على ما تقول :فما بال بنات النعش : الجدي ، والفرقدين ، لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة ؟ فقال الفلكي : والله هذا شيء لا أعرفه ، ولا سمعت أحداً من أهل الحساب ذكره ، فقال الإمام : كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها ؟ قال الفلكي : هذا والله نجم ما سمعت به ، ولا سمعت من الناس يذكره ، قال الإمام :سبحان الله ، فأسقطتم نجماً بأسره ، فعلى ما تحسبون ؟ وقال الإمام : صدقت ، أهل الحساب حق ، ولكن لا يعمل ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم (الريشهري، ٢٠٠٤م : ص ٣١٩).

وثبت الإمام بتخطئة نظرية بطليموس ورأيه القائل :بوجود حركتين للشمس ،حركة في البروج الاثني عشر حول الأرض مرة كل سنة ، وحركة حول الأرض مرة في كل يوم وليلة ، زمن هنا نرى الشمس حسب رأي بطليموس ، تغيب عنا كل ليلة في المغرب لتظهر صباحاً من المشرق ، وهي حركة يومية نسبها إلى الشمس ،ورأي الإمام (عليه السلام) :أن هناك استحالة في التقاء هاتين الحركتين في آن واحد ، لان الشمس إذ تسير في منطقة البروج لا يسعها أن تترك هذا المسار لتدور حول الأرض مرة كل يوم (الكليني ، ١٩٤٧م : ص ٣٥١).

وأعلن الإمام رأيه في استحالة اجتماع حركتي الشمس (١- في منطقة البروج ،٢- حول الأرض) ، وعمل تلاميذه على الاهتمام بآرائه وتوجيهاته وإرشاداته ، فاشتغلوا بالأرصاد والازياج والتقاويم والتنجيم والاختبارات وغيرها (مجموعة المستشرقين، ٢٠١١م : ص ٥٩).

وان أهم ما أكتشفه الإمام : نظريته التي تتعلق بضوء النجوم والتي مؤداها : أن بين النجوم التي نراها في الليل ما هو أضخم من الشمس ، وان شمسنا تعد بالقياس إليها صغيرة الحجم ضئيلة الضياء ، وأثبت الإمام نظرية علمية هامة أخرى ، نظرية (انقباض العالم وامتداده) كما أشار إلى أن العوالم الموجودة لا تبقى على حال دائم من الأحوال ، فهي تتسع تارة وتنقبض تارة أخرى ،(الشاكري ، ١٩٩٦م : ص ١٩٨) .

الخلاصة:

أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان طبيباً وعالماً بعلم الأعشاب وعلمه الغزير وأقواله القيمة وكلماته الحكيمة في الطب لم يكتشف حقيقتها أطباء عصره إلا بعد قرون عدة ، وأشتق الإمام (عليه السلام) علم الكيمياء وعلمه إلى تلميذه جابر بن حيان ولا مجال للنقاش أو التردد أن هذا العلم جعفري النسب والحسب والمنطلق ، وكان للإمام الصادق (عليه السلام) آراء في علم الفلك والنجوم وحركة الأرض وفي مقدار حجم أشعة النجوم ، وكان يلقي درسه وإفاداته في هذا العلم على تلاميذه وطلاب العلم ويصحح آرائهم ويوضح لهم أخطائهم أثباته (عليه السلام) نظرية (انقباض العالم وامتداده) وللإمام الصادق (عليه السلام) الأثر الواضح في علم الفيزياء من خلال النظريات العلمية التي طرحها في هذا

المجال والتي كانت تعد إعجاز في عصره والتي لم يسبقه فيها أحد وفي كل ما كان يطرحه من العلوم العقلية والتي بحق أبدع فيها أيما إبداع وأجاد وله السبق في كل العلوم .

قائمة الهوامش والمصادر والمراجع:

(١) أبن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):مقدمة ابن خلدون (وهي مقدمة الكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٦م) ، ص ٤٠٥.

(٢)الخليلي : محمد ، طب الإمام الصادق (عليه السلام) (بغداد : مطبعة الزهراء ، ١٩٦٣م) ، ص ١٣ ؛ عبد الرحمن : حكمت نجيب ، دراسات في التاريخ العلوم عند العرب (جامعة الموصل : بلا ، ١٩٧٦م) ، ص٤١.

(٣) لاوند : الإمام الصادق (عليه السلام) علم وعقيدة ، ص ١٨٧.

(٤) الخليلي : طب الإمام ،ص ١٦.

(٥) الريشهري :محمد :موسوعة الأحاديث الطبية (قم : دار الحديث للطباعة والنشر ، ٢٠٠٤م) ، ج ١ ،ص ١٨.

(٦) سورة الأعراف ،آية ٣١.

(٧) جاليليوس :طبيب وفيلسوف يوناني يعد من أشهر الأطباء في عصره ، ألف كتب كثيرة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة من علم البرهان ، جدد من علم ابقراط ، وشرح كتبه حتى فاق زمانه (ت ٦٣٢ق . م) . ينظر :القفطي :جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، علق ووضع هوامشه :إبراهيم شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٥م) ص ص ٩٩ ،١٠١.

(٨)ابن شهر آشوب : محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) : مناقب آل أبي طالب ، تحقيق : لجنة أساتذة النجف الأشرف (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦م) ، ج ٣، ص ٣٨٢.

(٩) النوري : حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) : مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ،(بيروت : مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ،١٩٨٧م) ،ج ١٦ ، ص ٤٤٥.

(١٠) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ، ج ٣ ، ص ٣٧٩.

(١١) كتاني : سليمان ، الأمام جعفر الصادق ضمير المعادلات (بيروت : دار الثقلين ، ١٩٩٧م) ،ص ١٥٠.

(١٢) مجموعة المستشرقين : الأمام الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب ، ترجمه :نور الدين آل علي ، مراجعة : وديع فلسطين (بيروت : مؤسسة الفكر الإسلامي ، ٢٠١١م) ، ص ٥٢.

(١٣) ابن النديم :محمد بن أبي يعقوب إسحاق الورا ق(ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) : الفهرست، تحقيق : رضا ،(بيروت ، مؤسسة الفكر العربي ، ٢٠٠١م) ص .٤٢٣

(١٤) الريشهري : محمد : موسوعة الأحاديث الطبية (قم :دار الحديث للطباعة ، ٢٠٠٤م) ج١، ص ١٥١.

(١٥) البرقي :أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ/ ٨٨٧م) : المحاسن ، تحقيق:جلال الدين الحسيني (طهران : دار الكتب الإسلامية ، ١٩٥٠م) ،ج ٢،ص ٥٨ .

(١٦) الحر العاملي : محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) : وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ،تحقيق :محمد الرازي ،تعليق :أبي الحسن الشعراني (بيروت :دار أحياء التراث العربي ،١٩٩٧م) ج ١٥ ، ص ١٢٩.

(١٧) التستري : نور الدين محمود الحسيني المرعشي : شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل (قم :مطبعة حافظ ، ١٩٩٤م) ج ٢٨،ص ٣٩٣.

(١٨) التستري : المرجع السابق ، ج ٢٨، ص ٣٩٣.

(١٩) الخليلي : طب الإمام الصادق (عليه السلام) ،ص ٥٤.

(٢٠) الشيخ الصدوق :أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) : الأمالي ،تصحيح :هاشم الحسيني الطهراني (قم :مطبعة الحوزة العلمية ، ١٩٩٦م) ص ٣٧٨.

(٢١) سورة الحشر ،آية :٧ ؛ وينظر :الخليلي :طب الإمام ،ص ٣٨.

(٢٢) الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) : الفروع من الكافي ، تصحيح :علي أكبر الغفاري ،(طهران : دار الكتب الإسلامية ، ١٩٤٧م) ج ٨ ،ص ١٩٣.

(٢٣) الشماع :يسار محمد حسن : الحجامة في طب الامام الصادق (عليه السلام) بحث منشور ، مجلة الاصالة ،(النجف :مؤسسة التراث ،٢٠١١م) ص ١٨.

(٢٤) الزيات :ابو عتاب عبد الله بن سابور (ت ٤٠١هـ/١٠١٠م):طب الائمة (قم :مطبعة أمير ،١٩٩٠م) ،ص ٥٥.

(٢٥) الشماع : الحجامة ،ص ١٩.

(٢٦) الزيات : طب الائمة ،ص ٥٦.

(٢٧) الريشهري :موسوعة الأحاديث ،ج ٣ ، ص ١٣١.

(٢٨) الشيخ الصدوق : ابو جعفر محمد بن علي بن حسين (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) :من لا يحضره الفقيه (بيروت : دارمرتضى ،٢٠٠٦م) ،ج ٣ ،ص ٧٣٣.

(٢٩) القراغولي :عارف ،الوراثة عند الإمام الصادق (عليه السلام) ،بحث منشور ،مجلة الدراسات الإسلامية (النجف :١٩٦٣م) ص ١٤٨.

(٣٠) السلطاني :الطب والصيدلة ،بحث منشور ،ص ٢١.

(٣١) الحر العاملي :الفصول المهمة في أصول الائمة ،ج ٣ ،ص ١٣٢.

(٣٢) ابن خلكان :شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (٦٨١هـ/ ١٢٨١م) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق :أحسان عباس (بيروت :دار الثقافة ،١٩٩٠م) ج ١ ، ص ٣٢٧،الخليلي :طب الإمام ،ص ٦٤.

(٣٣) الدميري :كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :حياة حيوان الكبرى ، وضع حاشية : أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية ،٢٠١٠م) ،ج ٢، ص ١٤٢، البرقي :المحاسن ،ج٢ ،ص ٥٥٤.

(٣٤) المجلسي : بحار الانوار ،ج ٣٢،ص ١٤٨.

(٣٥) البرقي : المحاسن ،ج ٢ ،ص ٥٥٦.

(٣٦) زين الدين :محمد أمين :كلمة التقوى (ايران :مطبعة مهر ،١٩٩٢م) ج٦،ص٣٨٩.

(٣٧) الكليني :الكافي ،ج ٦، ص ٢٩٠.

(٣٨) القفطي :جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، علق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٥م) ، ص ١٢٤، الزيات :طب الائمة ،ص ٦٠.

(٣٩) عبد الرحمن :حكمت نجيب ،دراسات في التاريخ العلوم عند العرب (الموصل :جامعة الموصل ،١٩٧٦) ص ٢٤٠.

(٤٠) الطائي :فاضل أحمد :أعلام العرب في الكيمياء (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٦م) ص ٣٦.

(٤١) الهاشمي :محمد يحيى :الإمام الصادق ملهم الكيمياء (بيروت : دار الأضواء للطباعة ،١٩٩٣م) ص ٢٣.

(٤٢) الطائي :أعلام العرب ،ص ٣٦.

(٤٣) مجموعة مستشرقين : الإمام الصادق (عليه السلام) ،ص ٥٣.

(٤٤) سيد الأهل : عبد العزيز :جعفر بن محمد (الإمام الصادق عليه السلام) (بيروت :دار الشروق ، ١٩٥٤م) ص ٤٧.

(٤٥) مجموعة مستشرقين :الإمام الصادق (عليه السلام) ، ص ١٢٧.

(٤٦) كتاني :الإمام جعفر الصادق ضمير المعادلات ، ص ١٤٥.

(٤٧) مجموعة مستشرقين :الإمام الصادق ،ص ٥٣.

(٤٨) الصدر :محمد باقر :المعالم الجديدة للأصول (النجف :مطبعة النعمان ، ١٩٧٥)،ص ١٣.

(٤٩)الصدر :محمد باقر :فلسفتنا (النجف : مطبعة الامير ، ٢٠٠٤م) ، ص ١١٥.

(٥٠) الهاشمي :الإمام الصادق ملهم الكيمياء ،ص ١٨٠.

(٥١) الشاكري :حسين:موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام) (قم : مطبعة الهادي ،١٩٩٦م) ، ج ٩ ، ص ٢٣٠.

(٥٢) مجموعة مستشرقين :الإمام الصادق ، ص ١٢١.

(٥٣) الشاكري :موسوعة المصطفى ،ج ٩ ، ص ٢٣٢.

(٥٤) الجشعمي :نجم :من علوم الامام جعفر الصادق (عليه السلام) الفيزياء النووية وفيزياء الطاقات العالية ،الوجود المعتاد ،بحث منشور ،مجلة الاصالة ،ص ١٢.

(٥٥) مجموعة مستشرقين: الإمام الصادق ،ص ١٧٢.

(٥٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٤ ، الجشعمي : من علوم الإمام ، ص ١٤.

(٥٧) مجموعة مستشرقين:الإمام الصادق ،ص ١٧٣.

(٥٨) الجشعمي :من علوم الإمام ، ص ١٤.

(٥٩) الشاكري :موسوعة المصطفى ، ج ٩ ، ص ٢٣٣.

(٦٠) نلينو: السنوركرلو :علم الفلك تاريخه عند العرب في العصور الوسطى ٠ملخص محاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية في مدينة روما، (روما :الجامعة المصرية ،١٩١١م) ، ص ١٩ .

(٦١) نلينو : علم الفلك ،ص ٣٠.

(٦٢) الكليدار : حيدر محمد حسن عباس : الإمام الصادق وأثره في فقهاء عصره ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الكوفة :كلية الآداب ،٢٠١١م) ص ٦٦.

(٦٣) سورة الحجرات :آية ١١.

(٦٤) الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت بحوالي :٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م): الاحتجاج ، تعليق :باقر الخراسان (النجف :دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٦٦م) ج ٢ ، ص ١٠٠.

(٦٥) ابن الجوزي : جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) :نقد العلم أو تلبيس إبليس (القاهرة : مطبعة المنيرية ،٢٠٠١م) ، ص ٧٦.

(٦٦) الطبرسي : الاحتجاج ،ج ٢ ،ص ٩٥.

(٦٧) الطبري :ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) : جامع البيان عن تآويل القران ،تقديم :خليل الميس ،تخريج :صدقي جميل العطار ، (بيروت :دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م) ، ج ٧ ، ص ٣٧٢.

(٦٨) الغزالي :أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) : أحياء علوم الدين (القاهرة :مطبعة العثمانية ، ١٩٣٣م) ، ج ١ ،ص ٢٧.

(٦٩) ابن طاووس :رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) : فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم (قم : مطبعة الأمير، بلا ،ت) ،ص ٢٢.

(٧٠) الزرنوجي :برهان الإسلام (ت ٥٩١هـ/ ١١٩٥م) :تعليم المتعلم طريق التعلم (القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٣٥م) ، ص ٥ .

(٧١) الطبرسي : الاحتجاج ،ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٧٢) الريشهري : محمد: موسوعة العقائد الإسلامية (إيران :دار الحديث ،٢٠٠٤م) ،ج ٢ ، ص ٣١٩.

(٧٣) الكليني : الكافي ،ج ٨ ، ص ٣٥١.

(٧٤) مجموعة مستشرقين :الإمام الصادق ، ص ٥٩.

(٧٥) الشاكري : موسوعة المصطفى ، ج ٩ ، ص ١٩٨.